

مجلد المنصور والمدخل العثماني في اليمن


١٩٠٤ - ١٨٧٨ م

سيرة الامام محمد بن يحيى حميد الدين

بالدر المنثور في سيرة الامام المنصور

تولاه الطبع والتعمير
محمد بن يحيى حميد الدين

Bibliotheca Alexandrina



00118057

مؤسسة الرسالة

سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين
المنامة
بالدكتور المنصور في سيرة الإمام المنصور

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٦/١٠/١٣١١)

رقم التصنيف	٩٥٦٧١٠١
المؤلف ومن هو في حكمه	علي بن عبدالله الارياني
عنوان المصنف	تحقيق محمد عيسى صالحية سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين المسماة بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور
الموضوع الرئيسي	١- التاريخ والجغرافيا ٢- اليمن - عهد الأئمة
رقم الإيداع	(١٩٩٦/١٠/١٣١١)
بيانات النشر	عمان : دار البشير
* تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية	

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdall
Amman - Jordan

دار البشير

ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس: (٦٥٩٨٩٣) / (٢٣٧٠٨) بشير
مركز جوهرة القدس التجاري / العبدلي
عمان - الأردن

الإمام محمد المنصور والنضال العثماني في اليمن

١٣٠٧ - ١٣٢٢ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٠٤ م

سيرة الإمام محمد بن يحيى حميد الدين

المسماة

بالدر المنثور في سيرة الإمام المنصور

لمؤلفه المؤرخ العلامة

علي بن عبد الله الأرياني

المنوف عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد عيسى ضاحية

جامعة اليرموك

الجزء الأول

دار البشير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأهراء

إلى أرواح الشهداء الذين التبوا بدمائهم تاريخ اليمن والطريق
الطيفة هي الطريق، وما دون القابضة على الماء
وهي الطيفة وضياء، يفند ويهدم ما عرسوه
إلى أبناء اليمن والسعيد
إلى أبناء اللذة العروية ولا يسلمية
حرفنا ولا خدنا

د. محمد عيسى صالحية

المقدمة

هل أتى حينٌ من الدهرِ على أبناءِ أمتنا يُدركون معه، أنَّ الإقبالَ على الوعيِّ التاريخي يغذو الحسَّ الحضاريَّ، يهزُّ الأمةَ من أعماقيها، يستفزُّ عواملَ اليقظةِ والنهضةِ لتستكشفَ إرهاباتِ هويِّتها، فتتكفَّىءَ إلى جذورها وإلى إحياءِ أصولها، لتكونَ رذءاً لتثبيت كيانها، ففي استقراء أحداثِ التاريخ واستجلائها دربٌ للتبصُّر، وبعُدٌّ عن التزوُّدِ والادِّعاء، لأنَّ شواهدَ الحقِّ تظهرُ بأماراتها.

وللهِ درُّ العارفين بزمانهم، الذين شمَّروا عن سوقِ الجدِّ في سوم العزائم. يروي ثقاتُ الباحثين في تاريخنا الحديث والمعاصر، أنَّ الإمامَ المتوكَّلَ على الله، يحيى بن محمدٍ حميد الدين - رحمةُ الله عليهم - هو المؤسسُ للدولة اليمنية الحديثة وواضعُ نظامها، وعندني، أنَّ الإمامَ المنصورَ بالله، محمد بن يحيى حميد الدين، رحمةُ الله عليهم، والدُ الإمام يحيى هو المهندسُ وغارسُ الجذرِ الأساس لهذه الدولة اليمنية الحديثة، لبنته شادتِ البنيانَ وأعطتِ النتائج.

حدَّث الوالي التركي، أحمد فيضي، غداةَ رحيله من اليمن، قال: الآن شخصتُ الداء، وعرفتُ الدواء، وما على السلطنة العثمانية إلا أن تُصالح الإمامَ محمد المنصور، فهو قطبُ الرِّحى، وما بقي إلا البحثُ عن الطبيب.

كان الإمامُ المنصورُ، رحمةُ الله عليه، يحملُ بين جنباته قلباً، أبد حبه لأُمَّته الإسلامية ووطنه اليمن، كان قويِّ الإيمان بالله تعالى، أيقنَ منذُ تسنُّمه

الإمامة بعد تردّد طال أمده، أنّ الحرية شجرة الخلد تُسقى بتضحيات الرجال، وأنّ النفس العظيمة تزداد عظماً بمبالغة الصّعب، وأنّ الشجاعة لا تُعرفُ إلاّ بالجهاد، فُرِضَ عليه وعلى أبناءِ وطنه القتال، وهم له كارهون. فكان لا بُدَّ من الهمة لتحميا الأمة، كان أصحابه رُكَّعاً سُجَّداً آناء الليل وأطراف النهار. فإذا كانت ساعة الجهاد وثبوا فرساناً حتى يضربَ الحافرُ بالحافر، كانوا الفرسانَ في ذرى شاهقاتِ الجبال، وفي أسافلِ قيعانِ الوديان، وفي النجود والصياصي..

منذ أميد، كنتُ أدركُ أنّ عصرَ الإمام محمد المنصور في اليمن، بأحدائه وشخصياته وشهادته، من أهمّ عصورِ اليمنِ في تاريخها الحديث، فقد أمضى، رحمةُ الله عليه، أكثر من عشرين عاماً ممتطياً سهوة جواده، افترش سرجَ فرسه والتحفَ سيفه وخنجره وبندقية، لم يعرفَ للراحة طعماً، حاربَ وجاهدَ وقارعَ الباغي، قائداً في ساحةِ المعركة، مدرّساً في استراحةِ المحاربِ لطلبةِ العلمِ في المعاهد التي أنشأها، رعى المهاجرين إليه، كفّل أسرةَ الشهيد، وأنفق على الجريحِ والمصابِ، ديدنه إقامةُ شرعِ الله، والحكمُ بما أنزلَ الله وسنة نبيه، صلى الله عليه وعلى آله وسلّم، يسعى لعزة اليمنِ وتخليصها من المأمورين الظالمين، دون كسلٍ أو تفريطٍ في سبيلِ الحقِّ جاورَ الوحوشَ والضواري، سكنَ الكهوفَ وصادقَ الوديان، مشى حتى انتعلتُ قدماه الدّم، وصبرَ حتى فاق صبره أكبادَ الجمالِ.

كان العصرُ الذي عاش فيه الإمامُ المنصورُ من أخطرِ العصورِ، فقد شهدَ انحلالَ الدولةِ العثمانية، وبانت نوايا القوى الطامعة، فكان عليه أن يتّقي غوائلَ الهجمةِ القادمة.

حاربَ بريطانيا، وكانت له معاركُه مع إيطاليا، ومع بُغاة الأتراك.

كان كثيراً ما يرددُ في مجالسِهِ «سنقاتلُ كلَّ مَنْ يحاولُ اختلاسَ فترٍ مِنْ أرضنا، وكلَّ مَنْ هَضَمَ ذرَّةً مِنْ حقوقنا، سنقاتلُ حتى نفوزَ بالشهادة، نُجاهد، ونحن مؤمنون بالله، واثقون برحمته، وطيدو الأمل بعونه».

وحيثُ فُتِحَتْ دواعي الصُّلحِ مع الدولة التركية، وكما تؤكدُه الوثائقُ المبذولةُ في الكتاب كان، رحمةُ الله عليه، فطناً يقطاً، لم يَخدعهُ من اللَّفظِ معسولةً، ولا مِنْ المالِ عَرْضُه: كثيره أو فاحشه، ولا مِنْ الدنيا زُخْرُفها ومتاعها، عَرَضوا عليه لذيذَ الوَسَنِ في فراءِ شتاءِ قارصِ في استانبول، فرفضه، وحبب إليه اصطكاكُ أسنانه وتجمُّدُ أقدامِهِ في وعِرِ شواهِقِ جبالِ اليمينِ، وما تنازَلَ عن حقٍّ من حقوقِ ربِّهِ ووطنه، ولا تنازَلَ عن شبرٍ تدفأً بحرارةِ الإيمانِ المتفجرِ بينَ حنايا ضلوعِهِ، رائدُهُ «حربٌ مُبيرةٌ أو سَلْمٌ قريرةٌ أو مُداجاةٌ وَغَيرةٌ».

وبحمدِ اللهِ تعالى ورضوانه، ظهرت سيرةُ الإمامِ محمدِ بنِ يحيى حميدِ الدين، رحمةُ الله عليهم، إلى النورِ بعد أن دَفَعنا بها إلى مؤرِّخِ محايدٍ، لدرسها وتحقيقها، طَلَبنا إليه التمسُّكُ بالموضوعيةِ والنزاهةِ المطلقةِ، وكانَ أن عَمِلَ بما أملاه عليه وجدانُهُ، ليكونَ عملُهُ شهادةً يُحاسبُ عليها أَمامَ الله، يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بنون. إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وكم سرَّنا أن يضمَّنَ دراستَهُ وتحليلَهُ لسيرةِ الإمامِ، الرأيَ الآخرَ، فأثبت الوثائقُ العثمانية التي استحضَرها من أرشيفِ رئاسةِ الوزراءِ في استانبول، وتُرجمَت إلى العربية، وضمَّنت صورُها الأصليةُ في الدراسة، وقرنَ ذلك بوثائقَ يمنيةٍ فجاءت السيرةُ بمجمليها دراسةً وثائقيةً، أَعْمَلت فيها مناهجُ النقدِ التاريخي.

ما كان هدفنا إلا الحقيقةَ تذكراً للمؤمنين، ولجماً للمُلبسين.

تَدُلُّ الرِّجَالُ لِأَطْمَاعِهَا كَذُلَّ الْعَبِيدِ لِأَرْبَابِهَا
فَقَدْ ذَهَبَ عَرْشُ بَلْقَيْسَ وَبَلِيَّ جَمَالُ شِيرِينَ، وَتَمَزَّقَ فَرْشُ بَوْرَانَ، وَبَقِيَ
نُسْكُ رَابِعَةَ وَلسَانُ حَالِي يَرُدُّدُ:
وَإِنَّ كَلَامَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالِنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نَصَالُهَا
وَلِيَرْحَمَنَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا.

الفصل الأول المؤرخ والمخطوط

المطلب الأول:

المؤرخ الإيراني:

يتضح من خلال البحث عن سيرة المؤرخ علي بن عبدالله الإيراني أن مصادر العصر قد تناولته بصورة مختصرة، بل وفي بعض الأحيان بإشارات عابرة، ولم تفصل في سيرة حياته أو مؤلفاته، وحتى مصنفاته التي ذُكرت في بعض المصادر فهي مفقودة في معظمها. فصاحب نزهة النظر، أفرد له ثلاث صفحات ونصف، كانت اثنتان منها مساجلات شعرية ومطارحات أدبية، استقاها من كتاب المؤرخ نفسه، كما أن صاحب نبل اليمن أوجز هو الآخر عند إيراد سيرة المؤرخ الإيراني ومثله فعل صاحب كتاب مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ولولا عناية عبدالله بن محمد بن يحيى بن محسن العيزري بسيرة حياة المؤرخ لضاع الكثير من أخباره، وذلك لأن عبدالله بن محمد العيزري (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م) أفرد لسيرته اثنتي عشرة ورقة، ضمّن فيها حياته وأسانيده ومؤلفاته، إضافة للعديد من شعره، والحوادث التي وقعت في عصره، وعبدالله بن محمد العيزري الهمداني كان من أتباع مؤلف السيرة المنصورية، المؤرخ الإيراني، وممن لازمه أيام طلب العلم

بهِجْرَةِ إِيرَانَ^(١).

ومؤرخنا، عليُّ بنُ عبدِاللهِ بنِ عليِّ بنِ عليِّ الإرياني، ينتهي نسبُه إلى الصديقِ بنِ محمدِ الأرياني، وُلِدَ في ذي الحِجَّةِ سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م، في مدينةِ إريان، غربيِ يريم، وشبَّ في مدينته، ودرسَ على شيوخِ العصر، حيثُ لا زَمَ شيخُه يحيى بنَ عليِّ بنِ عبدِاللهِ بنِ عليِّ بنِ حسينِ الإرياني مدَّةَ خمسِ عشرةِ سنةً، لا يفارقهُ إلَّا في الليلِ، وأخذَ عنه في العربيةِ والأصوليَّين: أصولَ الدين، وأصولَ الفقه، والمعاني والبيان والحديث والتفسير والفرائض والحساب^(٢).

ودرسَ على الشيخِ محمدِ الطائفي النحوَ والقراءة، وكان مشهوراً في علمِ النحو، وله منظوماتٌ ومؤلفاتٌ تدلُّ على تحقيقه.

وعندما توجَّه مؤرخنا سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م لأداء فريضةِ الحج، برفقةِ أخيه محمد، اتفقا بالسيدِ أحمدِ زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م)، مفتي الشافعية في مكة، وجرتَ بينهما مذكراتٌ ومحاوَراتٌ، ثم أجازَه إجازةً عامةً في جميعِ مسموعاتهِ ومروياتهِ ومؤلفاتهِ.

وفي طريقِ العودة، اتَّفَقَ بالعلامةِ سليمانَ بنِ محمدِ بنِ عبدِالرحمنِ بنِ سليمانِ الأهدلِ، (ت ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م) في مدينةِ المراوغة، شرقيِّ الحُدَيْدَةِ، وبها العلماءُ من بني الأهدلِ، فأجازَه هو الآخرُ إجازةً عامةً في

(١) انظر النسخة رقم ٢، الكتب المصادرة بمدينة تعز.

(٢) أئمة اليمن، ٢/١٨٥.

الإفتاء والتدريس^(١)، وفي مدينة زَبِيد اتفقَ بالسَّيِّدِ العَلَّامَةِ داوِدَ بنِ عبدِالرَّحْمَنِ حَجْرِ القُدَيْمِيِّ (ت ١٣١٣هـ/، ١٨٩٥م) والذي عُرِفَ باتقانه علومَ الآلاتِ على اختلافِ أنواعِها، وتولَّى القضاءَ بمدينة زَبِيد، وكانَ من الحفَظِ المتقنين، استجازَهُ مؤرِّخنا وصنَّوهُ إجازةً عامَّةً^(٢)، وفي مدينة جَبَلَةَ كانت لمؤرِّخنا إجازةً عامَّةً من السَّيِّدِ العَلَّامَةِ المحقِّقِ يحيى بنِ حسين بنِ قاسمِ المجاهد، في جميعِ مروياته ومسموعاته.

وظل مؤرِّخنا مُلَازِمًا للدرسِ وناشرًا للشريعةِ المطهَّرة، واعظًا ومرشدًا لعامةِ القومِ، يرضى بالأجرِ القليلِ، لا يحرصُ على زينةٍ في اللباسِ والزِّيِّ حتى كانَ حصارُ صنعاء سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وصُيِّقَ على المأمورين الأتراك، وهربوا من ذمارَ ويريَمَ وضُورَانَ وغيرها من البلدان، وبلغتُ قواتُ الإمامِ المنصورِ باللهِ في حصارِها إلى إِب، وخطَبَ للإمامِ المنصورِ باللهِ في جميعِ تلكَ المدائن. وقد هو وصنوه حسين، على الإمامِ، فقابَلَهُما بأحسنِ قبولٍ، ولكنهما مكثا هناكَ أياماً قلائلَ عادا بعدها إلى وطنِهما. واشتغلَ مؤرِّخنا بالتدريسِ والإفتاء، حتى كانت سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، وخروجُ أحمدَ بنِ قاسمِ حميدِ الدين، والسَّيِّدِ محمدِ بنِ المتوكلِ بجيشٍ كثيفٍ من حاشدِ ويكيلِ إلى الروضة، وأخذهم شيخُ بني حارثِ مقبلِ دغيش، عندئذِ كتبَ المؤرِّخُ قصيدةً مفيدةً إلى أحمدَ بنِ قاسمِ حميدِ الدينِ يحذِّره من مغبةِ دخولِ يريمِ

(١) نزهة النظر، ٣١٠.

(٢) أئمة اليمن، ١٩١/٢، نزهة النظر، ٢٩٨، ومن العلماء أيضاً الذين كان له معهم مناظرات ومذاكرات العلامة سليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، ومحمد بن أحمد الباري الأهدل في المراوغة.

لما أُعِدَّ له ولقوَّاته من قبَل الأتراكِ وأعوانِهِم . ويبدو أنَّ تلك الرسالة وقعت في يدِ أحدِ أعوانِ العجمِ ، الذي أخذ يتوعَّد ويهدِّدُ ، بعدَ أن استوثق بأنَّ القصيدةَ بخطِّ وإنشاءِ مؤلِّفِنا ، ولَمَّا كان حسين حلمي الوالي الجديدُ المُرسَلُ إلى اليمنِ قد نَشَرَ بينَ الناسِ ، إنما قصدهُ تحقيقُ العدالةِ والإنصافِ ، وإراحةِ الناسِ من عَنَتِ وقسوةِ مشائخِ القبائلِ ، أَمِنَ المؤرِّخُ على نفسه وعادَ إلى صنعاءَ ، غيرَ مُبالٍ بوعيدِ عدوِّه الشيخِ أحمدِ صالحِ النجمِ ، الذي لم يتورعْ - وذلك حين ضمَّ الجميعَ مجلسُ عندِ الوالي - أنْ أظهرَ القصيدةَ . فثارتُ ثائرةُ الوالي وطلبَ محاكمةَ المؤرِّخِ الإريانيِّ ، لولا تدخلُ رئيسِ العلماءِ أحمدَ بنِ محمدِ الكبسيِّ ، وتهدئتهُ للأمرِ ، ولكنَّ المؤرِّخَ لم يأمنَ ذلكَ ، فخرجَ هو وصنوهُ دونَ راحلةٍ إلى المنجدةِ من طرفِ البونِ ثم إلى زَيْدَةَ فَخَيْرٍ ، وهدفهُ الهجرةُ لطرفِ الإمامِ ، ثمَّ صارَ إلى القفْلةِ ، فأكرمهُ الإمامُ وألحقهُ بخاصَّتيه ، وليكونَ كاتبه وفي صحبتهِ ، وقد أمضى والامامَ فترةَ الإقامةِ في جبلِ كوكبِ عندَ دخولِ الأتراكِ إلى القفْلةِ ، مقرُّ الإمامِ سنةَ ١٣١٦هـ ، ثم عادا بعد أسبوعٍ عندَ انسحابِ الأتراكِ منها ، واستمرَّ مرافقاً للإمامِ سنتينِ ، ومن ثمَّ تزوَّجَ واستقرَّ بذي بَيْنِ ، المدينةِ الواقعةِ شمالَ غربِ صنعاءَ بمسافةٍ أربعةٍ وتسعينَ كيلو متراً ، التابعةِ لقضاءِ عَمْرانَ ، ولما أصابَ القحطُ تلكَ الجهاتِ ، وعُدِمَتِ المياهُ ، ارتحلَ إلى حَبُورِ ، البلدةِ المشهورةِ من ناحيةِ ظُلَيْمةَ ، ولم يناسبه سكنُها لاعتلالِ صحتهِ ، فانتقلَ إلى غُرْبانَ ، البلدةِ المعروفةِ مِن حاشدِ . وروى مصنَّفُ سيرتهِ عبدُاللهِ العيزريُّ الذماريُّ ، الذي كثيراً ما تردَّدَ على غُرْبانَ لعيادتهِ وتفقدِ أحواله عندَ مرضه ، كيفَ مرضَ مؤرِّخنا مرضاً شديداً حتى زالَ عقله ، وانتظروا موته ، فحَمِلَ على سريِّرٍ إلى أهلِ بيتهِ ، ولكنَّ المرضَ طالَ

به، ثم انتقل إلى حصن الصِّبَّة^(١) طلباً للصحة وبردِ الهواءِ وقد نَقَّه من مرضه، ولكنه أُصيبَ بمرضِ الرئةِ والاستسقاءِ، وتوفي في ٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، وقد رثاه جملةً من العلماء، منهم مصنفُ سيرته عبد الله العيزري وصنوه العلامة شرف الإسلام، حسين بن عبد الله الإيراني، وابن أخيه يحيى بن محمد بن عبد الله وابن أخيه حمود بن حسين بمرثيتين.

ويُلاحظُ بأنَّ وفاة مؤرِّخنا قد وَقَعَتْ بعدَ وفاة الإمام المنصور بالله، فقد أرسلَ إلى المتوكلِ على الله يحيى بن الإمام المنصور بالله بقصيدة، قالها مؤلفنا الإيراني وهو في المرض الذي توفي فيه، وذلك في شهر ربيع الأول ١٣٢٣هـ حين قارب المتوكلُ على الله يحيى صنعاء، فوصلت إليه وهو بحصنِ كوكبان، ثم ارتحلَ إلى صنعاء. جاء في مطلعها:

أهنيك يا نجمَ الأئمةِ بالفتحِ وما أفضلَ الرحمنُ فيه من النُّججِ
وقد تركَ مؤلِّفنا ولَدَيْنِ من عقبِهِ شَهْرَ أمرهما وعُرفا بالعلمِ والأدبِ هما:
علي ويحيى^(٢).

المطلب الثاني:

مصنَّفاته:

صنَّفَ القاضي المؤرِّخُ الإيراني عدَّةَ مؤلِّفاتٍ في مختلفِ العلوم

(١) الصِّبَّة: حصن في غُرَبان من بلاد حاشد، وخارج الحصن قبر القاضي علي بن

عبد الله الإيراني، انظر، معجم المقحفي، ٣٧٦. معجم الحجري، ٤٦٢/٢.

(٢) انظر حول سيرتهما، نزهة النظر، ٤٤٣، ٦٢٥، ذيل أجود المسلسلات، ٧١، تحفة

الاخوان، ٩٩.

والفنون، فقد معظمها نتيجة الأحداث التي ألمت باليمن على الأغلب، وما زال بعضها حبيس المكتبات الأسرية، وما ظهر منها في فهارس المكتبات العربية والأجنبية لا زال محدوداً، ومن هذه المصنّفات:

- السيرة المنصورية، وهي أصح التواريخ، متوسطة بين الإيجاز والإطناب، تجنّب فيها السجع المتكلف إلا في مواضع يسيرة، وأساسها تلك القصيدة التي كُنّا قد أشرنا إليها، والتي أرسلها للإمام المنصور بالله لتهيججه، وسماها «الدرّ المنثور في سيرة الإمام المنصور» وهو الكتاب الذي نشره.

- منظومة في الفقه، وقعت في ١٠٣٥ بيتاً، رتبها على مقدمة في أصول الدين، وما يجب على المرء معرفته وحمله، وخاتمة في علم النحو، وذيلها بخاتمة في التصوف الذي ندب إليه الشارع.

- رسالة في أحكام التجارة وآدابها.

- رسالة «نجاح الطالب في صفة ما يكتب الكاتب»، محفوظة في جامع الغربية تحت رقم ٦٤ فقه، تاريخ نسخها سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤.

- رسالة مفيدة في تفسير قوله تعالى «إن الله يأمر بالعدل والإحسان».

- رسالة «كشف الهالة عند مسألة الإقالة».

- رسائل عدة وجوابات مفيدة وهزليات ومداعبات.

وله منظومات:

- في الآداب النبوية والحكم الشرعية سماها «تحفة الندماء في سير الحكماء».

- قصيدة «الإفادة في ذكر الأئمة السادة»، أولها:

تالله ما حلت لكم عن وداد لو قطعوا جسمي وصالا وداد
- وله مرثيةً بليغةً وموعظةً حسنةً للعلماء الذين وقعت وفائهم في ابتداء القرن
الرابع عشر، وقبله بيسير، شرع بعلماء ضُحِيانَ ثم الأهنوم وصنعاء وذمارَ واليمن
الأسفل وزبيد، وكان عازماً على شرح أحوال من تَضَمَّتْهُ تلك المرثية، فجاءه
الأجل.

المطلب الثالث:

كتابه التاريخية:

من خلال رصدنا لمنهاج المؤلف في الكتابة التاريخية، فإننا نسجلُ
الأمور التالية:

- أنه كتب التاريخ تخليداً لمن قامَ بِنُصرةِ الشريعةِ المُطَهَّرةِ، الإمامِ المنصورِ
بالله، محمد بن يحيى، وسجّل وقائعَ الأجنادِ المنصوريةِ ضدَّ القواتِ
العثمانيةِ، التي تدخلت في الشؤونِ العثمانيةِ، فحرّياً بتلك الوقائعِ أن تُحفظَ
وتُقيّدَ في بطونِ الأوراقِ، وهو يرى أن في ذلك تبصرةً وذكرى لمن يأتي بعده
من الحُدّاقِ، وعبرةً لأهلِ الإيمانِ والوفاقِ، وإغاظةً لذوي الحَسَدِ والشقاقِ،
ويذهبُ أكثرَ مِنْ ذلك، فيُعدُّ كتابته أنها من المروعةِ والواجبِ لشرعِ
الفتوة^(١).

- أوردَ المؤرِّخَ العديدَ من الآياتِ والأحاديثِ النبويةِ والأقوالِ المأثورةِ

(١) الدر المنثور، ٢ أ ق.

والأشعار، ومع أنه قصدَ بذلك التنبيهَ إلى أهميةِ الحَدَثِ وتقويةِ الحججةِ، ودعمِها بالبراهينِ والآياتِ والأحاديثِ، إلا أنَّ الإكثارَ منها يَدُلُّ على اتساعِ ثقافةِ المؤرِّخِ واطِّلاعِهِ على معارفِ العصرِ، وتلكِ ميزةٌ تزوِّدُهُ بقدرَةٍ واضحةٍ في معالجتهِ للأحداثِ.

- أوردَ المؤرِّخُ العديدَ من الإرهاصاتِ والرؤى البصريةِ والمناميَّةِ والجفريَّةِ، وكذا ما سمَّاهُ بالكراماتِ الباهرةِ، ويتَّفَقُ هذا مع أسلوبِ العصرِ في الكتابةِ التاريخيةِ، فتسجيلُ تلكِ الأمورِ من المهامِّ المتعلقةِ بعملِ المؤرِّخِ، وما ذاكِ إلا لتنبهِ أبناءِ العصرِ بالحوادثِ الجِسامِ، التي حلَّتْ بِهِمْ، وكيفَ يكشفُ اللهُ مصائبَهُمْ، فكانها نوعٌ من الرَّدْعِ، ولهذا أَكثَرَ المؤرِّخُ من إيرادِ المصائبِ التي حلَّتْ بالمخالفينِ لأوامرِ الإمامِ المنصورِ باللهِ، أو أولئكِ المانعينِ لواجباتِ الإمامةِ من أموالِهِمْ وخاصةً الزكاةِ، وأوردَ من ناحيةٍ أخرى أخبارَ الطَّواعينِ والسيولِ الكوارثِ والأمطارِ المدمرةِ التي أنزلها اللهُ على أعداءِ الإمامةِ والمتخلفينِ والقاعدينِ عن الجهادِ، فكانَ إيرادُ مثلِ ذلكِ ترهيباً وترغيباً لكلِّ واقفٍ على الكتابِ، وموعظةً لكلِّ مناصرٍ.

وأما نحنُ، فإننا نرى في هذا النوعِ من التدوينِ سجلاً للتاريخِ الطبيعيِّ للأحداثِ الكونيةِ، مِنْ خسوفٍ وكسوفٍ ووقوعِ زلزلةٍ أو نزولِ مطرٍ وهبوبِ رياحٍ شديدةٍ، وتفشيِ الأوبئةِ والطواعينِ، وأزماتِ المجاعاتِ والقحطِ. فكلُّ هذهِ الأحداثِ إنما تساعدُ في تفسيرِ الظواهرِ الاجتماعيةِ، وتُلقي الأضواءَ على حركةِ المجتمعِ اليماني في تلكِ الفترة^(١).

(١) حول ذلك انظر الأوراق، ١٦، ١٤٣، ٧١، ١٨٥، ٨٧، ب، وصفحات عديدة، وانظرها في الفهرس الملحق الحوادث الطبيعية، والأوبئة والأمراض.

يُلاحَظُ أَنَّ المؤرِّخَ لم يتقيَّدَ بأسلوبٍ واحدٍ في كتابتهِ التاريخيَّةِ، ومع أَنَّهُ اعتمدَ أسلوبَ الحواريَّاتِ، ابتداءً من سنة ١٣٠٧هـ حتى سنة ١٣٢٢هـ إلا أَنَّهُ كانَ لا يتقيَّدُ بهذه المنهجية القائمة على تدوين الأحداثِ حسبَ اليومِ والشهرِ والسنةِ في أغلبِ الأحيانِ.

ويبدو أَنَّ المؤرِّخَ كان يهتمُّ بتلك السنوات التي تقعُ فيها الحادثةُ، غيرَ أَنَّهُ يضربُ عن هذا المنهجِ ليطرحَ قضايا أخرى مثل: الكراماتِ والإطناجِ فيها أو فضلِ شهارةِ على غيرها من البلدان، ثم إنه اهتم أساساً بشهداءِ المعاركِ الواقعةِ بينَ الإمامِ المنصورِ باللهِ والأتراكِ، وأغفلَ وفياتِ كلِّ سنةٍ يؤرِّخُ لها، وعذرةُ في ذلك، أَنَّهُ إنما يكتبُ سيرةَ الإمامِ المنصورِ باللهِ ولا يكتبُ تاريخاً عاماً شاملاً.

- كانت المصادرُ التي استقى منها المؤرِّخُ متنَ مادةِ كتابه مما شهدهُ وسمِعَه بنفسِه في كثيرٍ من المواضعِ، فقد أورد في مقدمة كتابه:

«ولاني لمَّا وضعتُ عصا التَّسيارِ، وحَطَّطْتُ رحلي في شريفِ المقامِ، ومَنَّ اللهُ عليَّ بذلك، فله الحمدُ على هذا الإنعامِ، سمعتُ أذناني ووعى قلبي وشاهدتُ بصري، وقائعَ جَرَّتْ . . . الخ.

ويذكرُ «وكنْتُ حاضراً إذ ذاك»^(١) أو «وممَّنْ سمِعنا منهم».

كما حرصَ من ناحيةٍ أخرى على ذكرِ اسمِ مَنْ روى له خبراً، فتكونُ الروايةُ بغثها وسمينها منسوبةً إليه. وإن كانَ المؤرِّخُ مُشاركاً في الحدِّثِ، أوردَ

(١) الدر المنثور، ٦٠ ب.

ذلك: ففي أحداث سنة ١٣٠٩هـ، ذكر، «وكنْتُ مِمَّنْ حَثَّ النَّاسَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالِدُخُولِ فِي الْجَمَاعَةِ»، ويُضيف: بأنَّ أهلَ مدينةِ ذمارِ أمرِوه بالكتابةِ إلى حضرةِ الإمامِ.

ومِمَّنْ نَسَبَ إِلَيْهِمْ إِخْبَارَهُ بِالْحَوَادِثِ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى أَبُو مَنْصُرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْهَادِي، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ حَمِيدُ الدِّينِ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّرْعِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ رَاجِحٌ وَابْنُهُ الشَّيْخُ عَزِيزُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ مِمَّنْ أوردَهُمْ فِي ثَنَائِهَا الْكِتَابُ.

وَالْمَتَمَعْنَ فِي سِيَرِ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ، يَدْرُكُ أَنَّ مَعْظَمَهُمْ مِمَّنْ قَادَ الْمَعَارِكَ ضِدَّ الْأَتْرَاكِ أَوْ كَانَ مُشَارِكاً فِيهَا، وَكَأَنِّي بِمُؤرِّخِنَا وَقَدْ انْتَهتْ مَوْقِعَةٌ مِنْ وَقَعَاتِ الْأَجْنَادِ الْمَنْصُورِيَّةِ ضِدَّ الْأَتْرَاكِ، يَبَادِرُ إِلَى اسْتِقْصَاءِ مَجْرِيَاتِهَا وَنَتَائِجِهَا، فَيُرْسِمُ صُورَةً لِاسْتِرَاتِيجِيَّةِ الْمَعْرَكَةِ مِنْ حَيْثُ خَطَّتْهَا الْحَرِيْبَةُ، وَالْقُوَى الْمُشَارِكَةُ فِيهَا، ثُمَّ يَقِيْمُ نَتَائِجَهَا مِنْ حَيْثُ النَّصْرُ أَوْ الْهَزِيمَةُ وَالْغَنِيْمَةُ وَالْخَسَارَةُ.

وَفِي مَرَاتٍ كَثِيْرَةٍ يَذْكُرُ: «وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي مِنْ يُوثِقُ بِخَبْرِهِ»، أَوْ «وَلَقَدْ وَصَفَ لِي بَعْضُ ضُبَّاطِ الْعَجْمِ»، أَوْ «أَخْبَرْنَا بَعْضُ مَنْ حَضَرَ الْوَقْعَةَ» أَوْ «هَكَذَا أَخْبَرَنِي مَنْ كَانَ هَذَا الْعَامَ فِي الْحَجِّ». وَفِي مَعْرَكَةِ كُحْلَانَ حُبَانَ، ذَكَرَ الْمُؤرِّخُ: «وَكَتَبَ إِلَيَّ سَيِّدِي عَزَائِلَاسْلَامَ بِتَحْقِيْقِ مَا وَقَعَتْ»^(١).

وَمِنَ اللَّافِتِ لِلنَّظَرِ مَا أوردَهُ الْمُؤرِّخُ فِي الْوَرَقَةِ (٥٥ب) مِنَ الْكِتَابِ: «هَذَا مَا وَصَلَ إِلَيَّ رَاقِمٍ هَذِهِ السَّيْرَةَ مِنَ الْوَقَائِعِ الْخَطِيْرَةِ عَلَى جِهَةِ التَّحْقِيْقِ وَالْيَقِيْنِ

(١) انظر، الدر المنثور، ١٧٧، ١١٤، ١١٧، ١١٨.

(٢) الدر المنثور، ٣٥.

دونَ كَذِبٍ ولا تخمين». ثم عادَ ليذكرَ بعدَ أحداثِ سنة ١٣١٦هـ: «قد ذكرنا فيما سلفَ من هذه السيرة بعضَ إشارةٍ إلى الوقائعِ الأنسيةِ ولم تُستَقْصَ، حيث لم يكنْ عندي حالَ رقمِ ذلك، كيفيةً ذلك، وتفصيلُ الوقائعِ الواقعةِ هنالك».

ثم يقرُّ الإرياني أنه وقع له الاتفاقُ ببعضِ المجاهدين الثقاتِ الذين شاهدوا تلكَ المعارك، وعلموا تفاصيلَ ما وقعَ مِنْ ذلك، فاقترضى الحالُ أن يذكرَ جميعَ ما بلغه من الوقائعِ الأنسيةِ في هذا الفصلِ مجموعةً، ولما لم يتفقَ له العلمُ بتاريخِ كلِّ وقعةٍ على جهةِ اليقين، ذكرها بدونِ تاريخ، حتى لا يقعَ في التخمين.

وفيندنا ذلك، أن المؤرخَ كان دائماً الاستقصاءِ والبحثِ، آملاً في تسجيلِ أوثقِ الرواياتِ مِنْ مصادرها الأصليةِ، وإنْ جانبتهُ الدقةُ في التأريخِ للحدثِ، أوردتهُ مُجملاً ثم عاودَ البحثَ والتحرِّي، وهو لا يرى أيةَ مندوحةٍ مِنْ ذكرِ «لم تحضرني الآن» فإذا وُجدتْ أُحِقَّتْ. وما هذا الا نوعُ من الأمانةِ والدقةِ في الكتابةِ التاريخيةِ.

والإشارةُ الوحيدةُ التي اعتمدَ فيها مصدراً مكتوباً نقلَ عنه، هو سيرةُ الأميرين الأجلين الشريفين الفاضلين: القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني، تأليفِ الأمير: مفرج بن أحمد الربيعي^(١)، والخبرُ

(١) منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموعة تاريخ ١١٧، خط سنة ١٠٦٦هـ، ٩٨ ورقة ومصورة بالميكروفيلم بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، رقم ٢١٦٥.

يتعلق أساساً بفضائل شهارة.

ومن ناحية أخرى، فإننا لا ندري مدى استفادة مؤرخنا مما كان قد شرع فيه يحيى بن قاسم عامر، في تدوينه لسيرة الإمام المنصور بالله. فقد وردت إشارة في الدر المنثور حول ظروف خروج الإمام المنصور بالله، أفاد مؤرخنا أن عماد الدين، يحيى بن قاسم بن عامر هو الذي أخبره بما وقع^(١)، وكذلك مدى استفادته من كتاب «بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور» للحسين بن أحمد بن صالح بن مصلح العرشي، والذي كانت مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تقتني نسخة منه مكتوبة بخط المؤلف^(٢)، وكذا كتاب أحمد بن عبد الله الجنداري، «الجامع الوجيز في وفيات العلماء ذوي التبريز» والذي تحتفظ المكتبة الغربية بنسخة منه تحت رقم تاريخ ٦٥، والتي ابتدأها بالهجرة النبوية وانتهى فيه إلى سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م^(٣).

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المجال: ما مدى التزام المؤرخ بالنزاهة والحياد والبعد عن الانحياز؟

يبدو لي أن المؤرخ حاول قدر جهده أن يأتي بالوقائع والحوادث كما وقعت فعلاً، ويبدل جهده علّه يضيف جانباً من المصدقية على كتابه، ولا أخالني إلاً مدركاً لانحيازه التام لوطنه المبتلى بالتدخل العثماني، وسوء الأحوال وفساد الإدارة العثمانية في اليمن، فكان الانحياز لجانب الإمام بيناً واضحاً

(١) الدر المنثور، ٤أ.

(٢) انظر مجلة العرب، العدد ٦ (١٣٩٢هـ) ٨٧٩-٨٨٩.

(٣) وانظر أيضاً، دار الكتب والوثائق القومية مخطوط رقم ٢١٣٢.

في ثنايا الكتاب، وما له لا يكون منحازاً، ووطنه يعاني من الاضطراب، وعدم الاستقرار، منذ التدخل العثماني الأول في اليمن في سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م وحتى عصر الإمام المنصور بالله سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م؟

فالحياة غير واردة في مثل هذه الحالة، ولكن الإيراني كتب بمصادقية ونزاهة عن طبيعة المعارك التي وقعت بين الأجناد المنصورية والقوات العثمانية، وكذا عن القبائل اليمنية والأعلام من سادة وشيوخ وتجار وغيرهم، وعن مدى علاقة كل هؤلاء بنصرة الإمام المنصور من عدمه، وهي أمور تجعل الناقد ينظر بميزان مختلف لمسألة الحياض والانحياز فيما لو جاء الكتاب بعيداً زمنياً عن فترة الأحداث، أما وإنه قد عاصر الأحداث، وكان في بعضها من صناعاتها، فالأمر مختلف كل الاختلاف.

وما أراه أن ثقافته الدينية، وتربيته الفقهية إنما تفرض عليه أن يؤدي الشهادة على أصح وجوها وأتقنها. ولا أبعد المؤرخ الإيراني عن هذا المسلك.

ثم إن المؤرخ علي بن عبدالله الإيراني، قد عمل كاتباً عند الإمام، وكان موضع ثقته وموضع أسراره، وبذا أطلع على جزء من مراسلات الإمام سواء أكانت مع العثمانيين أم القبائل لحشد طاقاتها أو ردعها عند المخالفة، وتلك ميزة تضيف إلى الكتاب بعداً مهماً.

الفصل الثاني تحليل مائة الخطوط

الإمام المنصور بالله، محمد بن يحيى حميد الدين
المطلب الأول:

- النشأة والدراسة:

يُعَدُّ الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين من أهم الشخصيات اليمانية التي ظهرت في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة / (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي)، والربع الأول من القرن الرابع عشر للهجرة / (الربع الأول من القرن العشرين). فقد شهد عصره انقضاء فترة الفوضى التي عمّت اليمن بسبب التدخل العثماني فيها، ودوام المعارك في أرجائها بين العثمانيين واليمنيين، ثم، وبسبب شدة التنافس بين القيادات المحلية الزيدية على تولي منصب الإمامة، فقد خرج داعياً لنفسه ولمبايعته كل من: محمد بن عبدالله الوزير في بلاد آنس، والمحسن بن أحمد في بلاد كحلان، وغالب بن محمد بن يحيى في تهامة الحديدة، وحسين بن محمد الهادي في حصن القرانع من بلاد الطويلة. وكان الصراع محتدماً بين هؤلاء، الأمر الذي سهّل من أحد الجوانب في عودة الوجود العثماني إلى اليمن. وبالرغم من نجاح الإمام الهادي شرف الدين بن محمد في توحيد القوى

الوطنية تحت قيادته، إلا أن دعوة محمد بن قاسم الحوثي في جبل بَرَط، كانت لها آثارها على عهد الهادي شرف الدين^(١)، أما الإمام المنصور بالله، فقد نجح في حصر إمامة الحوثي في منطقة جبل بَرَط، بل وفي مبايعته من قبل أفراد عائلته فقط.

وإزاء ذلك، فإنه من المفيد دراسة سيرة حياة الإمام المنصور بالله، ومن ثم إلقاء الضوء على البيئة التي نشأ بها، والعلوم التي تلقاها قبل خروجه، وعموم بيعته بالإمامة.

هو محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين، من نسل الإمام القاسم بن محمد بن علي، ويتصل نسبه بالحسن بن علي بن أبي طالب^(٢). وُلِدَ - كما تتفق أغلب المصادر - في سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م، بصنعاء، ونشأ في حجر والده السيد العلامة يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين، الذي كان الساعد الأيمن للإمام عبد الله بن الحسن (١٢٥٢هـ / ١٨٣٦ - ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠)، ووصف بأنه من «عيون الأعوان ووجوه الأعلام»، وشارك في الأعمال، وقام بالمهمات التي أوكلت إليه، وقد رعاه والده حتى وفاته في ٢٨ ربيع الآخر ١٢٨١هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨٦٤م وكان والده قد دفعه لشيوخ العصر، بعد أن أجاد الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، فدرَسَ على جُملة من شيوخ وعلماء العصر. ويلاحظ تنوع وتعدد العلوم التي درسها الإمام في شبابه من علوم نقلية، وعلوم عقلية، شملت أصول الدين وأصول الفقه

(١) رياض الرياحين، ٢٨، أئمة اليمن، ٣٥٣/٢.

(٢) انظر شجرة النسب الملحقة، أئمة اليمن، ٣/٢، نيل الوطر، ٤٠٩/٢، ورد في نزهة النظر، ٥٩٥ أنه ولد سنة ١٢٥٥هـ.

واللغة والنحو والتفسير وغيرها، ويمكن أن نميز في دراسته على شيوخ وعلماء العصر بين فئة درس عليها، وفئة حصل على الإجازة منها، فممن أجازته في جميع العلوم الإسلامية، الشيخ محمد بن إسماعيل عشيّش. العالم المحقق، المفتي والمدرّس بجامع صنعاء، فقد درس عليه، شرح الأساس الكبير للقاسم بن محمد المنصور، في علم الكلام، والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار لأحمد بن يحيى المرتضى، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وطريقة جحاف^(١) في حساب الفرائض، والشافعي للأمام عبد الله بن حمزة بن سليمان^(٢). ويوصف هذا الشيخ بأنه صاحب ملكة قوية في التعليم والتفهم مع صبر ورفق عظيم، وحسن أخلاق ومُقابلة للمبتدئ بوجهٍ وسيم. وأجازته أيضاً في جميع العلوم الإسلامية شيخه محمد بن عبد الله الثور بن محمد بن حسين الصنعاني، وكذا الفقيه محمد بن إسماعيل الخمري الصنعاني، وكانت أوضح الإجازات التي انتهت إلينا، إجازة عامة من العلامة الحسن بن عبد الوهاب بن الحسين بن يحيى الديلمي، تاريخها ربيع الثاني سنة ١٢٧٩هـ / سبتمبر ١٨٦٢م، لما بلغ الثلاثين من عمره، وقد جاء في إجازة الحسن بن عبد الوهاب العامة، ما نصّه:

«سألني الولد العلامة، الحبر الفهامة، سليل المجد والفخامة، محمد بن

(١) في المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير يوجد، طريقة جحاف في صناعة الكتاب في الضرب والتجميل والحساب لحسن بن شمس الدين بن جحاف، فرائض ١٦ من (٢٠١ - ٢٠٧) من المجموع، وطريقة جحاف في الحساب قراءات رقم ٣ من (١٥-١) من المجموع.

(٢) أئمة اليمن، ٣/٢، نيل الوطر، ٢/٢٤٦.

يحيى بن محمد بن يحيى الإجازة المتوارثة بين أهل العلم، التي هي إحدى طرق الرواية في مسموعاتي ومقروءاتي عن مشايخي الأعلام، فقد أجزته ما قرأته وسمعته واستجزته في سائر العلوم، فمنها: كتب السنة الأمهات الست، وما عليها من شروح وتعليق، وكذا المنتقى، والمصابيح للبغوي، والتيسير للدبيح، وغيرها من كتب الحديث والتفسير واللغة والأصولين: الفقه والدين، والعربية وغيرها، بل إن شيخه الحسن بن عبد الوهاب الذيلمي، قد ضمن إجازته للمنصور بالله أبياتاً من الشعر، جاء منها:

أجزت لنجل الآل أعني محمد بن يحيى لما أرويه عن كل أمجد
 فأولها علم الكلام لأنه أساس به يهدي الإمام ويهتدي
 وفي علم تفسير الكتاب فضيلة على غيره كالشمس في كل مرصد^(١)
 وشيخه الحسن، محقق مدقق، له: عقد الإمام في وجوب طاعة
 الإمام، والطرز المذهب في المختار لأهل المذهب، ورسالة ذكر فيها
 أربعين علماً، والتفويض على منحة اللطيف في فن التصريف، ونزهة الطرف
 في أحكام الصرف وشرحها، والإبريز المذاب في قواعد الإعراب. والإجازة
 إنما تكون لمن أتم دراسته في المرحلة العالية، وإنما كان الامتحان، امتحان
 الرأي المحيط به، من علماء ومتعلمين، فمن آنس في نفسه الكفاية على أن
 يجلس مجلس العلم، جلس وتعرض لجدل العلماء ومناقشتهم، فإن نجح
 حصل على إجازة تُجيز له الرواية والتدريس أو الإفتاء من شيخه الذي تلقى
 عليه العلم.

(١) أئمة اليمن، ٤/٢، نيل الوطر، ٣٤٠-٣٤٢، وفيهما جاءت الإجازة في تسعة أبيات.

أما الشيوخ الذين درس عليهم، ولم تتضمن المصادر والمراجع ما يفيد الإجازة بل أشارت في بعض الأحيان لتقييمهم علمه واجتهاده، فنذكر منهم:

- أحمد بن عبد الرحمن المجاهد، والذي يُعدُّ من أكابر علماء صنعاء، بلغ درجة المُذاكرين والمخرجين للمذهب، وقارب الزمخشري في التفسير، وانتهت إليه رئاسة التدريس في فنون العلم والإفتاء بصنعاء، وصنّف، نيل المنى في شرح أسماء الله الحسنى، وله مؤلّف في أصول الدين، وله البدر الساري، ومقدمة في علم التفسير سمّاها (١) «بفتح الله الواحد على عبده أحمد المجاهد، وكذا الروض المُجتبى في مسائل تحقيق الرُّبَا (٢)، ومؤلّف في مناسبة الآي، بلغ فيه إلى آية الكرسي، ومباحث جمة على غاية السؤال في علم الأصول. وقد درس عليه الإمام المنصور بالله، كتاب الاعتصام بحبل الله المتين، وحرمة التفرّق في الدين، بما شرّعه سبحانه وتعالى في كتابه الذكر المبين، وعلى لسان رسوله محمد، خاتم النبيين ﷺ للإمام القاسم بن محمد بن علي، في علم الكلام.

- العلامة أحمد بن محمد الكبسي، رئيس العلماء وشيخ الإسلام، الذي طار صيته في جميع البلاد اليمنية. أخذ عنه أكابر الشيوخ، طبقة بعد طبقة، وكان المذكور عالي الرتبة في علم الحديث تفرّد فيه تفرّداً، لا يُداني فيه، حتى إن تلميذه أحمد بن عبد الله الجنداري يصف قراءته عليه، كتاب شفاء الأوام في الحديث، في مسجد الفليجي بصنعاء، بأنها قراءة يتحير من سماعها

(١) منه نسخة في مكتبة جامع صنعاء، رقم ٥٠ مجاميع.

(٢) منه نسخة في المكتبة الغربية - جامع صنعاء، مجموع رقم ٥٨ فقه (٥-١٢).

من حَفِظَ الرجلِ ومعرفتهِ بطرقِ الأحاديثِ واختلافها، وقد أخذ عنه المنصورُ بالله علمَ الحديثِ.

- العلامةُ محمدُ بنُ إسماعيلَ الكِبيسيِّ ، المؤرِّخُ والقاضي زمنَ المتوكِّلِ على اللهِ المُحسنِ بنِ أحمدَ، يُعَدُّ آيةً في التاريخِ والوفياتِ والأنسابِ والأخبارِ، وقد صنَّفَ، النفحاتِ المسكِيَّةَ والإجازاتِ السنيَّةَ والسيرةَ المتوكِّلِيَّةَ المحسنيةَ والتراجِمَ البهيَّةَ في مجلِّدينِ ضخمينِ، وتاريخَ الزَّمانِ، وسببَ تفرُّقِ الناسِ في البلدانِ من بعدِ الطوفانِ إلى سيرةِ ولدِ عدنانِ، واللطائفَ السنيَّةَ في أخبارِ الممالكِ اليمينيةِ، انتهى فيه إلى حوادثِ سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م، والعنايةَ التامةَ، شرحَ أنوارِ الإمامةِ (تتمة القصيدة البسامة) . وقد أخذَ عنه المنصورُ بالله، علومَ الفقه، وقد أشارَ المؤرِّخُ محمدُ بنُ إسماعيلَ الكِبيسيِّ في كتابه تتمَّة البسامة عندَ ترجمتهِ لعمادِ الدينِ يحيى بنِ محمدِ حميدِ الدينِ للإمامِ المنصورِ بالله، فقال: «وقد بارك اللهُ لهذا عمادَ الدينِ، وجعلَ له لسانَ صدقٍ في الآخرينِ، فإنَّ سليلَه ونجلَه الشابُّ الظريفُ، والرئيسُ الهمامُ المنيفُ، عيَّنَ أعيانَ الوقتِ، ورأسَ صدورِ الدستِ، المُحقِّقَ في المعقولِ والمنقولِ، والمدقِّقَ في الفروعِ والأصولِ، محمدَ بنَ يحيى بنِ محمدٍ من عيونِ الأعوانِ، ووجوهِ الأعلامِ، المجدِّدينِ في نصرةِ الإسلامِ، نافذُ البصيرةِ، صالحُ السريرةِ، قد أحرزَ منَ المعارفِ العلميةِ واللطائفِ الأدبيةِ ما تقرُّ به العينُ، وتُجلى به الكُربُ والرُّينُ، وكَدَحَ في الطُّلبِ وتمسَّكَ بأقوى سببِ النخ»^(١)، وهي شهادةٌ علميةٌ حصَّصَ بها المؤرِّخُ محمدَ بنَ إسماعيلَ الكِبيسيِّ

(١) أئمة اليمن، ٦/٢.

الإمام . والتي تُثبِتُ بلوغَ المنصورِ باللهِ رتبةً في العلمِ ساميةً، وهو ما زالَ في عنقوانِ شبابهِ .

- العلامةُ حسينُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأكوغُ، الذي برعَ في فنونِ العلمِ . درَسَ في جامعِ صنعاءَ، وكانَ لا يبرحُ عن الجامعِ جُلَّ أوقاته، وأخذَ عنه الإمامُ المنصورُ باللهِ، مجموعَ الإمامِ زيدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ^(١)، وكذا الناظري في الفرائض^(٢) .

- العلامةُ قاسمُ بنُ حسينِ بنِ القاسمِ بنِ أحمدَ بنِ المنصورِ الحسينِ بنِ المتوكِّلِ، مِمَّنْ كانَ له مكانةٌ في حفظِ الحديثِ وعِلِّله ورجاله، وأصولِ الفقهِ وذلك بمسجدِ الخُرازِ بصنعاءَ، فقد أخذَ عن شيخه، نخبةَ الفكرِ في علمِ الأثرِ، لأحمدَ بنِ حجرِ العسقلاني، والكشافَ للزمخشري، وشرحَ الغاية^(٣) للقاسمِ بنِ سلام .

- الإمامُ المتوكِّلُ على الله، المُحسنُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ الحسينِ، الذي أخذَ عنه علومَ الفقهِ، وكانَ المحسنُ بنُ أحمدَ قد ثَقِفَ علمَ العَدْلِ والتوحيدِ (علمَ الكلام)، وعلمَ أصولِ الفقه^(٤) .

(١) منه نسخ عدة في المكتبة الغربية، بجامع صنعاء، انظره فهرس المخطوطات في المكتبة الغربية، ٩٦، ٢٨٥ .

(٢) نيل الوطر، ٣٧٩/١ .

(٣) شرح غاية السؤل وهي هداية العقول إلى غاية السؤل في علم الأصول، شرح غريب الحديث للقاسم بن سلام، منه نسخة في المكتبة الغربية رقم ١٥٦ حديث، أئمة اليمن، ١١٢/١ .

(٤) أئمة اليمن، ٥/١، نيل الأوطار، ١٩٣/٢ .

- العلامة محمد بن أحمد العراسي، مدرّس ومفتي صنعاء، شيخ الشيوخ، صنّف تخريج أحاديث الثمرات، وله منظومة في الخصائص للسيوطي، ومنظومة أخرى سماها مفتاح السعادة في كلمة التوحيد، وقد درس عليه المنصور بالله، شفاء الأمير الحسين في الحديث، وشرح الأزهار، وشرح الناظري المشار إليه سابقاً.

ويلاحظ أن صاحب كتاب أئمة اليمن قد أضاف مجموعة أخرى من العلماء الذين درس عليهم الإمام المنصور بالله، ولم ترد في كتابنا الدرّ المنشور للإرياني، ومنهم:

لطف الله بن محمد شاكر الصنعاني الذي وُلِدَ سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م بصنعاء، ودرس على علماء صنعاء، ومعظم الذين أخذ عنهم الإمام المنصور بالله. وفي سيرته أنه هاجر سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م إلى جبل الأهنوم واستقرّ بهجرة علّمان، وعكف على التدريس هناك، وتوفي فيها سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م. ولم يرِد في المصادر التي اطلعتُ عليها أن الإمام المنصور بالله قد درس عليه، والاحتمال الأقرب هو أن يكون الإمام، أثناء إقامته هناك، قد تذاكر وإياه في مختلف أنواع العلوم والفنون^(١). ومن ناحية أخرى، فقد أورد المصدر نفسه أسماء عددٍ من العلماء الذين أخذ عنهم، ولكننا لم نجد في المصادر التي اعتمدناها ما يؤكد ذلك، ومنهم: القاضي محمد بن أحمد بن سهيل الصنعاني^(٢) والسيد محمد بن محمد بن عامر، وقد أخذ عنهما النحو،

(١) نزهة النظر، ١/٤٩٣-٤٩٤.

(٢) حول هؤلاء، انظر: نيل الوطر ١٦٩، ٢٣٠، ٣٨١.

ومحمد بن اسماعيل بن محمد العمري، ويحيى بن أحمد القطفا في الفقه وأخذ عن عيسى بن محمد بن يحيى النعيمي التهامي^(١).

وعلى الجانب الآخر، فقد توقفنا عند ما أوردته زبارة من دراسة الإمام على محمد بن قاسم الحوثي، فقد أورد ذلك في نزهة النظر، وأفاد بأن الإمام كان محققاً في الفقه والعربية والكلام، ثم استطرده صاحب نزهة النظر في إيراد سيرته، حيث ذكر بأن محمد بن قاسم الحوثي ناصر دعوة محسن بن أحمد سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م، ودخل نائباً عن الإمام إلى صنعاء، وأقام بها مدة باسم سيف الخلافة، وتصدر للنيابة عن شيخ الإسلام، وهو ممن حُبس مع الإمام المنصور بالله وآخرين من قبل مصطفى عاصم، ثم إنه سار إلى برط ودعا لنفسه هناك، واستمر في دعوته حتى سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م^(٢)، وقد أورد القاضي حسين بن أحمد العرشي في كتابه: بهجة السرور في سيرة الإمام المنصور، أن الإمام قد أخذ عن محمد بن قاسم الحوثي، وأن الإمام المنصور بالله قد رثاه بقصيدة، حين بلغه خبر وفاته، جاء فيها:

مصائب يمنح الجفن المناما ونخطب عم من صلى وصاما
حليف العلم والتقوى إذا ما طغى بحر الظلام ضحى وطاما
ولم يذكره الإمام بكلمة (شيخي) ولو بإشارة بسيطة، وإزاء ذلك فإننا نقف عن تقرير، إن كان قد أخذ عنه الإمام المنصور بالله^(٣) أم غير ذلك.

(١) حول هؤلاء، انظر، نيل الوطر، ٣٨١.

(٢) نزهة النظر، ٥٧١.

(٣) أئمة اليمن، ٥٩/٢.

وتخلص من كل ذلك إلى أن الإمام المنصور بالله قد درس الدعامات الرئيسة التي يقوم عليها المذهب الزيدي، وأولها علم كلام (العدل والتوحيد)، وهو علم أصول الدين وفروعه العدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وثانيها: أصول الفقه، والذي يُقصدُ منه العلم بالأحكام الشرعية العملية الفرعية عن أدلتها التفصيلية، وتعتمد على إتقان دراسة وفهم الأدلة الشرعية بترتيبها من كتاب وسنة وإجماع وقياس، إضافة إلى النحو واللغة واللطائف الأدبية، ومثل هذه العلوم النقلية والعقلية تغدو مؤهلاً ضرورياً لتولي الإمامة.

ويتضح من دراستنا لعهد المتوكل على الله، المحسن بن أحمد، أن محمد بن يحيى حميد الدين، قد عقد له الإمام المُحسن بن أحمد الوزارة على الصافية، جنوب صنعاء، والخرابة، القرية القريبة من مسيب وبلاد البُستان في سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، وبعد أربع سنوات قاد الجيوش إلى بلاد الحيمة، لإخراج قبائل يام الباطنية منها. وكانت معظم قواته من قبائل أرحب، حيث حاصر الباطنية في قرية الزيلة، وتمكن من هزيمتهم، ومن ثم تولى للإمام المتوكل بلاد أنس.

وعند وصول الأتراك إلى صنعاء سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م، كلفه أحمد مختار باشا، الوالي العثماني على اليمن بتولي قضاء حجة وبلادها، ثم استقال من وظيفته، وقفل راجعاً إلى صنعاء، حيث عمل في الزراعة، يعتني بدوره وبساتينه في صنعاء وبئر العزب وقرية القابل التي يستقر فيها في الخريف، وكان اعتزله في بيته ناشراً للعلوم، مدرساً للطلبة في مسجد الخراز بالقرب من السائلة في الجهة الشرقية من صنعاء، ويفصل في

الخصومات بين مَنْ وَرَدَ إليه لتحكيمه، فقد كان القاضي بالتراضي^(١) في صنعاء.

ثم ما كان من سعي الإمام المنصور بالله عند المشير العثماني مصطفى عاصم، فقد دسَّ إليه بعض أعوان الأتراك، مثل محسن بن علي معيض، والقاضي عبد الله الطرابلسي، أن خروج الإمام محسن بن أحمد وحركته، ومقاومته للوجود العثماني في اليمن، إنما كان بتدبير ومساعدة الإمام وغيره من علماء صنعاء، فكان سجنه وعلماء آخرين في قصر صنعاء، ثم نُقِلَ إلى سجن الحُدَيْدَة، حيث أمضى فيه وصحبه قرابة سنتين وأشهر، منذ سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، حتى كان إطلاقهم بأمرٍ سلطاني في عهد الوالي العثماني إسماعيل حافظ باشا، فعاد الإمام المنصور إلى صنعاء عاكفاً على التدريس وفصل الخصومات، ومطارحة العلماء بفنون الآداب المختلفة^(٢)، غير أن الرقابة العثمانية المفروضة عليه من خلال بث العيون والجواسيس كانت شديدة، حتى كانت وفاة الإمام الهادي لدين الله شرف الدين بن محمد سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، ومن ثم تصدّيه للعثمانيين. وبذا دخل الإمام المنصور بالله معترك ميادين السياسة والحرب، لتبدأ مرحلة أخرى من مراحل حياته المشحونة بالأحداث الجسام كما سنوضحه لاحقاً.

(١) القاضي بالتراضي، وهو القاضي الشرعي الذي يقبل أو يرتضي الأهالي الرجوع إليه ليفصل بينهم فيما يثار من قضايا، ولذلك يطلق عليه «حاكم التراضي» وفي هذه الحالة يلزم كل من الأهالي والحكومة بتنفيذ ما يقضي به، كما أن الغرماء الذين يتقاضون أمانه هم الذين يدفعون أجرته، ودائماً يكون هذا الحاكم، موضع احترام من يحيطون به، لذلك يلجأون إليه عن طواعية، ويرتضون ما يحكم به، انظر، وثائق يمنية، ٤٠٢.

(٢) أئمة اليمن، ٧/٢، رياض الرياحين، ٢٨، الدر المنثور، ق٤ب، نيل الوطر، ٢/٤١٠.

المطلب الثاني :-

الخروجُ والدعوةُ والبيعةُ

في الفكرِ الزيدي، لا بُدُّ وأن يكونَ الإمامُ الحاكمُ عليهم من أهلِ مذهبهم من أهلِ البيتِ، شريطةَ أن يكونَ مُستجمعاً فيه جُملةُ شروطٍ، منها: العلمُ والكرامةُ والدرايةُ وأن يكونَ مقداماً فارساً، عادلاً^(١)، وغير ذلك من الشروط. والزيديةُ لا توافقُ على تعيينِ الإمامِ لمنْ يخلُفه، بل تُصرُّ على أنْ الإمامَ يجبُ أنْ يختاره أهلُ الحلِّ والعقدِ، فيكونُ ترشيحُ الشخصِ العارفِ من نفسه الأهلِيَّة، ثم يُعلنُ ترشيحَه لنفسِه بواسطة منشورِ الدعوة، يوضِّحُ فيه موجباتِ الدعوةِ وأهليته للقيامِ بالإمامة، ومنهجِ عمله فيها.

وعندَ ذلك يجتمعُ العلماءُ وكلُّ مَنْ تنطبقُ عليهم أهليةُ رجالِ الحلِّ والعقدِ، يصلون لمناقشته واختباره في العلومِ النقليةِ والعقليةِ، ويتشاورون فيما بينهم في موضوع كفاءته ومكانته، فإن ارتضوه بعد ذلك بايعوه، وإلا نظروا غيره. وتكونُ إمامته للقيامِ بالواجباتِ وتحملِ المسؤولياتِ بعد المبايعَةِ الحرة^(٢)، ولا يجوزُ أن يكونَ الإمامُ منصوباً من جهةِ الدولةِ أو غيرها. والخروجُ على الظالمِ المتغلبِ شرطٌ في كونِ الإمامِ إماماً، ويتوجبُ عليه إزالةُ كلِّ مُنكرٍ يراه، ولو بالحربِ والقتالِ، إذا اجتمعَ عنده من الرجالِ المحاربةِ بقدرِ عددِ أهلِ بدر. وهو ما اصطلحَ على تسميته «بتكوينِ الأمة» التي أمرَ الله بقوله «ولتكنَّ منكم أمةٌ يدعون إلى الخيرِ، ويأمرون بالمعروفِ

(١) من الشروط الأخرى أن يكون مكلفاً، حراً، مجتهداً، علوياً فاطمياً، عدلاً، سخيّاً، ورعاً، سليم العقل، سليم الحواس، سليم الأطراف، صاحب رأي وتدبير، مقداماً فارساً.

(٢) الزيدية (نظرية وتطبيق)، ١١٨.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» فإذا تحمّل تكوين الأمة بدأ بتنفيذ الخروج على الظالم المتغلب، وكانت النهضة.

ومسألة اختبار المرشحين للإمامة من قِبَل العلماء ورجالِ الحَلِّ والعقدِ واجبةٌ للتحقق من شرطِ العدالةِ والكفاءةِ والعلمِ والدرايةِ، ويجوزُ أن تكونَ إجاباتُ المرشحين خَطِيئَةً. فقد وَجَدْنَا مثْلَ ذلكَ للقاضي إبراهيم بن عبد الله بن علي الغالبي الضَّحِّيَّاني، حيثُ أرسلَ بسؤالَيْهِ لكلِّ من الإمامِ الهادي شرفِ الدين بن محمد، والإمامِ المهدي محمد بن قاسم الحوثي^(١).

وفيما يتعلّقُ بالإمام المنصورِ بالله، فقد أوردَ الإيراني في الدرِّ المنثورِ الأسبابَ والموجباتِ التي جعلت الإمامَ يستجيبُ لتحملِ مسؤولياتِ الإمامة، فقد أخبره يحيى بن قاسم بن عامر - وهو أحدُ المرافقين للإمام الهادي شرفِ الدين، وممن كانَ قد شرعَ بكتابةِ سيرةِ الإمامِ المنصورِ بالله، ولكنه لم يُتمّها - أخبره عن ظروفِ خروجِ الإمامِ المنصورِ باللهِ إثرَ وفاةِ الإمامِ الهادي شرفِ الدين فقد «كاد الشرُّ أن ينهضَ، وطمعَ كلُّ مَنْ في قلبه مَرَضٌ من أهلِ تلكِ الديارِ مِنْ أهلِ صعدةٍ وسحارٍ» فأجمعَ الرأيُ على أنه لا يصلحُ لهذهِ الرتبةِ العليا إلا من جَمَعَ صفاتِ الكمالِ في الدينِ والدنيا، المحقِّقِ في الفروعِ والأصولِ، المدقِّقِ في المعقولِ والمنقولِ. فكتبوا إلى الإمامِ المنصورِ باللهِ «أنَّهُ قد توفّي الإمامُ الهادي، ولم يبقَ مَنْ يصلحُ لهذا المنصبِ الشريفِ غيرك، وقد تحمّت عليك الخروجُ، فبادرْ إلى ذلكِ قبلَ أن يفطنَ العُلوجُ (المقصود الأتراك)، وتداركَ أمورَ المسلمين، فإنها غدتْ تموجُ^(٢)».

(١) أئمة اليمن، ٢/٣٥٥، ٣٥٨.

(٢) الدر المنثور، ١٤.

وكان صاحبُ كتابِ أئمةِ اليمنِ أكثرَ تفصيلاً في هذه الناحية، فقد ذهب إلى أن وفاةَ الإمامِ الهادي قد وقعت في ١٩ شوال ١٣٠٧هـ / ٩ يونيه ١٨٨٩م في حصنِ السُّنارة، ونُقِلَ إلى المَدان، مركزِ ناحيةِ شُهارة، وكانَ عندَ الإمامِ الهادي وقتَ موته يحيى بنُ قاسمِ بنِ عامرِ الأهنومي، وسيفُ الإسلامِ، أحمدُ بنُ قاسمِ حميدِ الدينِ ت ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م فكتبوا إلى الإمامِ المنصورِ بالله، وحثَّاهُ على المبادرةِ للوصولِ إلى صعدةَ قبلَ أن يعلمَ الأتراكُ بذلك^(١)، ويبدو أن يحيى بن قاسم بن إبراهيم ابن السيد الشهيد عامر بن علي بن محمد الحسن^(٢)، كان على معرفة تامّة بكفاعة وأهلية المنصور بالله، لا سيما وأن الاثنين كانا من خاصة أعوان الإمام المحسن بن أحمد، وقادته البارزين، ثم كان من أعيان الإمام الهادي وخاصيته، وكان معروفاً بالعدل والاستقامة، وأما أحمدُ بنُ قاسم، حميدُ الدين، فهو من أجل تلاميذ المنصور بالله محمد بن يحيى، وقد بلغ من العلم مكانة عالية، كما ناصرَ الإمامَ الهادي ثم الإمامَ المنصورَ بالله، وكان ممن يُراجِعُ في شأنِ مَنْ يقومُ بالإمامةِ العظمى^(٣). أما لماذا دَعُوهُ للقدومِ إلى صعدة دون غيرها، فالسببُ معروفٌ، ويكمنُ في عمقِ جذورِ الزيدية هناك منذُ دعوة الإمام الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين بن القاسم إضافةً إلى طبيعة القبائل اليمنية المتوطنة فيها، ووعورةِ وصعوبةِ طُرُقِها ومسالكِها الجبلية. وأما العواملُ المساعدة، فإن الإمامَ الهادي

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٨.

(٢) أئمة اليمن، ٢/ ٣٢٣-٢٣٥، السيد عامر الشهيد سنة ١٠٠٨هـ هو عم الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد.

(٣) نزعة النظر، ١٢٠-١٢٣.

ترك منطقة واسعة، نجحت قواته في بسط سيطرته عليها في الأهنوم والشرفين وحجور الشام، وتمتد إلى ذيبين والجوف وبرط ومعظم لواء حجة، إضافة إلى عدد من الهجر لإحياء العلوم الزيدية، وبيت مال لا بأس به. فيه أسلحة ونقد وحبوباً وحصون، يُشرف عليها ابن الإمام الهادي، سيف الإسلام محمد، والذي لم يبلغ حد الاجتهاد، وابتنظر الإمام المستجمع لشروط الإمامة. وعلى كل حال، فحين وصلت الكتب إلى محمد بن يحيى حميد الدين، شاور العلماء والعقلاء والمحبين في صنعا وغيرها، ومنهم القاضي محمد بن أحمد العراسي، فرأوا أنه قد تحتم عليه الخروج، ولكنه، أي الإمام المنصور بالله، كما يصف نفسه غداة ذلك الأمر كان «يقدم رجلاً ويؤخر أخرى» فالمسؤولية جسيمة، وعليه التصدي للجيش العثمانية بإمكانات محدودة، وهو يعلم الصعوبات التي كانت تنتظره في علاقاته مع القبائل اليمنية ومع الشرائح الاجتماعية المختلفة من سادة وقضاة وشيوخ قبائل، إضافة إلى التنافس على تولي الإمامة، وجواز إمامة المفضل مع وجود الأفضل، وكان كذلك يحسب حساب القوى الفرنجية الطامعة في المنطقة من انجليز وطلبان وفرنسيين، وكذا الزعامات المحلية وصراعاتها التي لا تنتهي.

وعلى الجانب الآخر، فإن الشارع يحتم عليه الخروج، وعليه جمع كلمة المسلمين، ولم شعبيهم، وإزالة المناكير التي بان فعلها، والأمر المعروف وقد ظهر تركه. وأوكل الرجل أمره إلى ربه، ثم لجأ إلى صلاة الاستخارة، وما انشراح له صدره قصده^(١).

(١) أئمة اليمن، ٩/٢.

ويلخص مؤرخنا الإيراني في كلماتٍ وجيزةٍ قصيرةٍ الأسبابَ الحقيقيةَ التي دفعت الإمام المنصورَ بالله للخروجِ ، وقبوله تحمل تبعه الإمامة بقوله:

«خفقتُ من الدين، وزفرةٌ من الباطلِ والمبطلين، وضعفتُ في طائفةِ المؤمنين، وقذى في عينِ الشريعةِ» ويشيرُ المؤرخُ بصورةٍ أوضحٍ إلى الممارساتِ الفاسدةِ الواقعةِ في قُطرِ اليمنِ، فالقضاةُ المعينون من قِبَلِ الأتراكِ، ما رأوا في القضاءِ إلا وسيلةً لأخذِ الأموالِ، والمأمورون اعتدوا على مصالحِ الأمةِ حتى قطعوا رحمَ الأمةِ، وارتكبوا جميعَ الأفعالِ القبيحةِ وشربوا الخمرَ جهاراً، وباعوا الرعيةَ لضعفاءِ المشايخِ، وأكثرُ من ذلك، حكموا بالطاغوتِ، أي بقوانينِ الولاياتِ بدلَ الحكمِ بشريعةِ الله»، ويقررُ المؤرخُ الإيراني بأن الظلمَ راسخٌ، حتى قال:

أُنْتِ الأَرْضُ واشتكتْ سطوةَ الزمانِ
ثم وَلَوَلَّتْ وَعَدَّتْ تَطْلُبُ الأمانِ
دولةَ الأعاجمِ التي جُبِلَتْ على الطغیانِ
جَوْرُهَا وما صَنَعَتْ بلغَ العنانِ(١)

ويبدو لي أن معاودة الحديث عن الإدارة والممارساتِ العثمانيةِ إنما هو حديثٌ مكرورٌ، فقد دُرِسَ بإفاضةٍ مما لا يحتاجُ معه إلى إعادةِ البحثِ، فالإدارةُ المركزيةُ للدولةِ العثمانيةِ، وقانونُ الولاياتِ العثمانيِّ سنةَ ١٨٦٤م، وآثاره على اليمنِ، وثقلُ وطأةِ العسكرِ العثمانيِّ ودهكهم الرعيةَ، والنظامُ الضرائبي في اليمنِ، وفسادُ الإدارةِ العثمانيةِ، والعنفُ والشدةُ والقسوةُ التي

(١) الدر المثور، ١٢.

اتَّبَعها العثمانيون في إخماذِ ثوراتِ القبائلِ ، كلُّ ذلكِ قدَّ باتَ مبدولاً في بطونِ الدراساتِ الحديثةِ^(١). وكُنَّا في نشرنا لوثائقِ حملةِ سنانِ باشا إلى اليمنِ سنةَ ١٩٧٦هـ / ١٥٦٨م قدَّ درسنا المظالمَ العثمانيةَ كما تُملِّها الوثائقُ آنذاك، وكانَ من جملةِ تلكِ المظالمِ:

- تعديُّ الولاةِ على الرعيَّةِ باستيلائهم على مُنتجاتِ الأهالي من الزيتِ والعسلِ ، ومصادراتهم لتركاتِ الموتى ، ومصادرةُ الخيولِ من أصحابها وسرقتها وبيعها.

- إهمالُ الولاةِ لعمارةِ المُدنِ والبلدانِ ، وإهمالُ المرافقِ التي فيها توسعةٌ على معيشةِ الناسِ ، فلحقَّ الخرابُ الأمصارَ والبلدانَ والنواحيَ والقلاعَ والقرى والحصونَ .

- عدمُ إعطاءِ الوظائفِ لمستحقِّيها، بل للطامعينِ الدافعينِ للمأمورين .

- دهكُ الجندِ للرعيَّةِ، واشتدادُ جورِهِم وعسفِهِم للناسِ^(٢).

ولعلَّه من المفيدِ أن نلخِّصَ بعضَ ما وردَ في تقريرِ عبدِالرحمنِ بنِ أحمدِ الياسِ المدنيِّ، خادمِ الملةِ والدولةِ والدينِ وخادمِ العلمِ والمدرسِ بالحرمينِ الشريفينِ، المرفوعِ إلى الصدرِ الأعظمِ بتاريخِ ٩ شوالِ سنةِ ١٣٢٦هـ، والمهورِ بخاتمه الرسمي . ومع أنَّ الوثيقةَ التقريرَ تفضَّلُ في أوضاعِ الجزيرةِ

(١) حوَّل ذلك انظر، إباطه، الحكم العثماني في اليمن، سيد سالم، تكوين اليمن الحديث، ووثائق يمنية، حسين العمري، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، وفترة الفوضى والاضطراب وغيرها كثير.

(٢) وثائق جديدة عن حملة سنان باشا، ص ٨٥.

العربية، إلا أن ما يتعلّق بأحوال اليمن هو ٩ صفحات من أصل ١١٥ صفحة، ولعلّ من معترضٍ على الوثيقة كونها تتناول أحوال اليمن في عهد المتوكل على الله يحيى، وليس عهد الإمام المنصور بالله، والد يحيى. وللحقيقة فإنّ الباحث والمستقصي لأسباب ثورة اليمنيين في عهد الإمام المنصور بالله مقارنةً بما جاء في الوثيقة، يستنتج، وبكلّ بساطة، أن أسباب الشكاوي والتذمر والثورة والخروج واحدة، وأهمية هذه الوثيقة أنها مُرسَلَةٌ للصّدر الأعظم، ومحفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول، ويحدّد عبد الرحمن بن أحمد الياس المدني أسباب الفتن الحاصلة في اليمن في ثلاثة أمور:

الأول: استبداد المأمورين وارثكابهم لما لا يُرضي الله ورسوله من المنكرات والمعاصي، وعدم إقامة الشريعة الشريفة، وتعدي المأمورين على أعراضهم.

الثاني: ظلّم المأمورين لهم في تضعيف الحاصلات وأخذها منهم زيادةً عمّا قرره الشرع والنظام عليهم، وتعدي المأمورين على من لم يوافقهم على ذلك.

الثالث: عدم سماع التشكي منهم في حقّ المأمورين المستبدين الذين يظلمونهم، فإنهم كلّما تشكّوا إلى المايين الهمايوني، لا يُوصِلُ أهل الأغراض شكايتهم إلى السلطان، وإنّ بلغوه الشكاية فعلوا ذلك بعكس ما حرّره أهل تلك الشكاية^(١).

(١) انظر الأوراق ٣، ٤ من الوثيقة.

ثم يذهب كاتب التقرير إلى بيان مذاهب أهل اليمن، من زيدية وشوافع وباطنية (وقريب من الوهابية)، ويناقش سبب موالاته أو معاداة هؤلاء للدولة العثمانية، ثم يبيِّن الأسباب والوسائل التي يجب اتخاذها للإصلاح، منها: ما يتصل بمعاملة الرعية ومنها ما يتعلق بأحوال العسكر، ومنها ما يتعلق بإصلاحات اليمن ومنافع الدولة^(١). وإذا رجَّعنا إلى الأدبيات اليمانية، فإننا نجد فيها أيضاً من الجار بالشكوى من الفساد والإفساد الديني والإداري والمالي، فالواسعي يقول: «وكان القائم مقام أو غيره من المأمورين إذا خرج لأي فضاء أو ناحية لأخذ الأعراس أخذ ما قدر على تحصيله لنفسه، ولم يساعد على كتابة سند بما أخذ منهم، ثم يرجع للحكومة ويقول: لم يدفعوا شيئاً، ثم تأمر الحكومة بنهبهم وخراب بيوتهم وإحراقها، وإذا وصلت العسكر الأتراك إلى قرية، تعدت على عرض الحريم»^(٢)، فالأتراك العثمانيون - حسب رأي الواسعي - «رسخوا الظلم، واستحلوا المحرمات، وتركوا ما أمر الله به من الواجبات، وارتكبوا المعاصي والفجور، وأظهروا البغاء وشرب الخمر»^(٣).

ومن ناحية أخرى، فإن التدقيق في رسائل الإمام المنصور بالله التي كان يبعثها إلى القبائل والأعلام من العلماء وشيوخ القبائل والسادة وتلك التي كانت جواباً على رسالة تلقاها ممن يسعون إلى تسكين اليمن وتهديته، يفيد بأن سبب الخروج والثورة هو ما ارتكبه الأتراك بحق أهل اليمن، ففي رسالة دعوته بتاريخ ذي الحجة ١٣٠٧م جاء فيها:

(١) انظر الوثيقة في الملحق الخاص بها.

(٢) الواسعي، فرجة الهموم، ٢٧٢ (ط الثانية).

(٣) المصدر السابق، ٢٧١.

«فقد شاع وذاع مجاهرةً ربُّ الأربابِ بالمعاصي من دونِ ردِّ ولا ارتيابِ، أُخِذَتِ الأموالُ، وصغرَتْ فحولُ الرجالِ، وتبدَّلتِ الأحكامُ وامتزجَ الحلالُ بالحرامِ»^(١). وفي جوابه على الياورِ علي مثنى الحسيني، نبَّههُ إلى أن الهدفَ من الخروجِ، الحفاظُ على الشرائعِ، والعملُ بكتابِ الله وسنةِ رسوله، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُّ عن المنكرِ، وإقامةِ الحدودِ والقصاصِ وأخذُ الخراجِ بالعدلِ، فأهلُ اليمنِ ما عليهم غيرُ الزكاةِ والفقرةِ، لأنهم أسلموا طوعاً. ومن ثمَّ يُعدُّ ما اقترفه المأمورون من قبَلِ الدولةِ فقد ارتكبوا جميعَ المُحرَّماتِ، من زنا ولواطٍ وشربِ خمرٍ، وعطَّلوا الشرائعَ ورفضوا الحدودَ والقصاصَ واستوعبوا أموالَ الناسِ بالقوانينِ الموضوعَةِ، بل إنهم خربوا قبورَ المسلمين وعمَّروا بأحجارِها الجدرانَ والخاناتِ، وظلموا التاجرَ والمزارعَ حتى كان الواحدُ منهم يبيتُ طاوياً مع أهلهِ وأولادهِ ليقومَ بسدادِ رغباتِ المأمورين، وأمَّا الحكَّامُ (وهم قضاةُ بالدعوى، المعينون من قبل الأتراك) (والذين كبروا العمائمَ وطولوا الأكمَامَ) فإنَّهم في جلَّهم لا يعرفون من العلمِ إلاَّ الرسومَ، لا يُميِّزون بين المعقولِ والمنقولِ، ولا يعرفون الفاعلَ من المفعولِ، ولم يكن همُّهم إلاَّ إهانةُ الأشرافِ وحبسُ العلماءِ، وصدُّ الأبوابِ السلطانيةِ دونَ الشكايةِ على المأمورين، فكم رجعت معروضاتُ لمن كانت الشكايةُ عليه ليعاقبَ من رفعَ به إلى البابِ العاليِ. ومما يُضربُ مثلاً على ذلك ما وقعَ للقاضي يحيى المجاهد^(٢) ت ١٣٠٩ هـ بالاستانة، وعبدالله الضلعي^(٣) ت قبل

(١) أئمة اليمن، ١١/٢.

(٢) انظر الرسائل والجوابات، ٢٨، ٣١، ٤٥ ب من الدر المشور.

(٣) انظر ما وقع لها عند الواسعي، فرجة الهموم، ٢٦٣-٢٦٤. وانظر يحيى المجاهد التعزي في أئمة

اليمن، ٧٥-٧٩.

١٣٣٠هـ الذي مات في المنفى في الاستانة، والآخريات في عكا بعد طول إقامة ومنع مغادرة، وهما ينتظران المثل بين يدي السلطان للانتصاف لفضيتهما، بل إنهم سجنوا كل من اتصل ولو بصلة قرابة بالامام المنصور بالله، فقد سجنوا سعد الدين الزبيري لأنه زوج ابنته من الإمام المنصور بالله، ثم نقلوه إلى رودس^(١) فأسباب الخروج كثيرة، والمظالم منتشرة، فكان لا بد للإمام المنصور بالله من إعلان خروجه، والثورة على البغي والعسف والظلم، ويرى الإيراني، أن وجوب اتباع داعية أهل البيت أمر محتتم مستفاد من الشرع بالبراهين القاطعة، ولا بد من الطاعة والموالاة، فإقامة الحق بالسيوف المجردات أتم منه بالكتب المجلّدات، ثم إن مناصرة القائم واجبة، حتى لو كان في ذلك إزهاق النفوس وملاقاة الشدائد والبؤس^(٢).

إزاء كل ذلك، قرّر الإمام المنصور بالله الخروج من صنعاء. ففي يوم الاثنين، ٢٨ شوال ١٣٠٧هـ / ١٨ يونيو ١٨٨٩م، خرج من أحد أبواب صنعاء، مظهرًا أنه يقصد الدورة حسب العادة بدون سلاح أو نحوه، وتوارى في الجراف من شعوب، ثم أرسل لابنه الوحيد يحيى يدعو للحاق به من باب آخر من أبواب صنعاء، فخرج ومعه المصحف والسيف وجنّبة الإمام بخنجرها، وسارا إلى غولة زندان من بلاد أرحب، ثم إلى الصفراء الواقعة على بعد ٢٥ كم من صعدة، وآل عمار، فأقام هنالك حتى كتب إلى صعدة وما يليها ثم ارتحل إلى حصن السنارة ووصلها يوم ١٩ ذي القعدة الحرام

(١) رحلة في العربية السعيدة، ط بيروت، ١٥٨-١٥٩.

(٢) الدر المشورة ٤، أ، ب.

١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م.

والسّنة حصن مشرف على مدينة صعدة، مقرّ حكومة الإمام الهادي بالأمس، فاستقبله سيف الإسلام محمد بن الإمام الهادي المعروف بأبي نيب^(١)، وأكرم وفادته ثم نزل وإياه إلى صعدة، مجمع أعيان الزيدية وعلمائها.

ولما وصل هناك، اجتمعت إليه الأكابر والأعيان والعلماء من أهل صعدة وضّحيان، وبين لهم أن همّة جمع كلمة المسلمين ولم شعئهم وليس تحمّل أعباء الإمامة، فوقعت المذاكرة مع العلماء في المعقول والمنقول والفروع والأصول، وكانت آراء العلماء الذين ذكروه واختبروه كما يلي:

- فئة أذعنّت بالإمامة، وشهدت له بالخلافة والزعامة، منها:

عبدالله بن أحمد العنثري ومحمد بن عبدالله الغالبي، رئيس علماء الفقه، وحسين بن محمد الحوثي، وأحمد بن يحيى العجري وأحمد بن إبراهيم الهاشمي وإبراهيم بن عبدالله الغالبي، وهؤلاء العلماء من صعدة وضّحيان أذعنوا كلّ الإذعان، وشهدوا أنه أوحد الزمان، وفي ذلك ما يُفيد الموافقة المطلقة على إمامته، وعلى الجميع الطاعة والموالاة. وعبارة (أوحد الزمان) تفيد بعدم القبول بمنازعته أو الخروج عليه، ما دامت شروط الإمامة مستجمعة فيه.

- وفئة شهدت باستجماع الشروط، ومنها:

(١) الشماحي، اليمن، الإنسان والحضارة، ١٦٣-١٦٤.

حسنُ بنُ حسينِ ساري، ولطفُ بنِ عليِ ساري، عالمٌ وسيدُ قريةِ حوث،
وعبدُالله بن أحمد المجاهد من علماء ذمار.

- وفتةٌ شهَدتْ بأهليَّتهِ واستكمالِه، ومنها: يحيى بن قاسم عامر ولطف بن
محمد شاكر.

- وفتةٌ أذعنَتْ وشهدتْ باستكمالِ الشروط، ومنها:

محمدُ بن أحمد العراسي وأحمدُ بنُ محمد الجرافي وأحمدُ بنُ عبدِالله
الجنداري، وهؤلاء من علماءِ صنعاة.

ومن علماءِ ذمارَ أحمدُ بنُ أحمد العنسي، ويحيى بنُ محمد العنسي
وعبدُالوهاب بنُ علي الإمام ويحيى بنُ محسن العنسي، فقد أذعنوا له
بالإمامة، وأنه الخليفةُ من آلِ البيتِ الأطهار.

اضافة إلى من ذكر فقد أذعنَ وشهدَ له بأنَّه أوحدُ الزمانِ من علماءِ ذي جبلة
كلُّ من: يحيى بن علي الإرياني، وعلي بن يحيى المجاهد وعلي بن يحيى
الإمام وأحمد بن مطهر الغشم وعلي بن حسن الحلالي.

ومن يمعن النظرَ في بيعةِ الإمامِ المنصور بالله، يجد أن عشرين عالماً
من كبارِ علماءِ اليمن قد حضروا اجتماعَ المشاورةِ والمذاكرةِ والاختبارِ، من
أهلِ الحلِّ والعقدِ وأنهم كانوا من مناطقٍ مختلفةٍ من اليمن. مثل: صعدة
وضحيانَ وحوث وذمارَ وصنعاة وإريان وضوران وذي جبلة، وأن شهاداتهم لم
تكنْ متطابقةً ولا إجماعيةً وإنما كانت بحريةٍ من الرأي والتقدير، تراوحتْ بين
الإذعانِ وأوحدِ الزمان، أو «الأهليةِ مع استجماعِ الشروط»، أو «الأهليةِ

والاستكمال»، وتلك مصطلحات لها مدلولها في الفقه الزيدي^(١).

ولما كانت كل الشروط المُعتَبَرة قد اجتمعت فيه، فقد طَلَبَ المجتمعون إليه القيامَ بأمرِ الإمامةِ العظمى؛ فبدأ بنشرِ دعوتِهِ بعدَ ثلاثةِ أيامٍ من المذاكرةِ والاختبارِ والمشاورةِ. ففي يومِ الجمعةِ الثاني والعشرين من ذي القعدةِ من سنة ١٣٠٧هـ خطبَ في الناسِ معلناً دعوتَهُ، وبيّنَ منهجَهُ في الحكمِ وسياستِهِ في الرعيةِ، وعمادُها: العملُ بكتابِ اللهِ وسنّةِ نبيِّهِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المُنكَرِ، والجهادُ في سبيلِ اللهِ، ودعاهم إلى الالتزامِ بأركانِ الإسلامِ. وأما سياستُهُ فستكونُ: العدلُ في القضاءِ، ووَضْعُ الحقِّ في نصابِهِ، وتَهْيِيجُ الأمةِ على الانتصابِ لحربِ أعداءِ اللهِ والجهادِ في سبيلِهِ، إلى غيرها من الأمورِ التي لا تخرُجُ عن سنّةِ السلفِ الصالح^(٢).

ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ الأرشيفَ العثمانيَّ، (تصنيفِ قصرِ يلدز، قسم ٢٢، رقم الأوراق ٣٤، رقم الظرف ١٥٣، رقم الكرتون ٦٥). يحتفظُ بالترجمةِ العثمانيةِ لوثيقةِ صادرةٍ عن المنصورِ باللهِ، جاءَ فيها ما معناه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عبدالله، وفقه الله

المنصور بالله إن شاء الله تعالى

بعدَ السلام،

(١) الدر المنثور، ٥٥.

(٢) انظر رسالة دعوتِهِ البالغة في أئمة اليمن، ١١/٢.

بعد انتقال الإمام الهادي - رضي الله عنه - إلى دار الكرامات، ولمنع الظلم في الديار الإسلامية وتحقيق الأمن فيها، فقد اتفق رأي العلماء العاملين، والسادات الأكرمين بعد الاجتماع، واتخذوا قراراً بتحميلنا مسؤولية الإمامة بالإجماع، ولأنه لا يمكن رفض مثل هذا القرار، وذلك يعني ترك أطيب المساكن في الوطن، صنعاء، والإقامة هنا، فإننا ندعو كافة الناس إلى الوحدة استجابةً للنداء المرسل من السجون، وإني أدعوكم إلى طريق السداد ومنهاج الرشاد. فقد وجب الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإعزاز دين الله، وذلك باتباع كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الأئمة السلف. وأنتم تعلمون الإجراءات والمنكرات والظلم الذي يقع على الأهالي، والله سبحانه يقول «وما لكم لا تقاتلوا ٤/٧٥». لقد أصبحت أحوال أعدائنا مضطربةً وسيئةً في كل مكان. وعليكم واجب التضحية بأنفسكم وأموالكم، والله سبحانه يقول «انفروا - ٤/٧١».

لقد تم اللقاء مع كل شيخ حاشدٍ ويكيل الدين يُشايعوننا في كل الجهات، وحصل الاتفاق بيننا.

لقد أرسلت العمال والقضاة إلى أطراف بلاد الشام، ولأجل المراجعة والمداكرة يُطلب إليكم الحضور إلى طرفنا.

والسلام

والرسالة تبين أن الإمام بدأ يُعدُّ العدة لمُنابذة الأتراك، فأخذ في تعبئة القبائل والبلدان لاجتذابهم لمحاربة الأتراك، بمعنى: أنه يقوم بحشد القوى المحلية من أجل توحيد الجبهة الداخلية وإزالة الخصومات والمنازعات. ومن

ثم نعيش الهمم للجهاد ومقاتلة الأتراك. والمتأمل في سيرة الإمام المنصور بالله يُدرِك مدى إصرار الإمام على نهج هذه السياسة، فلا يَمَلُّ مِنَ الكِتَابَةِ إلى الزعماء والشيوخ والقادة يدعوهم إلى الاتحاد والتآخي والجهاد، وقد عَثَرْنَا في ثنايا الكتب المنشورة والمخطوطة والوثائق المنشورة وغيرها، التي لا تزال محفوظة في الأرشيف، العديد من الوثائق التي لم تقتصر على سنة بعينها، بل تنسحب على طول فترة الصراع اليمني - العثماني، ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م - ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م.

فقد وجه رسالة إلى الشيخ صالح بن عبدالله القشام يُعَلِّمُهُ بأنه نَشَر رَايَةَ الجهاد، وَفَقَّ تعاليم الدين الإسلامي وشرائعه، ويطلب إليه تعميم هذه الرسالة على قبائله^(١). والرسالة من مُقْتَنِيَاتِ مقام سر عسكر، دائرة قلم الرسائل. ووجه رسالة أخرى إلى الشيخ عبدالله بن يحيى الوادعي بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٢هـ / نوفمبر ١٨٩٤م من وادعة حاشد. وبعد أن استنهض همته لمناصرة الكتاب والسنة وإطاعة العترة الطاهرة، وذكره بما ارتكبه الأتراك من مفاسد ومعاص مما أوجب الجهاد ضدهم، خاطبه بقوله: «وأنت أيها الرئيس ممن نشيم تحت برقه الماء، ونتوق تحت أسمه أسماء، وتظن بك ظنون الأحاب . . . الخ ثم يُبلِّغُهُ بأنه فتح على أعداء الله الجهاد»، ويطلب إليه إعانتته للأبطال المجاهدين وليس للأتراك، ويُنهى إليه: «حال تحرير الرسالة إليه والسرايا قريبة من باب صنعاء»^(٢). والإمام في هذه الرسالة

(١) هذه الرسالة، حفظت ترجمتها العثمانية، في الأرشيف العثماني، تصنيف يلدز،

قسم ٢٢ رقم الأوراق، ٣٤، رقم الظرف ١٥٣، رقم الكرتون، ٦٥.

(٢) انظر، وثائق يمنية، ١٣٣ - ١٣٤.

يحث آل الوادعي على الوقوف إلى جانبه، ويناشدُهم بعدم التعاون مع العثمانيين ويشجّعهم على الانضمام إلى جانب الإمام.

وبعد سنتين، عاد الإمام للكتابة إلى الشيخ نفسه، عبد الله بن يحيى الوادعي، حيث جاء في رسالته، هذه المؤرخة في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣١٤هـ/ ٤ سبتمبر ١٨٩٦م أنه استجاب لدعوة الإمام الصريحة وانصاره بتعزّل للانضمام إلى جانبه، وأن الإمام راضٍ عن موافقه التي أكّدت صدق نيّته تجاه الحرب مع العثمانيين، ومن ثمّ يشكره على ما قدّمه لدعم القوات الإمامية المنصورية^(١).

وفي رسالة رابعة بعث بها الإمام المنصور بالله إلى أحد عرائف (عرفاء) أرحب في شهر رمضان سنة ١٣١٥هـ/ يناير ١٨٩٨م، يحث فيها المرسل إليه على اختيار ما يحلو لنفسه إمّا التمسك بأهداب العترة الزكية، أو الميل عنهم إلى الفرقة الأعجمية حيث جاء فيها:

الشيخ الهمام الاكمل حمود بن مسعد أبو غانم حرسه الله من الشرور،
ووقاه المحذور:

صدورها بعد وصول كتابكم المستطلع لما نظن فيكم من التمسك بأهداب العترة الزكية أو الميل عنهم إلى الفرقة الأعجمية الغوية. وقد علم الله أنا لا نريد إلا بناء المفاخر، والدعاء إلى الله واليوم الآخر، وأن نُخرج

(١) انظر وثائق يمنية، ١٤٥.

العرب من ظلمة الحنادس ، ونغرُس لهم من العِزِّ أطيب المغارس . ولقد استولى على بعض العقلاء الإياس من زوال العجم ، وصاروا يشربون معهم نقيع العلقم ، ويضربون على المذلة ويخوفون الناس من كل علة، ويظنون أن العز في سلامة البيوت من الخراب، وفي التذلل للعجم بخفض الجنب، وليس كذلك، فلا يُصرع إلا من لانت لهم قناته، ولا يعز ويرفع إلا من صلحت أعماله ونياته، وإنا نحب لكم معالي الأمور، وطلب حسن الخاتمة قبل حلول القبور، وأنت من ذوي العقول الراجحة، فاختر لنفسك ما يحلو.

والسلام ختام . شهر رمضان سنة ١٥ .

والرسالة موجّهة لشيخ من مشايخ أرحب، ثم من عيال عبدالله من فروع قبيلة بكيل .

ولم يكتب الإمام بالرسائل ، وإنما كان يُسير المبعوثين لحث القبائل على الجهاد، فقد أرسل أحمد بن محمد الشرعي إلى بلاد أرحب ومن جاورهم، فكتب الشرعي إلى جميع القبائل : همدان وأرحب وبني الحارث وعيال سريح، وأرسلت الإعلانات بنشر راية الجهاد لبني الحارث، وبني حشيش وسنحان وخولان وبني بهلول .

ومن ناحية أخرى فقد دأب الإمام طوال فترة الحرب على إرسال الرسائل لشيخ وعقال القبائل يدعوهم إلى نصرته، ومؤازرة دعوته، واستمر يعمل لحشد طاقات القبائل وتوجيهها نحو محاربة الأعداء، مبيّناً موجبات الخروج والدعوة، مُنبئاً بما حققتّه القوات الإمامية في ميادين القتال . وكنت

قد بذلتُ العديدَ من الرسائلِ الإماميةِ في ثنايا البحثِ، غيرَ أننا نُثبِتُ هنا نصَّ وثيقتين، يحتفظُ بها الارشيفُ العثماني. تصنيف يلدز رقم الأولى:

Bl. no: 20 (BDAY, KSN, 22,EN, 34, ZN, 153, KN.65

كانت قد وصلت عن طريق جهاز التجسس العثماني في اليمن، جاء فيها، ترجمة عن الأصل العثماني:

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله، وفقه الله

المنصور بالله، إن شاء الله.

صاحب شعار المحبة الشيخ علي مرشد الغريبي والقبائل التابعة له
بعد التسليم والتسليم:

إن المأمول من الألفاظ الإلهية، وينصر الله وتوفيقه، العمل على نشر دعوة الإمامية وإعلانها.

أرسل لك هذه الرسالة من حصن الناصرة، مركز معسكرنا المقرون بالنصر بعد القضاء على الفساد والشقاق والخلافات، وتمت الوحدة بين العلماء والسادات، وتم النصر على الأعداء.

يوجد تحت سلطتنا، وفي معيتنا بعض العلماء والأعيان والسادات والعقال من قبيلتي: حاشد وبكيل. ورغبة في الظفر برضى الله وإعلاء كلمته، سنخرج قريباً إلى جهات قبائل حاشد وبكيل «يا أيها المؤمنون، إن

تنصروا اللهَ ينصركم ويثبت أقدامكم» الآية، ٧/٤٧.

أيها الشيعة الكرام، من أنصار الحق، والأعيان، عليكم واجب المعونة والمشاركة إلى أقصى حد، بقصد البر والتقوى. يجب عليكم تجهيز ما يلزم من الأموال والأنفس قبل أن نصِل، وقد رغب الأهالي بذلك.

قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله، وكونوا مع الصادقين» الآية ١١٩/١١ وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا، استجبوا لله وللرسول إذا دعا لما يُحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تُحشرون، واتقوا فتنة لا تُصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» الآية ٢٤/٨-٢٥.

ندعوكم إلى كتاب الله وسنة ورسوله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وأداء الزكاة، والوفاء بواجباته، وترك محرماته، وصلته أرحامه، والشفقة على أيتامه. أَدْعُوكم إلى المكارم والأخلاف مقرونة برضا الخلاق، ليُصلح اللهُ أعمالكم، وليهدنا اللهُ للسبيل على طريق آبائنا وأجدادنا وأتباع هُداهم.

ولينصرتنا اللهُ جميعاً

والسلام

حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ

والرسالة واضحة في مراميها، وما تهدفُ إليه من حشد الطاقات، وما تطلبه من المعونة والبذل، وتخبُر بما تم من جمع كلمة واتحاد العلماء والسادة. ومن ظفر بنصرة قبيلتي حاشد وبيكيل.

والرسالة الثانية محفوظة أيضاً في الأرشيف العثماني تصنيف يلدز رقمها

BDAy, KSN, 22,EN, 34, ZN, 153, KN,65

وجاء فيها مترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

عبدالله، وفقه الله

المنصور بالله، إن شاء الله

صاحب شعار الشهرة والكمال الشيخ علي بن مرشد الغريبي، والشيخ عالي
المقام ناصر بن مرشد بن حسين الغريبي، والمحبي المحترم قاسم بن سعد
البوهادي والشيخ شير النهاد علي بن جابر السندي، وجميع أنصارنا.

بعد التسليم والتصلية:

أرسل لكم هذه الرسالة من حصن الناصرة، فله الحمد، إن سرور أصدقائنا
بقدر أحزان أعدائنا.

الناس يستجيبون لدعوتنا أفواجاً أفواجاً، ويظهرون طاعتنا فرادى وأزواجاً.

إننا نرسل إليكم كتاب الدعوة أيضاً، فلا تتركوا وتتخلوا عن السير على
هدى أجدادنا العظام، من آل محمد ﷺ، الذين اشتبهوا وعملوا على
تعظيم ورفع شأن الإسلام، فال محمد ﷺ تركوا لكم هذا الإرث من
الشرف والعزة.

فأثبتوا على أمركم، فقد وصلتني كتب الطاعة والاتحاد الدائم من رجال
حاشد.

وإني فرِح ومسرورٌ بفعالِهِم التي تجلبُ العزَّةَ في الدنيا والآخرة .
ولأنكم من أكابرِ الناسِ ، ناملُ تفوقكم على الجميع . لقد وصلتنا
الأخبارُ بأنَّ بعضَ عقَّالٍ حاشدٍ وصلتهم رسائلٌ من صنعاء ، فحالما يصلُ
هؤلاءِ العقَّالُ وأصحابُ الشهرةِ ، سيدعون الناسَ ، ومقصدهم المكرُّ والغدرُ
وأخذُ أموالِ الناسِ .

فعليتكم أن لا تُكرِّموهم ولا تمنحوهم الفرصةَ ، فهُم أصحابُ دسائسَ ،
فهدفتهم اعتقالُ أكابرِ الناسِ ، وإرسالهم إلى استانبول ، وهم يفخرون بذلك
علناً ، وتكفي العِظَّةُ والعِبرةُ ممَّا حصلَ مع عبدِالله الضُّلعي الذي تعاوَنَ مع
الأتراكِ .

احذروا وأطيعوا أوامرَ الله ، واتركوا الطَّمعَ ، وعمَّا قريبٍ ستذكرون أقوالنا
لكم ، والله يقول ، «فستذكرون ما أقولُ لكم ، وأفوضُ أمري إلى الله ، إنَّ اللهَ
بصيرٌ بالعباد» الآية ٤٠/٤٤ .

أحييتكم من الآن ، وأباركُ لكم على حركتكم لإنهاءِ مسألةِ سَحارِ ، لأنَّ
رهائنهم المسلحين تحت سُلطتنا ، ومحبوسون في الزنازين ، وسيحضرُ
المشايعُ في العيدِ .

أحوالُ المدينةِ المحمديةِ على خيرٍ ما يُرامُ ، وأوامرنا تُنفَّذُ كما يجبُ ،
وبعدَ أنْ أبدى المشايخُ والساداتُ المِنَّةَ والرِّضاهُ ، أرسلتُ العمالَ . إن شاءَ اللهُ
يتحقَّقُ هدفنا على خيرٍ ، كونوا مستعدِّينَ للحضورِ لعندنا .

والسلام

وحسبَ الشهادةِ الموثوقةِ ، سيكونُ العيدُ ، يومَ الأحدِ .

وَيُفْهَمُ من الرسائلِ السابقةِ وغيرها، أَنَّ الإمامَ المنصورَ بالله كان حريصاً على الاتصالِ بالقبائلِ والقوى المحليَّة الأخرى، يُحرِّضُها على الانضمامِ لدعوتهِ والاستعدادِ لقتالِ الأتراكِ، فهل نَجَحَ الإمامُ المنصورُ بالله في ذلك؟

ومن ناحية أُخرى؛ فقد أوردَ صاحبُ أئمةِ اليمن، ١٠/٢ - ١١، نصَّ رسالةِ الدعوةِ التي نشرها الإمامُ المنصورُ في ذي الحجة الحرام سنة ١٣٠٧هـ/ يوليو ١٨٨٩م وقد جاءَ فيها بعدَ البسملةِ والتشهدِ والحمدلةِ:

وبعدُ، فَإِنَّهُ لما تُوفِّيَ الإمامُ الأعظمُ أميرُ المؤمنين، الهادي لدينِ اللهِ ربِّ العالمين، أَظْلَمَ نورُ اليقينِ، وعظَّم هذا المصائبُ على المسلمين، وصارَ عدُوَّ اللهِ في راحةٍ، زاعماً أَن الجوّ له قد خلا، وَأَنَّ الفرصةَ قد لاحت في ظلمِ أولياءِ اللهِ جُلَّ وعلا.

ولما شاهدتُ هذه الدهماء، وعائنتُ هذه المُصيبةَ العُظمى، خلعتُ حبلَ الونى عن عاتقي، ونهضتُ في الحالِ غائراً على دينِ خالقي، عِلْماً مِنِّي أَنَّ اللزومَ قد توجهَ إليّ، ووجوبُ القيامِ قد تحتمَّ عليّ.

عبادَ اللهِ، أَدْعُوكُمْ دعاءَ مَنْ سَلَفَ من الآباءِ الكرامِ، الأئمةِ النُجباءِ الأعلامِ. أَدْعُوكُمْ إلى العملِ بِمُحْكَمِ الكتابِ، وَسُنَّةِ أَفْضَلِ مَنْ نَطَقَ بالصَّوابِ. أَدْعُوكُمْ إلى الأمرِ بالمعروفِ الأكبرِ، والنهي عن الفحشاءِ والمُنكرِ، وإلى الجهادِ في سبيلِ اللهِ الذي هو سنامُ الإسلامِ، والبُغْيَةُ الموصِلَةُ إلى دارِ السَّلامِ، وإلى توحيدِ اللهِ، والحبِّ في اللهِ، والبغضِ في اللهِ.

أَدْعُوكُمْ إلى إقامةِ الصَّلَاةِ، وإيتاءِ الزُّكَاةِ، وصومِ شهرِ الصَّيَامِ، والحجِّ

إلى بيت الله الحرام، وبرّ الوالدين وصِلّة الأرحام، ومواساة ذوي الحاجة، وحفظ أموال الأيتام. فالإتيان بالواجبات طريق إلى الجنة، وارتكاب المعاصي طريق إلى النار.

أَجِيبُوا دُعَائِي، وَلَبُّوا نِدَائِي وَقُومُوا بِحَقِّي، عَلَيْكُمْ وَجِبْ
وَشَدُّوا هِمَمِي، لِحَرْبِ الْعَجَمِ وَضَرْبِ الْقِمَمِ، وَنَفِي الرَّيْبِ
ألا وإني قد تحمّلتُ هذا الأمرَ الثقيلَ، امثالاً لأوامرِ الربِّ الجليلِ،
وغيره على دينه المُبينِ، راجياً أنْ أنظّم في سلكِ الأئمةِ الهادين، ورفضتُ
زينَةَ الحياةِ الدنيا، ونصّارتها التي هي لا محالة تَفنى، قَلِقاً مما تضمّنته قولُ
ربِّنا «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا، وَهُمْ فِيهَا
لَا يُبْخَسُونَ. أولئك الذين ليسَ لَهُمْ في الآخرةِ إلا النارُ، وحبّطَ ما صنَعوا فيها
وباطلَ ما كان يعملون»، ١٥/١١ «قل هذا سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ
أنا ومن اتّبعتني، وسبحانَ الله وما أنا من المُشركين» ١٠٨/١٢ فإنْ أطعْتُموني
وجدتُموني جامعاً لشمليكم باليمن، هادياً لكم إلى أقومِ سننِ، أحملُكم على
المَحجّةِ الواضحةِ، وأخذُ بأزمّتكم إلى نيلِ التجارةِ الرَّابحةِ، عارفاً بمواردِ
الأُمورِ ومصاديرِها، عالماً بغوامِضِ الأحكامِ، مُميّزاً بينَ الحلالِ والحرامِ،
زاهداً في حُطامِ الدنيا الدنيّةِ، متورّعاً في أحوالِ الرعيّةِ، عادلاً في القضاءِ،
قاسماً على السّواءِ، صحيحَ الطّويّةِ، سليمَ القلبِ على البريّةِ، شفيقاً
بالمؤمنين، شديدَ الجنانِ على أعداءِ الدّينِ، بذولاً لوضعِ الحقوقِ في
مواضعِها، مقداماً عندَ التّهابِ نارِ الوغى، بصيراً بالأُمورِ، سائساً لأحوالِ
الجمهورِ، باذلاً لمهجتي، وما حوته يدي، في سبيلِ اللهِ وابتغاءِ مرضاتِهِ،
معروفَ النّسبِ من العِترةِ النّبويّةِ العَلويّةِ الفاطميّةِ.

عبادَ الله، أجيئوا دَعوتي، وأعضِدوني على تقويمِ قناتِ الدِّينِ المُعَوَّجَةِ،
وفتَحِ أبوابِ الشَّريعةِ المرتجِةِ، وسدِّ الثُّغورِ، وإخمادِ نارِ أهلِ الفجورِ، فقد
طالَ عكوفُهُمُ على العِصيانِ، وكثُرَ تماديهِمُ على سخطِ الواحدِ الدِّيانِ. أينَ
الأسودُ الغاضِبَةُ لِغَضَبِ الجَبَّارِ! أينَ أربابُ الهِمَمِ العالِيةِ الفائزونِ مِنَ النارِ!

أينَ أربابُ الحَمِيَّةِ، على المِلَّةِ الحَنِيفِيةِ!
أينَ الباذلونَ نفوسَهُمُ ونفيسَهُمُ في رضاءِ ربِّ البريةِ؟

ألا فلِغَضَبِ الجَبَّارِ فاغضِبُوا، وإحياءِ دينِ اللهِ فارغبوا، وتأهبوا لحربِ
أعداءِ اللهِ، فقد شاعَ وذاعَ مجاهرةً ربُّ الأربابِ بالمعاصي مِنَ دونِ ردِّ ولا
ارتيابِ. أُخِذَتِ الأموالُ، وصَغُرَتِ فحولُ الرجالِ، وتبدَّلتِ الأحكامُ، وامتزجَ
الحلالُ بالحرامِ. ألا فانصُرُوا على هذه العُصبةِ العاتيةِ، ومَنْ شارَكَهُمُ مِنَ
سائرِ الفِرَقِ الضَّالَّةِ الغاويةِ، فإنَّا باللهِ واثقونَ، وبما قد دَهَمَ مِنَ ظُلْمِ العبادِ
إنَّ شاءَ اللهُ لَهُمُ غالِبونَ، نأخذُ ما في أيديهِمُ، ونستأصِلُ شأفتَهُمُ بتوفيقِ اللهِ
عُنوَةً وَقَسْرًا.

«إنَّ وليَّ اللهُ الَّذي نَزَلَ الكِتَابَ وهو يتولَّى الصالحينَ» ١٩٦/٧ «إنَّ
يَنْصُرَكُمُ اللهُ فلا غَالِبَ لَكُم، إنَّ في هذا لبلاغاً لقومِ عابدينَ» ١٦٠/٣.

ومِنْ خلالِ دراستِنَا لمنشورِ الدُّعوةِ نُسَجِّلُ الملاحظاتِ التالِيةَ:

- يرى الإمامُ أَنَّهُ مُلْزَمٌ للنُّهوضِ بالدُّعوةِ، ذلكَ أنَّ الواجبَ قدَ فَرَضَ عليه
التَّصديقي لِهذِهِ الفِئَةِ الباغِيةِ، التي اعتقدتَ أَنها ظَفِرَتِ بِالرَّاحَةِ بعدَ موتِ الإمامِ
الهادي بنِ شرفِ الدينِ.

- يُوَضِّحُ الإمامُ منهُجَهُ في النُّهضةِ، وهو السَّيْرُ وَفَقَ منهُجِ الأئمةِ النُّجباءِ،

القائم على العمل بأحكام كتاب الله وسنة نبيه، وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفحشاء ولا يكون ذلك إلا بالجهاد لنشر راية التوحيد.

- يُبدي - الإمام- في المنشور، وجوب إقامة شعائر الدين والبر والإحسان للأرحام، ورعاية الأيتام، وتلك الواجبات هي الموصلة إلى رضا الرحمن، والظفر بالجنة.

- يستشهد الإمام بآيات بينات للبرهان على زهده في متاع الدنيا، وعدم رغبته في هذا الأمر، ويراها حملاً ثقيلاً، ما أقدم عليه إلا إرضاء لرب العباد دون سواه.

- يُبين الإمام طريقته في الحكم إن أطاعوه، وتوحدوا تحت راية الجهاد وعروتها، وهي: تحقيق العدالة والمساواة، متورعاً في الرعية، شقيقاً على المؤمنين، شديداً على أعداء الدين، متقدماً في الحروب، باذلاً نفسه وماله في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

- يستثير الإمام حمية الرعية بدعوتهم إلى مناصرتهم وتعظيمهم لفتح أبواب الشريعة والقضاء على الفجور المستشري من البغاة، ويخطبهم بأسلوب خطابي بليغ: «أين أرباب الحمية؟ أين الأسود الغاضبة، أين الباذلون نفوسهم ونفيسهم في رضاء رب البرية». ويعاود الإمام التذكير بالمفاسد والقبايح التي ارتكبت، ويستشهد بالآيات القرآنية التي تتضمن الإبلاغ والبشرى بالنصر.

الفصل الثالث القوت الإمامية

المطلب الأول:

البنية، التنظيم، المصاعب الواقعة :

جاء في التقرير الذي رفعه عبدالرحمن بن أحمد الياس المدني إلى الصدر الأعظم العثماني بتاريخ ٩ شوال ١٣٢٦هـ:

«إن أهل اليمن بالنسبة إلى مذاهبهم، شوافع وإسماعيلية باطنية، وقريب من الوهابية وزيد». وحلّل التقرير أسباب الخلاف بين أتباع المذاهب الأربعة ومناطق سكن كل جماعة، وحاول صاحب التقرير إظهار الشوافع والإسماعيلية بأنهم قرييون من السلطنة العثمانية، إذا أحسنت السلطنة العثمانية استغلال التناقض الواقع بينها من جهة، وبين الإمام من جهة ثانية، وحتى في الطرف الإمامي، فإن صاحب التقرير أفاد بأن الزيدية أصناف ثلاثة وقبائل متعدّدة، وأما قبائلهم فهي: بكيل وحاشد وحجور وأفلح وسحار الشام وسحار اليمن وخولان بني عامر^(١)، وهذه في معظمها من أتباع الإمام، وهم أشدّ الناس عداوةً للدولة العلية. ولكن بعض القبائل كانت إما تناصّر المدعي

(١) انظر التقرير في ملحق الوثائق.

المنافس للأمام أو تتخذُ موقفَ الحيادِ.

ويبدو لي أن صاحبَ التقريرِ قد جانبتهُ حقيقةُ القواتِ الإماميةِ، والقوى التي كانتْ تقفُ إلى جانبِ الإمامِ، فهو على غيرِ إطلاعٍ بطبيعةِ المجتمعِ اليمني. صحيحٌ أن التشكيلاتِ القبيليةِ هي القوى الفاعلةُ في حربِ الإمامِ ضدَّ الوجودِ العثماني، وخاصَّةً قبيلتي حاشدٍ وبكيل، اللتين وُصفتا بأنهما جناحَا الإماميةِ، ولكنَّ الشرائحَ الإجتماعيةِ التي شاركتْ في الحروبِ وتولَّى بعضها قيادةَ العملياتِ العسكريةِ، تكوَّنتْ من السادةِ (وهم آل البيت: الهاشميون والأشراف)، ومنهم السادةُ الزيديون بيتُ حميد الدين وبيتُ الوزير وبيتُ المتوكِّل وبيتُ شرفِ الدين، والسادةُ الشوافع^(١)، وهناك شريحةُ القضاةِ ومشائخِ القبائلِ وعُقالها ومشائخِ العزلاتِ والنواحي، ثم المُلأكَ والتجارُ والفلاحون والصنَّاعُ الحرفيون والقشامون الذين يقومون بزراعةِ المحاصيل. والقراءةُ المتأنيئةُ لمخطوطتنا التي ننشرها ترخرُّ بالإشاراتِ إلى مشاركةِ كلِّ تلك الشرائحِ الاجتماعيةِ في المعاركِ كلما لاحت لها فرصُ المشاركةِ، سيَّما إذا أحرزت القواتُ الإماميةُ إنتصاراتٍ على العثمانيين، وخلافاً لكلِّ ما كُتِبَ عن القواتِ الإماميةِ، فقد نجحَ الإمامُ منذُ بدايةِ خروجهِ بالاحتفاظِ بعسكرٍ إماميٍّ غيرِ مرتبطٍ بالتشكيلاتِ القبيليةِ. فحينَ وصلَ الإمامُ المنصورُ باللهِ إلى حصنِ السنَّارةِ، مقرَّ حكومةِ الإمامِ الهادي، التقاه ابنه سيفُ الإسلامِ محمدُ بنُ الهادي، ونزلَ وإيَّاهُ إلى صعدة، مجتمعِ أعيانِ الزيديةِ وعلمائها، للمناظرةِ ثم البيعةِ، وسلَّمه سيفُ الإسلامِ محمدُ بيتَ المالِ وما فيه، وكذا العساكرَ الإماميةَ التي كانتْ تنتظمُ في هيكلٍ عسكريٍّ أقربَ إلى كونهِ جيشاً منه إلى

(١) الشماحي، اليمن (الإنسان والحضارة)، ١٦٣ - ١٦٤.

قواتٍ متطوعةٍ. وحينَ استقرتِ الأمورُ للإمام المنصورِ كانتَ هناكَ ثلاثةُ أصنافٍ لأولئك الملازمين للإمام: وافرٌ ومهاجرٌ ومجاهدٌ. فالوافدون هم أولئك الذين اعتادوا القدومَ لطرفِ الإمام: إمَّا للمبايعةِ أو لطلبِ النصرةِ، وغالباً ما يكونون مؤفدين من قِبَلِ قبائلِهِم أو نواحيهِم ومناطقِهِم. والمهاجرون: هم من انطبقتْ عليهم شروطُ الهجرةِ، وللهِجْرِ شأنٌ كبيرٌ في التاريخِ اليميني^(١)، وهؤلاءِ المهاجرون يَحظُّونَ بالرعايةِ والإكرامِ والتعظيمِ وتكون هجرتُهُم إما طلباً للعلمِ أو الفوزِ بالملجأ الآمن. ومِنَ ثَمَّ يُشاركون في القتالِ ضدَّ العثمانيين. وأما المجاهدون فقد اختصَّ هذا المصطلحُ بالقواتِ الإماميةِ التي احترفت الجهادَ وتأتَمِرُ بأمرِ الإمامِ مباشرةً. ونقرأُ في مخطوطنا عبارة «وأرسلتُ عساكرُ الإمامِ صحبةَ المقدمي... الخ، هذه العبارةُ نجدُها مذكورةً في كثيرٍ من الوقائعِ والمعاركِ التي خاضتها القواتُ الإماميةُ. وعليه، فإن القواتِ الإماميةَ تشكلتُ في مجموعها من التالية، وهم:

- السادةُ بمختلفِ فئاتِهِم، وكانوا يتولَّونَ غالباً قيادةَ المعاركِ ووضَعُ خططِها، والمشاركةُ في تنفيذِها، وتكونُ رتبُهُم «رتبةَ المقدَّم». ومنهم على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ، ابنُ الإمامِ نفسه: يحيى، وإبراهيمُ بنُ قاسمِ الشرفي الحسني، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ الهادي (صاحب المدائن)، وأحمدُ بنُ محمدِ الشرعي الحسيني، ويحيى بنِ حسنِ الكحلاني، وعبدُالله بنِ أحمدِ المتوكل ومحمدُ بنِ الامامِ المتوكل وغيرُهُم.

(١) حول التهجير الأول الذي كان في عهد الإمام المنصور عبد الله بن حمزة، حيث لا يطبق على المهاجر ولا يخضع إلا لأحكام الشريعة، أمام أحد العلماء المشهود لهم بالعلم والخلق، انظر، وثائق يمنية، ٢١٥.

- القبائل اليمانية، حاشد ويكيل بقبائلها وبطونها، وقبائل الجبر وأفلح وكعب ونوسان وبني جل وقبائل خولان، ومن أسماء القبائل التي ترد، وكان لها مشاركة في مناصرة الإمام عسكرياً ومادياً: قبائل أرحب، وهمدان، وبنو الحارث، وعيال شريح، وبنو حشيش، وقبائل الحيمتين الداخلية والخارجية، وقبائل خولان (جبري وشداذي وعرشي وسحامي)، وذو محمد، وذو غيلان وذو حسين والأهنوم، وحجور وبنو طلق وقبائل عفار، وغيرهم، ممن بذله المؤلف في متن المخطوط، غير أن الإمام كان يشترط على القبيلة التي تنضم لطرفه «لا بُدَّ وأن تجاهد»^(١)، وكان يجعل لكل قوم راية يجاهدون تحت لوائها.

- أهل المدن والقرى والحصون والعزلات والنواحي. وبقراءة عاجلة نجد أن غالبية أهل تلك المناطق قد شاركوا في القتال إلى جانب القوات الإمامية. أما التنظيم العسكري لتلك القوات، فنلاحظ أن القوات الإمامية لم تعتمد التنظيمات والتشكيلات العسكرية المعروفة عند الجيوش الأخرى، فالكل محاربون، ولكن هناك، المقدم والقيب والمقاتلون، مبندة وعواده، وتكتيك الدفاع يقوم على تشكيل الرتبة والعنوت.

أما المقدمي، فهو الذي يتقدم المقاتلين، من عساكر ومهاجرين ووافدين. والمصطلح في الأساس يعني الرئيس أو القائد، ويبدو أن لهؤلاء خبرة قتالية، وكانوا إما من السادة أو من أبناء القبائل أو شيوخها الذين أثبتوا قدرة على القتال، ولا ندري إن كانت تتم ترقيات إلى تلك المرتبة، حيث

(١) الدر المنثور، ١١-١٢ق.

لم يرد ما يشير إلى ذلك، أو أنه قد تترتب امتيازات مالية لمن حصلها، والكتاب يزخر بأسماء المتقدمين الذين قادوا المعارك. ونفهم أهمية النقيب من خلال المثل الذي يقول «سمني نقيب واقطع معاشي»^(١) حيث يختص المصطلح برجال القبائل. وتشير الوثائق اليمنية إلى أن النقباء كانوا من أبناء القبائل. ومن هؤلاء الذين ورد ذكرهم، وكانوا نقباء في قبائلهم، محمد بن حسين العذري، ومحمد بن عبد الله جزبلان وعائض سراج وعلي بن محمد أبو راس ومحسن بن منصر المراني، وأحمد بن يحيى حنش ومحسن بن قايد أبو راس.

وعلى الجانب الآخر، فقد نجح العثمانيون في تجنيد بعض أهل اليمن للعمل معهم في القوات المسماة الضبطية، واستمالوا بعض شيوخ القبائل وبعض شيوخ الغزلات ليكونوا أعواناً للأتراك، يترصدون القوات الإمامية. ويلحقون الأذى بأتباع ورعية الإمام.

ومن اللافت للنظر الكثير من التعليقات التي ذكرها المؤلف تنعى على بعض القبائل سوء مسلكها الحربي، وتلومها على ميوعة موقفها، وقلبها ظهر المجنن للقوات الإمامية. ففي واقعة حصن الظفير التي وقعت في ٢٥ شوال ١٣٠٧ هـ - وخرج المجاهدون على إثرها من الحصن - علق المؤلف على تلك الموقعة بقوله: «وياله من خذلان كبير وشر مستطير، فإن بعض رجال حاشد كانوا يسرون بالخدعة والمكر، فتوسطوا بين العجم والشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، بأن يسلم العجم له ١١ ألف ريال، ويخرج المجاهدين من

(١) ملوك شبه الجزيرة العربية، ١١٤.

الحصن». وبالفعل فقد أخرج قوات الإمام من الحصن، وحين ادعى ناصر بن مبخوت الأحمر، بأنه خشي إخراب بيوت حاشد في بلاد الخمري، كان رد فعل المؤلف عنيفاً، إذ قال: فذلك عُذْرٌ كاذبٌ فاسد، وإنما السبب في ذلك حبُّ الفلوس، ورغبة في حطام الدنيا المنحوس^(١).

وحين كتب الإمام إلى عُقال حاشد في ٢٢ شوال ١٣٠٩هـ، وحثهم على الجهاد، أجابوا بالسَّمع والطاعة، وكذلك حين أبرم الإمام بين حاشد ويكيل عقداً بأن يكونوا يداً واحدةً على العدو الأكبر (أي الأتراك)، وأن الصوت يجمعهم، علّق المؤلف على ذلك: «إلا أنهم ما وقوا بل خادعوا واختلفوا». وفي حالة أخرى ذكر: «وأما حاشد، فقد نافقوا وأطاعوا العجم ونبضوا اليهود، وقبضوا منهم رشوة^(٢)».

وذم المؤلف «ذو محمد» لما تماثلوا على الغدر، حين أغراهم أحمد فيضي بتسليم أسرى معركة الجراف التي وقعت في شهر الحجة ١٣٠٩هـ.

وأما خولان، فقد وصفهم المؤرخ بأنهم «الذين أجمع الإنس والجان أنهم أقل همماً من النسوان، وهم يُجيبون بما لا طائل تحته بما يدل على الخذلان»، وذلك حين ثاقلوا عن الجهاد إلى راعد. واستهجن المؤلف بعض عادات العرب المُستقبحة - ويقصد بالعرب، رجال القبائل المتطوعة للقتال، فإذا انتصرت قوات المجاهدين نسبوا ذلك إلى أنفسهم، وصاروا يتبجحون بما صنعوا حتى يُحرجوا الإمام بكثرة المطالب والاقتراحات التي تضيق لها

(١) الدر المنثور، ق ٣٨.

(٢) المصدر السابق، ق ٣٨.

الصدور، ويتسع لها نطاق الشرور^(١).

وعن أهل حَجُور، الذين كانوا قد تمالثوا مع بني سعدٍ وبني رزق على الغدير بأحمد بن مثنى عتتر، أحد أشهر قُوادِ الإمام، ومن ثمَّ أطاعوا بعد هزيمتهم، يقول المؤلف عنهم: «كانوا لا يعرفون من الإسلام إلاَّ اسمَهُ، ولا من القرآن إلاَّ رسمَهُ» وسردَ الكثيرَ من المنكراتِ التي اشتهرت في ديارهم^(٢).

وللحقيقة، فإنَّ الباحثَ المدقِّقَ، إذا ما أمعنَ النظرَ في وسائل الأتراكِ اتجاة القبائلِ والبلدانِ ليجدَ العُدْرَ في بعضِ الأحيانِ لإحجامِ بعضِ القبائلِ عن مناصرة الإمام، فإنَّ سياسةَ الولاةِ العثمانيين في تعاملهم مع اليمينيين قد تراوحت بين الاستمالة بالترغيب أو بالترهيب، أو بممارسة العقوباتِ الجماعيةِ بكلِّ طرائقها من قتلٍ وهدمٍ منازلٍ، وحرقِ قرى، وعزلاتٍ كاملةٍ، وإهلاكِ الحرثِ والنسلِ، وأحياناً بالخدعةِ والمكرِ والحيلة. وحتى تكونَ الصورةُ أوضح، فإني أقدمُ نماذجَ من وسائلِ الولاةِ الأتراكِ للسيطرةِ على القبائلِ وإخضاعها، ومن هذه الوسائلِ نذكرُ:

- الخَلْعُ على بعضِ مشايخِ القبائلِ بالرُّتبِ والمعاشاتِ والكُسوةِ، ومثاله: الإرادةُ الداخليةُ رقم ٨٨٨٩٢ المتعلقةُ بمنحِ مقبلِ بن يحيى فارغ من المشايخِ المتنفذين في قبائلِ حاشد، والذي كانَ له دورٌ مهمٌ في معاركِ عَمْران، بقطعةِ نيشانِ مجيدي من الدرجةِ الخامسةِ بما لها من امتيازاتٍ مالية^(٣).

(١) الدر المشور، ق ٨١ ب.

(٢) انظر حوادث شهر الحجة ١٣١٧ هـ.

(٣) انظر الوثيقة في الملحق.

- صرف رواتب ومعاشاتٍ لبعضِ أهلِ اليمنِ وساداتِها، فقد خُصِّصَ لكلِّ مِنْ:

- السيد جيلان بن المساوي بن محمد الأهدل ٢٠٠٠ قرش.

- السيد أحمد بن محمد المساوي، والسيد أحمد المساوي، وعلي بن المساوي، ٥٠٠ قرش لكلِّ واحدٍ منهما.

- الشيخ عبد الله بن الشيخ السيد حسين، المدرس الثاني في مدرسة الشيخ، ٢٠٠ قرش.

- الشيخ محمد صالح عجاجة من أعيان مكة، ٢٠٠ قرش.

ومن الجدير بالذكر، أنَّ هذه الأموال يجبُ أن تُصَرَّفَ من خزينة مكة المكرمة وليس استانبول^(١) يُضافُ إلى ذلك الخلعُ من سيوفٍ وشالاتٍ وقماشٍ وساعاتٍ، تُرسَلُ لكسوةِ بعضِ المشائخِ ورؤساءِ العساكر^(٢).

وفي بعض الأحيان كان أعوانُ الأتراك يتحيلون على القبائل بأنهم يضمنون لهم دراهم من العجم (الأتراك) إن استجابوا لما يُطلَبُ منهم، وأحياناً يكونُ الضمانُ على «جُعَلٍ» مقابلَ التخلي عن الإمام أو الغدرِ به لصالحِ الأتراك، ومن ذلك ما قامَ به عبد الواحد بن قاسم، بعد حصارِ حصنِ حَب، فقد سعى في خداع مَنْ في الحصنِ وضمينَ لهم جُعلاً من الأتراك وكانت هذه خديعةً، حيثُ تمكَّن الأتراكُ من دخولِ الحصنِ وهدمِ تحصيناته

(١) إرادة داخلية، رقم ٨١٩١٢ تاريخها ٣ ذي القعدة ١٣٠٤هـ.

(٢) إرادة داخلية، رقم ٤٥٣٩٧.

وهدم بركته، وكذا النقيبُ عبدالله بنُ حسين الصوفي، الموظفُ عند الأتراك، وحسينُ بنُ يحيى الشامي، اللذان تحيلا على بني جبر ووعدهُما بأن يقطعا لهُم دراهمَ على الأتراك، والنقيبُ محسنُ بنُ قايد أبو راس الذي سلّم أسرى موقعة الجرافِ إلى أحمد فيضي، مقابلَ مالٍ ظفّرَ به، ومحمد هادي الخميسي الذي سهّل الغدرَ لأهلِ مُستبأ بقائدِ الإمام أحمد بن مثنى، بأنّ مناه يجعلُ له من العجم^(١).

وأحياناً كان الولاةُ العثمانيون يتقربون لمن ساعدهم بتقديمِ المُؤن والأطعمة، فحين أعلنَ بنو صُريم طاعتهم للسلطنة في معاركِ ١٣٠٩هـ، فرّق عليهم أحمد فيضي، مئتي بقرة، ومئتي رأسِ غنم، ومئتي قذح من الطعام^(٢)، والوالي حسين حلمي، أمرَ بصرفِ مساعداتٍ نقديةٍ للفقراءِ في صنعاء، وأعلنَ أنه سيقرضُ الناسَ حبوباً^(٣)، بل إنّ حسين حلمي نفسه أمرَ المأمورين أن يلبسوا العمائم، وعزّلَ المأمورين الذين كثيراً ما اشتكى الناسُ ظلمَهُم مثلَ علي بن محمد المُطاعِ الصنعاني، ناظرِ الأوقافِ الداخلية بصنعاء، وعزّلَ محمد هاشم السوري عن إمارةِ العسكرِ الضبطيةِ وسجنَهُ وأمرَ بمحاكمته، وكذا أميرالاي الضبطية ميرزا بك، وسجنَ قائمقام حراز، محمود رؤوف، المشهورَ بالجورِ والإرتشاء^(٤). والهدفُ من هذه السياسةِ إقناعَ اليمينيين بأنّ الدولةَ قد غيرتْ من ممارستها مع اليمينيين، وأنها بصددِ إصلاحِ الأحوال.

(١) انظر الدر المثور، ق ٤٥ب، ق ١٤٩-ب.

(٢) الدر المثور، ق ٣٨.

(٣) المصدر السابق ق ١٦٤.

(٤) أئمة اليمن، ٢/٢٦٤.

وقد اتضح فيما بعد أن عزل هؤلاء كان مقدّمةً لإجراءات انتقامية أشد، حيث تبدى للأتراك أنه لا بد من توفير قوات تركية ضاربة وتجنيد المزيد من اليمينيين لمحاربة الإمام، بإدخال العرب في سلك القوات النظامية التركية، ولذا صدرت الأوامر لكلّ المأمورين من العرب سنة ١٣١٣ هـ بأن يلبسوا مثل زيّ العساكر التركية، وهو السروال والقلنسوة والزنّة، (وطربوش أحمر وسراويل جوخ) وقد لقي هذا الإجراء عدم قبول من قبل المأمورين العرب، واستغلّه الإمام في حربهِ الإعلامية ضدّ الأتراك، وأتبع حسين حلمي في مرةٍ أخرى، سنة ١٣١٨ هـ سياسةً تبدو متقدّمةً إصلاحياً من حيث نشر المدارس الرشدية والمكاتب للكتاب والاطفال، ففتح مكتب المعارف، ومكتب الإعدادية ومكتب الصنائع، ومكتب العربية، وكان الهدف السيطرة على التعليم، وتنمية الولاء للسلطنة العثمانية، ليجعل التعليم رسمياً بدلاً تركه للإمام والقضاة والمدرسين من أتباع الإمام^(١).

وحيث أن هذه الوسائل لم تنجح في إخماد ثورة اليمينيين، فقد لجأت السلطة العثمانية إلى طرقٍ أخرى من حبسٍ ونفيٍ وتشريد، فقد قبض أحمد فيضي على أكثر من مئة وخمسين من أهل صنعاء بدعوى مشايعتهم للإمام وأرسل بهم إلى الحديّدة، ثمّ منها إلى استانبول، وكان منهم؛ سعد الدين بن إسماعيل الزبيرى، صهر الإمام، ومحمد بن حسن دلال، وكانا قد قاربا الأتراك^(٢)، كما حبس مشائخ بلاد السودّة في نفس العام من سنة ١٣١٠ هـ،

(١) الدر المنثور، ص ٢٤١ (الزيادة).

(٢) الدر المنثور، ق ٤٣ (حوادث ١٣١٠ هـ).

ومثل ذلك فعلُ بَعْقَالِ همدان، حتى أنّ أشدَّ الأعوانِ خدمةً للأتراكِ قد سُجنوا ونُفوا عن أوطانِهِم ومنهم: يحيى المجاهد وعبْدُالله الضلعي والياور علي بن مثنى الحسيني. ولعلَّ مِنْ أَكْثَرِ حَمَلَاتِ الاعتقالِ والحبسِ شدةً ما وقع في شعبانَ مِنْ سنة ١٣١٧هـ، حيثُ أمرَ السلطانُ حسين حلمي والمشيرُ عبْدالله باشا بجمع ٨٠ ألفاً من أهل اليمن وإلحاقهم بالقواتِ العثمانية، فأعملوا الجَمْعَ والاعتقالَ العشوائيَّ، حتى ظفروا بألفين وسبعِ مئة، نقلوهم إلى الحُدَيْدَة، ومنها غادروا بسفنٍ عثمانيةٍ للالتحاقِ بالقواتِ العثمانية^(١) وكانَ المشيرُ عبْدالله باشا قد سجَنَ خمسَ مئةٍ من اليمنيين وصلوا بصحبتهِ إلى استانبول.

ومن ناحيةٍ أخرى فقد عَشَرْنَا في الأرشيفِ العثماني، تصنيفَ الإدارةِ الداخلية رقم ١٨، ربيع الأول ١٣١٦هـ، على وثيقةٍ من وثائقِ البابِ العالي، مجلسٍ مخصوصٍ اتصلت بالمعتقلين من اليمن، وجاء فيها:

الباب العالي

مجلس مخصوص

عندَ قراءةِ التذكرةِ المُقدِّمةِ من نظارةِ الداخلية، تمَّ اعتقالُ خمسةَ عشرَ شخصاً من الأشقياءِ الذين تعرَّضوا للمشيرِ عبْدالله باشا أثناءَ قدومه إلى صنعاء، وقد بلغَ عددُ المعتقلين حتى الآن، تسعةً وسبعين شخصاً، ولأنَّه لا يوجدُ سجنٌ صالحٌ لاستيعابهم والمحافظةِ عليهم، ستتمُّ محاكمتهم. وحيثُ لا يوجدُ محاكمٌ نظاميةٌ أيضاً، فإنَّ الأشخاصَ المذكورين حُمِلوا في إحدى

(١) الدر المنثور، ق ٨٧ ب.

السفنِ المسافرةِ لاستخدامِهم من قبل الجيشين الثاني والثالث.

وبناءً على إشعارِ ولايةِ اليمن، الذي ينصُّ على عدمِ جوازِ بقاءِ هؤلاءِ المعتقلين في أماكنهم، فقد رأتِ الصدارةُ العظمى ضرورةَ الموافقةِ على ما جاء في التحريراتِ المحوِّلةِ من النظارةِ المذكورةِ في إرسالِ الأشخاصِ المذكورين في السفينةِ إلى حيثُ الجيشانِ الثاني والثالث^(١)، وصوّتَ رأيهم كذلك في اتخاذِ نفسِ الإجراءِ مع الأشخاصِ الذين سيُعْتقلون لاحقاً حسبَ المعلوماتِ التي قدّمتها السرُ عسكرى، وقدّمتِ التذكرةُ بهذا الخصوصِ. وقدّمَ للعرضِ على مولانا السلطان، والأمرُ لصاحبِ الأمرِ سيدي،

في ٢٨ صفر ١٣١٦هـ / ٥ تموز ١٣١٤

ثم أختام: الصدرِ الأعظم، شيخِ الاسلام، ناظرِ العدلية، سرُ عسكرى، ناظرِ الخارجية، وناظرِ الداخلية، وناظرِ المعارف، ناظرِ الأوقافِ السلطانية، وناظرِ المالية، ومستشارِ الصدارة^(٢).

- وإزاء ذلك، فقد باشرتِ السلطنةُ العثمانيةُ إلى دفعِ المزيدِ من الإمداداتِ العسكريةِ إلى اليمن، حينَ أدركتْ عجزَ القواتِ المتواجدةِ في اليمن عن احتواءِ الثورةِ اليمنيةِ أو حتى محاصرتها والقضاءِ عليها، ووقوعِ المزيدِ من الخسائرِ البشريةِ والماديةِ في الطرفِ التركي، ففي ٧ محرم سنة ١٣٠٨هـ صدرَ الأمرُ والفرمانُ السلطانيُّ بإرسالِ المزيدِ من العساكرِ التركيةِ،

(١) كان هذان الجيشان في رودس.

(٢) انظر الصورة في الملحق.

علاوةً على الخيل والمؤن والمدافع، والوثيقة رقم ٥٣٠٦ الصادرة من الباب العالي، مجلس مخصوص، توضّح ذلك، فقد جاء فيها:

الباب العالي

مجلس مخصوص

من أجل الحفاظ على الأمن في جهات اليمن، وتأديب الأتقياء والتنكيل بهم، فقد جرى مطالعة وقراءة التذكرة الخاصة التي بلغت إلى السلطان لإصدار الأمر الهمايوني ببناء على التذكرة التي قدّمها رئاسة الأركان، القيادة العامة إلى الاعتبار العلية، من أجل إتخاذ التدابير اللازمة ببناء على الإشارة الواردة من قيادة الجيش السابع لإرسال الأرزاق من البقسماط والدقيق إلى جانب ٢٠٠ حصان من قبل العساكر الشاهانية المتواجدة هناك، والمؤلفة من ثمانية طوابير منها ٨٠٠ جاهزة ومسلّحة، وبطاريتي مدفع جبال، وتمّ اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيق الاستقرار في اليمن واستتباب الأمن والأمان في جهات الخطة اليمانية، بفضل توجيهات حضرة السلطان.

وبموجب فرمان الصادر ببناء على قرار الدائرة العسكرية، فقد تمّ تسليح الآليات الرديف الأول في قرمان وانطالية على وجه السرعة، وتشكّلت بطاريتا جبال، وتمّ طلب أرزاق لمدة أربعة شهور مع بطاريات طوابير الرديف.

وشملت هذه الأرزاق الدقيق والبقسماط، وتمّ شراء المائتي حصان المطلوبة، وتمّ تسجيل الأرزاق والأحصنة المشتراة ومصاريف نقلها، وتمّ تجهيز هذه القوة تجهيزاً مميّزاً، وبناء على رأي قيادة الجيش، فقد تمّ شراء

ماتي حصانٍ أخرى ليصبحَ عددها عندَ الضرورةِ أربعَ مئةِ حصانٍ.
وبموجبِ الأخبارِ الواردةِ من اليمنِ بواسطةِ التلغرافِ التي قُرئتُ ونوقشتُ،
تبيّنُ أنَ الأحوالَ في اليمنِ تستدعي إرسالَ اللوازمِ والمهماتِ على وجهِ
السرعةِ، وقد وُجدَ هذا الأمرُ ضرورياً ومناسباً، وبعدَ عرضِ الأمرِ على
سكرتاريةِ السلطانِ،

فالأمرُ والفرمانُ لحضرةِ مَنْ له الأمرُ سيدي،

في ٧ محرم ١٣٠٨/٣١ تموز ٣٠٧ اختتام الوكلاء

وبالفعل فقد وصلت إمدادتُ في أوائل شهرِ الحجةِ ١٣٠٨هـ، حيث
وصلَ حسن أديب باشا والياً على اليمنِ، يرافقه أحمد رشدي بك ومعهما قدرُ
ألفين من العساكرِ بمعدّاتهم ومؤنّتهم^(١)، وكذا وصل المشير أحمد فيضي باشا
في ربيع الأول ١٣٠٩هـ، وكان في مكةَ وبرفقتِهِ ٧٨٠ بغلةً مُحمّلةً بالمعدّاتِ
والمؤنِ، حيثُ تجمّعتِ القواتُ الواصلةُ إلى حجةَ من الحديدِ والتي يقودُها
حسن أديب، وأحمد رشدي وكذا قواتُ أحمد فيضي التي كانت في منطقةِ
مناخةَ، مقرّاً الاسماعيلية، المناهضةِ للإمامية لتبدأ مرحلةً جديدةً في حربها
اليمنية، وتوالى وصولُ الإمداداتِ العسكريةِ العثمانيةِ إلى اليمنِ حتى وصلَ
في صفر ١٣١٦ رديفاً يتجاوز عددهُ العشرةَ آلافِ عسكريٍّ^(٢). وغدت سياسةُ
العقابِ الجماعي هي الأسلوبُ المتَّبَعُ من قِبَلِ القواتِ العثمانيةِ ضدَّ

(١) الدر المنثور، ق ١٦٢.

(٢) المصدر السابق، ق ١٦٤.

اليمنيين، حيث كانوا يدفعون بقواتٍ كبيرةٍ لمهاجمة قريةٍ أو حصنٍ أو قبيلةٍ، لا يتجاوزُ عددُ المدافعين عنها العشرات، فقد أرسلَ السلطان ٦ طوابيرٍ من العساكرِ التركيّةِ لمهاجمة قريةٍ ساكٍ من بلادِ خَارِف^(١)، وأرسلَ طابوراً لغزو عمورة، وغزوا ناعط بقواتٍ كبيرةٍ، واستولوا على الذخائرِ المودعة فيه^(٢)، ولوقعة قرية الفصيح من بلادِ الشاهل، جمعوا العساكرَ من كافةِ البلدانِ وهاجموها بقوةٍ وقسوةٍ، حتى إنَّ مؤرخنا، وصفَ ذلك بقوله: «وتجهّزوا بالقوة التي لا يقاومها مُقاومٌ»^(٣)، كما بعثَ أحمد فيضبي أربعةَ طوابيرٍ لمقاتلةِ عَمْرانَ؛ لفكِّ الحصارِ عن قوّاته البالغِ عددها ٨٠٠ عسكريٍّ كانوا محصورين في عَمْران بعدَ نجاحِ القواتِ الإماميةِ في دخولِ كُحلان^(٤)، ففي وقعةٍ سامك من بلادِ الروس التي جرت في صفر ١٣١٦هـ، والتي وصلَ إليها الشيخُ عبدالله بن عبده راجح، وصحبته ثمانون مجاهداً، خرج الأتراكُ عليهم بطابورين ومعهم المدفعُ الكبيرُ^(٥)، وتظهُرُ ضخامةُ القواتِ العثمانيةِ في الحملةِ التي أرسلت في ٧ رجب ١٣١٩هـ بقيادة فريقِ باشا على بلادِ السّودة، حيث بلغَ عددُ القواتِ أكثرَ من ٧٤٠٠ عسكري وألفِ بغلةٍ تحملُ المؤنَ والذخيرةَ والأثقالَ والمدافعَ التي بلغَ عددها ثمانيةً.

ولما كان اليمنيون لَمّا يَألفوا المدافعَ وهولها، فقد كانَ لظهورها في المعاركِ تأثيرها على القواتِ الإماميةِ، وعلى القبائلِ والبلداتِ، حيثُ كانت

(١) الدر المثور، ق ٥٢أ.

(٢) المصدر السابق، ق ٥٢أ.

(٣) الدر المثور، ق ٦٤أ.

(٥) المصدر السابق، ق ٦٤أ.

تُذكَ المنطقةُ بالمدفعيةِ ولفتراتٍ طويلة، ومثلُ ذلك وقعَ في العديدِ من المناطقِ مثل: السامك والقفلةِ وبنى جل وشهارةٍ وكحلان وغيرها.

وحالَ نجاحِ القواتِ العثمانيةِ في دخولِ قريةٍ أو منطقةٍ، فإنهم كانوا يدهمون الناسَ والبيوتَ، ويبادرونَ إلى الانتقامِ والنهبِ، ويفرضون عليهم الغراماتِ «يطلبون السياقَ وكفايةَ العسكرِ، ويسومونهم العذابَ»^(١).

كما لجأوا إلى إحراقِ البيوتِ في المناطقِ التي كانوا يستولون عليها، وقد وقعَ مثلُ ذلك، في حصن الظفيرِ وقلعةِ العمريِ وبيتَ معدن، وبيوتِ بنى عبدِ من بكيل، وتمَّ إحراقُ الشُّطِّ والقفلةِ، وغيرها كثير^(٢).

هذا، وقد عرَفَتِ اليمنُ نظامَ الرهنِ، وهو يعني أن القبيلةَ التي تدخلُ في طاعةِ الإمامِ تقدِّمُ الرهائنَ من أبنائها، وتُسمى هذه الرهينةُ «رهنيةَ الطاعةِ» حتى إذا ما نقضت القبيلةُ عَهْدَها وميثاقَها كان للإمامِ حقُّ الحكمِ على أبنائهم.

ومن خلالِ دراستِنَا لمخطوطنا نجدُ أن بعضَ القبائلِ كانت تقدِّمُ الرهائنَ للإمام، وفي نفسِ الوقتِ تقدمُ الرهائنَ للأتراكِ أيضاً، ويُفهمُ من نظامِ الرهنِ أنه خاصُّ بتلكِ القبائلِ المتهمةِ في ولائها أو طاعتها، والحقيقةُ أنه كان عاماً وشروطاً أساسياً لمن دخلَ في حوزةِ الإمام، ويأدرُ إلى قتالِ العثمانيين. وخلالَ معاركِ الإمامِ مع العثمانيين وَرَدَتْ إشاراتٌ حولَ تقديمِ عقالِ الحدأ رهائنَ للمقدمي عليّ بن أحمد صلاح سنة ١٣١٢هـ، وعُقَالِ خَوْلانِ جميعهم أرسلوا

(١) الدر المنثور، ق ٧٢ب.

(٢) حول حرق المدن والقرى والحصون، انظر، ق ٣٣ب، ١٣٤، ٥٣٧، ١٣٩، ٤٢ب.

رهائتهم إلى الإمام صحبة أحمد بن حسن الكبيسي، وطلبوا مقدماً، فبعث إليهم محمد بن الإمام المتوكل وفوض إليه أمر القيام بالجهاد في تلك البلاد، وأمرهم بمحاصرة صنعاء من جميع الجهات. وحاشد هي الأخرى قدمت الرهائن في أكثر من موقعة، والشيخ عبدالعزيز الشحرة، صاحب حصن حب، حين وصل راغباً في نصرة الإمام وطلب من الإمام الإمدادات والمساعدات، اشترط عليه الإمام رهينة الطاعة، فسلمها للإمام على جهة الكتان، وكذلك أهل بلاد رازح، حين أطاعوا سلموا الرهائن.

ويبدو أن الإمام كان يعتبر الرهائن وسيلة من وسائل الضغط على القبائل ليحملها على المشاركة الجادة في القتال ليس إلا، إذ لم يرد لا في مخطوطنا ولا في المصادر العثمانية أن الإمام أنفذ على الرهائن حكماً، وعكس ذلك قد ورد، فحين تناهى إلى الإمام ما فعله ناصر بن مبخوت الأحمر، شيخ حاشد، من تناقل في الجهاد وحتى مصالحة العجم، فما كان منه إلا أن أطلق رهائن حاشد، بل إن من أسباب هزيمة القوات الإمامية في وقعة الحقيبة من بلاد عتمة أن مقدمي الإمام في تلك الموقعة لم يكن حازماً، بأخذ الرهائن من المشائخ، الذين وصلوا إليه معلنين الطاعة، حتى إن أهل العقبة من الغول اعترضوا الإمدادات الواصلة إلى القوات الإمامية، وما نفع تعهد الشيخ صالح بن يحيى الأسدي بمناصرة الإمام وقواته، وكذا قبائل ذي غيلان، وأهل مُستبأ وحجور وأهل لاعة وغيرهم قدّموا الرهائن وحتى أهل البلاد الأنسية، والذين يصفهم مؤرخنا «بأنهم مفطورون على التشيع لآل البيت، ومحبون للقائم من العترة الزكية، يناصرون الأئمة من قديم الزمان لا يردعهم عن ذلك البؤس ولا هلاك الأموال والنفوس» فإنهم حين وصلوا إلى

طَرَفِ الإِمَامِ وَأَعْلَنُوا الطَّاعَةَ وَالْحَرْبَ ضِدَّ العُثْمَانِيِّينَ، أَرْسَلُوا بِالرَّهِينَةِ إِلَى الإِمَامِ .

وعلى هذا، فقد كان نظام الرهن تقليداً متبعاً بين القبائل اليمينية منذ القديم^(١).

ولجأ الأتراك إلى الأسلوب المُتَّبَعِ نَفْسِهِ فِي أَخْذِ الرِّهَائِنِ مِنَ الْقَبَائِلِ لِقَاءَ الطَّاعَةِ، أَوْ حَتَّى ضَمَانِ سَلَامَتِهِمْ عِنْدَ المَرُورِ مِنْ أَرْضِ قَبِيلَةٍ إِلَى أُخْرَى، فَبَنُو صُرَيْمٍ - عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ - قَدَّمُوا رِهَائِنَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ لِأَحْمَدَ فَيْضِي، وَأَهْلُ بَيْتِ عُثَيْمَةَ وَالْيَمَانِيَةِ العُلِيَا وَأَهَالِي مَسُورٍ قَدَّمُوا هُمْ الآخَرُونَ الرِّهَائِنَ لِلأَتْرَاكِ .

وكانوا حريصين على الوفاء بالتزاماتهم اتجاه الأتراك، أكثر من حرصهم على مناصرة الإمام، والالتزام بما طلبه منهم، ذلك أن الانتقام العثماني سيكون شديداً فيما لو خالفوا ما اتفقوا عليه مع العثمانيين، إلا أنهم كانوا يبادرون إلى نصرة الإمام عندما تكون كفة قواته الراجحة في الحروب والوقعات.

إن المُتَّامِلَ فِي مُجْمَلِ الأَوْضَاعِ، الَّتِي كَانَتْ تُعَانِي مِنْهَا الْقَبَائِلُ الِيمِينِيَّةُ، يُدْرِكُ الأَسْبَابَ الَّتِي كَانَتْ تَدْفَعُ بَعْضَ الْقَبَائِلِ لِأَنْ يَكُونَ لِأَهْلِهَا مَتَّارِجِحاً بَيْنَ الإِمَامِ وَالوَلَاةِ الأَتْرَاكِ، فَلَا وِلَاءَ دَائِماً لِطَرْفٍ وَلَا مَعَادَاةَ قَاطِعَةً لِجِهَةٍ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الإِمَامَ كَانَ يَعْانِي مِنْ مَشَائِخِ بَعْضِ الْقَبَائِلِ، وَلا قَى صَعُوبَاتٍ ثَقِيلَةً مِنْ بَعْضِ الْقَبَائِلِ أَيْضاً.

(١) ذكر المؤرخ أن الإمام أودع رهائن بني طلق الذين نقضوا ما اتفقوا عليه مع الإمام الحبس، انظر، الدر المشور، ق ٨٨.

كانَ على الإمام أن يواجهَ جُملةً من الصعوباتِ القبليّةِ المتمثلةِ في الصراعاتِ القبليّةِ، والتنافسِ والتشاحنِ بينَ تلك القبائلِ، أو بينَ عشائِرِ ويطونِ القبيلةِ الواحدةِ، وكانَ هذا التناحُرُ بينَ القبائلِ يُوثرُ سلْباً على الجبهةِ الإماميةِ، ويترتّبُ عليه في بعضِ الأحيانِ ارتدادُ بعضِ القبائلِ لموالاةِ العثمانيينِ، وحتى مناصرتهم؛ فالضغائنُ الموروثةُ بينَ بني الحارثِ وأرحبَ، جعلتُ بني الحارثِ تُساعدُ العثمانيينِ، مما اضطرَّ الإمامَ للسماحِ لأرحبَ بغزوها، شريطةً ألاّ تقعَ النكايَةُ إلاّ بمنِ عاونَ العثمانيينِ، وتعدّى وظلّمَ، فكانتُ بلادُ السودِ ميدانَ معركةٍ بينَ تلك القبائلِ^(١)، وشهدَ رمضانُ من عامِ ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م فتناً وحروباً بينَ قبائلِ حاشدِ نفسها^(٢)، وبينَ قبائلِ عذرِ والعصيّماتِ. وبنو صُريمِ وخيارِ، وبنو قيسِ كانت لهم مواقفُ عدائيّةٌ من بعضهم البعضِ، وضدَّ القوّاتِ الإماميةِ في بعضِ الأحيانِ^(٣)، وحتى آلِ القاسمِ، أهلُ شُهارةٍ وقعَ صراعٌ بينَ فرعيّهم: المؤيديِ والمتوكلي^(٤).

ويبدو أنّ مشائخَ تلك القبائلِ اليمينية كانوا يعملون على تاجيحِ تلك الصراعاتِ، لما كانوا يتمتعون به من امتيازاتٍ، فكانَ أفعالُهُم إنما قُصدَ بها الدفاعُ عن مصالحِهِم، فقد جرت العادةُ أن يُوكَلَّ لكلِّ شيخٍ تحصيلُ ما ترتّبَ على قبيلتِهِ من أموالٍ، وكان كلُّ شيخٍ يتقاضى مبالغَ طائلةً يحتسبُها لنفسِهِ، فقد ذكرَ مؤرّخُنَا، أنهم كانوا «يأخذونَ الريالَ للدولةِ والعشرةَ رياتٍ لهم»،

(١) الدر المنثور، ق ١٧٧.

(٢) الدر المنثور، ق ٨٧ب.

(٣) المصدر السابق، ق ١٧٦.

(٤) أئمة اليمن، ٢/٢٢١.

مما ترتب عليه كثرة شكوى القبائل من ظلم مشايخهم^(١)، وأن هؤلاء المشائخ كانوا يُبطنون خلاف ما يُظهرون. ويزخر كتابنا-الذي نشره-بأخبار تقلبات، وحيل وأعيب أولئك المشائخ، ويصور مدى المعاناة التي كابدها الإمام ورجاله من أجل الحد من التقلبات وحصرها في أضيق نطاق، وذلك بالعمل على استرضاء أولئك الشيوخ، أو أخذهم بالحزم والشدة هم وقبائلهم، ومن مظاهر تلك التقلبات والمعاناة:

- دعوة المشائخ أهل البلاد لمناصرة الأتراك وعدم إعانة الإمام وقواته، فالشيخ حزام الصعر وجه دعوة لأهل المصانع والزافن والأشمور للوقوف عن إنجاد يحيى بن حسن الكحلاني في موقعة بيت علمان، ومشائخ حاشد ووادة أبوا السماح لقوات الإمام التي يقودها المقدمي سيف الإسلام محمد بن المتوكل بالدخول إلى مناطقهم وحصونهم، بحجة أنهم غير قادرين على مقاومة الأتراك^(٢)، وفي وقعة الغيل، ٢٠ شهر القعدة ١٣١٦هـ، أخرجهم الشيخ صالح بن يحيى الأخرم عن استقبال قوات الإمام في منطقتهم، بل إنه أرسل إلى سيف الإسلام، محمد بن الإمام أن يرتفع من منطقتهم خوف وصول الأتراك إليهم، وهو ما لا طاقة لهم به^(٣)، ولما ارتحلوا إلى وادة، صدت قبائلها الأبواب في وجوههم. ومثلهم أهالي صعدة وخولان الشام، ترددوا في مرحلة عن مناصرة الإمام، وحين انتصرت قوات الإمام أمروا الناس بإشعال

(١) الدر المشور، ق ٨٥.

(٢) المصدر السابق، ق ٧٢-ب.

(٣) المصدر السابق، ق ٧٦-ب.

النيرانِ كدلالةٍ على غِبْطِهِمْ وانضمامِهِمْ للقَوَاتِ الإِمامِيَّةِ^(١)، ومثلهم رؤساءُ بني جُماعةَ، وبنو طلق، وبنو العوام، ومثل ذلك كثيرٌ.

كانَ الإمامُ كثيراً ما يستنكرُ ما تقومُ به القبائلُ من نهبٍ، خِلافاً لما يأمرُ به مِنْ عدمِ التعرُّضِ إلا لِمَنْ ساندَ الأتراكَ، وتعدَّى وظلمَ، وفي مرَّاتٍ عديدةٍ كانَ الإمامُ يبرأُ ويتبرَّمُ ممَّا وقعَ مِنَ القبائلِ والعربِ مِنْ أفعالٍ، وخاصةً ما ارتكبه مِنْ نهبٍ وعدوانٍ في أحوازِ صنعاءَ، ومنطقةِ الشاحذيةِ وبلادِ السودةِ. وكانت حادثةُ سَلْبِ ونهبِ رَوْضَةِ صنعاءِ سنة ١٣١٦هـ أكثرَ القضايا تأثيراً على الإمامِ، فقد رَجَحَ لديه تركُ إرسالِ قَوَاتِهِ إلى أمهاتِ المدنِ اليمينيةِ لمقاتلةِ الأتراكِ، بعد ما كان من القبائلِ بحقِّ الروضةِ^(٢).

ولعلَّ ما وقعَ بينَ مشايخِ اليمنِ الأسفلِ سنة ١٣١٥هـ، كانَ مِنْ أعقدِ المسائلِ التي واجهتها القَوَاتُ الإِمامِيَّةُ، فقد لَفَّتِ المنطقةَ حروبٌ داميةٌ، سَفِكَتَ فيها الدماءُ ونُهِبَتِ الأموالُ، حيثُ اشتعلتِ الحروبُ بينَ قبائلِ الشيخِ عليِّ بنِ عبدِاللهِ بنِ سعيدٍ، من شيوخِ اليمنِ الكبارِ، وبينَ قبائلِ الشيخِ عبدِالوارثِ بنِ ياسينِ، شيخِ الضُربياتِ وشرعبِ، ووقعتْ فِتْنٌ أخرى بينَ الشيخِ عليِّ بنِ عبدِاللهِ المذكورِ والشيخِ عبدِالواحدِ بنِ قاسمِ، ومثلها حروبٌ بينَ مشايخِ حبيشِ وبنِي الشيبِيّ والحِراسِ، وسَفِكَتْ دماءٌ من قبائلِ الشيخِ منصورِ بنِ نصرِ شيخِ العنسيينِ وآلِ أبي راسِ.

واللَّافُ لِلنظَرِ أَنهم لجاوا في نهايةِ الأمرِ للوالي العثماني أحمد فيضي

(١) الدر المثور، ق ٨٢.

(٢) أئمة اليمن، ٤٠٥/٢.

للمصلح بينهم، وكان للوالي ما أراد.

وبالرغم من كل ذلك، فإن الإمام كان يعمل على التخفيف من ثقل وطأة التقلبات القبلية على قواته، فيناشد عقال تلك القبائل العودة إلى الحق ومناصرة قواته، كما كان دأبه المتكرر مع قبائل حاشد، ومناشدته لعقال حجور سنة ١٣١٧هـ إصلاح الشيخ الهندي، الذي انحاز كلياً لجانب الأتراك، وقاد القوات لمحاربة الإمام وجنده. فلما لم تجد تلك المناشدة نفعاً، كان لا بد من محاربة القبائل التي صالحت وعاونت الأتراك إبان المعارك، فقاتل القبائل التي انحازت للأتراك في حوث ووادعة وبلاد^(١) حجور، فأنحسمت مادة الشرور، وخمدت نيران الظلم والقطيعة.

ويبدو واضحاً أن الإمام ما كان يلجأ إلى الحرب إلا بعد أن يستنفذ كل وسيلة، واستقر عنده أن لا علاج إلا بالحروب، فإذا، لاحت بارقة أمل فلا يأمر بالحرب، ومثل هذه السياسة المتأنية اتخذها الإمام عندما وصلتته الأخبار بأن الشيخ علي بن المقداد قد تصالح مع الأتراك سنة ١٣١٧هـ، بعد أن قدم له (الأتراك) ألف ريال إكرامية، وقرروا له راتباً شهرياً، ولما كان الإمام يدرك مدى نفوذ آل البيت في البلاد الأنسية، بلاد الشيخ علي بن المقداد، فإنه لم يحرك ساكناً ضده، بل أبقى الشيخ عزيز بن عبدالله، الذي وصل لطرف الإمام متبرماً وطالبا للعون ضد الشيخ علي بن المقداد، فقد أبقاه الإمام عنده في القفلة، لأنه كان يدرك أن الشيخ علي بن المقداد عائد لمحاربة الأتراك، وما المصلح إلا استراحة محارب، وهذا الذي وقع، فما هي إلا شهور

(١) الدر المنثور، ق ٨٧.

قليلة حتى عاد الشيخ علي بن المقداد لحرب الأتراك بقوات كبيرة وأكثر ضراوة مما كان^(١).

ومن ناحية أخرى، فقد ارتكب الأتراك خطأ اتجاه المشايخ، ساهم بدوره في رُفد القوات الإمامية بنجدات إضافية. فقد أقدم الوالي حسين حلمي أوائل صفر ١٣١٦هـ على عزل المشايخ، وعيّن عقلاً في كل قرية، مُظهراً أن هدفه هو تحقيق العدالة والاستجابة لشكاوى الناس ضد المشايخ، فكانت نتيجة ذلك عكس ما يريد، فاضطربت اليمن بعزل المشايخ؛ لأن الأتراك كانوا قد فوضوا إليهم أمور الرعية، وملّكوهم الرقاب. فعدا كل شيخ صاحب سطوة ونفوذ في منطقته، وتعدّر بالتالي الاستجابة لأمر يصدر من الوالي حسين حلمي أو غيره، وقد أحسن الإمام الاستفادة من هذه الظروف، وعمل على تطويعها لصالح الحرب ضد العثمانيين، وذلك باستمالة الشيوخ والعقال، حيث لاقت هذه الخطوة القبول، فزادت الحروب اشتعالاً، وحققت القوات الإمامية انتصارات مهمة على العساكر العثمانية.

وقد أعطى مؤرخنا صورة إجمالية لما كانت عليه حال الإمام مع القبائل بقوله «الرعية منهم صادقون فيما يدعون، وأما المشايخ وأعوان العجم، فإنهم يبطنون خلاف ما يُظهرون، وقد نزل بهم من البلاء والخوف ما لا يصفه الواصفون»^(٢).

ويبدو أن سوء الأحوال الاقتصادية، وما واجهته اليمن من كوارث طبيعية

(١) الدر المشور، ق ٨٧ب.

(٢) المصدر السابق، ق ١٥ب.

وانتشار الأوبئة والأمراض من طواعين وغيرها، كانت تعوق من حركة القوات الإمامية، وتحول في بعض الأحيان من مواصلة عملياتها العسكرية، ومع أن هذه الكوارث كانت عامة لا تقتصر على طرف دون آخر من المتحاربين، إلا أن التغلب عليها كان يتطلب وقتاً في الطرف الإمامي، فإن الإمام - وحسب ما ذكر مؤرخنا - كان يستصعب إرسال البعوث والسرايا والعساكر على الأتراك، بسبب ما كان الناس فيه من شدة وارتفاع الأسعار، إذ بلغت أسعار القمح «دون ربيع قذح بريال»، وفي سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م ارتفعت الأسعار، وعظم الاضطراب حتى وصل في الجهات القبلية ستة أنفار بريال، وفي الجهات اليمانية اثنا عشر نفراً بريال، وقد أدى ذلك إلى إرتحال الناس من بلاد إلى بلاد، لطلب المؤنة والزيد، مما ترتب عليه تدني الكثافة السكانية، وخلو البلاد من أهلها، وهذا بلا شك كان يؤثر على القدرة القتالية للقوات الإمامية، فإذا ما أضيف إلى ذلك انحباس الأمطار، وحالات الجفاف والقحط التي كانت تعم البلاد، أدركنا عندها مدى المعاناة التي تجشمتها القوات الإمامية في سعيها للحصول على الأقوات ومواصلة المعارك.

لقد اقتصر جهد مؤرخنا هنا على سرد أخبار ما أوقعته الكوارث الطبيعية في القوات التركية، دون أن يذكر ما أصاب القوات الإمامية منها، مُغفلاً - في ذلك - أن الكوارث لا تفرق بين القوات التركية والقوات الإمامية، وهذا الأمر يدفعنا إلى القول بأن هناك صعوبات أخرى قد واجهت الإمام، فرضت عليه أن لا يتجاوزها ويجد الحلول المناسبة لها: ففي سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م، كانت أسعار الحبوب مرتفعة، والناس في شدة، والأمطار قليلة، والمزروعات أصيبت بالأمراض وبذت كتبنة سوداء، ورافق ذلك وقوع بردٍ محرقٍ خارقٍ

للعادة، فأحرق ثَمرة الذرة^(١).

ودخلت سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م، وقد اشتد على الناس البلاء، وعظم القحط والغلاء، فارتفعت الأسعار حتى بلغ في بعض البلاد ستة أنفار، وظهر الفساد في البر والبحر^(٢). بل إن القحط والغلاء استمرًا ثلاث سنين، حتى هلك المواشي، وعدمت الحبوب وعلف الدواب، ومع أن الأضرار كانت أفدح عند الأتراك، إلا أن آثار القحط والغلاء أصابت أيضاً القوات الإمامية التي كانت تستعصم عن ذلك باعتراض المؤن التركية وتقوم بنهبها وتفريقها بين الرعية الإمامية^(٣). وكذلك وقوع البرد وتواتر الأمطار التي تشكّل معها السيول المهلكة للحرث والنسل، فقد وقع مطر عظيم في مناطق صنعاء في الاسبوع الأول من شهر رجب، سنة ١٣١٧هـ، رافقه سقوط برد كبار حتى جاءت السيول ودهمت صنعاء وداعي الخير وسعوان، وألحق خراباً كثيراً^(٤)، وفي رمضان سنة ١٣١٧هـ، وقع برد كبار قريب من حوث، وتراكت الثلوج على جبل حضور، حتى شقت الأحوال وعسر معها الانتقال^(٥).

وفي ربيع أول سنة ١٣١٨هـ، تواترت الأمطار التي لم يُعهَد مثلها - كما يروي مؤرخنا - على بلاد القفلة، مركز القوات الإمامية، بل لقد جاءت السيول ودهمت بلاد عمّران حتى كادت أن تدخل عمّران، وأيقن أهلها بالهلاك^(٦).

(١) أئمة اليمن، ١٦٣/٢.

(٢) الدر المنثور، ق ٥٩ب.

(٣) المصدر السابق، ق ٨٥ب.

(٤) المصدر السابق، ق ٨٧ب.

(٥) المصدر السابق، ق ٨٧ب.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٤٢ (الزيادة).

وعلى صعيد الكوارث الأخرى، يورد مؤرِّخنا خبرَ الرياحِ العاصفةِ،
والزوايعِ الفاتولة التي أصابتَ منطقةَ شَهارة في ٢٥ ربيعِ الأولِ سنة ١٣١٨هـ
والتي امتدَّت حتى منطقةِ البطنة، وصارت تقتلُ كلَّ ما وَقَعَتْ عليه من الزروعِ
والسِّدرِ، حتى استفتتِ الترابَ، وواصلت سيرَها إلى جهةِ الشرقِ^(١).

وعلى صعيدِ الطواعينِ والأمراضِ، فقد أشارَ مؤرِّخنا إلى تفشيِ الطاعونِ
في البلادِ حتى هلكَ الكثيرُ من أهلِ المدنِ والبلادِ خلالَ سنةِ ١٣٠٩هـ.

وفي سنةِ ١٣١٠هـ أهلكَ الطاعونُ أكثرَ من سبعِ مئةٍ من عساكرِ
التركِ^(٢)، ويرى مؤرِّخنا أنَّ اللهَ أرسلَ الطاعونَ على الأعداءِ انتصاراً لقوى
الحقِّ على البُغاةِ الظالمينِ.

وفي حوادثِ شوالِ ١٣١٦هـ، كثرتِ الأمراضُ وعمَّ الفناءُ في الرجالِ
والدِّوابِّ التركيَّةِ حتى عَسُرَ عليهم نقلُ الأثقالِ، وحاولوا الارتحالَ من الجهاتِ
القَبليَّةِ نحوَ حَبُور، فمَنعوا من ذلك، وفي الصرَّارةِ عمَّ الفناءُ في الرجالِ
والجمالِ والبغالِ.

ونعودُ مرَّةً أخرى لنؤكِّدَ على أنَّ مثلَ هذه الكوارثِ إنما كانتِ صعوبةً
تُضافُ أيضاً للصعوباتِ التي واجهها الإمامُ، غيرَ أنَّ أثرَها كانَ محدوداً في
الطَّرَفِ الإماميِّ لسرعةِ الإجراءاتِ التي كانتِ تُتخذُ حيالَ ذلك.

(١) الدر المثنور، ٢٤٢ (الزيادة).

(٢) الدر المثنور، ق ٤٣.

المطلب الثاني :

مصادر التمويل والتمويل والتسليح :

إنَّ مثلَ هذه الحربِ التي يقودها الإمامُ المنصورُ باللهِ محمدُ بنُ يحيى ، تقتضي توفُّرَ مبالغٍ مِنَ المالِ ؛ للإنفاقِ على احتياجاتِها الضرورية ، مِنْ مؤنِّ وسلاحٍ ، وسدِّ نفقاتِ أُسرِ المجاهدين : والشهداءِ والجرحى والمصابين ، ورعايةِ طلبةِ العِلْمِ والعلماءِ ، والعنايةِ بالمهاجرين والوافدين وغيرها من الأمور . ويتضحُ لي ، من خلالِ التَّدقيقِ في الوثائقِ والكتاباتِ العثمانيةِ واليمنيةِ ، ومنَ البحثِ في علاقاتِ الإمامِ مع القوىِ الفرنجيةِ : البريطانيةِ ، أو الفرنسيةِ أو الإيطاليةِ ، وهي القوى التي كانت مَعنِيَّةً بالمنطقةِ ، وبوادرِ الصُّراعِ بينها في تلكِ الفترةِ كانت بارزةً - أنَّ البحثَ والتدقيقَ يُفيدان ، بأنَّه لم يكنْ للإمامِ أيةُ مواردٍ غيرَ تلكِ التي يُقدِّمها الأتباعُ ، والتي أُوجِبَتِ الأحكامُ الشرعيةُ تقديماً لها لأيِّ إمامٍ في منزلتهِ ، ويُمكنُ تحديدهُ تلكِ المواردِ بما يلي :

- الزكاة :

وهي الصدقةُ المفروضةُ على المكلِّفين بها ، وتحصُلُ وفقَ ما نصَّت عليه النصوصُ الشرعيةُ من قرآنٍ وسنةٍ ، وتجبُ في الذهبِ والفضةِ والجواهرِ واللآلئِ والدرِّ والياقوتِ والنقدِ والسوائِمِ الثلاثِ ، من الإبلِ والبقرِ والغنمِ ، وما أُنبِتتِ الأرضُ من مزروعاتٍ ، والعسلِ من الملكِ ولو وقفاً أو وصيةً ، أو بيتِ مالٍ وعروضِ التجارة^(١) ، ونصابُها معروفٌ ومحدَّدٌ ، ولا يُتَّهَمُ إلى الإمامِ

(١) المرتضى ، أحمد بن يحيى ، عيون الأزهار في فقه الأئمة الأطهار ، ١٢٣ .

- ظاهرة وباطنة - حيث تُنفَّذُ أوامره. ويُلاحظُ أن أتباع الإمام كانوا حريصين على أدائها في وقتها أو حتى التعجيل بدفعها، وتُنذِرُ من يمتنع عن أدائها بالإثم والعدوان.

وقد اعتاد الإمام على إرسال إيصالٍ أو وثيقةٍ تدلُّ على استلام شيءٍ معينٍ أو مبلغٍ من المالِ، سواءً كانت هدايا أو نذوراً أو زكاةً من الأهالي، ويلاحظُ في مثل تلك الرسائلِ كتابةً عبارة: «صدر النظر» بعد انتهاء الخطاب وتأريخه، بغرض التذكير ولفتِ النظر، كإشارةٍ إلى إثبات ما تسلَّمه الإمام^(١): ففي رسالةٍ تاريخها ٢٥ ربيع الأول ١٣١٤هـ / ٤ سبتمبر ١٨٩٦م، بعث بها الإمام إلى الشيخ عبدالله بن يحيى الوادعي، وردت عبارة «صدر النظر» ليؤكد أنه تسلَّم منه شيئاً مادياً^(٢). وفي رسالةٍ أخرى تاريخها ١٩ رجب ١٣١٨هـ / ٣ نوفمبر ١٩٠٠م، أرسلها الإمام إلى عبد الرقيب المعروف لدى الإمام، حيث اكتفت الرسالة بإيراد الاسم الأول دون الإفصاح عن بقيته، حفاظاً على السريَّة، وحدراً من إيقاع الأذى به من قِبَلِ العثمانيين، فيما لو وقعت الرسالة في أيديهم، أو أيدي أعوانهم وعميونهم، وقد جاء فيها بعد البسملة وختم الإمام، أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين. إلى الهمام الأوحيد الماجد الأرشيد عبد الرقيب^(٣)، حرَّسه الله وعافاه

(١) وثائق يمنية، تح سيد سالم، ١٤٦.

(٢) وثائق يمنية، ١٤٥.

(٣) هو عبد الرقيب الوادعي من آل الوادعي المعروفين بمناصرتهم للأئمة منذ سالف العصور والأزمان.

وأصلح دينه وديناه، والسلام عليه ورحمة الله .

وصولها بعد وصول مكتوب الفخري عافاه الله، والمصدّر منكم، الثمانون ريال، تقبل الله منكم صالح الأعمال، وصرف عنكم الشرور والأوجال، وجعل مآلكم خير مآل... الخ^(١) وتفيد الرسالة باستلامه زكاة عبد الرقيب، وقدرها ثمانون ريالاً، وهو مبلغ يساوي الكثير حينذاك.

ومن ناحية أخرى، توضح الرسالة طبيعة العلاقة بين الإمام والأهالي القائمة على الثقة والتعاون، لا سيما وأن الإمام هو الزعيم الروحي والديني.

وعلى الجانب الآخر، فكثيراً ما كانت تُذاع النوازل والكوارث والمصائب والحوادث، التي تنزل بساحة أولئك المتخلّفين عن أداء الزكاة، أو الممتنعين عنها، فالله - سبحانه وتعالى - أرسل البرد على أراضي قرية هزم، القرية الكبيرة في عزلة شعيب من أرحب، فاجتاح البرد الثمر، وذهب بأوراق الشجر؛ لأنهم منعوا واجب العنب، ووقفوا عن أدائه لجباة الإمام. ومثل ذلك وقع لعنب درب عبيد، من قبائل العقارب، في بلاد صعدة، وذهبت الرواية إلى أن وقوع البرد، اقتصر على حدود أراض مانعي الزكاة، لم يتعدّهم إلى غيرهم^(٢).

ومثال ذلك أيضاً الصاعقة التي وقعت بالرجلين الذين سلبا رجلين من أتباع الإمام، جاء بالزكاة إليه، وكما وقع لثلاثة من حاشد، وذي غانم، الذين تعرضوا لأحد قباض الزكاة، وهو ناصر اليماني في مغرب عنس، ومنها ما حكاه عباس بن عبد الله بن المؤيد عن الكوارث التي نزلت بالسيد

(١) وثائق يمنية، ١٦٩.

(٢) الدر المشور، ق ١٦.

ناصر حجاج من سادات عُربان، لأنه أرادَ التقليلَ من مقدارِ نصابِ الزكاةِ المقدَّرةِ على غراسه، وما وقعَ لمانعِ زكاةِ الغنمِ، حيث عدا الذئبُ على غنمِهِ وأخذَ بقدرِ الواجبِ من بين ألفِ رأسِ غنمِ ملكِ الرجلِ، وغيرُ ذلك.

وفي رأينا، أن تلكَ النوازلَ ربما وَقَعَتْ مصادفةً، غيرَ أن في إذاعتِها ونشرها بينَ الناسِ ترهيباً وترغيباً لهم، للمبادرةِ لأداءِ ما يترتَّبُ عليهم. «فما ذهبَ مالٌ في برٍّ أو بحرٍ إلا سبَّه الزكاةُ، فلا يَلُومَنَّ أحدٌ إلا نفسهُ وهواه». (١).

- الواجب

والمقصودُ به: الواجباتُ الشرعيةُ للإمامِ عندَ الرعيَّةِ، وهي محصورةٌ هنا بالخُمسِ، ويلاحظُ أن مفهومَ مصطلحِ (الواجب) جاء مرتباً عندَ الإيراني في كتابه (الدرّ المنثور)، فيوردهُ مقروناً بواجبِ الزكاةِ، أو واجبِ العنبِ، أو واجبِ المواشي أو غيرِ ذلك، وقد جاءَ في كتابِ (عيون الأزهار في فقه الأئمةِ الأطهار)، فصلٌ: «في مَنْ يجبُ عليه الخُمسُ، فصلٌ في مصرفِهِ».

فالخُمسُ يجبُ على كلِّ غانمٍ في ثلاثة: الأول، صيدُ البرِّ والبحرِ وما استُخْرِخَ منهما، أو أُخِذَ مِنْ ظاهِرِهِما، كمعدنٍ وكنزٍ ليس لقطعةً، ودريةً وعنبرٍ ومسكٍ ونحلٍ وحطبٍ وحشيشٍ لم يغرَسا، والثاني: ما يُغَنَّمُ في الحربِ، ولو غيرَ منقولٍ، والثالثُ، الخراجُ والمعاملةُ، وما يُؤخَذُ من أهلِ الذمَّةِ (٢)، وأما

(١) انظر حول العديد من الحوادث والكوارث والنوازل، فصل كرامات الإمام، ق٦٤، ب.

(٢) عيون الأزهار، ١٤٥، ١٤٨.

مصرفه، فسهم الله للمصالح، وسهم الرسول للإمام إن كان، وإلا فمَعَ سهم الله، وأولي القربى الهاشميين المُحِقِّين، وهم فيه بالسوية ذكراً وأنثى، غنياً وفقيراً، ويُخصَّصُ إن انحصروا، ثم من المهاجرين، ثم من الأنصار، ثم من سائر المسلمين.

- الغنائم

الغنائمُ والأَنْفَالُ: وهي في الأساسِ الشرعيِّ ما استولى عليه المسلمون من أموالِ الكُفَّارِ بالقتالِ في ساحةِ المعركةِ من نقودٍ وذهبٍ وفضَّةٍ وجواهرٍ وسلاحٍ ومتاعٍ ومؤنٍّ وغيرها، وأمرها موكولٌ إلى الإمام، يتصرَّفُ فيها بالذي يرى أنَّه خيرٌ للإسلامِ والمسلمين، له أن يوزَّعَها، أو يوزَّعَ شيئاً منها على المحاربين الذين اشتركوا في المعركة، وإن رأى أن يَضَعَهَا في بيتِ المالِ؛ لتَنضَمَ إلى بقيةِ الأموالِ من الفَيْءِ والخِراجِ والجِزْيَةِ، لينفقَ منها على مصالحِ المسلمين، فعَلَّ (١).

وفي مثلِ حالةِ الحربِ الواقعةِ بينَ الإمامِ والأتراكِ، فالأساسُ الفقهيُّ فيها البغيُّ، والباغي عندَ الزيديةِ: مَنْ يُظْهَرُ أَنَّهُ مُحَقَّقٌ، والإمامُ مُبْطَلٌ، وحاربَ الإمامَ أو عَزَمَ على حربِهِ أو منعَ منه واجباً أو قامَ بما أمرُهُ إليه، وله منعةٌ، وحكمُهم جميعٌ ما مرَّ في فصلِ كتابِ السيرِ من عيونِ الأزهارِ (٢)، إلا أنَّ البغاةَ لا يُسَبَّونَ ولا يُقْتَلُ جريحُهم ولا مدبرُهم إلا إذا فئَتْ أو لخشيةِ العودِ كلُّكُلٍ مبغيٍّ عليه. ولا يغنمُ من أموالِهِم إلا الإمامُ وما أتوا به من مالٍ أو آلةِ حربٍ هي من غنائمِ الإمامِ (٣).

(١) زلوم، الأموال في الاسلام، ٤٠.

(٢) انظره في عيون الأزهار ٥١٧ - ٥٢٥.

(٣) عيون الأزهار، ٥٢٥.

ويزخرُ كتابُ الدرِّ المنثورِ بأخبارِ الغنائمِ، التي حازها أتباعُ الإمامِ من العثمانيين وأعاونهم، إبانَ المعاركِ التي خاضتها قوَّاتُ الإمامِ.

وَمِنَ اللَّافِيتِ لِلنَّظَرِ، أَنَّ ذَلِكَ النُّوعَ مِنَ الغنائمِ يَسْتَلْزِمُ صُدُورَ أَمْرٍ مِنَ الإِمَامِ مَبْشَرَةً أَوْ مِنْ قَادَةِ المِجَاهِدِينَ، لِلقِيَامِ بِالغَزْوِ، أَوْ بِالتَّعَرُّضِ لِإِمْدَادَاتِ القُوَّاتِ البَاغِيَةِ، وَكَأَنَّهَا فَتْوَى شَرْعِيَّةٌ بِجَوَازِ ذَلِكَ، بَعْدَ تَقْلِيْبِ الأَمْرِ مِنْ مُخْتَلَفِ مَنَاحِيهِ الفَقْهِيَّةِ. وَكَانَ الإِمَامُ المَنْصُورُ بِاللَّهِ يُعَيِّنُ مَنْ يَتَوَلَّى قَبْضَ تِلْكَ الغنائِمِ. وَمِنْ ثَمَّ التَّصَرُّفُ فِيهَا، وَفَقَّ وَجُوبُ صَرْفِهَا الشَّرْعِيِّ فِي مَعَارِكِ سَنَةِ ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م غَنِمَ أَتْبَاعُ الإِمَامِ أَسْلِحَةً وَبِنَادِقَ وَمُؤَنَةً مِنَ المَنْصُورَةِ^(١).

وَقَدْ حَرَّصَ مُؤَلِّفُ سِيَرَةِ الإِمَامِ، الفَقِيهُ الإِرْيَانِيُّ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ تِلْكَ الغنائِمِ الَّتِي حِيزَتْ بِمُوجِبِ أَمْرِ إِمَامِي، أَوْ تِلْكَ الَّتِي طَمَعَ البَعْضُ فِي الحِصُولِ عَلَيْهَا وَالَّتِي يَدْخُلُ بَعْضُهَا فِي بَابِ الغَضَبِ وَالنَّهْبِ، فَنَقَرُ فِي أَحْدَاثِ سَنَةِ ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م، المِشَارِ إِلَيْهَا أَنَّ الإِمَامَ وَجَّهَ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ المِطَاعِ إِلَى مَدِينَةِ ذِمَارِ، وَمَدِينَةِ بَرِيمَ لِقَبْضِ مَا فِي خَزَائِنِ التَّرِكِ مِنَ البِنَادِقِ الشَّيْخِشْخَانِ، وَالمُؤَنَةِ لِأَغْيَرِ، فَحَازَ السَّيِّدُ المَذْكُورُ ٧٣ قِصْبَةً أَي بِنْدُقِيَّةً وَ ١٢ بَغْلَةً وَفِرْسًا^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى، اتَّصَلَتْ بِمَدِينَةِ قَعَطْبَةَ، أُرْسِلَ حَسِينُ بْنُ يَحْيَى الشَّامِي إِلَيْهَا بِمُوجِبِ أَمْرِ الإِمَامِ، لِأَخْذِ مَا فِيهَا مِنَ البِنَادِقِ وَالأَمْوَالِ^(٣).

(١) الدر المنثور، ق ١٨ ب.

(٢) الدر المنثور، ق ١٤ ب.

(٣) المصدر السابق، ق ١١٩ أ.

وفي حوادث سنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م، أمر الإمام المنصور بالله قبائل بني جبر، وقبائل بني زهم بأخذ كلِّ المجلوبِ للأتراكِ من الغنمِ والسَّمَنِ، وأنَّ كلَّ ما وجدوه من النوعين مع الجالبيين له غنيمَةٌ للأخذين (٣).

وفي غزوةٍ أخرى، أرسلَ محمدُ بنُ المتوكلِ ستين رجلاً للقبضِ على الحمولةِ الواصلةِ من صنعاءَ للعجم، وقد غنموا ستةَ جمالٍ بحمولتها.

ولمَّا كانَ بعضُ أفرادِ القبائلِ يتشوقون إلى الغنيمَةِ، ولم تمكِّنهم الظروفُ الواقعةُ من سُرعةِ الاتصالِ بالإمامِ أو بأحدِ عمالهِ أو بأمرائهِ قوَّاته، فقد كانَ هؤلاءُ يتعرضون لإمداداتِ العدوِّ من سلاحٍ ومؤنِّ وغيرها، فيقعُ نهبُها، ومن ثمَّ يُبلِّغُ الإمامُ بذلك، ليطبَّقَ عليها الحكمَ الشرعي. أو أنهم يتنازعون فيما بينهم. فقد تلقى الشيخُ ناصر مبخوت الأحمر، شيخُ مشايخِ حاشد في ١٦ ربيع الآخر ١٣٠٩ هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٩١ م عيراً وبعالاً طلعت من تهامة، تحملُ القمَحَ والأثقالَ، فنهبَ منها ثمانيةَ جمالٍ بما عليها من الأحمال (٤).

وغيَّمَ بنو الصليحي مدفعاً في معركةٍ وقعت في ١٩ ذي الحجة ١٣١٥ هـ / ٣٠ أبريل ١٨٩٧ م، في قفلِ شمر، وكذا ١٢٠٠ بندقيةٍ، ومؤنةً وذهباً وأشياءَ نفيسةً أخرى. ولكنهم أوصلوا المدفعَ دونَ غيره من الغنائمِ لطرفِ الإمامِ، وقد فرِحَ الإمامُ بهذه الغنيمَةِ؛ لأنه كانَ أوَّلَ مدفعٍ يغنمُهُ المجاهدون من الأتراكِ، بالرغمِ من دفعِهِ لثمنِهِ لهم من بيتِ المالِ.

(٣) زبارة، محمد بن محمد، أئمة اليمن، ١٣٢/٢.

(٤) الدر المشور، ق ١٣٢، وثائق يمنية، ٢٤٤.

كما نُهِيتْ حمولةُ العَجَمِ من قِبَلِ الشَّيْخِ مسعودِ البارِقِ، ومحمدِ مبخوتِ عندَ غولةِ عَجِيبٍ، وجرى صِراعٌ على الغنِمةِ بينَ أهلِ بيتِ زودِ والمجاهدينِ، فقد وَقَعَتْ ولَمَّا يصدُرُ أمرٌ بها من قِبَلِ الإمامِ^(١). وفي حادثةٍ أُخرى، تلقَى المجاهدونَ بصحبةِ سيفِ الإسلامِ أهلَ الجلبِ الذي يجلبونَ المحتاجَ للأتراكِ من طعامٍ وغيرِهِ فأخذوه^(٢).

لقد شكَّلتِ الغنائمُ مصدرًا مُهمًّا من وارداتِ الإمامِ، وبقدرِ ما كانتِ تدفَعُ البعضَ لقتالِ الأتراكِ، فقد كانتِ - من ناحيةٍ أُخرى - مصدرَ شقاقٍ ونزاعٍ بينَ أفرادِ القبائلِ، تثيرُ كوامنَ عَدَمِ الرِّضا، والتي تصلُ في بعضها لمرحلةِ الاستعدادِ لمقاتلةِ بعضها البعضِ، لولا تدخلُ الإمامِ أو أحدِ رجالِهِ، من ذوي الحكمةِ والخبرةِ، لفضَّ أسبابَ النزاعِ والخصامِ.

- النذور:

والنذرُ في اللُّغةِ، الإيجابُ، ويعني إلزامَ النفسِ أمرًا، ومنهُ قولُهُ سبحانه: «إني نذرتُ لك ما في بطني» وفي الشرعِ، هو: أن يُوجِبَ العبدُ على نفسه أمرًا من الأمورِ بالقولِ فعلاً أو تركاً، من عبادةٍ أو صدقةٍ أو غيرِ ذلك. وكانتِ النذورُ المتصلةُ بالإمامِ تُرْسَلُ إليه، ومثاله: نذرُ حيدرِ بنِ حَسَنِ بنِ مَقْبَلِ فارِعِ، الذي نذَرَ للإمامِ بلبنةٍ في غولةِ الغشمِ في واديِ المحجافي من بلادِ آنسِ، وهي الأرضُ التي احتاجتِ للريِّ، بعدَ غرسِها، وانعدمَ الماءُ عنها بكلِّ الوسائلِ، ثمَّ لما توَسَّلَ بالإمامِ، كانَ أنْ جرى نهرٌ صغيرٌ في رأسِ أرضِهِ،

(١) الدر المنثور، ق ١٧٦.

(٢) الدر المنثور، ص ٢٤٩ من (الزيادة).

فكانَ الوفاءُ بالنذر^(١)، ومع أنْ ذَكَرَ النذيرَ محدودًا في كتابنا هذا، فإنَّ ما وردَ في الكتابِ من كراماتٍ منسوبةٍ ومرويةٍ عن كراماتِ الإمام، تجعلنا نميلُ إلى أنَّها كانت موجودةً، ويُمكن أن تُعدَّ من مصادرِ التمويلِ والتموينِ.

- المعونة:

وهي الأموالُ التي تُجمَعُ مِنَ الأهالي مِنْ حينٍ لآخرَ باسمِ معونةٍ أو معونةٍ جهادٍ، لِلصَّرْفِ مِنْهَا عَلَى الفِرَقِ العسْكَريَّةِ (حَقَّ الرتَبِ)، وقد تكونُ صَدَقَةً يقدِّمُها الأهالي بِمَحْضِ اختيَارِهِمْ ورضاهُمْ، يتقربون بها إلى الله، وينالون بِسببِها رضا الإمام، تدعمُها الآياتُ والأحاديثُ النبويَّةُ لِلبَدَلِ وتجهيزِ الغزاةِ في سبيلِ الله. وقد وردَ في (حولياتِ يمانية) أنَّ الوالي أحمدَ فيضِي جمعَ في مجلسِ الإدارةِ بصنعاءِ جماعةً كثيرةً من أهلِ صنعاءِ وأبلغَهُمْ: «أنا عَفَوْنَا عَمَّا مضى، ولكنَّا نعلمُ أنَّ المدعوَّ حميدَ الدينِ منكم ومذهبه مذهبكم جميعاً، والمؤنَّةُ تخرجُ إليه منكم، والبنادقُ نبتاعونها له، والكسوةُ من لديكم، والزكاةُ من عندكم، تُساقُ إليه» وحذَّرهُمْ من مغبَّةِ العقابِ الذي سينزلُ بكلِّ متعاونٍ مع الامام^(٢).

- الغرامات:

وهي المبالغُ التي تُفَرَضُ عَلَى القبيلةِ أو الجماعةِ، فُتُقَسَّمُ عَلَى جميعِ أفرادِها البالغين الراشدين، ومُسبَّبُها وقوعُ أحدِ الأفرادِ في خطإٍ ما، مثلِ القتلِ الخطأِ أو القتلِ المجهولِ قاتلهُ، في مكانٍ أَوْجَبَ القسامةَ ولزومَ الدِّيَّةِ. ولا تكونُ الدِّيَّةُ إِلَّا مَقْسَطَةً في ثلاثِ سنينِ، ومثَالُ ذلكِ ما فَرَضَهُ الإمامُ عَلَى أهلِ

(١) الدر المثور، ق ١٧.

(٢) حوليات يمانية، ٥٣٦.

جبل رازح في سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م بسبب وقوع نزاعٍ وشقاقٍ، فأغرَمَهُمُ الإمامُ دِيَّاتِ القتلى، وكانت عشرين ألفَ ريالٍ تُدْفَعُ على ثلاثِ سنين^(١).

ومنها الغراماتُ التي تَفْرِضُهَا الدولةُ على مَنْ يرتكبون بعضَ الذنوبِ، أو مَنْ يقومونَ بمخالفاتٍ للقوانين أو الأنظمةِ الإداريةِ والتنظيميةِ، فتؤخِّدُ من مانعِ زكاةٍ زيادةً عن الزكاةِ الواجبةِ؛ تعزيماً له لِرَدِّ الأموالِ^(٢).

ومع إدراكنا بأنَّ النوعَ الأوَّلَ من الغراماتِ والقسامَةِ إنما يكونُ مردودُها للوَرثةِ، فإنَّ للإمامِ شيئاً من المالِ مقابلَ قضاائه بينَ المتنازعينِ، وهي معَ النوعِ الثاني الذي تَفْرِضُهُ الدولةُ على المخالفينِ، يشكُّلُ وارداً مهماً من وارداتِ بيتِ المالِ للدولةِ.

وأخيراً، فإنَّ ما ورثَهُ الإمامُ المنصورُ باللهِ من الأموالِ التي كانت في بيتِ المالِ، عندما توفِّيَ الإمامُ شرفُ الدين بنُ محمدِ الحسيني سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م، كانت المصدَّرُ الماليُّ المُبَكَّرُ، الذي استعانَ به الإمامُ المنصورُ عندَ خروجهِ ونهضتِهِ.

أما الإدارةُ الماليَّةُ للإمامِ، فقد كانت تقومُ على تحريِّ الدِّقَّةِ في الإنفاقِ، وتفقدِ بيتِ المالِ، وتفقدِ المؤنَّةِ ومحاسبةِ الوكلاءِ، والنظرِ في جميعِ وارداتِ بيتِ المالِ.

وكانَ يقومُ على جبايةِ الإيراداتِ الماليَّةِ، جهازٌ إداريٌّ يقفُ على رأسِهِ الإمامُ، ويتبعُهُ مجموعةٌ من الوكلاءِ والقَبَّاصِ (الجباة)، والمخمَّنِينِ والعُدولِ.

(١) الدر المنثور، ص ٢٤٩ من (الزيادة).

(٢) زلوم، الأموال، ١٢٣.

والوكيل: هو الذي ينوب عن الإمام في القيام بالأعمال المالية، فقد كان الإمام يُنصَّب وكيلاً له في كُلِّ هجرة^(١)، يقومُ بالصَّرْفِ على الأتباع، فكانَ له وكلاء في حوث والأهنوم وشهارة ووادعة وغيرها. ويُناط بهؤلاء الوكلاء تسلمُ الصَّدَقَاتِ، ومن ثمَّ الصرفُ. فقد أرسلَ الإمامُ الوكلاءَ لتقسيمِ المصروفِ لحاشد وبيكيل، فناصر اليماني كان وكيله في مغرب عنس لتقسيمِ المَصْرَفِ والمُحتاجِ^(٢) وعبدالله بن يحيى، أبو منصر كان وكيلاً للصرف في حاشد. أما القابضُ أو القَبَّاضُ، فهو الموظفُ الذي يمرُّ على المزارعين في موسمِ الحصادِ، لقبضِ ما عليهم من أموالٍ مطلوبةٍ ترتبتْ وَفَقَّ النصوصِ الشرعية، ويُسمى أحياناً بالجابي، وهذه الأموالُ تكونُ قد تعيَّنتْ قَبْلَ ذلك من قِبَلِ المُخْمَنِينَ بشهادةِ العُدولِ. ولَمَّا كان المَخْمَنُ هو مَنْ يقولُ بالحدسِ - والتخمينُ يدخلُ في معنى الوهمِ والظنِّ، وقد يقع فيه الإجحافُ، ويدخله شيءٌ من الإرجافِ - فقد اشترطَ الإمامُ لوجوبِهِ شهادةَ العُدولِ على مصداقيةِ التخمينِ، ويُعدُّه عن الظلمِ والإجحافِ بحقِّ المترتِّبِ عليه، والعَدْلُ هو الشاهدُ الذي تتوفرُ فيه الشروطُ المؤهِّلةُ للشهادةِ فيما بينَ الناسِ، وهي أن يكونَ مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسبابِ الفسقِ وخوارِمِ المروءةِ، متيقِّظاً،

(١) الهجرة: المكان الذي يهاجر إليه الفرد ليكون آمناً على دينه ونفسه، وقد تكون لتلقي العلم، وتكون مركزاً لجذب العلماء والطلاب، وتكون للهجرة الكثير من الحقوق والواجبات، حول المصطلح انظر: يوسف عبدالله، مدونة النقوش اليمنية، مجلة الدراسات التاريخية، ٤٧ - ٧٥، وثائق يمنية، ٢١٦ - ٢٢٢ محمود الغول، مجلة الحكمة، ٤٣.

(٢) الدر المثور، ق ٢٧، ب، ق ٣٩، ق ١٧٦.

غير مغفلٍ ، ضابطاً إن حَدَّثَ أو كَتَبَ^(١) .

ويبدو أن ظروفَ الحربِ التي كانَ يقودُها الإمامُ، كانت تمنعُ من تحقيقِ العدالةِ المُطلَقةِ في تقديرِ الأموالِ المترتبةِ على الغُروسِ والثَمَارِ وقتَ حصادِها، وفي مواسِمِها، ولذا حرصَ الإمامُ على تحقيقِ أكبرِ قَدْرِ منها، فاشترطَ وجودَ الشَّهودِ العُدولِ عندَ القيامِ بالتخمينِ، ومعَ ذلك، فقد وقعتْ بعضُ المخاصماتِ بسببِ ذلك، منها أنَ المخمَّنَ قَدَّرَ قَدْحَيْنِ ونصفاً زكاةً على غِرَاسِ السيدِ ناصرِ جيَّاجِ من ساداتِ عُربانِ، فأبى إلا أنَ يُسَلِّمَ قَدْحاً، ولذا تخاصمَ هو والعدولُ بسببِ ذلك، ثمَّ ما عتِمَ أنَ سلَّمَ القدحينِ بعدَ حادثَةٍ وقعتْ له في منامِهِ، ولعلَّهُ تيقَّنَ من عدالةِ ذلكِ التخمينِ^(٢) .

ومن ناحيةٍ أُخرى، فإنَّ الإمامَ كانَ حريصاً على تنميةِ موارِدِهِ الماليَّةِ الذاتيةِ: فكانَ يأمرُ بِشراءِ الأغنامِ والجِمالِ، لتوفيرِ اللُّحومِ لأتباعِهِ، ويؤكِّلُ أمرَ العنايةِ بها لفئةٍ من الأتباعِ . ففي شعبانَ من سنةِ ١٣١١هـ/ يناير ١٨٩٥م، وصلتْ إلى مقامِ الإمامِ بالقفلةِ أغنامُ التاجرَيْنِ: البورعي وجياشِ، وعددها ٣٩٧ رأساً، وكانَ الإمامُ قد مَنَعَهُما من سَوِّقِها من بلادِ صعدةِ إلى الأتراكِ بصنعاءَ، وسلَّمَ لهما ٩٥٠ ريالاً ثمناً لها، وهو بهذا يحاصرُ الأتراكِ اقتصادياً ويمنعُ وصولَ مؤنةِ اللُّحومِ لهم^(٣) .

كما ذهبَ الإمامُ، في مجالِ تنشيطِهِ للتجارةِ إلى أنَ جدَّدَ مَنَحَ

(١) حسن الباشا، الفنون ٧٧٤ .

(٢) انظر حوادث سنة ١٣١٦هـ .

(٣) أئمة اليمن، ١٣٤/٢ .

الامتيازات والتسهيلات لأولئك التجار، الذين سبق تعاملهم مع الأئمة، مقابل التزامهم بالصدق والأمانة وحسن المعاملة مع الجلاب، الذين كانوا يحضرون تجارتهم إلى صنعاء، من قبلي ورعوي وبدوي، ويسلمونها للدلالين، ففي رسالة تاريخها شهر صفر ١٣١٨ / مايو ١٩٠٠م بعث بها الإمام إلى بيت الربيدي، وهم أحد البيوتات المعروفة في صنعاء، وقد عرف عنهم اشتغالهم بالتجارة، وكان بأيديهم إقرارات من قبل الأئمة السابقين، باعتمادهم كوكلاء في صنعاء لمصدري بضائع المشرق، حيث يتسلمون البضائع من الجلاب من أهل الريف، ثم توزع على تجار التجزئة أو المستهلكين، يطلب إليهم الإمام في هذه الرسالة أن يشتهروا بحسن المعاملة والسيرة الحسنة، وأن يعطوا الحق لأصحابه، فيدفعوا للموردين أثماناً بضائعهم، وبالمقابل فيسظلون محتفظين باستقبال تجارة المشرق من ملح وغيره باعتبارهم دلالين لتلك التجارة الراجعة، فقد جاء في الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

ختم: أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين

بيت الربيدي^(١)، الساكنين بصنعاء: قد نبه وتقرر بأنهم ممن سبقت لهم العناية التامة، والابتلاء الحسن في مواطن الجهاد، وبذل الأموال والأنفس في سبيل رب العباد، مع الأئمة الأطهار - رضي الله عنهم - لأجل ذلك

(١) ورد في حوليات يمانية، ٤٧٠ أن الحاج سعد الربيدي، كانت تصل إليه حُمولة الملح، ينقصها في بيته، وكان كل ما وُضِعَ طعاماً جيد أخذه له، وهو الذي يجمع ويخزن الحنطة والسمن للأتراك «المتقنطر لهم الحنطة والسمن».

جعلوا بأيديهم موضوعاتٍ تشهدُ لهم بذلك، مع ما أكدوا من حُسنِ الرعاية والتبجيل والاحترام لهم ولخلفهم، وجعلوا لهم عوايدَ على الحمائلِ المشرقية، الواردِ بها البدوُ إلى صنعاء، من ملحٍ ونحوه، وذلك إلى مقابلِ دلالةٍ، وحفظِ مالِ الجُلابِ، وقبضِ الثمنِ من المشتري بمشروطٍ عليهم: حُسنُ المعاملةِ والسيرةُ الحسنة، وإيفاءُ الجُلابِ بثمنِ مجلوبِهِ، ومهما داموا على هذه الشروطِ، دام الجلبُ إليهم، وعلى العاملِ ضبطُ الجلابِ على التوقفِ على هذا، ومنعُ كلِّ معارضٍ لبيتِ الرُبَيْدي في معاشِهِم هذا، وهذا بعدَ الإطّلاعِ .

بتاريخه شهر صفر سنة ١٣١٨ .

كانَ الإمامُ يعتمدُ في تمويلِ وتموينِ وتسليحِ قوَّاتِهِ على المصادرِ التي ذكرناها سابقاً، وفيما عدا ذلك فكان يشتري ما يلزمُ قوَّاتِهِ من بيتِ المالِ من أي جهةٍ تصنعُ أو تبيعُ له السِّلاحَ والمؤنَ. ويلاحظُ أنَّ الأسلحةَ الخفيفةَ البيضاءَ من سيفٍ وسكِّينِ (جنبية) وما إليها كانَ أمرُ الحصولِ عليها سهلاً ومتوفراً. فقد عرَفَتِ اليمنُ وما زالتِ كيف تحافظُ على تلكَ الصناعةِ المحليَّةِ: فالسيوفُ اليمانيةُ والجنبياتُ اليمانيةُ أمرها مشهور، وفضلُ إتقانِ صنَّعَتِها معروف. أما المَرْتُ^(١) (البنادقُ بأنواعِها، الشيخشان)^(٢)، والمَرْتُ السلطانيُّ، أي العثمانيُّ، والبنادقُ الفرنسيةُ^(٣) المعروفةُ في اليمنِ «بأبوسك» فقد حصلتُ عليها القوَّاتُ اليمانيةُ، إمَّا من الغنائمِ، أو بالشَّراءِ، ففي بدايةِ

(١) الدر المثور، ق ٦٦.

(٢) الدر المثور ق ٧٠، ب.

(٣) المصدر السابق ونفس الورقة.

التحضير لبدء النهضة والخروج ، أرسل الإمام بدرهم إلى مكة صحبة الحاج علي بن محمد ليشتري بها رصاصات وجمالاً، فاشتراها من الحرجة، ودخل الحجاز ثم عبر طريق عقبة مخايل، حتى وصلت إلى قفلة عُذرا^(١)، ومعروف أن الرصاص للبنادق، والجمال للحمل والانتقال، في تلك المناطق الوعرة الصعبة المرتقى.

ويتضح لنا من خلال الوثائق حرص الإمام على التزامه بعدم الاستعانة بالإفرنج الكفرة ضد البغاة والظالمين من المسلمين، كما يدعوهم الإمام وأتباعه، وذلك حين استقبل الإمام الفقيه عبد الله بن علي الحضورى، وهو صديق الإمام وجاره، مُرسلاً من قبل الكاشف نامق في ربيع الآخر سنة ١٣١٠هـ / أكتوبر ١٨٩٢م بدعوى الزيارة والاشتياق.

في الحقيقة كانت الزيارة لتفقد حال الإمام، ولمعرفة: هل معه أو عنده إمدادات من الأجانب، ذلك أن الأتراك وأعاونهم كانوا يتحدثون عن إمدادات في السلاح والأموال، وصلت إلى الإمام من الإفرنج، وذلك لتبرير ما حل بهم بعد الانتصارات التي حققتها قوات الإمام على الأتراك، وعاد الفقيه الحضورى وقد تبين بطلان تلك الأقاويل. ولكن عادت تلك الإدعاءات مرة أخرى بل أكثر انتشاراً، إثر معارك رمضان من سنة ١٣١٦هـ / يناير ١٨٩٩م، والتي ظهرت فيها البنادق الفرنسية عند القوات الإمامية، وكان أن كلف عبد الله باشا، الياورى علي بن مثنى الحسيني، لمعاودة الكتابة إلى الإمام طلباً للصُلح، وهدفه، كشف حقيقة الإمدادات الفرنجية وعلى الخصوص، البنادق الفرنسية، ولذا بدأ الياورى رسالته إلى الإمام بعبارات، جاء فيها: «أنه وقع

(١) الدر المشور، ق ١٦.

سفكُ الدِّماءِ حتى بلغت القتلى إلى المليوناتِ، وإن التشويقاتِ والمعوناتِ من بعضِ القراناتِ، ويقصدُ بذلك ممالكَ الفرنجةِ: فرنسا وبريطانيا وإيطاليا، والمقصود هنا فرنسا - من بابِ تفریقِ شملِ المسلمين^(١).» .

وهذه الإشارةُ - بلا شك - قُصِدَ بها البنادقُ الفرنسيةُ، التي استعملتْ في أوائلِ سنةِ ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م والمسماةُ «بأبوسك» وأن الإمامَ قد حصل عليها من الفرنسيين» ومما أثارَ حميَّةَ الإمامِ واستفزَّه أنهم، - أي العثمانيين - قد روجوا تلكَ الأخبارَ وأشاعوها في البلادِ، الأمرُ الذي دفعَ كاتبَهُ الإيراني لتوضيحِ كيفيةِ الحصولِ عليها، وذلك أنَّ الحربَ التي وقَّعتْ بينَ الدولة العثمانية واليونان سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م، سبقها الإعدادُ من قِبَلِ اليونانِ، ومؤازرةُ الدولِ الفرنجيةِ التي أمدَّتْهم بالبنادقِ والسِّلاحِ انتظاراً للحظةِ الثورةِ على الدولةِ العثمانيةِ. ولما هُزِمَ اليونانُ، وصلَ جماعةٌ منهم إلى ساحلِ عدن، ومعهم البنادقُ الفرنسيةُ، ومن ثمَّ أُجِّلوا إلى ساحلِ بحرِ فرنسا، وهناك صاروا يضبطونَ البنادقَ ويخرجونها معونةً للبدو، الذين كانوا يحاربون الدولةَ العثمانيةَ، ومن هؤلاءِ اشترتْ بعضُ القواتِ الإماميةِ - وخاصةُ الأتباعِ - البندقيةَ الفرنسيةَ بعشرةِ رياتٍ، ومعها ثلاثونَ معبراً، أي رصاصة، وأما في قُرْضةِ عدن، فقد ابتاعَ رجالُ الإمامِ البندقيةَ بخمسةِ رياتٍ، ومع كلِّ بندقيةٍ صندوقُ رصاصٍ فيه ٢٠٠ حبةً، ذلك أنَّ اليونانيين المُرَحَّلِينَ إلى ساحلِ بحرِ فرنسا كانوا بحاجةً إلى الأموالِ، لمواجهةِ مُتَطَلِّباتِ المعيشةِ في تلكِ المنطقةِ الجديدةِ، وكانتْ تلكَ البنادقُ تفوقُ في فِعْلِها وتأثيرِها البنادقَ السلطانيةَ، لهذا، صارَ الأتراكُ يتبرِّمونَ منها، وينشرونَ الأقوالَ عن وصولِ

(١) انظر وثائق يمنية، ١٤٥.

الإمدادات للإمام وقبوله الاستعانة بالكفار ضد المسلمين، وليس الأمر كذلك - كما اتضح - وذلك أن سلطان لحج، كان مُشْتَبَهًا فيه في مرحلة من المراحل، من قِبَل الأتراك، أنه كان يستورد الأسلحة التي كانت تُرْسَلُ إلى الإمام، وكان السلاح الفرنسي - الذي أُشير إليه - من نوع القرايينة، وهو يُشْبِهُ بندقية (الشيخشان) الصغيرة، والعرب قادرون على إعادة تعبئة الخراطيش، ومعايير الذخيرة في البيوت. ويُلاحظُ أن سوق شراء السلاح كان يقع في منطقة رأس العري، التي تقع إلى الغرب من عدن. أما (المَرْت) فهو من نوع مارتين هنري Martine - Henry rifle .

وعلى كلِّ حالٍ، فإنَّ كافة المصادر المالية والتمويلية والتسليحية لم تكن كافيةً لمواجهة الأعباء والمتطلبات، التي تستوجب مواصلة الحرب، فقد كانَ عدمُ كفايتها من جهة، والنقصُ الحاصلُ فيها من جهةٍ أخرى، وراءَ عَدَمِ تحقيقِ نصرٍ حاسمٍ لقوات الإمام، بل إنَّهُ وَجَدَ نفسه في بعض الأحيانِ يَجُوبُ الجبالَ والوديانَ، ويعاشِرُ الوحوشَ ويأنسُ بالحيوانِ وهذا كُلُّهُ، نتيجةً لعدةِ عواملٍ، سنناقشها في مكانها من الدراسة، إلا أن مصادر التمويلِ والتمويلِ والتسليحِ كانتِ مِنْ أهمِّها.

المطلب الثالث:

الاستراتيجية العسكرية للقوات الإمامية:

اعتمدت القوات الإمامية في حروبها كافة الوسائل المعروفة في حروب التحرير، بحيث كانت تجعل القوات المعادية في حركة دائمة، لا تعرف الراحة أو الاستقرار، فقد جمعت استراتيجية الامام بين وسائل حرب العصابات، وبين حرب الجيوش النظامية، فكان الإمام وقادته من مقدمين

ونقباء يتشاورون قُبيلَ كلِّ موقعةٍ، ويضعون الخُطَطَ المتوافقةَ مع ظروفِ وطبيعةِ الموقعةِ، وما وَرَدَ في مخطوطنا يدعُمُ ما ذهبنا إليه. فحينَ أُرْسِلَ المقدَّمي أحمدُ بنُ محمدِ الوزيرِ إلى جبلِ اللوزِ في رجبِ سنة ١٣١٤هـ كانتِ تعليماتُ الإمامِ إليه أن يقتصرَ على مضايقةِ العدوِّ من بلادِ خَوْلان^(١)، ولما رافقَ أحمدُ بنُ محمدِ الحديريِ الإمامَ إلى جبلِ عانز، اقتصرَ دورُ القواتِ على شنِّ الغاراتِ الخاطفةِ وقطعِ الطرقاتِ^(٢)، وحتى عندما انتقلَ الإمامُ إلى القُطبينِ قَريبَ القفلةِ، ودخلَ العجمُ القفلةَ، وارتحلَ الإمامُ إلى الفيش، وخرجَ منها، لأنها ليستُ آمنةً، قامتِ القواتُ الإماميةُ بمناوشهِ الأتراكِ من جبلِ عَيْشانَ بصورةٍ مستمرةٍ^(٣)، وكانتِ وسيلةً قطعِ الطرقِ والمسالكِ، استراتيجيةً ثابتةً لدى القواتِ الإماميةِ، سواءً في البرِّ أو البحرِ، فإذا ما وصلتِ الإمداداتُ من البحرِ اعترضتها القواتُ الإماميةُ، لتحوّلَ دونَ وصولِها.

والتلغرافُ، الذي كانتِ الأخبارُ تصلُ بواسطتهِ في لحظةٍ، بعدَ أن كانَ الأمرُ يقتضي ستةَ أشهرٍ لتصلِ الأخبارُ إلى استانبول، هذا التلغرافُ كانَ كثيراً ما يُسببُ الضيقَ للقواتِ الإماميةِ، لذا جعلوه هدفاً لهم. فقبائلُ خَوْلانِ أمِرتُ في حصارِ صنعاءِ سنة ١٣٠٩هـ بقطعِ التلغرافِ، وفي حروبِ الحيمةِ الداخليةِ قُطِعَ التلغرافُ أيضاً، ولتعطيلِ وسيلةِ الاتصالِ حتى أن الإمامَ كانَ يقدِّمُ المكافآتِ الماليةَ لِمَن يقومُ بقطعِ خطوطِ التلغرافِ، واحضارِ ما يمكنُهُ مِن خيوطِهِ وآلَتِهِ، فقدَ كافأَ رجالَ أرحبَ حينَ نجحوا في قطعِ خيوطِ التلغرافِ

(١) الدر المنثور، ق ٥٢ب.

(٢) الدر المنثور، حوادث سنة ١٣٠٩هـ، وقعة وادي علي في الحيمة.

(٣) الدر المنثور، ق ٣٩أ.

من حولِ صنعاء سنة ١٣١١هـ وقد استمرَّ قطعُ خطوطِ التلغرافِ مِنْ قَاعِ سُهمانَ ببلادِ البستانِ غرباً من صنعاءِ إلى المصبانيةِ، التي بالقربِ من سورِ صنعاءِ تحتَ جبلِ عصر، ويبدو أنَّ الأتراكَ قد أدركوا ضَعْفَ خطوطِ التلغرافِ القائمةِ على أعمدةٍ خشبيةٍ، فقاموا باستبدالِ هذه الأعمدةِ الخشبيةِ بأخرى حديديةٍ، ومع ذلك، فقد دأبَ رجالُ القبائلِ على تحطيمِ أعمدةِ الحديدِ وخاصةً رجالَ أرحب، حتى ليظنُّ الباحثُ وكأنَّ هذه المهمةَ قد أُوكلتْ لهؤلاءِ الرجالِ فحسب^(١).

ويلاحظُ في التقريرِ الذي رفعه عبدُالرحمنِ بنُ الياسِ المدني أنه أوصى بتغييرِ خطِّ مسارِ التلغرافِ، فقد أوصى بأن يُمدَّ التلغرافُ مِنَ اليمنِ، من مدينةِ صنعاءِ إلى عسيرٍ، ومنها إلى الطائفِ، ثمَّ إلى المدينةِ المنورةِ، أي مِنَ اليمنِ وإلى الحجازِ فالأستانةِ، وكأنه كان يُحدِّرُ من مغبَّةِ الاستماعِ أو التنصُّتِ، أو التقاطِ البرقياتِ المُرسلةِ من اليمنِ إلى استانبولِ، مع ما في ذلكَ من محذورِ درايةِ الإمامِ بما يصدرُ عن القواتِ العثمانيةِ في اليمنِ.

- ولجأتِ القواتُ الإماميةُ إلى دسِّ القنابلِ المتفجِّرةِ، وفتائلِ البارودِ، لإحراقِ المراكزِ العثمانيةِ. ففي وقعةِ بيتِ ماطر، أحرقوا بالبارودِ بيتَ الحسيني، مركزَ العثمانيين، وفي وقائعِ سنة ١٣١١هـ، أحرقَ بعضُ رجالِ أرحبِ القلعةِ، التي عمرها الأتراكُ فوقَ القُطْعِ المعروفِ خارجَ حصنِ كوكبانِ شبام، كما أُحْرِقَتْ بالبارودِ دارُ الحكومةِ، التي فيها عاملُ الأتراكِ على بلادِ

(١) حول قطع التلغراف، انظر، حوادث سنة ١٣٠٩، أئمة اليمن، ١٣٢/٢، وق ١٤٩-ب، من الدر المنثور.

الحيمة، ومثل ذلك وقع في دارٍ أحدِ قادة الأتراك في بئر العزب، الكائنة بالقرب من مسجد توفيق وكذا دار الحكومة، التي كانت مقرّاً للقاضي الحنفي في ميدان قصر صنعاء غربي جامع البكيرية، وتم كذلك إحراق مركز الاتصالات التلغرافية الكائنة جنوبي حمام الميدان، وغربي قصر صنعاء، وتم إحراق دار الحكومة في زراجة، مركز ناحية الحداء، ودار الأجزخانة، دار الدواء، الكائنة شرقي مسجد حجر، وجنوبي حمام المتوكل المعروف بصنعاء، وكان فيها جملة من الأدوية والعلاجات الطبية.

وكانت القوات الإمامية تترصد الأماكن التي يُقيم فيها قادة الأتراك، فيحتالون للوصول إليها ونسفها على من فيها، فقد نجح أحد رجال الإمام في التسلّل إلى سمسرة تعود إلى صاحب وعلان، علي يحيى - الذي بات فيها محمد بن حسن بن صلاح فايع، مدير سنحان من قبل الأتراك، وصحبه جماعة من عُقال وعلان وضبطية وأتراك - حيث أظهر الرجل أن ما يحمله حمّاه إنما هو وقر حب، وفي حقيقة الأمر كان وقر بارود، ومن ثمّ نسف السمسرة على ما فيها، حيث هلك أكثر من ٣٥ رجلاً، وما في السمسرة من دواب: بغالٍ وغيرها تعود إلى الأتراك وأعوانهم^(١).

- ومن ناحية أخرى، فإنّ الإمام أجاز لأتباعه الفتك بأعوان الأتراك والذين يغدرون بقواته، حيث استند على فتوى تُبيح قتل المُضرم من أعوان الظلمة، فقد أصدر الإمام أوامره بقتل ابن قنبح، باعتباره فاسقاً مرتدّاً، وكان قد وصل

(١) حول النسف والتفجير والاحراق، انظر، ق ٣٥ب، أئمة اليمن، ١٣٢/٢ - ١٣٣، ١٧٩-١٨١، و٥٥ب - ٥٦أ، من الدر المشور

إلى طَرْفِ الإمام مظهرًا للتوبة، وأقامَ عنده مَدَّةً، حتى إذا كانت وقعةُ جبلِ اللوز، أخذَ بندقاً وهربَ إلى طَرْفِ الأتراكِ، وقد جَدَّ الإمامُ في طَلْبِهِ حتى ظفِرَ به محمدُ بنُ عبدِاللهِ بنِ الإمامِ، وقتلَه، وطلبَ إلى رجالِه قتلَ بعضِ السادةِ، أمثالِ محمدِ بنِ محمدِ جفمانَ، الذي كانَ يُنَاصِبُ الإمامَ العداةَ ويتناوَلُهُ بالسوءِ في أحاديثِه، ويحرِّضُ ضدَّ القواتِ الإماميةِ، وقتلَ ابنَ ناشرِ الذي خادَعَ القواتِ الإماميةَ في معاركِ سنةِ ١٣١٧هـ^(١)، وفجرتِ قواتُ الامامِ دارَ صالحِ متاش، ودارَ محمدِ بنِ محمدِ الحيميِ الصنعانيِ، الكائنةَ شرقيَّ مسجدِ معاذ، وكانَ يبيتُ فيها الشيخُ أحمدُ دهاق من قريةِ تنعم ببلادِ خولانَ، وكانَ يُنسَبُ إليه الإضرارُ بأهلِ محلِّه^(٢).

ويَتَضِحُ أنَ قادةَ الأتراكِ قد هزَّتْهُمُ تلكَ التفجيراتُ، مما دعا أحمدَ فيضي لأنَ يقولَ: «إنا مسلمون وأنتم مسلمون، كيف تصنعون بنا يا معاشرَ العربِ!، وقيل له رداً على ذلك «إنَّ مدافعكم هذه لا يجوزُ أن يُقاتَلَ بها المسلمون، وإن العربَ لما رأوا مدافعكم، قابلوها بهذه المكيدهِ جزاءً وفاقاً»^(٣).

وحتى الميأه، فقد لجأ أتباعُ الإمامِ إلى تسميمِها بأمرِ الإمامِ، فأهلُ السُّنَّتينِ فعلوا ذلكَ ضدَّ القواتِ العثمانيةِ في ولايةِ أحمدِ فيضي^(٤)، عندما اتخذَ من الفتكِ والتنكيلِ بأهلِ اليمنِ سياسةً رادعةً.

(١) حول ملاحقة أعوان الأتراك، انظر، حوادث سنة ١٣١٦هـ.

(٢) أئمة اليمن، ١٨١/٢، ١٤٢/٢، ق ٥٥ - ٥٦، من الدر المنثور.

(٣) الدر المنثور، ق ٣٥.

(٤) الدر المنثور، ق ٣٧.

وبالإجمال، فإن القوات الامامية اتخذت مبدأ إيجاد القاعدة الآمنة لتنتقل منها في مهاجمة القوات المعادية ومحاصرتها. وإن لم يكن ذلك ممكناً لجأت إلى حروب العصابات، وإيقاع الخسائر الفادحة بصورة مستمرة متواصلة بالقوات المعادية، لتجبر القوات العثمانية على الحركة الدائمة، تثير الغبار من تحت أقدامها دوماً، لا تترك لها مجالاً للاستراحة أو تعطيها الفرصة لاعادة تنظيم وجمع صفوفها.

وبالرغم من اتخاذ القوات العثمانية الإجراءات الوقائية للحد من هجمات القوات الامامية، مثل: مضاعفة الدوريات في صنعاء، من العساكر النظامية العثمانية، وسد منافذ الدخول والخروج إلى المدن، وخاصة في صنعاء، واعتقال وحبس أهالي المناطق المجاورة للمراكز العثمانية، فإن هذه الاجراءات لم تفلح في إنهاء أو الحد أو التقليل من الهجمات الامامية الخاطفة.

هذا، وقد وقفنا عند مصطلح، كثيراً ما جاء في ثنايا الممتن، وفي الوثائق الامامية بصفة خاصة، والكتابات اليمانية بصفة عامة، وهو مصطلح «الرتبة». ففي وثيقة يمنية يعود تاريخها إلى شهر محرم الحرام سنة ١٢١١هـ، ترد عبارة «وكذلك المعونات، وحق الرتب». وقد ذهب ناشر الوثيقة إلى تفسيرها بالفرق العسكرية^(١)، ويبدو أن التفسير كان عاماً، فمن خلال دراستنا للكتاب الذي نشره، ورد المصطلح كما يلي:

في حوادث سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، المتصلة بواقعة الحقيبة من بلاد

(١) وثائق يمنية، ١٢٨.

عُتْمَة، استدعى الشيخُ صالحُ بنُ يحيى الأسدي من الإمام «ترتيب القلعة»، وإرسالَ المقدمي، لإقامة الحقِّ في بلادِ عُتْمَة، وأضاف مؤرخنا عبارةً توضيحيةً هي: «والشيخُ صالحُ وقرابتهُ وأسلافُه رتبةُ القلعةِ في الدولةِ القاسمية». فإذا عرفنا أنَّ الدولةَ القاسميةَ كانت في اليمن من سنة ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م - ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م، أدركنا عندها أنَّ أسلافَ الشيخ - صالح بن يحيى الأسدي قد توارثوا هذه الوظيفةَ وامتيازاتها لأكثرَ من ثلاثةِ قرونٍ هجريةٍ^(١).

وفي حوادثِ شوال ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م وحين وصلَ الشيخُ عبدُالعزیز الشحرةُ، صاحبُ حصنِ حب، راغباً في نصرةِ الإمامِ، اشترطَ الإمامُ عليه رضی بقیةِ رتبةِ الحصنِ من بني الشحرة^(٢).

وفي أحداثِ رجب ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م وردت عبارةُ رتبِ الإمامِ شُهارةً، ومثلها في رمضان ١٣١٧هـ-١٨٩٩م أرسلَ الإمامُ إلى حصنِ الطيلي «عسكراً ورُتْبَةً»^(٣). وكثيراً ما تردُّ عبارةُ «رتبوا»^(٤) أو «رتب المجاهدين»^(٥)، أو «رتبِ المقدمةِ المعروفةِ في حصنِ شُهارة»^(٦) أو «رتبوا البلادَ»^(٧) وفي غيرها «أطلق بعضُ الحصونِ لرتبةِ الإمام»^(٨).

(١) الدر المثور، ق ٤٧-أ.ب.

(٢) الدر المثور، ق ٤٥.ب.

(٣) الدر المثور، ق ٨٨.أ.

(٤) نفس المصدر، ق ٦٠.

(٥) انظر حوادث رجب ١٣١٩هـ.

(٦) الدر المثور، ق ٥٠.أ.

(٧) المصدر السابق، وقائع البلاد الانسية. (٨) الدر المثور، ق ٨٦.أ.

ويُنْفَهُمُ من تحليلِ الإشاراتِ السابقة أن الرتبةَ كان يُقَصَّدُ بها الفرقُ العسكريةُ التي أنيطَ بها أمرُ الدفاعِ عن القلعةِ أو البلدةِ أو الحصنِ، وقد جُعِلَتْ لهذا الغرضِ مقابلَ امتيازاتٍ تُجْعَلُ لها، ففي ترتيبِ الإمامِ لشُهارةٍ في رجبِ ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م جعلَ فيها الإمامُ ما يحتاجُ إليه الرتبةُ لمدةِ ثلاثِ سنينَ، فقد شَحَنها بالحبوبِ والملحِ والحطبِ والقشِرِ والسليطِ والمؤنةِ وغيرِ ذلكِ من المحتاجاتِ من زبيبٍ وتمرٍ. ورتَّبَ فيها بنحوِ أربعِ مئةِ نفرٍ، وفي شُهارةِ الفيشِ بنحوِ مئةِ نفرٍ^(١)، فإذا أَضَفْنَا إلى ذلكِ وجودَ الماءِ بكثرةٍ في شُهارةٍ ثمَّ وعورةَ المنطقةِ وصعوبةَ المُرتقى إلى الحصنِ، أدركنا عندها أن هذه الرتبةَ إنما كانتِ مُعدَّةً للدفاعِ عن الحصنِ أو غيره، بمعنى أنها كانتِ قواتٍ دفاعيةً ثابتةً، مهمتها الأساسيةُ الحفاظُ على الموقعِ، وعدمُ تمكينِ العدوِّ منه، بِحُكْمِ أهميتهِ العسكريةِ الاستراتيجيةِ.

وفي حالةِ الشيخِ عبد العزيزِ الشجرة، كانت الرتبةُ في بني الشجرة، فطلبَ الشيخُ عبد العزيزِ من الإمامِ جُعلاً، يكون لرتبةِ الحصنِ، فاستجابَ الإمامُ، وشَحَنَ الحصنَ بالزادِ والمؤنةِ، وحتى الدراهمِ، وقد بعثَ بها مع حمادِ الروضي، والقاضي عليِّ بن محمد الخباني، اللذين أمرهما بأن يجمعا محتاجِ الحصنِ من الحبِّ والمؤنة^(٢).

وأما في الحالاتِ الأخرى، فحينَ محاصرةِ معقلِ صُورَانَ وأسرِ القائمقامِ محمدِ رؤوف، وأحمدِ آغا وجماعةٍ، فإنَّ أهلَ البلادِ الأنسيةِ، أظهروا الطاعةَ

(١) الدر المشور، ق ٦٨ ب.

(٢) المصدر السابق، ق ٤٥ ب.

ورُتّبوا البلادَ.

وحين نجحت القواتُ الإماميةُ بقيادة سيفِ الإسلام، محمد بن المتوكل، في قتل ابنِ نَاشِر في جمادى الأولى سنة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م في بلادِ السُودَة، أعلنوا التَّوْبَةَ، واستقرتِ البلادُ هناك، وأُطلِقَت بعضُ الحصونِ لرتبةِ الإمامِ وأظهروا الانقيادَ، وتخلّى عن البلادِ، ورُقِمَت على ذلك الموائيقُ^(١).

وفي مرّاتٍ أخرى، فإنَّ المُقدِّمي، عبد الله بن يحيى، أبا منصر، رتّبَ المجاهدين، وقسّمهم على العنوتِ. وفي حصارِ صنعاء جرى ترتيبُ القبائلِ، كلُّ في مكانٍ مخصّصٍ له.

وهناك إشارةٌ لافتةٌ للنظر، اتّصلتْ بإصلاحِ الأحوالِ في شُهارةِ سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، فبسببِ ما وقعَ مِنَ الظلمِ من سادةِ شُهارةٍ، وما وقعَ بينهم من سفكِ دمائٍ، فقد أمرَ الإمامُ بترتيبِ المُقدِّمةِ المعروفةِ في حصنِ شُهارةٍ، وهي قصبَةٌ فوقَ بابِ النصرِ، تتحكّمُ بالدُّخولِ والخروجِ إلى شُهارةٍ، فلما رتّبَ الإمامُ هذه المُقدِّمةَ، ذهبَت تلكُ المناكرُ العظيمةُ^(٢).

وإزاءَ كلِّ ذلك، فإنَّ مصطلحَ الرُّتبةِ قد تضمَّن ثلاثةَ مفاهيمٍ: هي:

- رتبةٌ تكونُ من أهلِ البلادِ أو القبائلِ، تتولّى مهمةَ الدِّفاعِ عنِ المكانِ ضدَّ العدوِّ، وتكونُ لها المعوناتُ المُقدَّرةُ لتوفيرِ ما يحتاجون إليه من سلاحٍ وزادٍ ومؤنّةٍ وإنعاماتٍ ماليةٍ، تصلُّ حدَّ الامتيازاتِ المُتوارثةِ، كما في حالةِ

(١) المصدر السابق، ق ٨٦أ.

(٢) المصدر السابق، ق ٥٠أ.

حصن حب وحصن الحُقَيْبِيَّةِ من بلادِ عُتْمَةَ، الذين توارثوها منذُ عهدِ دولةِ الإمامِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عليّ .

- رتبةٌ تكونُ مِنْ عساكرِ الإمامِ مباشرةً، يُنَاطُ بها تدعيمُ القوَّةِ الدَّفَاعِيَّةِ لأهلِ البلادِ، حيثُ تُرْسَلُ مباشرةً مِنْ قِبَلِ الإمامِ أو قوَّادِهِ، وهذا النوعُ من الرتبةِ إنما يُفَرِّزُ مِنَ الجُنْدِ الإِمَامِيِّ، حيثُ يُكَلَّفُونَ بِمَهْمَةٍ مُحدَّدةٍ، كحفظِ الأمنِ والسَّلامِ بَيْنَ المتخاصمينِ من رعيةِ الإمامِ، كما في حصنِ شُهَارَةَ وإصلاحِ الأحوالِ بها، أو التصدِّيِّ لقواتِ العدوِّ عندَ توجُّسِ الخطرِ، مثلُ ما وقعَ في حصنِ حب وحصنِ الطليلي .

- ورتبةٌ اقتضتْها ضروراتُ المعاركِ الواقعةِ، واستجابةً لخطةٍ عسكريةٍ، كما في ترتيبِ شعوبِ، وبلادِ السودةِ، وموقعةِ قريةِ دَعَّانِ حينَ رتبَ المقدمي عبدُاللهِ بنِ يحيى أبو منصر، المجاهدين، وقسمهم على العنواتِ - أي أماكنِ الاعتراضِ - لتشديدِ الحصارِ ومنعِ العدوِّ من الهروبِ أو التَّفَاذِ منها خارجَ نطاقِ دائرةِ الحصارِ .

ويُلاحظُ أنَّ هذه الاستراتيجية الحربية كانت واضحةً في الطرفِ الإِمَامِيِّ، تدلُّ على مدى الحِيطةِ والحذرِ واليقظةِ التي تميَّزت بها العقليةُ المحاربةُ عندَ الإمامِ وقوَّادِهِ .

المطلب الرابع :

المعارك الكبرى :

- حصار صنعاء الأول :

ما كان قصدنا أن نورِّخ في هذه الدراسة للمعارك التي خاضتها القوات الإمامية ضد الأتراك في اليمن، فما من منطقة في اليمن إلا وقع فيها غزوة أو سرية أو إغارة أو معركة كبيرة، ومن هنا، فإننا نميل إلى الرأي الذي أشار إليه الواسعي بصدد تلك المعارك، حين قال: «إن المعارك والملاحم التي وقعت بين قوات الإمام وقوات الأتراك، تملأ الدفاتر وتُنضِب المحابر، وما من قبيلة ولا بلاد من الزيدية في اليمن إلا وله فيها معركة^(١)»، وحين أرخ الإيراني لهذا الجانب من سيرة الإمام المنصور جعل عنوان الفصل: «في ذكر الوقائع التي طال ذكرها وانتشر أمرها، وصكَّت المسامع»، فكان الإيراني قد اقتصر على ذكر المشهور فيها، وما ذاع أمره. وبعملية إحصائية لتلك المواقع والمعارك التي أُفردت لها عناوين، نرى أن عدد تلك المواقع والمعارك قد تجاوز مئة وخمسين معركة، أُفردت لها عناوين في ثنايا السيرة، غير أننا سنحاول أن نتناول بعض المعارك الكبرى التي كان لها تأثيرها في سير الحرب، وبالتالي الميل إلى المصالحة، وتحقيق السلام بين الطرفين، وكان حصار صنعاء الأول من أهم تلك المعارك.

كان الإمام يطمح إلى الاستيلاء على صنعاء، باعتبارها المركز والعاصمة، سيما وأنها محاطة بالقبائل الزيدية التي تسكن حولها، ومُسورة

(١) الواسعي، فرجة، ٢٦٨.

بالجبال التي تزيد من مناعتها ويكون الدفاع عنها سهلاً.

وكان لانتصار القوات الإمامية في موقعة الشاهل في ٢٢ شوال ١٣٠٨هـ، أثره في سرعة مناصرة القبائل للإمام في مسعاه لدخول صنعاء، «لما في ذلك من حَسْمِ مادةِ الفتن، وإخمادِ نارِ المِحن» - كما يرى مؤرخنا-، فقد كانت خسائر الأتراك في موقعة الشاهل فادحةً، إذ قُتِلَ منهم أكثر من مئةٍ، ومما زاد في وهن الأتراك في هذه المعركة قتل محمد عارف، قائد القوات التركية المهاجمة، واحتزاز رأسه، والطواف به في البلدان، ومن نتائج هذه المعركة كما عبّر عنها الإيراني أن «صارَتْ للعجمِ خافضةٌ وللمجاهدين رافعةٌ»، بل إنَّ الوالي إسماعيل حافظ كتب بأخبارها إلى كلِّ الإدارات التركية في اليمن. وأما على الطرف الإمامي، فقد قيلت فيها الأشعار وتغنّى فيها النُظامُ، فزادت الحمية اشتعالاً، وترتّب عليها نجاح قوات الإمام في السيطرة على حصن الظفير من بلاد حجة والظهرين، وأعلنت بلاد أرحب مؤازرتها للإمام، واستعدادهم لمحاصرة صنعاء، وقد أعلنت القبائل الأخرى مؤازرتها للإمام كذلك، مثل؛ همدان، وبنو الحارث، وعيال سريح، وبنو حشيش وسنحان وخولان، وبنو بهلول، حيث اجتمعوا - لهدف المؤازرة تلك - في جربان، شمال صنعاء، وقد بلغ عددهم ٨٥٠٠ نفر: خمسة آلاف من أرحب، وثلاثة آلاف من همدان، وخمسة مئة من عيال سريح.

وعقد المقدمي أحمد بن محمد الشرعي لكلِّ قومٍ رايةً، واتجهوا نحو بلاد البستان، فانضمَّ إليهم أهل البلاد والأهجر، وساروا حتى وصلوا قرية مسيب غرب صنعاء، ومن ثمَّ كانت مواجهةً عند رأس نقيل بيت نعم، وهزَمَ

المجاهدون إلى دَرْحَانَ، ولما أحاطَ بهم الأتراك من كلِّ جهةٍ، فَكَّ الحِصَارَ عن القوَاتِ الإِمَامِيَّةِ هَجُومُ الشَّيْخِ يَحْيَى بنِ يَحْيَى دُودِه من الشَّرْقِ، وهَجُومُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ الشَّرْعِيِّ من جِهَةِ القِبْلَةِ، فَانْهَزَمَ الأتْرَاقُ إلى جَنُوبِ دَرْحَانَ، حَيْثُ طَارَدَتْهُمُ قوَاتُ الإِمَامِ فِي المِنَقَبِ، وَحَجَرَ سَعِيدٌ وَشِبَامٌ وَكُوكَبَانٌ، وَقَرَى الأَبْدَرُ وَبَنِي الفِيلِحِيِّ. ثُمَّ إلى بَيْتِ عُلْمَانَ، وَكَانَتْ وَقَائِعُ أُخْرَى فِي مَدِينَةِ حَجَّةَ وَقُفْلِ شَمْرِ. حَتَّى إِذَا كَانَتْ سَنَةٌ ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م. وَقَعَ الحِصَارُ عَلَى صَنْعَاءَ بَعْدَ أَنْ تَرَجَعَ الأتْرَاقُ مَهْزُومِينَ حَتَّى دَخَلُوا إلى قَاعِ اليَهُودِ، غَرْبَ صَنْعَاءَ، وَأُغْلِقَتْ جَمِيعُ أَبْوَابِ المَدِينَةِ، وَسَيَطَرَ الخَوْفُ عَلَى أَهْلِهَا، وَعَلَى الأتْرَاقِ المَحْصُورِينَ. وَكَانَتْ قِبَائِلُ أَرْحَبَ، وَهَمْدَانَ، وَبَنُو حِشْيَشِ، قَدْ دَخَلُوا الرُّوضَةَ وَشَدَّدُوا الحِصَارَ عَلَى صَنْعَاءَ، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ قِبَائِلُ سَنْحَانَ، وَبَنُو بَهْلُولِ، وَبِلَادِ الرُّوسِ، الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى قَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى الأتْرَاقِ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ، وَسَيَطَرَتْ قوَاتُ الإِمَامِ عَلَى جَبَلِ نَقْمِ، وَأَحَاطَتْ قوَاتُ الإِمَامِ بِصَنْعَاءَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَيْثُ كَانَتْ هَمْدَانَ، وَبَنُو الحَارِثِ فِي الرُّوضَةِ، وَرِجَالُ بَنِي حِشْيَشِ وَبَنِي جَبْرِ فِي بَيْتِ اللَّهِيدَةِ فِي سَعْوَانَ، وَالحَاجُّ شَرِيانُ بَنُ حِزَامِ مَرِحَ، وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ أَرْحَبَ وَبِلَادِ البَسْتَانَ فِي حَدَّةَ، وَأَحْمَدُ بَنُ مُحَمَّدِ الشَّرْعِيِّ، وَقَوَاتُهُ فِي بَيْتِ عِدْرَانَ، وَمُحَمَّدُ بَنُ الإِمَامِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ قِبَائِلِ خَوْلَانَ، وَسَنْحَانَ فِي دَارِ الحَيْدِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ مَحَاوِلَاتِ التَّرِكِ اخْتِرَاقَ الحِصَارِ وَالوَصُولَ إلى قَرْيَةِ الجَرْدَاءِ لِلتَّرْوِدِ بِالحِجُوبِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ المَحَاوِلَاتِ فَشَلَّتْ، وَأُرْغِمُوا عَلَى العُودَةِ إلى صَنْعَاءَ، وَفَشِلَّتْ مَحَاوِلَتُهُمُ الثَّالِثَةُ فِي الوَصُولِ إلى مَذْبَحِ طَلْبَاءِ لِلحِجُوبِ أَيْضاً، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الحِصَارُ، وَكَانَتْ مَعْرَكَةٌ، تَلَاقَى فِيهَا الجَمْعَانُ فِي الجِرَافِ، وَعَادَ الأتْرَاقُ إلى صَنْعَاءَ، وَقَدْ صَوَّرَ

الإيراني حالهم في تلك المعركة قائلاً: «لقد ضاقت الأرض بهم ذرعاً، وخالطهم الرعب الظاهر، وظهرَ عليهم الذلُّ والصغارُ» كما لحقَ الضيقُ أهلَ صنعاءَ، حيثُ أخذوا يفرُّونَ من المدينة. وخلال حصارِ صنعاءَ، أعلنتْ ذمارُ ويريمُ الطاعةَ للإمامِ وحوصرتْ مراكزُ الأتراكِ في عَمْرانَ وحَجَّةَ والطويلةِ وتعزِ واب، وكانَ أنِ اجتاحتْ ثورةُ القبائلِ أرجاءَ اليمنِ.

ويروي مؤرِّخنا الإيرانيُّ أنَّ الشيخَ عليَّ البليبي، أحدَ أعوانِ العجم، قالَ: «لودخلَ المجاهدونَ في تلكَ الحملةِ لأخذوا المدينةَ (أي صنعاءَ) على الجملة»^(١). ولكنَّ ذلكَ لم يتمَّ، للأسبابِ التالية - كما يبدو:

- عدمُ امتلاكِ القواتِ الإمامية - وخاصةً المتمركزةَ في جبلِ نُقم - مدفعيةً ضاربةً، وإنما كانوا يُطلقونَ نيرانَ بنادقِهِم على شوارعِ المدينة، في حين اعتمدَ العثمانيونَ على القصفِ المدفعي لتشتيتِ القبائلِ وتفريقها.

- لم تنجحِ القواتُ الإماميةُ - بالرغمِ من وصولِهِم إلى أسوارِ صنعاءَ - من السيطرةِ على منفذٍ يؤدِّي إلى اقتحامِ المدينة.

- إجحامُ أهالي صنعاءَ المحاصرينَ عن التعاونِ مع رجالِ القبائلِ المحاصرةِ لصنعاءَ، فإنَّ ما وقعَ في الروضةِ من نهبٍ من قِبَلِ رجالِ القبائلِ، جعلَ أهلَ صنعاءَ يوجسونَ خيفةً ممَّا قد يُصيبُهُم فيما لو نجحتْ قواتُ القبائلِ في النَّفاذِ إليها، علاوةً على ما كانَ يتعرَّضُ له الفارُّونَ من نهبٍ وظلمٍ، وحتى سفكِ دمائِهِم من قِبَلِ رجالِ القبائلِ حين كانوا يظفرونَ بهم، وقد صوِّرَ

(١) انظر الدر المنثور، ٨ - ١٦ ب.

الإيراني ما وصل إليه أهل صنعاء الفارون بقوله:

«ولما اشتدَّ الحصارُ على أهل صنعاء خرجوا منها أرسالاً، إلا أنهم وجدوا من سفهاء العسكرِ شدةً ونكالاً، فصاروا ينهبون الدَّاخل والخارج من صنعاء». ويضيف الإيراني: «فما أحسنوا في ذلك صنْعاً، وإنما أمرهم الإمام بمحاصرة العجم، وأعاونهم اللثام، فتعدُّوا إلى ما ليس من شأنهم»^(١).

- لقد دفعت هذه التطورات السلطنة العثمانية إلى إرسال النجديات والإمدادات الكبيرة إلى اليمن، وعهدت السلطنة بذلك لأحمد فيضي، الذي كان قد تولَّى اليمن مرتين، وكان صاحب خبرة وتجربة في اليمن، وقد عُرف بقسوته وفظاظته في تعامله ومعالجته للشئون اليمنية، ومنذ جاءت الأخبار بوصول طلائع قوات أحمد فيضي إلى خميس مذيور، صار الناس - كما يروي مؤرخنا - في حيص بيص^(٢).

- كما خسرت الجبهة الإمامية أحد أبرز قواتها، وهو المقدمي أحمد بن محمد الشرعي، الذي أصيب في ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ، ومات شهيداً، ويكفي لتقدير كفاءته التحريية، أن قال فيه مؤرخنا:

قد كان يوم الوغى كالآلف نحسبه فبعده المجد أضحي غير مجتمع
وكان أن بدأ أحمد فيضي بإرسال الحملات والطوابير، ولجأ إلى أساليب قمعية وحشية وتغيرت مجرى المعارك. ولكن هيبة الأتراك كانت قد أصيبت بضرية كبيرة.

(١) الدر المثور، ١٧أ.

(٢) الدر المثور، ١٦أ.

- حملة أحمد فيضي على بلاد حاشد:

لاحظَ الوالي العثمانيُّ المشيرُ أحمدُ فيضي باشا أنَّ معظمَ حركاتِ المقاومةِ ضدَّ الأتراكِ كانت تُوجَّهُ من بلادِ حاشد في شمالِ صِنعاءَ، فوصلَ إلى مشارفِ حاشد، وكانَ الإمامُ قد راسَلَ عُمَّالها يعرفُهم بما أضمره أحمدُ فيضي، وكتبَ قاعدةً بينَ حاشد وبكيل على المناصرةِ والمعاوضةِ، وقد ابتدأتْ حملةُ أحمدُ فيضي بتاريخِ ٢٢ شوال ١٣٠٩هـ، حيثُ وصلَ إلى جدر، ودخلَ رَيْدَةً واستولى على السُّتَيْنِ وَخَمِرَ وبني عبد ويشيع وبيت هراش والمطرِد والعُقيلي.

وفي هذه الأثناء، تمكَّنَ سيفُ الإسلام، محمدُ بنُ الإمامِ المتوكل من السيطرةِ على بلادِ عُثَيْمَةَ فدخَلَها كُرْهاً عن أهلِها. وناولَ العجمَ، كما وصلتْ جماعةٌ من ذي غيلانٍ من بكيل إلى الحرف.

وقد نجحَ أحمدُ فيضي في استمالةِ بعضِ مشايخِ حاشد، مثل: مقبل بن يحيى فارع، كما استمالَ بني صُريم من حاشد وفُرَّقَ عليهم مئتي بقرة، ومئتي راسِ غنمٍ، ومئتي قَدحٍ من الطعامِ، وواصلتْ قواتُ أحمدُ فيضي سَيْرَها إلى العُقَيْرَةِ ثم وادعةً، بعدَ أن استجابوا لأحمدُ فيضي. كما وقعتْ مناوشاتٌ وحروبٌ بينَ الأتراكِ والقواتِ الإماميةِ، في النجيدِ وحوثِ والباعرةِ ووادعة.

وكانتْ قوَّاتُ الإمامِ قد تركزتْ في ثلاثِ مناطقَ:

- منطقةِ حوث، ومقدَّمُها سيفُ الإسلامِ محمدُ بنُ المتوكل.
- ومنطقةِ جبلِ عَجَمَر، ومقدَّمُها أحمدُ بنُ عبدِاللهِ المطاع.

- ومنطقة بركة القحار في جبل بني عبد، ومقدّمها القاضي عبد الرحمن الجماعي، وقد لحقت هزائم عدة بقوات الإمام في هذه المناطق، وكذا في حصن الظفير.

وإمعاناً في إضعاف الجبهة الإمامية، فقد نجح أحمد فيضي في استمالة الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر، بأحد عشر ألف ريال سلمها إليه، وازاء ذلك تراءى لأحمد فيضي أنه لا بُدَّ من دخول معقل الإمام في قفلة، وتمهيداً لذلك طلب من بني صريم وخارف وخيار ضرورة تسليم الرهائن إليه، فهربوا من ديارهم، فيمّم شطر القفلة، وباتت قواته في الباعرة، ولم يبق فيها إلا القاضي عبد الرحمن الجماعي، بنفر يسير من المجاهدين فقاتلهم في النجيد والشط، وجبل عيشان، وتمكّن أحمد فيضي وقواته من دخول القفلة. ثم انتقل إلى الجراف، ومن ثم إلى برط، حيث سلم إليه ذو محمد الأسرى الأتراك، الذين كانوا عند سيف الإسلام محمد بن الإمام المتوكل^(١)، ولم يعطهم أحمد فيضي شيئاً مما مناهم به.

وأما الإمام المنصور فقد صار يتنقل في الجبال والشعاب، واستمر على ذلك مدة ثلاثة أشهر^(٢)، إلى أن انتقل إلى جبل القحار، ثم منه إلى مدينة حوث بعد أن وصل إليه عُقال حاشد بعقير.

أما أحمد فيضي فقد انتقل من برط إلى الجراف، ومنها إلى بلاد السود، ثم إلى بلاد الشرف، حيث حاربته أهل الشاهل، ولحقت الخسائر بالطرفين، حيث تناثرت الجثث وتفشى الطاعون في العساكر التركية، فأسرع أحمد

(٢) الدر المنثور، ق ٤٠ أ.

(١) الدر المنثور ٣٧ - ٤٠ أ

فيضي إلى الحُدَيْدَةِ، ومنها عادَ إلى صنعاء.

وببدو أنَّ أحمدَ فيضي قد يثَسَّ من قُدْرَتِهِ على القضاءِ على الإمامِ وقوَّاتِهِ، فالقَبائِلُ، وخاصَّةً حاشد، عاودتِ الانضواءَ تحتَ رايةِ الإمامِ، بعدما تيقَّنتُ من غدرِ أحمدِ فيضي ووعودِهِ الكاذبَةِ، وإجراءاتِهِ التعسفيَّةِ، من حبسِ مشايخِ البلادِ، وتهديمِ المنازلِ وإحراقِ البلدانِ.

وكانتِ محصَّلةُ ذلك أنَّ عمدَ أحمدَ فيضي إلى تحصينِ صنعاءِ بالقلعِ، فبنى واحدةً في منطقةِ ضهرِ الحمارِ، وأخرى في منطقةِ عُصْر، وغيرها حولَ صنعاءِ. وعمَّرَ بابَ اليمنِ وحصَّنَهُ، ومهَّدَ الطرقَ في البلادِ الأخرى لسهولةِ تنقُّلِ جيوشِهِ، وأمَّا الإمامُ، فقد أخذَ يُعيدُ تنظيمَ قوَّاتِهِ، فابتنى المنازلَ للمهاجرين، جانبَ جامعِ جبلِ المَدانِ، وأخذَ يُشرفُ بنفسِهِ على طلبَةِ العلمِ، وأمَّا سيفُ الإسلامِ، محمدُ بنُ المتوكلِ، فإنَّهُ انتقلَ إلى جبلِ الأهنومِ، للقراءةِ وتحصيلِ العلومِ.

ثمَّ إنَّ أحمدَ فيضي قرَّرَ الكتابةَ إلى الإمامِ، ليُعرِّضَ عليه المودعةَ والاتِّحادَ، ويحدِّدَ ما يريد!

وتكمنُ أهميَّةُ هذه الحملةِ في أنها - وعلى الصعيدِ العثماني - أقنعتِ الولاةَ العثمانيين باستحالةِ إخضاعِ القوَّاتِ الإماميَّةِ بالقوَّةِ العسكريَّةِ، حتى وإنَّ نجحتْ في الوصولِ إلى قاعدةِ الإمامةِ، كما أنَّ الأخطارَ الخارجِيَّةَ، من إنجليزِ وطلِيانِ، بدأتْ تُلقِي بثقلِها على الأحداثِ وسيرِها في اليمنِ.

وأما على الصعيدِ الإماميِّ، فقد كَشَفَتِ الحملةُ عن المصاعبِ والعقباتِ التي كانتْ تواجهُ القوَّاتِ الإماميَّةَ: من ميوعةِ موقفِ القبائلِ، وخاصَّةً حاشد،

إضافةً إلى تفوقِ القواتِ العثمانيةِ في العُدَدِ والسَّلَاحِ والإِعدادِ، وإزاءَ ذلك، صرَّحَ الإمامُ بما يختارهُ فقال: «إنَّ الذي اختارهُ جانبُ يسيرٍ من مملكةِ آباثنا وأجدادنا، نقيمُ فيه أوامرَ اللهِ ونواهيهِ، ونُعِينُ على حربِ الأجنبيِّ والسَّفِيهِ، ويبقى جُلُّ اليمنِ بأيديِ المأمورين، إنَّ أقاموا الفرائضَ والسُّننَ، وعَمِلُوا بشريعةِ اللهِ فيما ظَهَرَ وبَطَنَ، حتى لا يُنسَبَ إلى الذاتِ الشاهانيةِ والعترَةِ الخاقانيةِ إلَّا ما يرضيه من السيرةِ»، ويضيفُ الإمامُ،

«ثمَّ نختارُ منكم الإِعانةَ بيسيرٍ من الآلاتِ الحربيَّةِ، يقومُ بها حِفْظُ ذلكِ الجانبِ اليسيرِ، ويعدُّ ذلكِ يحصُلُ الاتِّحادُ، والجامعُ بيننا نصرَةُ دينِ ربِّ العبادِ» إلَّا أنَّ الأمورَ سارتْ على غيرِ ما في الرسالةِ، وتواصلتِ المعاركُ، في جهةٍ أُخرى.

وقعةُ بني جل

وبنو جل قريةٌ جبليَّةٌ في بلادِ الشرفِ، كانَ أحدُ شيوخِها وهو يحيى بن ناصرِ الريحي، قدَّ وَفَدَ على الإمامِ، فحرَّضَهُ الإمامُ على الجهادِ ضدَّ الأتراكِ. وحدثَ أنَّ وقعَ الاحتكاكُ بينَ أهالي القريةِ، والعساكرِ العثمانيةِ حينَ وصلَ بهاءُ الدين التركي، وبرفقتهِ خمسُ مئةٍ عسكريٍّ للجبايةِ منها، وحينَ تظلمَ أحدُ أبناءِ القريةِ من العسفِ الذي لحقَه، بعدَ أن أخذَ الجنودُ ما يملكُه من الحبوبِ، ثارتِ العائمةُ، وأحاطوا بالأتراكِ، في قريةِ بيتِ عباس، وبيتِ القرو والوسط، وقتلوا منهم أربعةً بمساعدةٍ من رجالِ أفلح، ومن ثمَّ تخطفَتِ السيوفُ الأتراكِ، حتى قُتِلَ منهم أكثرُ من ثلاثِ مئةٍ، واستولتِ العربُ من أهلِ البلادِ على البنادقِ التي زادَ عددها عن خمسِ مئةٍ، وجملتِ من البغالِ

والأحمال . وكانت من جملة الغنائم مجرى وعجلات مدفع .

إزاء ذلك، قرّر الوالي أحمد فيضي الانتقام، فأظهر لبني جل، العفو عن القتلة، إن هم أعادوا السلاح، والا فسيصيهم النكال والانتقام . وكان أحمد فيضي حريصاً على ألا تقع الأسلحة والمدافع في أيدي القوات الإمامية . ولما لم يستجيبوا لذلك، سير أحمد فيضي راشد بيك وقواته إلى تهامة، ليجمع منها قوات أخرى مدداً، وبالفعل جمع عساكر من عسير، وسارت الجموع نحو قفل شمر ومقصدها بنو جل وأهل الشرفين .

وأرسل الإمام سيف الإسلام، محمد بن الإمام الهادي، في جماعة، ليكون مقدماً في بني جل، وبدأ راشد بيك عملياته العسكرية في ١٣ ذي الحجة ١٣١٥هـ فشملت بني خولي، وكان الحرب كراً وفرأ، فرمى راشد المنطقة بعساكر كثيفة، فاحتلوا مناطق: بني خولي وقلفاح والقفرة والمساعة وشمسان وبيت الرمادي، ودامت الحرب في بيت القرو. وفي أثناء ذلك كان رجال أفلح وخيران وحجر وأسلم وغيرهم يترصدون في بطون الأودية نتيجة المعركة، وحانت ساعة الهزيمة بنزول الأتراك إلى بطون الأودية، ففاجأهم الكامنون من الأعراب، فأخذوا يرمون أسلحتهم ويهربون، وهنا أحكمت الأعراب عليهم الطوق والحصار، وسدوا المنافذ، وأعملوا القتل فيهم، وكان من جملة الغنائم مدفعان، أحدهما أخذه بنو اللجوج، حيث أعادوه للأتراك مقابل دراهم، وأما الآخر فأوصلوه إلى الإمام بالآته فكان أول غنيمة من نوعها تحوزها القوات الإمامية . وواصلت قوات الإمام مطاردتها للأتراك في بيت الرمادي .

وقد لَحِقَ بالأتراكِ خسائرُ فادحةٌ في الرجالِ والسِّلاحِ ، حيثُ قُتِلَ أكثرُ من ألفٍ ، ووقعَ في الأسرِ أكثرُ من مئتين ، وغنِمَ المجاهدون ألفاً ومئتي بندقيةً ، عدا المؤنِ والذهبِ والأشياءِ النفيسةِ الأخرى . وفرَّ بقيةُ الأتراكِ إلى جبلِ بني مذيخةَ وإلى قفلِ شَمْرٍ والشاهلِ ، وحُمِلَ الأسرى ، وبعضُ الغنائمِ والرؤوسِ إلى الإمامِ ، وكان نصراً للإمامِ ، وضعفاً وانحطاطاً معنوياتٍ للقواتِ التركيةِ ، وأنشدَ الشعراءُ القصائدَ متغنينَ بهذا الفتحِ .

وانتهزت القواتُ الإماميةُ ، الحالةَ السيئةَ والاضطرابَ الواقعَ في القواتِ العثمانيةِ فهاجموا الشاهلَ لاقتلاعِ الأتراكِ منه ، ودهموا إحدى القلاعِ التي كانَ قد بناها أحمدُ فيضي في طريقِ عودتهِ إلى صنعاءَ ، وهي القشلةُ الشرقيةُ ، حتى استسلمت لمقدمِ الإمامِ سيفِ الإسلامِ ، محمدِ بنِ الإمامِ الهادي ، فأرسلوا الأسرى إلى حضرةِ الإمامِ ، وأخذوا ما في القشلةِ ، وكان من نتائجِ هذه المعركةِ أن ارتفعت معنوياتُ القبائلِ فشجَّدتِ الهِمَمَ لمقاتلةِ الأتراكِ ، وسَعَوْا عندَ الإمامِ لمعاودةِ الرَّحْفِ على صنعاءَ ومحاصرتِها . وكانت حاشدُ وبكيلُ المبادرتينِ إلى ذلكِ ، حيثُ طلبتا منَ الإمامِ تجهيزَهُما لمعاودةِ حصارِ صنعاءَ ، وأظهرتا تشوُّقَهُما للجهادِ ، فأرسلَ الإمامُ الوكلاءَ من طرفِهِ لتوزيعِ الأموالِ على أفرادِهِما الذين يتطوعون للقتالِ ، وعيَّنَ صفيَّ الإسلامِ ، أحمدَ بنَ قاسمِ حميدِ الدينِ مقدِّمياً على حاشدِ ، وسيفَ الإسلامِ ، محمدَ بنَ المتوكلِ على اللهِ ، مقدِّمياً على بكيلِ .

وجمعتُ حاشدُ ألفاً ومئةَ رجلٍ ، تواجدوا في خَمرِ ، ثم انتقلوا إلى هجرةِ الصَّيْدِ ، انتظاراً لرجالِ خَريفِ وسُفيانِ ، حيثُ كانَ عدُّهُم حوالي ألفينِ ،

ومنها إلى هزم، ثم رقة همدان، وهناك تلاقوا مع رجال همدان، حيث بلغ عددهم أكثر من أربعة آلاف.

وكانت طريقهم إلى ضوضان ثم الدمام ومسيب. ولكن هذه الجموع وقعت في خطأ أدى إلى فشل حملتهم: فقد تناهى إليهم أن قافلة تحمل متاع ومستلزمات الوالي الجديد حسين حلمي قد وصلت متنة، فتركوا محطتهم وتسارعوا لنهب القافلة، وفي متنة أخذوا يطلقون النيران، الأمر الذي نبه الأتراك الذين كانوا خارج القلعة، فأسرعوا إلى الدخول، ونظموا صفوفهم، ودامت المعركة أربعة أيام حتى أبعدت الجموع إلى قذف، ففرقت في بلاد همدان، ولم يبق منهم إلا اليسير مع المقدمي أحمد بن قاسم حميد^(١).

وأما بكيل، ومقدمهم، سيف الإسلام، محمد بن المتوكل على الله، فقد ساروا بجموعهم التي بلغت أكثر من أربعة آلاف من رجاء الغراس قاصدين الروضة، حيث أغلقت الأبواب في وجوههم من قبل أهل الروضة بسبب ما كان من القبائل في المحاصرة الأولى من نهب وحرق وقتل، فكسروا الأبواب وهاجموا بيت الشيخ مقبل بن صالح دغيش، أحد الشيوخ المعاونين للعجم، ونهبوا خيلته وأثاثه وحبوبه، وأسروا الشيخ مقبل حيث أوصلوه إلى الإمام، وكان المذكور كثير الأذى والضرر لرعية الإمام، وتمكنت القوات الإمامية من إجلاء العساكر التركية من الروضة ودفعها إلى داخل صنعاء.

غير أن سرعة حركة أحمد فيضي ومهاجمته المطلاع أدتا إلى هزيمة

(١) حول هذه المعركة، انظر، الدر المنثور، ٥٤-٥٥ب، أئمة اليمن، ٢/٢١٧ - ٢٢١ حوليات يمانية، ٦٤٠-٦٤٣.

القوات الامامية وهزيمتهم، فتفرقت الجموعُ، ثم اجتمع المقلدَميان في بلادِ هَمْدَانَ، في محاولةٍ لإعادةِ تنظيمِ الصفوفِ، وجمعِ القواتِ المتفرقةِ والتوجهِ بها إلى الحَيِّمةِ. حيثُ هاجمت بيتَ الشَّقَاقِي ومنها سارت إلى بيتِ معدنِ.

إلا أن أحمدَ بنَ قاسمِ حميدِ الدينِ لم يواصلَ سيرَه إلى الحَيِّمةِ وإنما سارَ ناحيةَ بني مطرِ، حيثُ وقفَ ضدهُ الشيخُ أحمدُ الرماحِ، وأعملَ الحيلةَ لتفريقِ أمرِه، فأرسلَ جماعةً من قواته والأخرى بقيت في بلادِ البُسْتَانِ، وانتقلَ منها إلى بيتِ الجندبي، في محاولةٍ لجمعِ القواتِ ومحاربةِ الأتراكِ الذين في مَتَنَةٍ، ولما حاول الوصولَ إلى بيتِ ردمِ تصدَّى له أهلُ بيتِ ردمِ، وقتلوا من قوَاتِه أربعةً، وخلاصةُ الأمرِ أن القبائلَ فشلت في محاولتها حصارَ صنعاءِ.

ومن تحليلنا للرواياتِ المتصلةِ بوقعةِ بني جلِ، والرواياتِ المتعلقةِ بالحصارِ الثاني لصنعاءِ، نجدُ أن هناكَ جملةً من العوامِلِ قد ساهمت في إفشالِ هذهِ الحملةِ. ومن هذهِ العوامِلُ نذكر:

- أنه قد كانت الرغبةُ في تحصيلِ الغنائمِ، هي المحرِّكُ للقبيلتين حينَ وقَدوا على الإمامِ بدعوى شوقِهِم إلى الجهادِ، وإرضاءِ ربِّ العبادِ، وحقيقَةُ الأمرِ أن وفرةَ الغنائمِ التي فاز بها المشاركون في وقعةِ بني جلِ، دفعتُ هؤلاءِ لإغراءِ الإمامِ بالوثوقِ بهم، ومن ثمَّ تجهيزهم، سيما وقد استقرَّ عندَ شيوخِهِم وَعُقَالِهِم، أن المعركةَ ستكونُ سهلةً ويسيرةً بعدَ الفوضى والاضطرابِ الذي دبَّ في صفوفِ الأتراكِ بعدَ المعركةِ.

- ثم إن مشاركتَهُم في المعركةِ القادمةِ يقتضي من الإمامِ تجهيزهم

بِالْأَمْوَالِ وَالْمُؤْنِ وَالسَّلَاحِ ، الأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ الإِمَامَ يُرْسِلُ وَكَلَاءَهُ الْمُتَوَلِّينَ لِلصَّرْفِ ، وَفَرَّقُوا الْأَمْوَالَ عَلَى رِجَالِ الْقَبِيلَتَيْنِ الْمَشَارِكَتَيْنِ ، الَّذِينَ بَلَغَ عَدَدُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِيَةِ آلَافٍ مِنْ حَاشِدٍ وَيَكِيلٍ ، وَمَا انْضَافَ إِلَيْهِمَا مِنَ الْقَبَائِلِ الْآخَرَى ، مِثْلَ هَمْدَانَ وَغَيْرِهَا .

- إن اشتغال رجال - حاشد بمحاولة نهب متاع قافلة الوالي الجديد حسين حلمي ، قد أعطى الفرصة للأتراك لتجميع صفوفهم وشحن مدافعهم .
- لقد كان للمشاحنة والخصومة الخفية التي وقعت بين أحمد بن قاسم حميد الدين وشيوخ قواته ، مثل الشيخ يحيى بن يحيى دوده ، والشيخ أحمد بن يحيى بن فارح ، والشيخ ناشربن مرشد الغريبي بشأن القبض على أحمد الرماح الذي اتهم بممالة الأتراك ، والاتفاق معهم على إخراج أحمد بن قاسم حميد الدين من بلاد البستان^(١) ، كان لتلك المشاحنة أثرها في إرسال القوات الموالية للشيوخ الثلاثة إلى سامك ، وإعانة المجاهدين في الحيمة .

(١) لما رفض أحمد الرماح مناصرة أحمد بن قاسم حميد الدين ، وقع اتهامه بالاتفاق مع الأتراك على إخراج أحمد بن قاسم من بلاد البستان ، وكان الرماح يكتب للإمام يغريه بأحمد بن قاسم حميد الدين ، وينهى الناس عن دفع الزكاة إلا لأحمد الرماح ، فأوعز إلى الشيوخ الثلاثة بالقبض عليه ، وبدلاً من تنفيذ ذلك فقد حذروا الرماح الذي نجح في التفاوض مع وكيل الإمام القاضي عبدالرحمن الجماعي ، وذلك بأن الرماح سيحضر ألف مقاتل وألف قذح طعام وألف ريال مدداً للإمام مقابل ارتفاع همدان من بلاد البستان وقد نجحت الخطة ، انظر ، الدر المنثور ، ١٦١ .

- كما أن تفوق القوات التركية من حيث السلاح والعدد والإمدادات،
وشدة انضباطها، وسهولة السيطرة على العساكر المقاتلة كان من أسباب فشل
حصار صنعاء الثاني.

ومهما كانت الأسباب وراء نجاح الأتراك في صدّ حصار صنعاء، سواء
في المرة الأولى أو الثانية، فإنّ الخوف من سقوط صنعاء بأيدي القوات
الإمامية ظلّ هاجساً مريعاً، وخوفاً دائماً عند الأتراك.

والوثيقة المحفوظة في الأرشيف العثماني، إرادة داخلية رقم ٩٦٨٧٥،
تظهر مدى القلق والاضطراب النازل بالأتراك في صنعاء، فقد جاء فيها
مترجمة من العثمانية إلى العربية:

قصر السلطان، يلدرز

دائرة المكاتب الرئيسية.

قطعة اليمن عبارة عن جبال وأودية صالحة للزراعة، القسم الأعظم من
سكانها معتادون على استعمال السلاح، يتجولون، وهم يحملون السلاح
بصورة دائمة، وهم عبارة عن جماعات القبائل وغيرهم، قسم منهم يؤيد
الخلافة العثمانية، وهم: السنة، وأهل التقوى. والقسم الآخر: لا يقبل
التبعية إلا لأئمتهم، وهم يتحنون الفرص للإفساد، وإحراج الدولة العلية،
وتمثل الزيدية هذه الفئة.

والزيدية يعملون باستمرار - وكل ما سنحت لهم الفرصة - على انتزاع
صنعاء من جسم الدولة العلية. وغالبية هؤلاء العظمى تسكن في أطراف
صنعاء، ولا يطيعون الحكومة السنية، أو ينقادون لها.

لقد حاصر هؤلاء صنعاء مرتين، في محاولة منهم لإقامة دولة خاصة بهم، وكانت لهم فيما مضى محاولات متعددة، ولكنهم لم يوفقوا، وهذا الأمر معلوم لدى الدولة العلية. فقد اتخذ هؤلاء من صنعاء هدفاً لهم، حيث يقومون ببناء الاستحكامات في مناطقهم، ويعلمون الناس على فنون الفساد والخراب.

فإذا وقعت صنعاء في أيديهم، فإنه من المستحيل إخراجهم منها مرة أخرى، لأن السكوت عنهم، في مثل هذه الحالة من قبل الدولة، إنما يكون كمثل من يخفي الأفعى في ثيابه. وبناءً على هذه الأسباب المعروضة.

فإنه يجب هدم استحكاماتهم، وتفريغ قراهم من أهلها، وتعيين متصرف أو قائم مقام لإدارة هذه المنطقة، ونقلهم إلى مكان مناسب على الساحل إلى المنطقة التي توجد بها أكثرية من أهل السنة، حيث أن الاتصال بين هذا المركز الجديد وصنعاء سيكون متيناً وقوياً. وخاصة من الناحية المذهبية، ثم العمل على توطین الموالين للحكومة السنية من الأتراك والأكراد والعرب، وتشكيل ولاية جديدة في تعز، تتمكن من كسر شوكة وقوة الزيدية، حتى يوقنوا أن باب الإفساد والخراب قد أقفل. فيتخلون عن فكرهم بأنفسهم، ويتركوا الفساد والخراب»

العبد الداعي

فاضل علوي.

والوثيقة تبين الضيق الذي لحق بالعثمانيين، حتى وإن لم تُفلح القبائل في دخول صنعاء.

المطلب الخامس :

المواجهة الإعلامية :

كانت المكاتبُ هي الوسيلةَ الوحيدةَ للإعلامِ والتعبئةِ عندَ القواتِ الإماميةِ، فالطباعةُ وإصدارُ الصحفِ، لم يكن الحصولُ عليها ميسوراً، خلافَ القواتِ العثمانيةِ التي كان بحوزتها إمكاناتُ اعلاميةٌ أكثرُ وأقدرُ.

والواقعُ، أنَّ الإمامَ المنصورَ حرصَ خلالَ رسائله، والتي كان يبعثُ بها إلى المناطقِ، على إذاعةِ المفاصدِ التي كان يرتكبها العثمانيون، مثل حكمهم بالقوانين، دون الأحكامِ الشرعيةِ، وهذا ما وُصِفَ بالحكمِ بالطاغوتِ، وكذا إرتكابِ الفواحشِ، ودعوةِ أهلِ البلادِ لمناصرتِه، ومن ثمَّ إشهارِ الانتصاراتِ التي حققتها القواتُ الإماميةُ.

وتُصوِّرُ الوثائقُ المحفوظةُ في أرشيفِ رئاسةِ الوزراءِ العثماني، تصنيفَ يلدز، ضراوةِ المواجهةِ بينَ الإمامِ والعثمانيين، فقد كان كلُّ طرفٍ يحاولُ كسبَ الأنصارِ، وتعضيدَ قواتِه، وإبطالَ حجةِ الخصمِ ومقولاته.

ومن رسائلِ الإمامِ التي تمثلُ جانباً من وسائلِ الإمامِ الإعلاميةِ، الرسالةُ التي وصلتْ إلى الأرشيفِ بواسطةِ الجاسوسيةِ العثمانيةِ في اليمن^(١)، وجاءَ فيها

(١) انظر الوثيقة، تصنيف يلدز رقم ٦٥/١٥٣/٣٤/٢٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ

إِلَى مَشَائِخِ الطَّوِيلَةِ وَبَنِي الْخِيَاطِ وَضَلَعِ الْكِرَامِ
لِيَعْلَمَ اللَّهُ شَأْنَكُمْ وَيُصَلِّحَ أَحْوَالَكُمْ، وَيَجْلِبَ لَكُمْ الْخَيْرَ،
بَعْدَ السَّلَامِ؛

فَكَتَبْتُ لَكُمْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ بَعْدَ الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي كَسَرَ شَوْكَةَ طَائِفَةِ
الْعَجَمِ، الَّذِينَ بَدَّلُوا دِينَ اللَّهِ بِالْبِدْعِ، وَأَحَلُّوا الْمُحَرَّمَاتِ، وَشَرَبَ الْخَمْرَ فِي
رَمَضَانَ، أَتَوْا الْأَفْعَالَ الْمُشِينَةَ، وَارْتَكَبُوا الْكِبَائِرَ، وَاقْتَرَفُوا الْأَفْعَالَ الْفَاضِحَةَ
وَالْمَعَاصِي. مِنْ تَرْكِ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ، وَالْإِفْطَارِ جَهَاراً فِي رَمَضَانَ،
وَزَلَمُوا الْمَسَاكِينَ الضُّعْفَاءَ، وَحَقَّرُوا الشُّرَفَاءَ، فَلَقَدْ تَعَرَّضُوا لِمَدِينَةِ شَاهِلِ،
مَجْمَعِ الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ، وَاسْتَوَلَوْا عَلَيْهَا، وَلَكِنْ قَدْ خَابَتْ آمَالُهُمْ رَغْمَ مَا
فَعَلُوهُ، وَعَادُوا مَقْهُورِينَ مَغْلُوبِينَ، فَمَا اسْتَطَاعُوا اسْتِعَادَةَ مَا غَنِمْنَاهُ، وَهُوَ
ثَمَانُونَ بِنْدَقِيَّةً. وَقُتِلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ عِنْدَ آخِرِ اقْتِحَامِ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثِ
وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَالٍ، حَيْثُ ثَبَتَ أَنْصَارُنَا، أَنْصَارُ الْحَقِّ، فَقُتِلَ قَائِدُهُم
الْفِرْعَوْنُ، مُحَمَّدُ عَارِفُ وَرَجَالِهِ.

إِنَّا سِنَادُرُ إِلَى انْتِهَازِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ، فَقَدْ أَدَّلَ اللَّهُ أَعْدَاءَنَا، وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ
الْقِيَامَةُ مِنْ كُلِّ طَرَفٍ، فَاعْتَقِلُوا كُلَّ مَنْ تَرَوْهُ مِنْهُمْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَهَذَا
مَا نَرْجُوهُ مِنْكُمْ، تَقْدِيمُ الْمُسَاعَدَةِ الْمَادِيَّةِ وَمَعَاوَنَتُنَا عَلَى أَعْدَائِنَا، وَأَنْ تَبْدُلُوا

الهمّة في ذلك، وأن تُظهروا العداة لأعدائنا.

والسلام.

وفي الإرادة الداخلية رقم ٦٢١٥٢، صورة خطاب، أُرسِلَ إلى أهالي شُهارة، وجبل الأهنوم وعُدْر. وكان الخطابُ قد أُرسِلَ بالعربية، ولكننا لم نعثر إلا على أصله العثماني، وهو يمثل نموذجاً للخطاب الإعلامي التركي، حيث ورد فيه:

- الدعوة إلى وحدة أمة محمد، ونبذ الفرقة، وذلك يكون بطاعة الله ورسوله، وأولي الأمر، ويستشهد بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

- التركيز على أن هدف ورغبة السلطان عبدالحميد، هو إجراء أحكام كتاب الله وسنة رسوله، وحماية المسلمين ورعاية وخدمة الحرمين الشريفين من أعداء الإسلام.

- وينبئ الخطاب أهل شُهارة وجبل الأهنوم وعُدْر إلى ضرورة تفهم الحالة التي كانت تُلغى اليمن من الإضطراب وعدم الاستقرار والفتن، حتى عاد العثمانيون إليها فاتحين، فتحققت الراحة للأهالي، وأصبحوا آمنين متحدّين، وترقّت أسباب عيشهم.

- وتنحو الرسالة باللوم على بعض الذين يُنكرون جهود الدولة العلية، وما قدّمته للقضية اليمنية، وقد استند هؤلاء في جميع ما قاموا به على شريفٍ مُخلص، فقتلوا وظلموا.

ثم يُعدّد الخطاب ما قام به بعض الذين نصّروا الإمام، ومن ذلك

أ- تَمِيقُ وَزَخْرَفَةُ الْكُتُبِ وَتَدْبِيحُهَا، وَبَعَثُهَا إِلَى الْبُلْدَانِ وَالنَّوَاحِي، وَهِيَ تُشَهَّرُ بِالْعُثْمَانِيِّينَ، وَتُضْفَى عَلَيْهِمْ أَوْصَافَ الْكُفْرِ، وَتَسْتَحِلُّ دِمَاءَهُمْ، خِلَافًا لِمَا أَمَرَتْ بِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ، وَمُجَافِيَةً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ.

ب- اسْتِغْلَالُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَتَوْزِيْعُهَا عَلَى مُجَاهِدِيهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ بِعَيْنِهِ وَبِخَاصَّةٍ، قَتْلُ الْأَنْفُسِ وَاسْتِبَاحَةُ الْأَمْوَالِ وَأَكْلُهَا بِغَيْرِ حَقٍّ.

- تُمَّ تَخَاطَبُ الرِّسَالَةُ، أَهْلَ شُهَارَةَ وَجِبَلِ الْأَهْنُومِ وَعُدْرَ بَصِيغَةَ الاسْتِفْهَامِ الْاسْتِنْكَارِيِّ، وَيَطْرُحُ سَوْأَلًا: مَا هِيَ الْأَسْبَابُ الَّتِي دَعَّتْكُمْ لِلْجِهَادِ وَالثَّوْرَةِ؟

وَتَجِيبُ الرِّسَالَةُ عَلَيْهِ: لَقَدْ عَمِلُوا عَلَى تَخْلُفِكُمْ، وَجَلَبِ الْمَصَائِبِ لَكُمْ، وَعَمِلُوا عَلَى فُرْقَةِ الْمُسْلِمِينَ، فِي وَقْتٍ كَانُوا فِيهِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى الْوَحْدَةِ وَالْإِتْحَادِ.

وَمَا مِنْ أُمَّةٍ رَضِيَتْ بِالْفِتْنَةِ إِلَّا زَادَتْ مَصَائِبُهَا، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ يَقُومُونَ بِالْعَصْيَانِ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَكَيْفَ يَتَّفِقُ ذَلِكَ؟

- وَتَشِيرُ الرِّسَالَةُ إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمَفْسُدِينَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ إِصْلَاحَ قَرِيْبَةٍ أَوْ قَرِيْبَتَيْنِ أَوْ قَبِيْلَةٍ أَوْ قَبِيْلَتَيْنِ، وَهَمْ لَا يَصْمَدُونَ فِي الْمُوَاجَهَةِ، وَإِنَّمَا يَفْرُونَ فِي مَوَاقِعِ النَّزَالِ. وَمَنْ أَجَلَ قَمْعِ الْفَسَادِ، فَإِنَّا نَقَاتُلُ وَنَأْسُرُ وَنَنْفِي هَؤُلَاءِ وَنُبْعِدُ النَّاسَ عَنْ تَحْمَلِ وَزْرِهِمْ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ رَاحَةِ النَّاسِ، وَرَفْعِ الضَّرْرِ عَنْهُمْ.

- وَتُبَلِّغُ الرِّسَالَةُ أَهْلَ شُهَارَةَ وَجِبَلِ الْأَهْنُومِ، أَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ عَفَا عَنْهُمْ، وَهُوَ يَسْعَى لِتَأْمِينِ اِحْتِيَاجَاتِهِمْ وَإِزَالَةِ الضَّرْرِ عَنْهُمْ، وَلِتَحْقِيقِ ذَلِكَ. فَقَدْ أَمَرَ السُّلْطَانُ بِمَا يَلِي:

- تعيين العلامة الشريف عباس بن عبد الله بن المؤيد على المنطقة، وأصدر الأوامر إليه بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله، والعطف على الرعية واحترام الصغير والكبير، على أن يساعده الشريف محمد بن عبد الله، يشد أزره، ويقوم بجميع الواجبات اتجاههم.

- أصدر السلطان أوامره للشريفيين المذكورين بتشغيل الضبطية عند الضرورة، وأمر بمنحهم خمس مئة ريال، ولأهل الجبل، خمس مئة ريال من خزينة الدولة، وتوزع تلك الأموال على الناس، حسب حاجاتهم وأحوالهم.

ثم تقدم الرسالة نصائح لأهالي المنطقة منها:

أ- تحقيق الأمن والأمان في جميع مناطق اليمن وجهاته، وإزالة العداوات والخلافات الواقعة بينهم. ومن ثم توحيد البلاد والعباد.

ب- تشير الرسالة من طرف خفي، تلميحاً إلى الأذى الذي سيحقق بهم إن عصوا وخالفوا، وهذا نوع من التهديد غير المعلن صراحة.

- وأخيراً، فإن الرسالة تؤكد على تعيين عبد الله - المقصود عبد الله باشا - نائباً على اليمن، ومن ثم فلا بد من دوام الدعاء للسلطان عبد الحميد بن عبد المجيد، وقد طلبت الرسالة إلى خطباء المساجد أن يقوموا بذلك^(١).

وبالمقابل، فإن الإمام كان يعمل وباستمرار على الإتصال بشيوخ وعقلاء القبائل، يذيع بينهم أخبار المظالم العثمانية، وما يدبرونه من مكائد،

(١) انظر الرسالة إلى أهل شُهارة والأهونوم وعُدَر في مكانها من الملحق.

للإيقاعِ بأهلِ البلادِ وساداتِها وشيوخِها وعُقالِها وعُلمائها من حبسٍ واعتقالٍ وتشريدٍ ونفيٍ. وقد أحسنتِ المخاطباتُ الإماميةُ بإذاعةِ ما حصلَ ليحیی المجاهدِ، وعبدالله الضلعي، اللذينِ تعاونا مع الأتراكِ.

ومن ناحيةٍ أخرى، فقد ارتفعت حدةُ المواجهةِ الإعلاميةِ حينَ أمرَ الأتراكُ جميعَ المأمورينَ من أهلِ البلادِ، أنَ يلبسوا مثلَ لباسِ الأتراكِ، السيرِوالِ والزنةِ والقَلنسُوةِ، وقد قَبِلَ به البعضُ، ورفضَهُ البعضُ الآخرُ، فعزلَ الأتراكُ المستنكفينَ من أعمالِهِم، فما كانَ من الإمامِ إلاَّ المبادرةُ بالكتابةِ إلى حاشدٍ وبكيلٍ محذراً إياهم من ذلك، ونهضَ الشعراءُ والقوالونَ للتنديدِ بهذا الإجراءِ. واستغلَّها الإمامُ لتحريضِ القبائلِ على الجهادِ، مذكراً بمثالبِ الأتراكِ وسوءِ فعالِهِم، وأشارَ في رسائلِهِ إلى ما أظهره الأتراكُ من استهانةٍ وتفريطٍ بديارِ الإسلامِ، مُعرِّضاً بما أصابَ مِصرَ غداةَ احتلالِها من قِبَلِ الانكليزِ واستكانةِ الدولةِ إزاءَ ذلك، وعدمِ إقدامِها على إعلانِ الجهادِ لطردِ الفرنجةِ من مِصرَ. وأكثرُ من ذلك، فقد أثارَ الإمامُ الحميَّةَ، وذلكَ لأنَّ الفرنجةَ اقتربوا من مقدساتِ المسلمين في مكة، وكأنَّه أرادَ للناسِ أنَ يبتذلوا ويستهيئوا بذلكَ اللُّقبِ، الذي أسبغَهُ سلاطينُ بني عثمانَ على أنفسهم: «سلطانُ المسلمين»، خادماً الحرمين الشريفين، حامي ديارِ الإسلامِ في البرِّينِ والبحرينِ»^(١)، فماذا بقي من مصداقيةِ اللُّقبِ بعد ذلك.

وكانَ الإمامُ بارعاً في مواجهتهِ الإعلاميةِ للأتراكِ، يرقبُ كلَّ فعلةٍ للأتراكِ يبعونَ التقربَ من خلالها إلى اليمينينِ، فيتناولُ تلكَ الفعلةَ، ويبيِّنُ النوايا

(١) الدر المنثور، ٤٩ ب.

التركية الكامنّة وراءها. فعندما دخلَ الوالي حسين حلمي، أوائلَ صفر ١٣١٦هـ، إلى اليمن، أظهرَ العدالةَ، كما يقولُ مؤلّفنا، وكتبَ حسين حلمي إلى البلدانِ، طالباً من المأمورين لبسَ العمائم، وحتى هو نفسه فقد لبسَ العمامةَ، وأقدم (حسين حلمي) أيضاً على عزلِ المشايخ باعتبارهم من أسبابِ الفساد وظلمِ الرعية، عندَ ذلك استنفرَ الإمامُ الدعاءَ والوعاظَ، وشنوا حملةً توعويةً ضدَّ ذلك، وكان محورَ تلك الحملة، هو، أن الأتراك «قد ظنوا، ما الإسلامُ الا بُسُ العمائم» فإذا لبسوها وتخلّوا عن زيِّ النصارى، عادت الثقةُ بهم، وما دَرَوْا أن الإسلامَ يُوجبُ تطبيقَ شرعِ الله، والحكمَ بمحكمِ القرآنِ وسنةِ رسوله^(١).

ولإضعافِ القواتِ العثمانيةِ وتفكّكها، فقد لجأ الإمامُ إلى أسلوبِ ذكي، فقد انتَهزَ فرصةَ أسرِ بعضِ العساكرِ من أهلِ الشام، وعاملهم معاملةً حسنةً وأطلقَ سراحهم، وسهّلَ نقلهم إلى بلادهم، بعدَ أن أودعهم رسائله إلى أهالي بلادِ الشامِ والتي تحبّرُ بما وقعَ ويقعُ في اليمن. كما أن كثيراً من الجندِ الشامي والجندِ العراقي كانوا يفرّون من الخدمةِ العسكريةِ في صفوفِ الأتراك، ويلتجئون إلى جانبِ الإمام، فيكرم وفادتهم، نفقةً وكسوةً، ويُلحِقهم ببلادهم، ويحمّلهم رسائله التي تناشدُ أهلَ الشامِ والعراقِ مؤازرةَ أهلِ اليمن، ومناصرةَ قضيتهم. وقد جاءَ في إحدى رسائله التي أوردَها مؤلّفنا في كتابه ما ملخصُه:

«أنه يُنهي إلى جماعةِ أهلِ الإسلام، وإلى من جمعتُهُ وإياهم دعوةُ الحقِّ

(١) المصدر السابق، ٦٤.

في قُطْرَيِ العراقِ والشامِ وَمَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى الْحَقِّ مِنَ الْأَتْرَاكِ، ضرورة موالاةِ آلِ الْبَيْتِ عَمَلًا بِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وأَحَادِيثِ الرَّسُولِ الشَّرِيفَةِ، ثم يَصِفُ فِي رَسَائِلِهِ الْيَهُمَ، مَا اقْتَرَفَهُ الْمَأْمُورُونَ الْأَتْرَاكِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ، وَمَا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمَظَالِمِ. وَهَذَا يَحْتَمُّ الْقِيَامَ ضِدَّ بَعْضِهِمْ، بَعْدَ فَشْلِهِ مِنَ السُّلْطَانِ، رَغْمَ كَثْرَةِ مَنَاشِدَاتِهِ وَمَكَاتِبَاتِهِ لِلسُّلْطَنَةِ، يَطْلُبُ إِلَى السُّلْطَانِ رَفْعَ الظُّلْمِ وَالْعَسْفِ، وَيَدْعُوهُ لِتَطْبِيقِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَحِمَايَةِ دِيَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي».

ويشيرُ الإمامُ في رَسَائِلِهِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ بِأَنَّهُ لَمْ يَنْهَضْ ضِدَّ الدَّوْلَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ بَغَتِ الدَّوْلَةُ، وَوَقَعَ الْاِعْتِدَاءُ عَلَى شَرَعِ اللَّهِ وَعِبَادِ اللَّهِ مِنَ الْمَأْمُورِينَ، مِمَّا أُوجِبَ عَلَيْهِ، وَمَعَهُ أَهْلُ الْيَمَنِ الْقِيَامَ لِلْمَدَافَعَةِ وَرَدَّ الْبَغَاةِ. وَقَدْ سَفِكَتْ دِمَاءُ غَزِيرَةً فِي تِلْكَ الْحُرُوبِ، وَوَقَعَ الْقِتَالُ فِي الْجَنْدِ الشَّامِيِّ وَالْعِرَاقِيِّ نَتِيجَةً ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّ الْإِمَامَ يُوَضِّحُ لِأَهْلِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ أَنَّ كَثْرَةَ الْقَتْلِ مِنَ أبنائِهِمْ إِنَّمَا يَعُودُ بِالدرَجَةِ الْأُولَى إِلَى السِّيَاسَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ الْحَرَبِيَّةِ: ففِي أَثْنَاءِ الْمَعَارِكِ إِذَا مَا تَرَاوَعَتِ الْعَسَاكِرُ النِّزَامِيَّةُ أَوْ حَاوَلَتِ الْفِرَارَ مِنْ مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ لِلنَّجَاةِ، فَإِنَّ الضُّبَاطِ وَالْقَادَةَ الْأَتْرَاكِ يَبْدَأُونَ بِضَرْبِ الْعَسَاكِرِ بِالْمَدَافِعِ وَيَجْبِرُونَهُمْ عَلَى الْمَهَاجِمَةِ الْحَتْمِيَّةِ، فَيَكُونُ الْمَوْتُ لَهُمْ بِالْمَرْصَادِ، سِوَاءَ مِنَ الْقَادَةِ وَالضُّبَاطِ أَمْ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ، رَعِيَّةِ الْإِمَامِ.

وفي نِهَآيَةِ رَسَائِلِ الْإِمَامِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ يَحذِّرُهُمْ مِنْ مَعْجَبَةِ إِرسَالِ أبنائِهِمْ إِلَى الْيَمَنِ، بِقَوْلِهِ «إِيَاكُمْ! إِيَاكُمْ! أَنْ تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» وَيَدْعُو فِي تِلْكَ الرِّسَالِ، الْعَسَاكِرَ إِلَى تَرْكِ الخِدْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ بِالْهَرَبِ وَالْفِرَارِ إِذَا كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ الدَّبَّ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ضِدَّ ظُلْمِ الْقَادَةِ

والضباط والمأمورين .

ويبدو أن رسائل الإمام قد وجدت صداها بين عساكر الشام والعراق، فما عدنا نقرأ عن رديف أو إمداد ذي قيمة قد وصل إلى اليمن، ولعل حالة الاضطراب التي سادت الدولة بسبب حروبها في عدة جهات، كانت وراء تقليص الحملات الجديدة إلى اليمن .

وعلى الجانب الآخر، فإن الإمام أحسن استغلال ميدان آخر للتنديد بالممارسات العثمانية في اليمن، وكان هذا الميدان هو موسم الحج، حيث يفد المسلمون إلى بيت الله الحرام من كافة أرجاء المعمورة لأداء مناسك الحج، فانتهز الإمام الفرصة. وخطب جموع المسلمين مخبراً بما وقع في اليمن من قبل الدولة العثمانية .

وكان موسم الحج لعام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م منبراً للإمام، ففي ذلك العام كتب إلى الحجاج واصفاً ما وقع من اعتداء على شريعة الله، وما أقرت من معاص من قبل مأموري الدولة، وما ارتكبه العساكر العثمانية من مفاصد في اليمن، كالزنا واللواط والمجاهرة بشرب الخمر .

لقد كان لهذه المواجهة الإعلامية المنظمة وقّعها على الدولة التركية، فقد كانت إحدى العوامل التي أقنعت الأتراك بضرورة المصالحة أو المودعة مع الإمام على الأقل .

ولسنا نبالغ أنها وغيرها من الظروف والأسباب، فتحت الأبواب لعقد صلح دغان، سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١١م. فيما بعد .

رئفصل الررفف

المطلب الأول:

المراسلاتُ الإمامية - العثمانية:

أثبتَ المؤرُخُ الإرفاني عدةَ وثائقٍ تعلَّقتُ بالإتصالاتِ الإماميةِ العثمانيةِ، بعضُها جاءَ بتكليفِ من السلطانِ العثماني مباشرةً، وبعضُها الآخرُ أرسلَ إما من الولاةِ العثمانيين في اليمنِ أنفسهم، أو بطلبهم لأحدٍ من ذوي الشأنِ المؤيدين للدولة العثمانية.

وقد بدأت تلك المراسلاتُ بتكليفِ الشريفِ عون الرفيق^(١) ضرورةَ التوجهِ إلى عندِ الإمامِ، ومن ثمَّ تقديمِ النصحِ له، وللقبائلِ اليمانيةِ أيضاً، أملاً في كسبِ الولاةِ والعودةِ إلى طاعةِ الدولةِ. فقد وجدنا في أرشيفِ رئاسةِ الوزراءِ العثماني، تصنيفِ قصرِ يلدز، دائرةِ الكتابةِ الرئيسيةِ، السكرتاريةِ وتحت رقم ٤٢٥، إرادةٍ داخليةِ رقم ٩٧٥٤٩ تاريخها ٢٥ صفر سنة ١٣٠٩هـ. واحتوت الوثيقةُ:

العرضَ بتكليفِ الشريفِ عون الرفيق، القيامَ بالوعظِ والنُصحِ بينَ القبائلِ اليمانيةِ لثنيها عن مناصرةِ الإمامِ، وبالتالي منعِ الإمامِ من الاستمرارِ في خروجهِ وثورتهِ. ومن ثمَّ صرفَ النظرِ عن استعمالِ القوةِ في الوقتِ

(١) الشريفِ عون الرفيق بن محمد بن عبدالغني بن عون: كان مقيماً في استانبول حتى سنة ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م حيث عُين أميراً على الحجاز، ووصلها في ٨ ذي الحجة، واستمر أميراً عليها حتى سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م، انظر، أحمد زيني دحلان، أمراء البلد الحرام، ٣٧٩ - ٣٨٠، أحمد السباعي: تاريخ مكة، ٣٨٨ - ٣٩٣.

الحاضر، ولا ندري إن كان الشريف عون الرفيق قد قام بالمهمة فعلاً، إذ لم يرد في المصادر اليمينية المعاصرة أو العثمانية ما يؤكد خبر قيام الشريف عون الرفيق بهذه المهمة.

يحتفظ الأرشيف العثماني بالعديد من الوثائق والرسائل المتعلقة باليمن، سواء في أرشيف رئاسة الوزراء أم محفوظات قصر يلدز، ولكن الوثائق والرسائل التي أثبتنا مؤرخنا في كتابه غير موجودة ضمن مقتنيات ومحفوظات الأرشيف بتصنيفاته المختلفة، ولعل هذه الوثائق والرسائل الإيرانية قد ضلت طريقها إلى الأرشيف، أو أنها لم تصل أساساً إلى السلطنة لسبب أو لآخر.

من خلال استعراضنا لأولئك الذين مهّرت الرسائل بتوقيعاتهم نجد أن مجموعها قد بلغ أكثر من سبع عشرة رسالة كانت على الشكل التالي:

- رسالتان بُعِثتا باسم القاضي أحمد الردي الصنعاني، وهو ابن القاضي يحيى بن علي الردي، من قرية بيت ردم في بلاد حضور من ناحية البستان، غرب صنعاء، والذي كان قد تولى القضاء للأتراك في قضوات حراز وريم وحجة والعدين، وفي نواحي البستان وسنحان ويني الحارث ويني حشيش والحيمة وهمدان من نواحي صنعاء، وظل على ولايته للأتراك حتى وفاته سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢ في وادي شهر^(١)، وكانت:

- الرسالة الأولى مؤرخة في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ.

(١) انظر، أئمة اليمن، ٣٨٦/٢، لامية نبلاء اليمن، ٣٨.

- والرسالة الثانية مرفقة معها، وهي رسالة السيد محمد الحريري الرفاعي، بنفس التاريخ.

- رسالة بعث بها السيد محمد بن عمر بن حسن الحريري الرفاعي الحسيني، رأس الطريقة الرفاعية بحماة، والذي كان قد قضى شطراً من حياته في استانبول، حيث أكرم في رتبة الموالي المعروفة برتبة إزمير، وخلف محمدًا، أبا الهدى الصيادي، نقيب أشراف حلب، المقيم في استانبول في رئاسة الطريقة الرفاعية الصوفية، ولعل اتصاله بالإمام المنصور بالله، كان بتكليف من محمد أبي الهدى الصيادي، مدرّس أولاد السلطان وأُرسلت مع حسن بن عبدالله بن يحيى المنصور.

- خمس رسائل بعث بها علي بن مثنى الحسيني الرجامي الحشيشي، والذي خدم الدولة في استانبول، وترقى حتى وصل إلى رتبة الياور، وتعني المساعد في القصر السلطاني، وغالباً ما يكون متولي مثل هذه الوظيفة إذا شأن، وكان علي بن مثنى يحمل رتبة قائم مقام^(٣) حين أُرسِل إلى اليمن، لكشف أحوالها، موفداً من الباب العالي، لإبلاغ السلطنة بحقيقة الأوضاع في اليمن:

- الرسالة الأولى، تاريخها ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ.

- الرسالة الثانية، تاريخها ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٦هـ.

(١) انظر، حوليات يمانية، ٥٢٩، أئمة اليمن، ٦٣/٢.

- الرسالة الثالثة، تاريخها، رجب سنة ١٣١٦هـ.

- الرسالة الرابعة، تاريخها، رمضان ١٣١٦هـ.

- الرسالة الخامسة، تاريخها، شوال ١٣١٦هـ.

- رسالة من الوالي، أحمد فيضي، تاريخها ٥ محرم سنة ١٣١٢هـ، حملها إلى الإمام الفقيه عبدالله بن علي الحَضُوري ت في صناعاء سنة ١٣٢٤هـ^(١)

- رسالتان من الوالي حسين حلمي باشا بواسطة العلامة أحمد بن محمد الكبسي، الأولى، تاريخها، ربيع الأول، ١٣١٦هـ.

- والثانية في ٢٧ رجب ١٣١٦هـ، وقد نسبها زيارة إلى سيف الإسلام، أحمد بن قاسم حميد الدين، حيث وصلت إلى أحمد بن قاسم^(٢).

- ثلاث رسائل من عبدالرشيد بك - ومن محمد علي رضا أفندي،

تواريخها:

- الرسالة الأولى، تاريخها ١٣ جمادي الأولى سنة ١٣١٧هـ.

(١) يبدو أن الفقيه عبدالله بن علي الحَضُوري، قد كُلف أيضاً من قبل الكاشف نامق باشا، بالتقصي والبحث عن المساعدات الأجنبية للإمام، وكانت المهمة محددة بكتاب نامق للحَضُوري، يتحرى حال الشريف القائم في اليمن، هل معه مادة (مواد ومساعدات) من الأجانب أم لا، انظر، أئمة اليمن، ١٠٣/٢.

(٢) انظر، أئمة اليمن، ٢٥٨.

- الثانية، غير مؤرخة، ويبدو أنها في سنة ١٣١٧هـ.

- الرسالة الثالثة، تاريخها، شهر القعدة من سنة ١٣١٧هـ.

- رسائل مكتوبة وأخرى مشافهة، تبودلت بين الإمام، والسيد حسن خالد، أبي الهدى الصيادي، تواريخها بين ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٠هـ، وشعبان من نفس السنة بواسطة علي النحوي الصنعاني.

واللافت للنظر، أن هذه الشخصيات التي كانت تتصل بالإمام في محاولة منها لاحتواء ثورته، كانت تنطلق بصورة عامة من مصلحة نفعية ذاتية تسعى لبلوغها، فتتألم الحظوة عند السلطان أو عند الصدر الأعظم أو حتى عند المتسلمين لإدارة «الما بين السلطاني». وينطبق هذا على محاولات كل من: محمد السيد الحريري أو علي مثنى الحسيني ونامق باشا وغيرهم ممن يُمنون أنفسهم بالرضا من قبل السلطان أو من قبل الصدر الأعظم.

وأما الواليان العثمانيان، أحمد فيضي وحسين حلمي، فقد كانا يسعيان لتسكين البلاد، وليسجل لهما النجاح في ولايتهما ومن ثم يفوزان بالترقية المترتبة لمنصب الوزارة.

وللحقيقة، فإن رسائل حسين حلمي باشا التي أذاعها بين الناس حَقَّقَتْ جانباً مما كان يرمي إليه، ولو مؤقتاً، إن ذهب لإقامة العدل والمحافظة على الأمن، فقد أقدم على عزل مَنْ أساء من المأمورين، وقام بإصلاحات، وقدم المعونات المالية لفقراء صنعاء وغيرها، وأسس إدارة للمعارف، وأنشأ بعض مكاتب الدراسة وداراً للمعلمين ومكتباً للصنائع وآخر للإعدادية، وتظاهر

بتقديره للعلم والعلماء، واختار هيئة من أهل العلم والسياسة يشاورهم فيما يمكن عمله لإصلاح شئون اليمن. وجهد في منع الرشوة، وأكثر من ذلك، فقد لبس العمامة وخلع الطربوش.

ولعل هذه السيرة الحسنة لحسين حلمي هي التي جعلت العلامة أحمد بن محمد الكبسي يقبل الوساطة بين الإمام والوالي حسين حلمي.

وأما عبدالرشيد بيك وعلي رضا أفندي وقبلهما المشير عبدالله، فلم تكن اتصالاتهم ورسائلهم إلا من باب التنافس والصراع الخفي الدائر بين مراكز القوى المحيطة بالسلطان في استانبول، والتي كان ميدانها كافة أنحاء الدولة وأطرافها، واليمن واحدة من ميادين وساحات التنافس.

ومن الجدير بالذكر، أن مراسلات عبدالرشيد بيك وعلي رضا أفندي، ومهمة حسن خالد، أبي الهدى الصيادي^(١) لم يرد لها ذكر، فيما عدا كتابنا هذا.

ولعل من المفيد أن نعرض لتلك الرسائل درساً وتحليلاً، ففيها نمط من

(١) تولى حسن خالد، أبو الهدى الصيادي، رئيس مجلس النظار في إمارة شرق الأردن بتاريخ ٢٤ محرم سنة ١٣٤٢هـ/٥ سبتمبر ١٩٢٣ لأول مرة، ثم في ١٦ ذي الحجة ١٣٤٤هـ/٢٦ حزيران ١٩٢٦ تولاها للمرة الثانية، انظر، مذكراتي للملك عبدالله، ٢٠٤، ٢١٥.

الدبلوماسية التفاوضية التي أتبعها الإمام، وكذلك إبراز الأهداف التي كان يرمي إليها كل طرف.

كانت رسالة القاضي أحمد بن يحيى الردي، المؤرخة في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٨٩م مشحونة بالتحذيرات والتهديدات، فبعد أن أغفل أحمد الردي لقب الإمامة في خطابه للمنصور بالله، محمد بن يحيى، وخاطبة في رسالته المشار إليها بعبارات: «ذات سيدي وسندي، واسطة عقد الآل»، أبلغ الإمام التحيات، مشفوعة بالدعاء لسلطان المسلمين العثماني، أن يوفقه الله لإقامة الدين وحراسة الشريعة. ويُنهي القاضي أحمد في رسالته للإمام بأن الهدف الذي خرج من أجله قد تحقق، فالسلطان قد بلغه أن المأمورين في اليمن غير مستقيمين. ويضيف القاضي أحمد الردي في رسالته، «ولقد تأكّد لدى السلطان أن الشريف القائم في اليمن، ما قام خروجا عن الطاعة، ولا تفريقاً للجماعة، وإنما بسبب ظلم المأمورين». ولكن البعض أوغر صدر السلطان على الإمام، وادّعى بأن الخروج طبيعة مُستحكمة عند الإمام، وما التذرع بتحقيق العدالة إلا من قبيل التزود، «فلو كان عمر بن عبد العزيز بعدلته المعروفة والياً على اليمن، لما منع الإمام من الخروج والثورة وخلع الطاعة»، ولولا تدخل محمد، أبي الهدى الصيادي الرفاعي لدى السلطان، في تهدئة غضبه وانتدابه بعض أقاربه للاطلاع على حقيقة الأحوال في اليمن، لكان لحق الإمام غضب السلطان الماحق، وأمر بإرسال القوات لسحق الثورة والقضاء على قياداتها.

ويطلب الردي من الإمام أن يبادر إلى سرعة الانقياد والطاعة ويبرق

بذلك تلغرافياً وإلا ناله ما لا يتوقعه.

ثم يُعرضُ الردمي بعدمِ أحقية المنصورِ باللهِ لمنصبِ الإمامة، وينصُّحه بالاعتداءِ بالحسنِ بنِ علي الذي نزلَ عن الإمامةِ لمعاويةَ بنِ أبي سفيان. ويلجأُ الردمي إلى أسلوبِ التهويلِ والتخويفِ، ويخاطبُ الإمامَ: الله، الله، سيدي . . . الخ وهي عباراتٌ تنبئُ بسرعةِ التنفيذِ والاستجابةِ.

ثم يختمُ رسالتهِ بأملهِ أن يعودَ الرسولُ بما يَسُرُّ.

والرسالةُ في ملخصِها اتَّسمتْ بالترغيبِ والترهيبِ، وتركَّزُ على انتزاعِ الطاعةِ والإنقيادِ مقابلَ تأمينِ الإمامِ، وعدمِ معاقبتهِ، بل إنها من ناحيةٍ أخرى تمهِّدُ لمهمةِ السيدِ محمدِ الرفاعي الحموي.

وقد نَقَدَ مؤرِّخنا الإرياني الرسالةَ نقداً مريراً، ووصفَ القاضي أحمدَ بنَ يحيى الردمي «بأنه رجلٌ مشتمومٌ، لا يعرفُ من العلمِ إلا رسومتهُ» وما هو إلا قاضٍ بالدعوى، بمعنى: أن الدولةَ هي التي تعينه، فاللقبُ لم يحصله في معاهدِ العلمِ والبحثِ والدرسِ، وإنما بمواليتهِ للأتراكِ. وساقَ مؤلِّفنا من الألفاظِ في وصفِ أحمدِ الردمي ما يبيِّنُ المرارةَ والغضبَ التي تركتها تلكَ الرسالةُ في نفسه، فيقول عن الردمي: «إنه أضلُّ من راعي ضأنِ ابنِ ثمانين، وأجهلُ من ابنِ تسعين، وما هو إلا دابةٌ تقضي بينَ عبادِ الله».

أما جوابُ الإمامِ المنصورِ باللهِ على رسالةِ أحمدَ الردمي، فقد اتَّسمَ بالأدبِ الجَمِّ، والعفَّةِ عن وحشي الكلامِ وتافهه، وأسبغَ عليه الألقابَ المعترَبةَ والصفاتِ الحسنةَ، ودعا الله أن يُجنِّبه الخطلَ والزَّلَلَ ثم بيَّن له الأمورَ التاليةَ:

- أن الواجب عليه توجيه النصح والإرشاد لمن ناوؤوا آل البيت، وارتكبوا المعاصي وعطلوا أحكام الشريعة.

- أن الإرعاد والإبراق والتهديد والوعيد والتخويف لا تصدّه - مجتمعة - عن مواصلة الجهاد ضدّ البغاة، فهو لا ينبغي سوى الفوز بالشهادة في سبيل الله.

- وأما ما أشار إليه الردي من ظنّ التأثير وحشد الأتباع وتعبئة الطاقات، فقد فات آوانها، فالنصر في جانب القوات الامامية، والزيادة والمؤونة متكاثرة في طرفه.

- وعن الحديث الذي استشهد به أحمد الردي ونصّه: «اتركوا الترك ما تركوكم» فهو حجة عليه، ويتساءل الإمام: فمتى ترك الأتراك أهل اليمن؟ بل الأتراك أنفسهم إلى اليمن وأهله قاصدون^(١).

وأما رسالة السيد محمد بن علي الحريري الرفاعي، مفتي حماة، ورئيس الطريقة الرفاعية المؤرخة في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م فנסجل عليها الملاحظات التالية:

- يخاطب السيد الرفاعي الإمام المنصور بالله بعبارات «السيد الشريف، والعالم الغطريف، بقية السلف». وهو بدا يغفل لقب الإمامة كما فعل الردي من قبل.

- يدعو المنصور بالله إلى الحكمة التي هي ضالة المؤمن، ويعجب كيف فات المنصور بالله شرفها، فالدنيا لا تبقى لمحمد وآله، ومذاهب الأئمة قائمة

(١) انظر الرسالة والإجابة عليها في الدر المنثور، ٢٩ أ.ب.

بوجوب جمع الكلمة وعدم التفرقة.

- يؤكد الرفاعي للإمام المنصور بالله اجتماع كلمة جماعة المسلمين وطوائف الموحدين من العرب والعجم تحت لواء الخليفة الأعظم الغازي عبد الحميد، ومن ثم فإن الإمامة التي يتطلبها محمد بن يحيى حميد الدين قد نزل عنها الحسن بن علي رضي الله عنه، وما طلبها أحد من آل البيت، إلا وقد أصبح دونها قتيلاً منذ العباسيين حتى نهاية عصر المماليك، وانتقلت الخلافة بالعقد الصحيح والإجماع الصريح إلى عبد الحميد، فطاعته أصبحت مفروضة، وخدمته مشروعة، والخروج عليه بغى وعدوان.

- يعرف السيد الرفاعي الإمام بوصول رسائله التي تحض على الجهاد وتكفر المسلمين الأتراك بدلائل يبذلها الإمام في رسائله قد وصلت لمسامع السلطان، فبادر إلى تجهيز العساكر للقتال وحسم مادة الشر والفتن، وأقسم السلطان، إذا لم يقف الإمام عند حده، فإنه قاتله ومن أتبعه بسيف جده، لأن ما فعله الإمام هو هدم للدين وإيقاظ للفتنة والفساد.

- وينهي السيد الرفاعي للإمام، أن السلطان ما انتدبه إلا لأنه هاشمي مثله، وما رسالة الرفاعي إلى الإمام إلا انذار وتفهم، وليست إرشاداً وتعليماً، وببساط الرفاعي الإمام بحديث مفاده، أنه يجعل للإمام أوفر نصيب من عطف السلطان ورعايته إن استجاب لما يدعو إليه: فله الحرمة المصونة والشأن والمنزلة والمقام الجليل، وأما في غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه.

- ثم يفصح السيد الرفاعي عن رغبته بالاجتماع بالإمام، لأن هناك أموراً لا تحتملها بطون الكتب، وما عداها فقد أودعها للرسول لينقلها إلى الإمام.

مشافهةً، ويُبدي السيدُ الرفاعي استعدادَهُ للسفرِ إلى جنابِهِ، وإلا فليكتب الإمامُ رسالةَ الطاعةِ للسلطانِ، ويتعهدُ - الرفاعي - بإيصالها بنفسِهِ إليه .
- ويختتمُ الرفاعي رسالتهُ إلى الإمامِ بالتهديدِ ويقول: فالعربُ لا تقدِرُ على قتالِ الدولةِ، وقد جَرَّوا أنفسهم إلى الدمارِ، والباغي عليه الويلُ»^(١).

وجاءَ جوابُ الإمامِ المنصورِ باللهِ مقارباً في لفظهِ ومعناه لرسالةِ السيدِ الرفاعي الحموي، وكان الردُّ قوياً وصارماً. فبعدَ إسباغِ الألقابِ على السيدِ الرفاعي الحموي، لامه وقرَّعه لأنَّهُ لا يقولُ الحقَّ، ولا يتمسِّكُ بالحبلِ الأقوى، حبلِ العترةِ النبويةِ. ثمَّ بيَّنَ الإمامُ للسيدِ الرفاعي الأمورَ التاليةَ:
- شكرَ الامامِ للسيدِ الحموي إقرارَهُ بحقِّ العترةِ النبويةِ في السيادةِ والزَّعامَةِ، في حين أنَّ الإمامَ لا تعلقُ له بالرياسةِ الدنيويةِ ولا الراحةِ الأبديةِ، فهو لا يحرضُ على جمعِ المالِ ولا يسعى لغنى .

- كشفَهُ لأنواعِ المعاصي والفجورِ والفواحشِ التي ارتكبتها العساكرُ التركيةُ وكذا المأمورون، بسلوكِهِم نهجَ الظُّلمِ والبغي والاعتداءِ على أهلِ اليمنِ، مما أوجبَ معه المشروعيةَ في الدفاعِ والدَّبِّ عن الدينِ والشريعةِ ورعايةِ حُرُماتِ المسلمين .

- عدمَ خشيتهِ التهديدَ بالقتلِ والنَّكالِ، فالإمامُ لا يفاخرُ بالقوةِ، وإنما يلجأُ إلى اللهِ الذي تكفَّلَ برعايةِ أولئك الذين يؤدُّون حقوقَه سبحانه، إذ أن اعتيادهُ في مقاومةِ الظلمِ والبغي دائماً على اللهِ، وعلى المجاهدين القائمين بحقوقِ

(١) انظر، الدر المنثور، ٣٠ أ.

رَبِّ العبادِ، وقد عَمَّرُوا مساجدَ اللهِ بالعلمِ والعملِ.

- ويَبْلُغُ الإمامُ السَّيِّدَ الرِّفَاعِي بِإشارةٍ ذكيةٍ أَنْ: «لو عَلِمَ السُّلطانُ الأَعْظَمُ بحالِنَا، لَسارَعَ إلى معاوِنَتِنَا، ولأَمَرَ برفعِ المأمورين عن الخِطَّةِ اليمانية، ومنعهم من حربِنَا، ولو جَّهَّ العساكِرَ لمحاربةِ الأُمَّةِ الكافِرةِ عوضاً عن دَهِكِنَا.

- وعن التَّخويفِ والإرعادِ والإِبراقِ، خاطَبَ الإمامُ السَّيِّدَ الرِّفَاعِي بقولِهِ: «دَعِ عنكَ التَّخويفَ بالمخلوقين» بمعنى أَنَّ الإمامَ لا يخافُ إلا رَبَّ العالمين، واستشهدَ بيبيِّ من الشعرِ لمزيدٍ من الإيضاحِ والتبيان:

جاءَ شقيقٌ عارضاً رُمحَهُ إنَّ بني عمِّكَ فيهمُ رماحُ

- وأما اجتماعُ الكلمةِ، فيعلِّقُ الإمامُ المنصورُ عليها في جوابِهِ قائلاً: «ومن أينَ لنا ذلك! وإلاَّ فهو عندنا من أَجَلِّ المسالكِ».

والإشارةُ واضحةٌ في مقصدها، فلا حَلَّ الا بتخليصِ اليمينِ من الإدارةِ العثمانيةِ، وانسحابِ التركِ من البلادِ، والتوقفِ عن محاربةِ اليمينِ وأهلِهِ والتوجهِ نحوِ الأُمَّةِ الكافِرةِ التي تنهَشُ جسدَ الدولةِ، وتسيطرُ على أجزاءِ منه.

وكانت رسالةُ الياورِ علي بنِ مثنى الحسيني الثانيةُ إلى الإمامِ أَقلَّ حدةً في مضمونها، فقد جاءَ فيها عدةُ أمورٍ منها:

- خاطَبَ عليُّ بنُ مثنى الإمامِ «بالجنابِ العالِي المنيِفِ» وهو لقبٌ من أرفعِ الألقابِ الخاصةِ بالقضاةِ والعلماءِ، ويَبْلُغُهُ بصدورِ الرسالةِ بعدَ وصولِ علي بنِ مثنى مبعوثاً من قِبَلِ السُّلطانِ لكشفِ أحوالِ اليمينِ، وما وَقَعَ فيها من قتلٍ وقتالٍ وسبِّ ذلك، ثم البحثُ عن حقيقةِ المأمورين والرعايا، وأمورٍ أخرى

لا تسعها إلا المشافهة، بقصد صلاح الإسلام والمسلمين وإخمادِ الفتن .
- ويطلبُ من الإمام ضمانَ أمنِهِ في الطريقِ إلى الإمامِ ، حتى يصلَ إليه
للحوارِ في أمورٍ أخرى، وسيبلغُهُ الرسولُ بتلكِ الأمورِ تحقيقاً .
ويُستفادُ من الرسالة: الإقرارُ بسيطرةِ الإمامِ على مناطقِ في اليمنِ، لا
يمكنُ اجتيازُها دونَ موافقةِ الإمامِ وبذلِ الأمانِ .

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ الياورَ علي بنِ مثنى الحسيني كان يخشى وقوعَ
الرسالةِ في أيدي أحدِ العساكرِ أو أعوانِ الولاةِ والمشيرين المتنافسين آنذاك
مما يعطلُّ خطته في الصلحِ، فأوحى للإمامِ بوجودِ أشياءٍ أخرى تقتضي
المشافهة^(١) .

وجاءَ في ردِّ الإمامِ على رسالةِ الياورِ علي بنِ مثنى الحسيني، عدَّةُ قضايا
نجملها فيما يلي :

بعدَ مخاطبةِ الإمامِ لعلِّي بنِ مثنى بالألقابِ الفخمةِ والعباراتِ المتضمنةِ
الثناءَ عليه، والدعاءَ له بالرشادِ والتقوى، شرَّحَ له واقعَ اليمنِ، حيثُ:
- أعادَ التأكيدَ على هدفِهِ وهو الحفاظُ على الشريعةِ وفقَ المذهبِ الزيدي،
أعدلِ المذاهبِ في التوحيدِ والعدلِ والوعدِ والوعيدِ .

- ثم إنَّ اليمنَ كانتَ بأيدي أسلافِهِ من العترةِ الزكية، يعملون بكتابِ اللهِ وسنةِ
نبيه، يأمرُون بالمعروفِ وينهَوْنَ عن المنكرِ، وقيمون الحدودَ والقصاصَ،

(١) انظر الدر المنثور، ٢٧.

ويأخذون الخراج بالعدل لا بالالتزام، لأن أهل اليمن ما عليهم غير الزكاة والفطر، لأنهم أسلموا تطوعاً.

- ثم يعرض له ما ارتكبه المأمورون من المحرمات وتعطيل الشرائع، وإستيعاب أموال الناس بالقوانين الموضوعية، ودهك الرعية، وظلم التاجر والمزارع، والمبالغة في طلب الرسوم وقيمة الأوراق - أي الأوراق الرسمية - وتفشي الرشوة والفساد.

- ويشير بذكاء إلى أن السلطان، قبل حكم الكفار على بلاد الإسلام في مسألة اليونان والصرب والجبل الأسود، وحتى مصر وبريطانيا، ولم يقبل الإقرار بحكم العترة النبوية لبلاد اليمن، ويطلب إليه حقن الدماء، ووجوب العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ومقاتلة ومعاقبة الفئة الباغية.

- وأخيراً يلفت نظره إلى تسلّمه كتاباً من السيد محمد الرفاعي الحموي وقد أجاب عليه، ويرغب إليه إبلاغ السلطنة بذلك، لأنه يخشى عدم إيصال جوابه للسلطان. ويُفهم من الكتاب أن الحل لا يكون إلا بالإقرار بحق آل البيت في حكم اليمن وإقامة الشريعة حتى تنتفي أسباب الفساد من قبل المأمورين، ويكون رفعهم من اليمن محتملاً.

ومن ناحية ثانية فقد جاء في كتاب أئمة اليمن^(١) صورة «الحاوي» من الإمام المنصور إلى الياور الحسيني، حيث تضمن اقتراحات تحقّق المصالحة إن كان المراد الصلح حقيقة، ولم يتعدّ الأمر المخادعة والمماكرة، وهي،

(١) انظره في أئمة اليمن ٦٦/٢.

- رفعُ العساكرِ العثمانيةِ من مناطقِ الإمامِ -

- تأمينُ الناسِ في الجهتينِ .

- إجراءُ ما يُوافقُ الكتابَ والسُّنةَ، وعدمُ قبولِ تعريضاتِ أهلِ الخيانةِ والظنِّ، فإنَّ تمَّ ذلك، فسيرْفَعُ الحصارُ عن المحصورينِ .

ولا ندري هل وصلت هذه الاقتراحات والرسائل السابقة إلى السلطان أم لا، غير أننا وجدنا في الأرشيفِ العثماني، وتحت تصنيفِ يلدز الهمايواني إرادة داخلية رقمها ١٠٠٢٤٨ تاريخها ٢٧ شوال ١٣٠٩هـ، تتضمنُ تشكيلَ لجنةٍ برئاسةِ ناظرِ العدليةِ، وأعضاؤها: أحمدُ أيوب باشا، وإبراهيم أفندي رئيس مجلس المالية، والسيد أحمد بك، من أعضاء مجلس شورى الدولة، عُهدَ إليها مهمةُ تدقيقِ المعروضاتِ التي قُدِّمتْ حولَ تنظيمِ أحوالِ ولايةِ اليمنِ بتاريخِ ٢٤ شوال ١٣٠٩هـ، ومن ثمَّ صدورُ الفرمانِ بذلك^(١)، وما زلنا نحاولُ إثباتَ أو نفي ما إذا كان تشكيلُ تلك اللجنة بناءً على تقارير الكُشَافِ والمُحَقِّقين، الذين أُرسلوا لتقصي أحوالِ اليمنِ من قبلِ السلطنةِ، أو أنه كان استجابةً لضروراتٍ مُلِحَّةٍ فرضتْها ظروفُ الوجودِ العثماني في اليمن، من قبلِ السلطنةِ والصعوباتِ المحيطةِ بهِ .

وتمضي أكثرُ من سبعِ سنواتٍ لا نجدُ أثراً لإتصالاتِ علي بن مثنى الحسيني، ولكنها في سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م عادتْ نَشِطَةً وقويةً، وأتتْ في خِصْمٍ اشتدادِ المعاركِ بينَ القوَّاتِ الإماميةِ والأجنادِ العثمانيةِ، فقد وصلتْ إلى الإمامِ رسالةً مؤرَّخةً في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣١٦هـ، مضمونها:

(١) انظر الوثيقة في الملحق .

البحث عن سبب الاختلاف والافتراق ومنازعة وحدة كلمة المسلمين .

وفي الرسالة اتَّهَمَ للإمامِ ، بأنَّه ما نهضَ إلا لطلبِ الرئاسةِ وتحقيقِ مغانمِ دنيويةٍ، ويعرضُ علي بن مثنى في رسالته هذه على الإمامِ الإقامةَ في صنعاءَ آمنًا مرتاحًا، فإن فعلَ ورأى منكرًا أو ظلمًا رَفَعَهُ إلى المأمورين ، وإلا أوصَلَهُ إلى البابِ العاليِ ، والأولى حقنُ دمائِ المسلمين وتسكينُ الدُّهْماءِ .

وعادَ الإمامُ لِيَسْرُدَ له كيفيةَ وصولِ العساكرِ العثمانيةِ إلى مملكةِ اليمنِ ، والتي كانت تحت حُكْمِ أسلافِهِ، أئمةِ الدولةِ القاسميةِ ، الذين التزموا بأحكامِ الكتابِ والسُّنةِ ، وأمروا بالمعروفِ ونَهَوْا عن المُنْكَرِ ، حتى إذا خرجتْ عساكرُ السُّلْطَنَةِ إلى عسيرِ ، دعاهم الأشرارُ لمواصلةِ حملتِهِم إلى اليمنِ .

ثم يُعَدِّدُ الإمامُ في رسالته هذه المفاسدَ والمعاصيَ والفواحشَ التي ظهرتْ في اليمنِ من قِبَلِ المأمورين والعساكرِ ، ويتناولُ الإمامُ المظالمَ الاقتصاديةَ التي تحمَّلَ اليمنيون ويلاتها بسببِ سوءِ الإدارةِ ، حتى ارتفعتِ الأسعارُ وعمَّ الغلاءُ . ويجيبُ الإمامُ على اتَّهَامِ علي بن مثنى له بأنَّ خروجَه ما كان لتحقيقِ منافعِ دنيويةٍ ، ويطلبُ منه أن يتحرى ما كان عليه من غنى وما يملكه من دورٍ وبساتينٍ وغيولٍ ومزارعٍ ، وما آل إليه حاله ، من شظفٍ في العيشِ وتوطنٍ الباديةِ ومجاورةِ الوحوشِ والذئابِ العاويةِ .

وحولَ اقتراحِ علي بن مثنى القاضي إقامةَ الإمامِ في صنعاءَ ، مرتاحًا ، حيث يمكنه رفعُ دعاوي الفسادِ ، والتعدي على الشريعةِ إلى المأمورين أولاً ، فإن استجابوا قُضِيَ الأمرُ ، وإلا تُنفذُ دعاوي الشكاوي إلى السلطانِ . يُجيبُ الإمامُ على هذا الإقتراحِ ، بأنَّ الياورَ علي نفسه يعلمُ أيَّ مصيرٍ ينتظرُ مَنْ

يَتَكَلَّمُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ! فَأَقْلَهُ الْحَبْسُ وَالنَّكَالُ، وَيَسْتَشْهَدُ بِقَضِيَّةِ حَبْسِ
الْعُلَمَاءِ وَتَغْرِيْبِهِمْ عَنِ وَطَنِهِمْ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْيَمِينِيِّينَ.

ثُمَّ يُنْهِي الْإِمَامُ إِلَى الْيَاوَرِ عَلِيِّ بْنِ مِثْنَى، أَنَّ الْمَأْمُورِينَ السَّابِقِينَ قَدْ
عَرَضُوا عَلَيْهِ الْمَعَاشَاتِ الشَّهْرِيَّةَ، لِقَاءَ سَكُونِهِ، وَقَبُولِهِ بِوَأَقِعِ الْأَمْرِ، بَلْ أَكْثَرُ
مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ عَرَضُوا الرُّوَاتِبَ وَالْمَعَاشَاتِ عَلَى كُلِّ مَنْ تَوَدَّدَ إِلَيْهِمْ أَوْ اقْتَرَبَ
مِنْ مَجَالِسِهِمْ، فَكَأَنَّ مَجَالِسَهُمْ كَانَتْ لِلرُّوَاتِبِ وَالْمَعَاشَاتِ وَلَيْسَتْ مَدَارِسَ
وَمَجَالِسَ لِلْعِلْمِ.

وَعَنْ رَفْعِ الشُّكَاوِيِّ إِلَى الْبَابِ الْعَالِيِّ كَانَ جَوَابُ الْإِمَامِ:

تِلْكَ مَسْأَلَةٌ دُونَهَا خَرَطُ الْقِتَادِ، فَعَلِيٌّ بِنُ الْمِثْنَى يَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ مَأْمُورٍ وَكِيلاً مِنْ
أَتْبَاعِهِ، عَامِلاً فِي خِدْمَةِ الْبَابِ الْعَالِيِّ، كَانَ يُوقَفُ كُلُّ شَكَايَةٍ وَيُعِيدُهَا لِمَنْ
هِيَ ضِدُّهُ فَيُعَاقِبُ الْمَشْتَكِيَّ عَلَيْهِ الشَّاكِيَّ، وَمَا حَادِثَةُ الْقَاضِي يَحْيَى الْمَجَاهِدِ
التَّعْزِي بِبَعِيدَةٍ عَنِ مِثْلِ هَذَا.

وَأَمَّا الصَّلْحُ، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَقُولُ: إِنَّهُ طَالَمَا قَدْ طَلَبَهُ وَفَقَّ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ،
وَلَكِنَّ الْمَشِيرَ السَّابِقَ عَبْدَ اللَّهِ بَاشَا، كَانَ يَرْفُضُهُ، وَكَذَلِكَ حَسِينِ حَلْمِيِّ، بَلْ
زَعَمَ كِلَاهُمَا أَنَّ لِحَظَّ لِبْنِي عَبْدِ مَنْفَ فِيهِ.

- وَفِي خَيْرِ الْإِمَامِ بِقَوَاتِهِ مِنْ حَاشِدٍ وَبَكِيلٍ، رَغَمَ مَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ
مِنْ مَوَادِعَةٍ وَمَهَادِنَةٍ لِلْأَتْرَاكِ، «فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سَخَّرَهُمْ لِأَلِ الْبَيْتِ،
كَمَا سَخَّرَ الشَّيَاطِينَ لِخِدْمَةِ سَلِيمَانَ.

وَنَلْحِظُ فِي الرِّسَالَةِ إِصْرَاراً عَلَى الْمَطْلَبِ الْقَدِيمِ وَهُوَ: «مَمْلَكَةُ الْيَمَنِ
لِأَلِ الْبَيْتِ، وَرِثَةُ الدَّوْلَةِ الْقَاسِمِيَّةِ، وَمَا دُونَهُ لَيْسَ مَقْبُولاً». وَيَلْوُحُ الْإِمَامُ بِتَعْبِئَةِ

القبائل وخاصة حاشد وبكيل ودعوتها للجهاد^(١).

ويتضح من رسائل علي بن مثنى الحسيني فيما بعد عدم أهمية الدور الموكل إليه في اليمن، إذ لم تعد رسائله تتعدى العمل على جمع المعلومات المخبرية، والتحقق من مصادر تمويل وتسليح قوات الإمام. فقد وصلت من علي بن مثنى رسالة في رجب ١٣١٦هـ وبناءً على طلب المشير عبدالله، يعرض الصلح المحدود والذي تحدده نتائج المعركة التي وقعت في بلاد آنس، وكان المجاهدون قد غنموا فيها بنادق ومؤن، ويطلب علي بن مثنى في رسالته إلى الإمام، إرجاع السلاح الذي غنمته القوات الإمامية. وكان رد الإمام، أن معرفة الآخذين للسلاح متعذر.

ويستشف من الرسالة ضالة دور علي بن المثنى، إذ لم يكن أكثر من كاتب يعمل تحت إمرة المشير عبدالله، وينفذ تعليماته، بمنأى عن الوالي المعين لليمن. وكانت رسالة علي بن مثنى الحسيني للإمام، المؤرخة في أواخر شهر رمضان سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، أكثر الرسائل إثارة لحفيظة الإمام، فقد كتب علي بن مثنى وبناءً على طلب المشير عبدالله، يستنكر على الإمام استعانتة بالفرنجة الكفار ضد المسلمين العثمانيين، وتفصيل ذلك، وفق ما جاء في الرسالة:

«أنه وقد سُفِكَتِ الدُّمَاءُ حَتَّى بَلَغَتْ الْقَتْلَى إِلَى الْمِليوناتِ، وَأَنَّ التَّشويقاتِ وَالْمعاوناتِ مِنْ بَعْضِ الْقُراناتِ مِنْ بابِ تَفريقِ شَمْلِ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

(١) انظر الوثيقة، حوادث سنة ١٣١٦هـ في الدر المنثور.

(٢) انظر، الدر المنثور، ١٧٠ - ٧٠ب.

ولَمَّا كَانَ الْإِمَامُ يَدْرُكُ مَا يَقْصُدُهُ بِتَلْمِيحِهِ هَذَا، مِنْ حَصُولِ الْقَوَاتِ
الْإِمَامِيَّةِ عَلَى بَعْضِ الْبِنَادِقِ الْفَرَنْسَاوِيَّةِ الْأَكْثَرِ فَعَالِيَةً مِنَ الْبِنَادِقِ الْعُثْمَانِيَّةِ،
ثَارَتْ حَفِيظَتُهُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَرَدَّ بِرِسَالَةٍ بَيَّنَّ فِيهَا كَيْفِيَّةَ حَصُولِ قُوَاتِهِ عَلَى تِلْكَ
الْبِنَادِقِ، وَكُنَّا قَدْ تَنَاوَلْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ عِنْدَ دِرَاسَتِنَا لِمَصَادِرِ التَّمْوِينِ وَالتَّمْوِيلِ
والتسليحِ فِي مَكَانِهِ مِنَ الدِّرَاسَةِ.

وَمَضَى الْإِمَامُ فِي رَدِّهِ مُعْتَرِفًا بِدَوْرِ بَنِي عُثْمَانَ فِي نَصْرَةِ الْإِسْلَامِ قُبَيْلَ سَنَةِ
أَلْفٍ لِلْهَجْرَةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ، بَدَّلُوا شَرْعَ اللَّهِ بِقَوَانِينِ سُلْطَانِيَّةٍ، بَلْ لَقَدْ
تَأَمَّرَتِ السُّلْطَنَةُ مَعَ الْفَرَنْجَةِ النَّصَارَى عَلَى مَنَعِ الْحَجَّاجِ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى
بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، بِدَعْوَى الْكُرْنَتِينَةِ وَالْحَجَّازِ الْإِجْبَارِيِّ. ثُمَّ وَصَفَ فِي رِسَالَتِهِ
مَا جَرَى لِلنَّاسِ فِي الْحَجَّازِ، وَكَيْفَ قَامَ النَّصَارَى بِنَصْبِ الْمَدَافِعِ فِي السُّفُنِ
الْبَحْرِيَّةِ لِضَرْبِ الْمُسْلِمِينَ. وَعَرَّضَ بِجَرِيمَةِ رَهْنِ مِصْرَ وَخَيْرَاتِهَا لِلْإِنْجِلِيزِ، وَمَا
وَقَعَ لِلْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الَّذِينَ هَاجَرُوا طَلِبًا لِلْعِلْمِ فِي مَجَاوِرَةِ
بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

وَيَخْتَمُ الْإِمَامُ رِسَالَتَهُ بِعِبَارَاتٍ قَادِحَةٍ ذَامَّةٍ لِلسُّلْطَانِ، حَيْثُ يَقُولُ: «هَذَا
السُّلْطَانُ الْخَبِيثُ قَدْ كَدَّرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِشَارِبَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَاخْلَعُوهُ قَبْلَ
أَنْ يَبِيعَكُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَتَقِيمُوا مِنْ طَاعَتِهِ نَادِمِينَ»^(١).

كَانَتْ عِبَارَاتُ الرِّسَالَةِ حَادَّةً وَلَا مَيْلَ فِيهَا لِلْمَصَالِحَةِ، فَقَدْ نَفَّضَ الْإِمَامُ
يَدَهُ مِنْ إِمْكَانِيَّةِ عَقْدِ الصُّلْحِ، مَدْرِكًا أَنَّ هَذَا الصُّلْحَ خَدَعَةٌ، يُرَادُ إِيقَاعَهُ فِي
شِبَاكِهَا.

(١) انظر الرسالة في الدر المشور، ١٧٠ - ٧٠ ب.

ويبدو أن الرسالة كانت نموذجاً لحرب إعلامية، هدفت إلى تأليب وتحريض المسلمين في كل بقاع الأرض، فإن المنع من الوصول إلى بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج إنما هي من الكبائر، ففيها صدد عن ذكر الله والحج إلى بيته. وقد وصفت الرسالة، بتفصيل وشرح مطولين، ما جرى للحجاج في مكة أثناء أدائهم لفريضة الحج، وكأني بالإمام وقد رغب في توسيع ميادين المواجهة مع العثمانيين، أنه كان يهدف إلى عرض قضية اليمن على مسامح المسلمين في أكبر مؤتمر يجمعهم، إبان أداء فريضة الحج، والأكثر من ذلك الاتفاق مع النصارى الفرنجة وتمكينهم من رقاب المسلمين، ومن أرض المسلمين التي رهنها أو باعها - كما ورد في الرسالة - إلى ممالك الكفر، وحتى طلب العلم في الأراضي المقدسة حاولوا طردهم وابعادهم منها، ثم فيها تحريض على خلع السلطان العثماني لما ارتكبه بحق الله والعباد والأرض والعلم.

ولا نعلم ما مصير هذه الرسالة القاطعة في تحديد العلاقات والاتصالات بين الإمام والسلطنة والمأمورين.

ففي شوال ١٣١٦هـ، وصل مكتوب آخر من الياور علي بن مثنى الحسيني، علق عليه الإيراني بأنه «طلس وكذب». حيث جاء في رسالة الياور الحسيني، أن الباشا - والمقصود المشير عبدالله باشا - سأله عن جواب كتابه السابق. وكانت إجابة الإمام مختصرة، فهو ينفني سعيه في سفك الدماء. ولكن المشير عبدالله يصدق قول المتحذلقين، الذين يصورون الأمور بأنها قد

وصلت إلى نهايتها، وأن الخلاص بات قريباً، وعبر عن هذه الحذقة، بأنهم يقولون للمشير، «قد قربنا الناس إلى تحت الدكة، فلم يبق إلا أن تركب!». وعند الإمام ما كل هذا الا مراوغة، وينهي، «بأن السؤال معاد في الجواب^(١)».

وفي ٥ محرم ١٣١٢ كان الوالي العثماني قد أرسل رسالة إلى الإمام بواسطة الفقيه عبدالله بن علي الحضورى الصنعاني، لما كان الإمام بحوث، في الوقت الذي تمكنت فيه القوات العثمانية من الوصول إلى بلاد حاشد وبرط والشرفين، ولكنها لم تستقر فيها، وإنما قفلت عائدة إلى صنعاء، وحين استقر أحمد فيضي في صنعاء انتدب الفقيه عبدالله بن علي الحضورى لنقل رسالته إلى الإمام؛ لما كان بينه وبين الإمام من صداقة، فقد كان جار الإمام في صنعاء وبينهما صلات ود قديمة^(٢).

وفي الخطاب دعوة للإمام للحضور إلى استانبول بناء على أوامر صدرت من الخليفة نفسه، ويعرض على الإمام:

إن كان يريد الرئاسة والقيادة فليترح ما يريد، وعلى السلطنة الوفاء بذلك، وإن كان يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنهم يرحبون بذلك. ويقولون للإمام، هل من مزيد!، وإن كان يريد المال، فإنه سوف ينال فوق ما يؤمل، والقصد كل القصد، جمع الكلمة والتناصر والتعاقد، ليكونوا أمة واحدة، ولكن لا بد من اتصاله مباشرة بالسلطان والاستقرار هناك،

(١) انظر الدر المشور، ق ١٧٣.

(٢) انظر، نزهة النظر، ٣٨١، أئمة اليمن، ١٥٨/٢.

مقدّم الرأي، له الوجاهة والتعظيم والتكريم، ليكون رئيس الأشراف في استانبول، وإن أراد البقاء في صنعاء وطنه ومحلّ آبائه وأجداده، فله ذلك، وله الأمر بالمعروف، القوالّ الفعّال، منفذ الأحكام الشرعية، لا يُغلق عنه باب، ولا يُرخى دونه حجاب أو ستار، وله ما يريد من المواثيق والعهود السلطانية.

وينهي أحمد فيضي في رسالته إلى الإمام، بأنّه تمكّن من الوصول إلى جهاته في بلاد حاشد وبرط والشرفين وما إليها، ولكنه تركها، وهدفه المودعة والإعراض عن إلحاق التلف بالإمام وقواته، في حين أنّ الإمام لم يرض بالمودعة ولا الصفح، وإنما استمرّ في تحريك قواته ضدّ العثمانيين. ويناقش أحمد فيضي الإمام في مسألة إمامته، ويضرب له مثلاً بعليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه - الذي قام بين أيدي الخلفاء الثلاثة، وخرج مجاهداً المرة تلو المرة، وأقام بين ظهرانيهم، فالواجب على الإمام أن يُنزّل السلطان العثماني منزلة أحد الخلفاء الثلاثة، ويُنزّل هو منزلة عليّ كرم الله وجهه.

ثم يسوق الأمثلة على عدم قدرة الإمام وقواته على مواجهة الأحداث والوقائع النازلة باليمن، ويستفهم بصيغة استنكارية: هل يقدر الإمام وقواته على التصدي لقبائل ذي محمد من اليمن الأسفل؟ وهل يقدر على كفّ أذى آل جزيلان من الشغادرة إلى اللحية؟ وهل يمكن أن يُخرج بني علي من رذمان، أو ابن ناشر أو الباطنية؟ وهل له أن يتصدّى للأطماع الفرنجية والانجليزية والاطالية؟!

وفي النهاية يطلب إلى الإمام التبصّر في الأمر، ويردّ عليه الجواب،

ويفضّل فيما يريد، حتى يحصل الاتفاق والاتحاد^(١).

والرسالة جاءت في الوقت الذي تمكّن فيه أحمد فيضي من الوصول بقواته إلى القفلة، مستقرّ الإمام، ومن ثمّ إلى برط، لفكّ الأسرى من العساكر العثمانية، الذين أسرّتهم قبيلة ذي محمد، وقد نجح في مسعاه ببذله الأموال، ودهك بلاد السودة والشرف، ودخلت قواته الشاهل، وانقادت لهم ذو غيلان. أما الإمام، فإنّه صار يتنقل في الجبال والشعاب واستمرّ ثلاثة أشهر على هذه الحال، حتى استقرّ في حوث، وأمّا ابنه عمادالدين يحيى فقد استأذن والده بالطلوع إلى جبل الأهنوم، للقراءة والاشتغال بالعلوم.

والواقع أنّ الحالة التي وصلت إليها القوات الإمامية كانت مؤقتة، إذ أنّ القبائل، وخاصة عقّال حاشد، وفدوا على الإمام، مجدّدين العهد بالجهاد وقد حذا حذوهم عدد كبير من القبائل وصادف ذلك تفشي الطاعون في المنطقة، فهلكت المئات من عساكر أحمد فيضي، الأمر الذي دفعه إلى التعجيل بالعودة إلى صنعاء، فبادرها مسرعاً، في حين أعادت القبائل والعساكر الإمامية تنظيم صفوفها، كما نسّقت هجماتها في اعتراضها وملاحقتها للقوات العثمانية. وهناك رأى الإمام العودة إلى مقرّه في قفلة عذرّ مشغلاً ببناء المنازل للمهاجرين إليه وأخذ يدعم طلبة العلم، ويكاتب القبائل والشيوخ والعقّال. وحينها أيقن أحمد فيضي أنّه لا بدّ من حمل الإمام على مغادرة اليمن، فبدلت له الوعود للإقامة في استانبول أو صنعاء، وعرضت عليه الأموال والزعامة الدينية، ولكن دون التطلع للسيادة، والمهمّ أن يكون تحت رقابة

(١) الدر المنثور، ٤٤ ب.

العثمانيين المباشرة سواء في صنعاء أو استانبول.

وحيثما أشار أحمد فيضي وبأسئلة استنكارية للصعوبات والاضطرابات والأزمات التي عصفت باليمن داخلياً، والأطماع الفرنجية المحيقة باليمن، فإنه من ناحية أخرى أراد معرفة قدرة الإمام على مواجهة كل ذلك، بأن طلب إليه أن يُفصِّح - أي الإمام - عما يريد.

ويبدو لي أن الإمام قد أدرك ما يرمي إليه الوالي أحمد فيضي ، وتمكَّن من قراءة ما بين سطور الرسالة، وقدَّر الأمور بحنكة سياسية مدركة للأزمة الداخلية، ومقدرة لهول الأطماع الخارجية المحدقة باليمن، لذا، تضمَّنت إجابته العديد من الأمور، جاء فيها:

بعد الحمد على السراء والضراء والتنديد بالفتن والبدع ، أنهى إليه وصول كتابه، ومن ثمَّ أجابه عليه بعد تفكير وتفكير. وبين الإمام أسباب قيامه، وما انتشر من فساد، وما طغى من مُنكر، واستباحة للمحرَّمات، وعرض رجال الإدارة والقضاة، والصدِّ عن زيارة بيت الله الحرام، وانتهاب أموال الناس دون وجه حق. ولفت الإمام نظر الوالي إلى أن المال والأوطان والراحة والسكون ومتعة العيش ما كانت مطلَّبة ولا هدفه «فإنما يجعلها براقه ومِعْرَاجه من آثار الجهل عليه عَجَاجه»، ويندِّد بالقرن بين السلطان وأحد الخلفاء الثلاثة، بقوله «فليس السيفُ كالعصا، ولا الدرُّ كالحصى» ويخفف من نقده للسلطان، على اعتبار أنه محمول على عدم علمه بالحوادث وما يجري في اليمن. ثم يبين الإمام ما يريد، حيث كان يميل إلى الإسعاف لظاهر الرسالة عملاً بقوله تعالى «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها».

وهنا حدّد الإمام ما يريدُ:

- القبولُ بجزءٍ من مملكةِ آباءه وأجداده، يقيمُ فيه أوامرَ الله ونواهيه. وأما بقيةُ اليمنِ فتبقى بأيدي المأمورين، تحت سلطةِ الدولةِ العثمانيةِ، شريطةً أن يُقيموا فيها شرعَ الله، «إن أقاموا فيه الفرائضَ والسننَ، وعملوا بشريعةِ الله فيما ظهر وبطن».

ثم يُبدي رغبتهُ بتزويده ببعضِ الآلاتِ الحربيةِ، ليحفظَ فيه هذا الجزءَ، وينفدَ شرعَ الله، ثم يتفقُ بعد ذلك مع الدولةِ على حربِ الأجنبيِّ والسفیهِ، عندها يحصلُ الاتِّحادُ، ويجمعُ بينَ الجميعِ دينُ ربِّ العبادِ، ويقعُ التعاضدُ على مَنْ رامَ أسبابَ البغي والفسادِ.

ومن خلالِ تحليلنا لشروطِ الإمامِ لإنهاءِ حالةِ الحربِ، وميله للجنوحِ إلى السلمِ، فإننا نرى أنَّ الإمامَ، كان بحاجةً لفترةٍ من المهادنةِ لإعادةِ تنظيمِ جبهتهِ الداخليةِ، وخاصةً العسكريةِ، وكذا إعادةِ تعبئةِ وحشدِ طاقاتِ القبائلِ. وللحقيقةِ فإنَّ بيتَ المالِ الإمامي قد أثقلَ بما أنفقهُ على المهاجرين والوافدين وطلبيةِ العلمِ، ثم إنَّ القبائلَ، ومن خلالِ تدقيقنا لطلباتها التي لا تنتهي، دأبت على وجوبِ تقديمِ ما سُمي «بالجُعَلِ» لشيوخها وأبنائها من المحاربين، لا سيما إذا كانت نتائجِ المعاركِ في غيرِ صالحها، ولم تُفزْ من الغنيمَةِ إلَّا بالإيابِ، يُضافُ إلى ذلك، أنَّ الإمامَ كان يسعى لإيجادِ جبهةٍ عريضةٍ مناوئةٍ للعثمانيين حتى في خارجِ اليمنِ، فكانت له مراسلاتٌ مع محمد بن رشيد، وأميرِ عسير، وحتى مع قبائلِ وسلاطينِ اليمنِ الأسفلِ، ثم إن القبولَ ببقاءِ قسمٍ من اليمنِ تحتَ سيطرةِ الدولةِ العثمانيةِ جاءَ مشروطاً

بالتراجع عن القوانين السلطانية، قانون الولايات العثماني، وإمضاء شرع الله وسنة نبيه، وهو الأمر الذي ما عتمت السلطنة ترفضه، ولم يكن طلبه لبعض الآلات الحربية إلا للنهوض بمواجهة ومجابهة ما عرض له أحمد فيضي من تعديت آل جزيلان، وذي محمد، الباطنية وغيرهم، أما فيما يتعلق بأطباع القوى الخارجية من انكليز وطلينان، فقد أبدى استعدادة لمناصرة الدولة ومعاضدتها في التصدي لتلك الأخطار.

ومجمله، أن أحمد فيضي يعرض على الإمام إخلاء المنطقة الإمامية وسكونها، والإمام يطلب إليه الاستقلال بحكم إمامي أكثر من ذاتي، وعليه أن يدعمه بالآلات الحربية، والبنادق والمدافع والعجلات. فكان هناك افتراق بين المرید والمراد.

ومن ناحية أخرى، فإن العلامة أحمد بن محمد الكبسي حاول التوسط بين الإمام والوالي حسين حلمي، وكنا قد أشرنا إلى الأسباب التي دفعت العلامة الكبسي للتعاون مع حسن حلمي، بعد توليه اليمن، خلفاً لأحمد فيضي الذي ترك اليمن، والناس في ضنك من العيش مع الشدة والظلم والفقير^(١)، ولكن المعلومات عن الرسائل المتبادلة بين الإمام من طرف، وحسين حلمي والعلامة أحمد بن محمد الكبسي من طرف ثانٍ غير واضحة، فالكبسي في رسالته إلى الإمام المؤرخة في ربيع الأول سنة ١٣١٦هـ يشير إلى وصول مكتوب من قبل الإمام، عرضه الكبسي على الوالي حسين حلمي، فطلب إليه الرد عليه بما جاء في الرسالة هذه، بمعنى أنه كانت قد

(١) فرجة الهموم، ١٧٤.

وصلت رسالة من قِبَلِ الإمامِ ، وهذا ما لمْ نَعثرْ عليه لا في الدرِّ المَثورِ، ولا في أئمةِ اليمنِ، ولا في حولياتِ يمانيةٍ، وحتى في الأرشيفِ العثمانيِ، وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ الرسالةَ تضمَّنَتْ عدَّةَ أمورٍ منها:

- الواجبُ رعايةَ المنفعةِ الاسلاميةِ العامةِ، وذلك باتحادِ الكلمةِ وسلوكِ الهدايةِ، ولم يرَ سوى الاتحادِ على رضا الباري، مع قيامِ أركانِ الشريعةِ.

- الوالي لا يجدُ مجالاً أو استعداداً للخوضِ في أمورِ الدنيا وشروطِها وزيادتها ونقصانها، فالوالي لا يريدُ للإمامِ سوى الخيرِ الدنيوي والأخروي، وذلك بالرجوعِ إلى الوطنِ والأحبابِ والسكنِ معززاً مكرماً، أميناً مؤتمناً، ولا بدُّ من الدخولِ تحتَ طاعةِ أمرِ السلطانِ، وأنَّ يستظلَّ بظلِّ لوائه.

- التنازلُ عن مطلبه في الإمامةِ، والخطبةِ له على المنابرِ، وكذا الاستقلالِ، وليس له إلاَّ الرفعةُ، كما لأولادِ الأشرافِ في الحرمين وله الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ وإعزازُ حكمِ الشريعةِ والدينِ، والأكثرُ من ذلك، فإنَّ بابَ الاستقلالِ والخطبةِ والإمامةِ مغلقٌ.

ويبدو أنَّ العلامةَ الكبسيَّ كان يدركُ مدى تمسُّكِ الإمامِ بهذه المطالبِ، وأنَّ الحلَّ والصلحَ لا يكونُ إلاَّ بها، لذا فإنه قدَّمَ اعتذاره للإمامِ بقوله «لا غائلةَ له ولا حيلةَ، ولا باطنٌ غيرُ الظاهرِ».

ثم يعطفُ إلى الوعظِ وتقديمِ النصيحةِ، مشيراً إلى أنَّ المسلمين في ذمةِ الجميعِ، فليُنظرِ الجميعُ لما فيه النجاةُ بينَ يدي الله، وذلك بكفِّ الأذى عن المسلمين ودفعِ المحنِ والفتنِ وهتكِ الأعراضِ، وسلبِ الأموالِ وخرابِ الديارِ، وهي تبعَةٌ يتحملها الجميعُ، ولكنَّ الإمامَ كما يقولُ الكبسي «أولى

وأحقُّ بذلك».

والرسالة واضحةٌ فيما ترمي إليه، فليس للإمام خيارٌ سوى التخلّي من مطالبه، بعدها ينعمُ بالراحةِ والسكون والأمان. والكبسي، في الوقت الذي يعتذر فيه ويتنصّل ممّا وردَ في الرسالة، يعودُ ويُقنِعُ الامامَ بذلك، قائلاً: «أنت أولى وأحقُّ بذلك».

لقد أدركَ الإمامُ معاني ما ترمي إليه الرسالة، ولذا جاءت إجابتهُ بيّنةً واضحةً. فبعدَ افتتاحِ كتابِ الرّدِّ بالبسملةِ والحمدلةِ، وإسباغِ الألقابِ الشريفةِ والمعظمةِ على العلامةِ الكبسي، لخص ما فهمه من الكتاب، وهو:

- الاتحادُ على رضا ربِّ العالمين، وتفسيرُهُ للاتحادِ أنه الرجوعُ إلى الوطنِ (صنعاء) في ظلِّ عدالةِ السلطانِ، والاستقلالُ غيرُ مقبولٍ والإمامةُ والخطبةُ مرفوضةٌ. وبعدَ ذلك بيّنُ الإمامُ للعلامةِ الكبسي رده، ومجمله:

أنَّ واسطةِ الكبسي كانت مقبولةً، لاعتقادِ الإمامِ بقدرتهِ على قولِ الحق، وإنَّ شقَّ، وعلى المجادلةِ بالحجةِ والبرهان، أما وقد تعذر عليه قولِ الحق، فلا فائدةَ من وساطته، ويناشدُه بقوله: ألم يقبلِ السلطانُ باستقلالِ الأجنبي في أقطارٍ واسعةٍ من بلادِ الإسلام؟ وهو هنا يعرّضُ بما وقع في منطقةِ البحرِ الأسود، والبُغدان والأفلاق (البوسنة والهرسك) وحتى اليونانِ فليكن آلُ الرسولِ كذلك».

- ويُنهى جوابه بتصميمه على القتالِ والحربِ، مستشهداً بالحديثِ النبوي: «أنا حربٌ لمن حاربتُم، سلّمٌ لمن سالمتم»

والرسالة في إطارها العام تقع في باب التحذير والترغيب بالراحة والرفاهية، وجاء رد الإمام حاسماً في الرفض وعدم القبول^(١)، حتى إذا نجحت القوات العثمانية باحتلال الشاهل في ١٨ رجب ١٣١٦هـ، كتب حسين حلمي إلى جميع أتباع وأعوان العجم بخبر الشاهل، وما حققته القوات العثمانية من كسر لشوكة الإمام وقواته ورعاياه، وفي نفس الوقت، كتب إلى الإمام يرغبه بالمصالحة ويكرر عرضه السابق بالقدوم إلى صنعاء حقناً للدماء، وللدخول في طاعة السلطان، وجاء في جواب الإمام:

- أن النصائح إنما توجه لمرتكبي القبائح، وإلى من حاد عن جادة الصواب، وخالف السنة والكتاب.

- وحسب رأي الإمام، ففي الوقت الذي يدعو الإمام الوالي إلى إجراء الأحكام الربانية وإقامة الشريعة كان الوالي يدعو الإمام إلى الراحة والرفاهية وطلب الدنيا، وبينما يدعو الإمام الوالي إلى الآخرة، كان الوالي يدعو إلى الدنيا.

- يرى الإمام أن احتلال الشاهل ما كان إلا لما قر في نفسه (الإمام) بأن الأتراك سيسارعون لقتال الكفار الذين اعتدوا على ديار الإسلام بدلاً جمع الأتراك العساكر الكثيرة لمحاربة العترة النبوية في اليمن والتغاضي عن احتلال عواصم ومدن الإسلام من قبل الكفرة الفرنجية. وحتى أولئك المأمورون الذين نسبوا للإمام إلى المخالفة، ما كان هدفهم إلا اتلاف

(١) الدر المشور، حوادث ١٣١٦هـ.

الأموال السلطانية.

- وذهب الإمام إلى أنه لا يحارب وإنما يدافع، وما سفك الدماء إلا من قبل مأموري السلطنة العثمانية، وخاصة المدفعيين الذين يقتلون العساكر السلطانية الهاربة.

- يُقرُّ الإمام أن قوة الدولة العلية لا ينكرها عاقل، ويقول: نحن معترفون بفقرتنا وضعفنا والتجائنا إلى ربنا».

ويقرُّ كذلك بأنه لا يندم على شيء، فليس له مملكة يخاف عليها، ولا يرتجف من مجاورة الوحوش إذا لاحقت الدولة العلية.

- وأما المصالحة، فلطالما طلبها، والمأ يشهد على ذلك، وهي ليست إلا حيلة عند الأتراك لتصيّدون بها الإمام بين الحين والآخر، فسيّلها معروف، وذكرها وكيف ستكون موصوف.

- ثم ينهي الإمام إلى حسين حلمي أن الإذعان والتسليم والطاعة مستحيلة، حتى الاسكندر لم ينجح في فرضها على اليمن، ولم تدع حاشد ولا بكيل لأعتى قوة شهدتها العصور. فلا يغرن نفسه بوارق المواعدة الآنية.

ويلاحظ أن الرسائل المرسلة إلى الإمام قد نشطت في هذه الفترة، سواء من الياور الحسيني، الذي يعمل بالتنسيق مع المشير عبدالله باشا، حين أرسل ثلاث رسائل، أم من الوالي حسين حلمي، وهذا يبين مدى الافتراق والتنافس الواقع بين الولاة العثمانيين من مدنيين وعسكريين.

وعلى الجانب الآخر، فقد تفرّد مخطوطنا، الدرّ المشثور، برواية خبر

سفارة عبدالرشيد بك أحد قادة الأتراك في اليمن. فقد أوفد محمد علي رضا^(١)، أحد أعوانه، إلى مقر الإمام مباشرة، وقد أحيطت هذه السفارة بسرية تامة، فقد تزيا بزئي الأعراب، وأظهر التنسك وحملة رسالة، ومعها هدية من طيب وكسوة إلى الإمام، والهدف هو الإصلاح، بالمساهلة والمبادلة، وبعدها المجادلة، أي بتبسيط الأمور ومناقشتها بين الأطراف مباشرة. ولما كان الإمام لا يثق بالمأمورين العثمانيين، فقد أوفد - لاستطلاع ما عنده - أحد أعوانه الخالص، فقابله الشيخ يحيى بن يحيى دوده، واستمع إلى اقتراحاته القائمة على إجراء المصالحة عن طريق كاتب الولاية وعبدالرشيد بك، وكان أن رفض الشيخ قبول الهدية بأمر الإمام وحملة رسالة إلى الكاتب وعبدالرشيد، تضمنت وصفاً لما يفعله المأمورون في اليمن، وإعادة لذكر ما يرتكبونه من قبائح، تتفطر لها السموات وتنشق لها الأرض وتخز لها الجبال. وأما المصالحة التي اعتاد الولاة عرضها علينا، «فما كانت إلا لاستطلاع حقيقة أمرنا من قوة وضعف وحركة وسكون، بل ومضاعفة العيون والجواسيس علينا، لابتهاال فرصة غفلتنا» ومن ثم يقودون الجيوش لمحاربتنا. ويصرخ الإمام في رسالته، إن كان الكاتب وعبد الرشيد بك على قدم راسخة من طلبهما للصلح فليقدم اقتراحاتهما تفصيلاً، وما عنوان المصادقية عندهما، وما المانع لها.

(١) علي باشا رضا المعروف بالقرشي، تردد على اليمن عدة مرات، آخرها محرم ١٣٢٣هـ/ مارس ١٩٠٥، قتل في إحدى المعارك قرب خمير، انظر، أئمة اليمن ١٧/٣.

واستمرت الاتصالات بين الطرفين، فكشف الإمام عما سيقع عليه الصلح، وهو:

– الاعتراف باستقلال جزء من اليمن، ليكون مملكة للإمام، تبدأ حدودها من قفل شمر وما إليها من المحلات، حجر أبو منصور، عزلة بني خولان، الشاهل، وبلاد الشرفين وما حاذها، وما يقابلها بخط الاستواء إلى عفار وكحلان

– تقديم بعض الآلات الحربية للقوات الإمامية، لحفظ وضبط تلك الديار^(١) ويلاحظ بأن علي رضا وعبدالرشيد بك عاودا المكاتبة إلى الإمام، حيث أبديا قبولهما بما طلبه الإمام، ولكن ذلك لا يكون إلا بكتاب من الإمام إلى السلطان مباشرة، وأرسلا إلى الإمام مسودة الرسالة المنشودة، ومحورها:

أن المحاربة لم تقع إلا بسبب الظلم، ومن ثم تُشيدُ بفضائل الوالي وعدله. ويبدو أن السفارة بمجملها لم تكن إلا دمية من الوالي حسين حلمي، وهدفه الوحيد الظفر بشهادة الإمام للوالي حسين حلمي عند السلطان العثماني.

وقد أدرك الإمام ما ترمي إليه تلك المراسلات، ورأى أن هذا لونه جديدٌ ووسيلة أخرى من خداع الأتراك، فأغلق الباب هذه المرة وأرسل: «إن كنتم تريدون المصالحة، فتكون الكتب منكم، وإلا أوصدوا الباب»^(٢).

(١) الدر المنثور، ٨٩ أ. ب.

(٢) الدر المنثور، ٨٩ ب.

وقد أُوصِدَ البابُ فعلاً حتى ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٢٠هـ حين وصل إلى صنعاء حسن خالد، أبو الهدى الصيادي موفداً من قِبَلِ السلطانِ بدعوى الإصلاح بين السلطانِ والإمامِ، وذلك إثر وصولِ الأخبارِ إلى البابِ العاليِ بفرارِ العساكرِ العثمانيةِ إلى طَرْفِ الإمامِ ونجرانَ وبلادِ نجد، بسببِ ضراوةِ المقاومةِ اليمينيةِ، وظلمِ قادتهم الذين يزجُّون بها في معاركٍ خاسرةٍ، وفي مناطقٍ وعرةٍ لا يعرفون عن طبيعتها شيئاً، وذلك بعد أن كشفوا زيفَ ما دعوا إليه من مقاتلةِ الكفرةِ، فاكتشفوا أنَّهم إنما يقاتلون مسلمين، سيما وأنَّ الإمامَ أذاعَ رسائله إلى بلادِ الشام والحجاز، يدعوهم لثني أبنائهم عن الذهابِ إلى اليمنِ لمقاتلةِ المسلمين هناك، علاوةً على المأزقِ الدائمِ للعثمانيين في اليمنِ، وقد حاولَ حسن خالد، أبو الهدى، الاتصالَ بالإمامِ، فأوفدَ إليه علي بن يحيى النحوي، يدعوهُ لمرافقتهِ إلى استانبول، إلى طَرْفِ السلطانِ لأمرٍ لا تسعها المشافهةُ، وكان جوابُ الإمامِ الرفضَ، والاطنابَ فيما يُلاقيه اليمينيون من العنتِ والظلمِ من المأمورين، والتعدي على حقوقِ آل البيتِ، وكيف وصلَ الأمرُ بهم إلى ضربِ العساكرِ العثمانيةِ بالمدافعِ لإجبارهم على محاربةِ رعايا الإمامِ، والتخلي عن محاربةِ الكفارِ، ويقصدُ القواتِ الإنجليزيةَ في عدن، والإيطاليةَ الطامعةَ في موانئ ومدنِ الإسلامِ^(١)، ويعاودُ حسن خالد، أبو الهدى الاتصالاتِ التي أسفرتُ عن اللقائِ في جُوب، حيث أرسلَ الإمامُ السيِّدَ أحمدَ بنَ قاسمِ بنِ الإمامِ، والسيِّدَ المقدَّمي، محمدَ بنَ أحمدَ الشامي، وبرفقتيهما أكثرُ من ٤٠٠ نفرٍ من حاشد، وانضمَّ إليهم الكثيرُ

(١) الدر المنثور، ١٠٧ب.

من الناس حتى بلغ الجمع عشرة آلاف، وخرج حسن خالد، أبو الهدى الصيادي، بنحو ٤ آلاف رجل، ومئة فارس، والتقى رؤساء الوفدين، ووقعت المفاوضات، وألقى كل طرف ما عنده، وعاد حسن خالد إلى عمران ومنها إلى صنعاء، والسيدان إلى حمر ومنها إلى عند الإمام، وقد اشترط الإمام شروطاً، وعد حسن خالد بنقلها إلى السلطان. وبالفعل فقد غادر حس خالد الحديدة في شهر شعبان ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م ومنها إلى عدن، على أن يعود لانجازها. وما عاد!

ويبدو أن الإمام قد أدرك أن هذه المفاوضات المباشرة ما كانت الا بهدف التسكين والمراوغة، وبالرغم من كل ذلك. فقد نجح الإمام في طرح قضية اليمن بقوة لدى الباب العالي باعتبارها أزمة ملحة تقتضي حلاً، ونجح كذلك في طرحها أمام الشعوب العربية والإسلامية، على أنها توجب المؤازرة والتعاضد، بل أكثر من ذلك، فقد أجبر الدولة العثمانية على الاعتراف به رسمياً كقوة مشاركة في حكم اليمن، وبالتالي، فإن الإقرار بوضع خاص للائمة في اليمن، وإقامة الشريعة في المناطق التي تدين له بالولاء غدت مسألة وقت ليس إلا. يروي صاحب أئمة اليمن أن حسين حلمي والي اليمن العثماني قد خاطب جماعة من ذوات صنعاء الذين حضروا لتوديعه غداة انفصاله عن اليمن بقوله «قد عرفت داء اليمن، والدواء مصالحة الإمام، ولم يبق الا الطبيب الذي على يده استعمال الدواء، ولا أترك فعل كل ما يمكن فعله لايجاد الطبيب»^(١).

(١) أئمة اليمن، ٢/ ٣٧٥.

هذا وقد أتت تلك الرؤيا بنتائجها في عهد خلفه الإمام يحيى ووقع صلح دَعَان^(١) بين الإمام يحيى والدولة العثمانية، التي فوّضت القائد العثماني عزت باشا في ٢٦ شوال ١٣٣٠هـ / ٩ أكتوبر ١٩١١م لتوقيع.

المطلب الثاني:

الإمام والقوى الخارجية:

لا تحظى العلاقات الخارجية للإمام محمد المنصور بالله، باهتمام مؤرخينا الإيراني، وعذره في ذلك أنه يكتب سيرة الإمام وصراعه مع الأتراك، ولذا فإن الاعتماد على كتابنا الدرّ المنشور لوحده في تقديم تصوّر كامل لعلاقات الإمام مع الولايات العربية وحكامها، أو مع بلدان العالم الإسلامي أو مع القوى الأوروبية يظلّ مطلباً متعذراً. فما ورد بصدد تلك العلاقات لا يتعدى شذرات متناثرة في ثنايا الكتاب.

ولكننا نستشف - من خلال المواقف التي كان الإمام يلزم نفسه بها - تشدّده في عدم التعاون مع الدول الفرنجية (قرانات النصارى الكفرة)، وكذلك عدم قبوله المساعدة أو التعاون، ولا الاتصال مع قوى الكفر من الفرنجة (كما يرد في مخطوطنا)، ضدّ قوى البغي والظلم من المسلمين، ويقصد الإمام بهم الأتراك في اليمن، ويبدو أنّ هذا الموقف كان له تقديره فيما بعد عند السلطنة. ونسجّل للإمام موقفين بهذا الصدد:

(١) دَعَان: بلدة في ظاهر جبل عيال يزيد من همدان، في الشمال الغربي من مدينة عمران بمسافة ١٨ كم، انظر، الاكليل، ١٦٢/٨، اليمن عبر التاريخ، ٢٦٩، معجم المحقفي، ٢٣٥.

الأول: حين اتهمه الياورُ علي بن مثنى الحسيني في إحدى رسائله، بأنه يتلقَى المعونةَ من الفرنسيين. وأنه حصل على البنادقِ الفرنسيةِ لقتلِ المسلمين، كان ردُّ الإمامِ واضحاً على هذه المسألة، وشرحَ للياورِ علي بن مثنى - وهو عدوُّه آنذاك - كيف قامَ أتباعُ الإمامِ بشراءِ تلكِ البنادقِ من أموالهم الخاصة، وكنا قد عرضنا لهذه المسألة عندَ دراستنا لوسائلِ الإمامِ في التموينِ والتمويلِ والتسليحِ.

الثاني: حينَ أرسلَ عبدُالرحمنِ الكواكبي، أحدَ زعماءِ الإصلاحِ - المعروف - كتابية: أمّ القرى، وطبائعِ الاستبدادِ إلى الإمامِ، مُرفَقينَ برسالةٍ إليه، يحرضُهُ فيها ضدَّ الأتراكِ قائلاً: «وإنْ كانَ يحرضُ - أي الإمام - على زيادةِ العصبيةِ المؤمنةِ المقاتلة، فما عليه إلا أن يطبعَ كُتُبَ المذهبِ الزيدي لينفي عن نفسه، وعن المذهبِ ما يُزَيِّيان به وبذا يفوزُ بتعاطفِ العالمين: الإسلامي والعربي». ويؤدي الكواكبي استعدادَهُ لمعاونةِ الإمامِ في طبعِ تلكِ الكُتُبِ وتوزيعها، بل إنَّهُ - الكواكبي - زوَّدَ كتابه «أمّ القرى» المُرسَلِ إلى الإمامِ بشيفرةٍ (رموزٌ أو معمى) ليعتمدها في الاتصالِ والتعبئةِ والتنظيمِ، وبعدَ أن قرأ الإمامُ الرسالةَ والكتابين، كان تعليقه:

«في الكتابين - يعني أمّ القرى وطبائعِ الاستبداد - ما يوجبُ الشكَّ ويُثَمِّرُ الظنَّ، إنَّ في ذلكِ استطلاعَ ما عندَ المسلمين من الهِمَّةِ والغيرةِ، على الدينِ، ولعلَّ ذلكَ مدسوسٌ من جهةِ قرال الانجليز».

ويعلِّقُ مؤرِّخنا على رأيِ الإمامِ بقوله «وجوابُ الإمام - حفظه الله - قد ألمَّ بما يومي إلى قطعِ أطماعِ الفرقةِ الكافرة»^(١).

(١) انظر، الدر المنثور، ١٠٦ أ.

إن إلقاء نظرة فاحصة على الأوضاع العامة في الجزيرة العربية، والولايات العربية الأخرى، تبين أية هواجس كان يتحسبها الإمام إذا ما أقدم على إقامة علاقات مع القوى الأوروبية أو القوى المحلية العربية في الجزيرة والمشرق والمغرب.

كانت بريطانيا قد احتلت مصر سنة ١٨٨٢م في عهد الخديوي توفيق، وسيطرت على إدارة الاقتصاد فيها، وقبل ذلك احتلت الشطر الجنوبي من الوطن، اليمن سنة ١٨٣٠م، وانشأت سلطنات ومشيخيات وحاميات فيه، وتدخلت في العراق، وكانت تحاول السيطرة على البحر الأحمر والخليج والمحيط الهندي، لتكون بحاراً بريطانية. وإيطاليا هي الأخرى سيطرت على الحبشة، وأخذت تعمل ضد المصالح البريطانية، وتحاول أن تجد لها مكاناً في الجزيرة العربية، لذا بدأت تعمل لمد نفوذها إلى اليمن، وكان الإمام يدرك أخطار التنافس الأوروبي على المنطقة، فجهد لينأى بما تبقى من اليمن - بعد احتلال الجنوب - عن الدخول في أتون تلك الصراعات.

أما في داخل الجزيرة العربية، فالصراع كان قائماً بين القوى المحلية، وهو صراع آل سعود مع آل رشيد وبني خالد وأمراء عسير من آل عائض، وكانت القبائل العربية يلفها النزاع والتخاصم، وليس الحال في بلاد الشام أو العراق أو ليبيا وتونس والمغرب والجزائر بأفضل منه في الجزيرة، فعشائر المنتفق وتميم والبوحمدة وبنو لام وغيرها متقاتلة متحاربة، والقوى المحلية في بلاد الشام متصارعة، فالعظم، والمعنيون والشهابيون والدروز والموارنة والشيعة والسنة كلها كانت تتصارع مع بعضها البعض.

إن تلك الأوضاع التي كانت تُخيّم على الوطن العربي، هي التي حدّدت سياسة الإمام في علاقاته الخارجية. وظهرت ميادين علاقاته فيما يلي:

أولاً: مع بريطانيا

كان الاحتلال البريطاني للجزء الجنوبي من اليمن منذ سنة ١٨٣٠م، يُمثّل عبئاً ثقيلاً على الإمام. فقد كان - وبالرغم من إنشغاله في حروبٍ مع العثمانيين - يعمل لتخليصه من الانجليز الكفرة - كما اعتاد الإمام أن يصفهم - ولذا سعى للاتصال سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م مع سلطان لحج، وكان الإمام يسعى من وراء اتصالاته بسلطان لحج إلى الحصول على المساعدة والمعونة، في حروبه مع الأتراك، من المؤن والمال والسلاح، ومن ثمّ دفعه للخروج ضدّ الاحتلال البريطاني للجنوب، وكان سلطان لحج يقاسي من دسائس الإنجليز، بتشجيع من أعمامه، ولكنه ما لبث هو نفسه أن وقّع معاهدات مع الإنجليز، تنازل في إحداها عن قرية الشيخ عثمان لهم.

كانت سياسة سلطان لحج، وهو فضل بن علي بن محسن بن علي العبدلي لا تروق للإمام فكتب - الإمام - إليه، «لإقامة الحجّة عليه، وعلى من وُلّي أمر اليمن الأسفل»^(١) ولكن مؤرخنا لم يذكر نصّ رسالة الإمام، وجواب سلطان لحج، وإنما اكتفى بأن قال: فكان جوابه - أي سلطان لحج - بالاعتذار والمغالطة، وعلّق الإيراني على ذلك بقوله: «لأنهم ممن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة غافلون». ويُعلّل مؤرخنا

(١) الدر المنثور، ٤٣.

سبب عدم إثباته لرسالة الإمام وجواب السلطان فضل عليها بقوله: «ولولا مخافة التطويل - فيما لا طائل تحته - لذكرت الأصل والجواب». ونحن نرى أن الإمام كان يحاول إقامة صلات الثورة والخروج في الجنوب، أو على الأقل الاقتراب من مناطق نفوذ بريطانيا، ولذا فإنه دعم حملة القاضي أحمد بن محمد العكام البرطي، والنقيب علي بن ناصر جزيلان، المعروف، بأبي حرب سنة ١٣١٠هـ، واللذين وصلا طرف الإمام وبرفتيها جماعة من أبناء القبائل، يبغيان أمراً في إنشاء الجهاد في اليمن الأسفل، فوافقهما، ووقعت المعارك حتى حوصرت إب من قبل العجم (الأتراك)، واضطربت الأحوال، فأرجف الإفرنج (الانجليز) في عدن^(١).

إن توجه قوات الإمام نحو إب أثار مخاوف الانجليز في عدن والأتراك في صنعاء معاً، فالانجليز، يخشون من امتداد الثورة إلى المناطق التي يسيطرون عليها، في حالة إلتقاء أهل الشمال وأهل الجنوب، وتحقيق الوحدة والتعاون بينهما، ومن ثم توحيد الجهود لطرد القوى المحتلة في الشمال والجنوب. والأتراك، يخشون من اتصال الإمام بأهل الجنوب، فتقوى جبهته بمن ينحاز إليه من أهل الجنوب للجهاد معه، وبما يصله من إمدادات في السلاح والمال والمؤن منهم.

ومع أننا لم نعثر على وثيقة تدعمنا فيما ذهبنا إليه، فإن سير الأحداث التي جرت فيما بعد، أكدت نوعاً من التعاون بين المأمورين الأتراك والجنرالات الإنجليز في عدن.

(١) الدر المنثور، الزيادات، ص ٢٩٢.

ومنذ سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م دخلت علاقات الإمام بالانجليز مرحلة أخرى، أكثر قساوة. ففي تلك السنة قام محمد ناصر مقبل الصراري، قائم مقام القماصرة، باليمن الأسفل ومركزها ماوية، بإنشاء بيت في الكفوف في أرض الحواشب، الواقعة على بعد ميلين شمال غرب الدرّيجة^(١)، ولما طلب القائد الانجليزي الرائد راو من محمد ناصر هدم العمارة، لأنها أقيمت فوق أرض تقع تحت الحماية البريطانية، كان جواب محمد بن ناصر بن مقبل، شيخ الحجرية: البلاد بلاد الإسلام ولا بد أن نأخذها إلى عدن! وهنا تحركت القوات الإنجليزية والجنود الهندية ومعها جماعات من العبدلي والحوشي والعولقي، وقابلتها قوات محمد بن ناصر بن مقبل تناصرها قوات عثمانية، ووقعت معركة هزمت فيها القوات العثمانية قتلاً وأسراً. ورأي الإمام أن تلك التحركات والمعارك، لم تكن إلا من قبيل المخادعة، وكان يعتقد أن المأمورين الأتراك كانوا بصدد بيع اليمن كله للانجليز، ولا يقصدون إلا تخفيف ثمن اليمن على الافرنج، ولكن الثابت في سياسته أنه: «لا بد من الجهاد ضد الفرنجة والانجليز معاً».

وكانت شكوك الإمام في بعض الولاة من الأتراك صائبة، فقد فرّ عثمان باشا سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م إلى عدن في ظروف غامضة، ثم عاد إلى اليمن مرة أخرى. وابتهل الإمام هذه الواقعة، وأذاع في جهات اليمن، خبر خروج النصاري من عدن إلى البيضاء في حدود بلاد رداع^(٢).

(١) الدرّيجة: قرية ما بين ماوية ولحج في منطقة الصبيحة، انظر، الأمير علي الوزير،

(٢) انظر، أئمة اليمن، ٣٦٩/٢.

ويرى زُبارة، صاحبُ كتابِ أئمةِ اليمنِ، أنه بسببِ حادثةِ محمدِ بنِ ناصرِ بنِ مَقبل، وشكايةِ أميرِ الضالعِ إلى واليِ عدنِ البريطاني، «فُتِحَتْ مَخابرةٌ طويلةٌ بينَ العثمانيةِ والبريطانيةِ بخصوصِ الحدودِ، فتشكَّلتُ لجنةٌ لترسيمِ الحدودِ مِنْ يافعَ إلى بابِ المندبِ»^(١)، وفي رأينا، أنَّ بريطانيا كانتِ على درايةٍ بضعفِ موقفِ الأتراكِ في اليمنِ، وتخشى من انتصاراتِ القواتِ الإماميةِ، وبالتالي تتطلَّعُ هذه القواتُ نحوَ اليمنِ الأسفلِ، فسعتُ بريطانيا لترسيمِ الحدودِ قبلَ فواتِ الأوانِ^(٢).

ثانياً: - مع إيطاليا

كانتِ علاقاتُ الإمامِ معِ الطليانِ متأزمةً، فمنذُ سنةِ ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م دأبَ التجارُ من الإيطاليين على مصادرةِ كلِّ التَّنِ (التنباك) الموجودِ في دكاكينِ بائعيهِ في صنعاء، بدعوى حصرِ الدولةِ العثمانيةِ امتيازَه وحقَّ الاتِّجارِ بهِ على الشركاتِ الإيطاليةِ، ولذا مُنِعَ التجارُ اليمنيون من بيعِهِ أو الاتِّجارِ بهِ، وكانَ ذلكِ في ولايةِ أحمد فيضي، الذي اشتكى إليه تجارُ صنعاء تسلَّطَ النصرانيِّ الطلياني عليهم، فما كان منه إلا أن رفعَ شكايتَهُم إلى الأبوابِ السلطانيةِ، حيثُ جاءَ الردُّ بتقريرِ حقِّ الطليانِ في ذلك، ومنعِ الناسِ من الاتِّجارِ بالتنباك، وأكثرُ من ذلك، فإنَّ صاحبَ الامتيازِ الإيطالي يوسف فايروتي وضعَ أعوانَهُ في أبوابِ صنعاء لتفتيشِ كلِّ مَنْ يدخلُ أو يخرجُ من المدينةِ، ومصادرةِ كلِّ ما يعثرون عليه^(٣).

(١) انظر، أئمة اليمن، ٣٦٩/٢ - ٣٧١.

(٢) حول حملة الكولونيل الانجليزي ديوس (مساعد والي عدن)، وترسيم الحدود، انظر،

هدية الزمن، ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) انظر، أئمة اليمن، ١٣١/٢.

وكان لهذا التدبير أثره السيء في نفوس اليمينيين، فشعروا بالمهانة، وترصدوا أحد أعوان صاحب الامتياز، حيث ظفروا به في حجرة ابن مهدي، قرب مناخة، وتفصيل ذلك: أنه قد بلغ بعض أهل الحيمة أن دراهم في طريقها من مناخة إلى صنعاء، تحرسها قوات تركية، قوامها ستون عسكرياً، فكمنوا لها في حجرة ابن مهدي، حيث أفلتت القوات العثمانية من الكمين، ولكن واصل أهل الحيمة تربصهم بالإيطالي، جامع التبناك، ولما اقترب منهم، ومعه حرسه من أهل يام الباطنية، وثبوا عليه وقتلوه، وصادروا حمولته وحماره وبغلته، وأتوا بغنيمتهم إلى الإمام.

كانت هذه المصادمات التي وقعت بين بعض اليمينيين وأفراد من الطليان، ستعدُّ حوادث فردية، لو أن إيطاليا أحجمت عن التدخل في الشؤون اليمنية.

لكن إيطاليا، التي احتلت الحبشة، كانت تُمني النفس بالسيطرة على أجزاء من الجزيرة العربية، ومنها اليمن، حيث نجحت في استمالة الإدريسي إلى جانبها ودعمته في حروبه ضد أمراء عسير، المنافسين له، والذين كانت تربطهم علاقات قوية مع الإمام.

ووقعت أحداث أخرى في ميناء ميدي وكان من بني مروان يخدم عند تاجر طلياني، فقتل الرجل المرواني، التابع لمحافظة حجة، والواقع على ساحل البحر الأحمر، غربي حرض بمسافة ٣٠ كم، وتفصيل ذلك، أنه قتل رجلاً من بني مروان، القاطنين في ميدي، كان يعمل عند تاجر إيطالي، فما كان من أبناء قبيلته إلا أن تسللوا في سنوك (قارب صغير)، بحري إلى جزيرة

دَهْلِك^(١)، وأخذوا بشأريهم من القتال، فقتلوه وجماعةً من أولاده وذويه، واستولوا على ثلاثين ألف ريال، وعادوا إلى ميدي، فقام القائد الايطالي بحشد قواته على ميدي، وحاصرها بحراً، ورمها بالمدافع الكبار، التي كان بعضها من الأتراك الذين ساعدوه، وتكفلوا بتأديب بني مروان، فدكت قذائف المدافع البيوت، وشبت النيران في منازل وزروع بني مروان، وإمعاناً بالانتقام، فقد استخدم الطليان السفن التي تحمل المرايا المحرقة (الحراقات)، والتي كانت تحرق، ومن خلال أشعة الشمس المنعكسة منها، كل ما تقع عليه من عرائش وأكواخ وزروع، وقد قاوم بنو مروان هذه الغزوة شجاعة، مما اضطر الايطاليين لطلب الصلح، وقد تم على أساس:

- أن المال المأخوذ من الايطاليين، وكذا ديات القتلى، تكون بدل البيوت التي خربت وحرقت ميدي، وكذا بدل الدمار الذي لحق بالمزروعات.
- وما زاد على ذلك، فيدفعه بنو مروان تعويضاً.

لقد كان لهذه الفعلة آثارها على ارتفاع وتيرة العداء ضد الطليان عند اليمينين، وتعدت نتائجها النطاق المحلي في اليمن إلى عسير، حيث أعاد أهل عسير - وخاصة آل عائض - النظر في مساعدة الإيطاليين في منطقتهم، بل على العكس من ذلك، فقد وقفوا ضدهم وحاربوهم.

ونحن، لا نرى في هذه الفعلة سبباً كافياً لحمل آل عائض على محاربة

(١) دَهْلِك: جزيرة في البحر الأحمر، قبالة زبيد، انظر، المفيد، ٦٤، قرة العيون،

الايطاليين؛ لأن هناك أسباباً أخرى، كانت أشدَّ تأثيراً، ومنها مساعدةُ وتحريضُ إيطاليا الأدارسةَ ضدَّ إمارة بني عائض، وغيرها من الأسباب، إلا أنها زادت من كراهية آل عائضِ والقبائلِ المتحالفةِ معها ضدَّ الوجودِ الايطالي في المنطقة.

وبالإجمالِ، فقد كانت علاقاتُ الإمامِ المنصورِ بالله، علاقاتٍ متأزمةً، تقومُ على عدمِ الثقة، واستحالةِ التعاونِ معها.

ثالثاً: مع عسير

وأما علاقاته بعسير، فكانَ لها طابعُ آخرُ.

كانتِ الدولةُ العثمانيةُ، قد قسّمتِ اليمنَ إلى أربعِ متصرفياتٍ إداريةٍ، بما يلحقُ بها من مُدنٍ وعُزَلٍ ونواحيٍ وقبائلٍ، وهي:

- متصرفيةُ تعز، وتشملُ المناطقَ التالية:

إبُ العُدَيْنِ، الحَجْرِيَّة، المُخَا، قَعُطْبَة

- متصرفيةُ صنعاء، وتشملُ مناطق:

هَرَاذ، حَجَّة، دَمَار، يَرِيم، رَدَاع. عَمْرَان.

- متصرفيةُ عسير، وتشملُ مناطق:

مَحَايِل (أَبْهَا)، رَجَالِ أَلْمَع، القُنْفُذَة

- متصرفيةُ الحُدَيْدَة وتشملُ مناطق:

زَبِيد، اللُّحَيَّة، رَيْمَة، حُجُور، بَيْتِ الفَقِيهِ وَبَاحِلِ وَأَبُو عَرِيش^(١).

(١) هارولدف، يعقوب، ملوك شبه الجزيرة العربية، ٧٥.

وفي عسير، كانت أمارَةُ آلِ عائِضٍ، تسيطرُ على منطقةٍ واسعةٍ من عسير، مركزها ريدة. وكانت العلاقاتُ بين الطرفين قويةً. فأميرُ عسير، محمد بن عائِضٍ، والدُ علي، المعاصرُ للإمام المنصورِ بالله - كانت له وقعاتٌ مهمةٌ مع الأتراكِ وصلَّ في إحداها - وتاريخها ١٣ رمضان ١٢٨٧هـ - إلى أبوابِ الحُدَيْدَةِ التي كانت تحتَ سيطرةِ الأتراكِ، وكان لرجالِ ألمعِ في عسيرٍ أيضاً معاركٌ بحريةً مع الأتراكِ، اضطروهم في إحداها إلى الالتجاءِ لسفنهم في البحرِ، وبعضهم واصلَ هَرَبَهُ حتى وصلَ جزيرةَ فَرَسَانَ، كما كانت لهم إنتصاراتٌ على العثمانيين في القُنْفُذَةِ^(١).

ومن ناحيةٍ أخرى، كان الإمامُ المنصورُ باللهِ يدركُ شدةَ البغضاءِ والعداوةِ المتأصلةِ عندَ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عائِضٍ ضدَّ العثمانيين، فقد قامَ القائدُ العثمانيُّ بإعدامِ والده، محمدِ بنِ عائِضٍ، دونَ أن يلتفتَ إلى الفرمانِ الذي كان السلطانُ عبدُالعزیز بنُ عبدالمجید، العثماني قد أرسله إلى والده، وأبدى فيه السلطانُ رغبته في الاستجابة له، ومنحه الأمانَ، كما لم يُعِرَ أمانَ أحمدِ مختار باشا الذي أعطاه لمحمدِ بنِ عائِضٍ أيَّ اعتبار، وأقدمَ على قتلِ محمدِ بنِ عائِضٍ وآخرين، ونفى قياداتِ إمارَةِ آلِ عائِضٍ إلى استانبولَ عن طريقِ ميناءِ الشقيف^(٢) ومن هؤلاءِ فاطمةُ بنتُ عائِضٍ بنِ مرعي العالمة، المتدينة^(٣)، ولاحقُ بنُ أحمدِ أبو سراح، وفايزُ بنُ عزمِ العسبلي، وعليُّ بنُ

(١) حول حروب محمد بن عائض أمير عسير، وحروب رجال ألمع ضد الأتراك، انظر،

السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ص ٩٦ - ١٠٤.

(٢) السراج المنير، ١٠٤.

(٣) يحتفظ الأمير عبدالله بنسخة المصحف الذي كتبه فاطمة بنت عائض بن مرعي.

إبراهيم بن معدي من رجال ألمع، وناصر بن معتق بن محيا الأحمري، وعلي بن ظافر.

ويتضح من كتابنا الدرّ المنثور، أن علي بن محمد بن عائض أرسل إلى الإمام سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م رسولا يُسمى حسناً^(١) العسيري بطلب العون والمساعدة، وأبلغ الامام بشدة رغبة الأمير علي بن محمد بن عائض بقتال العثمانيين، ويطلب إمداده، حيث كتب الإمام إلى أمير عسير، علي بن محمد، يحرضه على مواصلة قتال الأتراك، ويندّد بعمه، سعيد بن عائض، الذي رضي بطاعة الأتراك، وعمه دُلّيم الذي وصفه الإمام بأنه «أعشّم من غشيم»، فقد رضيا بمنصب مساعد متصرف، وقبلا بتحول نظام حُكُمهما إلى عادات قبلية، وأخذا يساعدان على تنفيذ أوامر المأمورين الأتراك الخاصة بالقبائل والعربان، وأحيانا بصرف رواتب مشايخ ورؤساء القبائل، وطلب الإمام إلى أمير عسير في رسالته، القيام بغارات وكمائض ضد الأتراك؛ لتقطع الطرق والمسالك بوجه القوّات التركية، وتعطيل الإمدادات والمعونات الواصلة من قبل الدولة إلى اليمن. ولإثارة حميته ودفعه إلى الجهاد أرسل إليه قصيدتين يحرضه فيهما على الجهاد ضد الأتراك، ولما قاله الإمام في واحدة من القصيدتين:

أسمعاني تحمّم الصافاتِ وارتجاز الكُماة فوق الكُماة
أسمعاني الولوال تحت العجاجِ وضجيج النساء على الأزواجِ

(٣) لعله حسن بن عبدالله، أحد كبار رجال عسير، ومن قيادات محمد بن عائض بن مرعي. انظر، السراج المنير، ص ١٠٣.

وفي القصيدة الثانية، خاطب الإمام المنصور بالله، أمير عسير، عليّ بن محمد بن عائض بأبيات منها^(١)،

إذا صدقَ المُخَبَّرُ عن عليٍّ نصيرِ الدينِ فابشُرْ بالنجاحِ
فإنَّ عسيرَ ترمقُه بخيرٍ لكشفِ لثامِ مُبَيَّضِ الصُّباحِ
فشمِّرْ ساقَ عزمِكَ ثم أذُنْ بقحطانٍ بحيِّ عليّ الفلاحِ
وكرِّرْ في النداءِ عليّ عسيرٍ فأوليّ الراياتِ في روسِ الرماحِ
وإنَّا نُشغِلُ الأعداءَ عنكم ونعضِدُكم بمصقولِ الصُّفاحِ
ونُحيّ دينَ خالقِنَا جميعاً ونصرُ اللهِ يأتي كالرياحِ

والقصيدة واضحة في مراميها، توضح طبيعة التعاون المتوقع بين الإمام المنصور بالله وأمير عسير، عليّ بن محمد بن عائض، ويقوم التعاون بين الطرفين، على مواصلة الإمام قتاله ضدَّ العثمانيين بقوة حتى تبقى القوات العثمانية مشغولة ومنهكة في اليمن، وبذا يحول دون تسيير الأتراك الحملات على عسير، ويعضد الإمام قوات أمير عسير، عليّ بن محمد بن عائض بالسلاح والمؤن، ويقوم أمير عسير من جهته بمهاجمة الأتراك وتصيدهم في غارات وكمائن لقطع الطريق والإمدادات من جهة عسير إلى اليمن.

ويبدو أن هذا التحالف قد أثمر، فقد أوقعت قوات الأمير علي بن محمد بن عائض هزائم فادحة في القوات العثمانية، وقتلت في إحدى المعارك أكثر من تسع مئة عسكري عثماني وأسرت ما ينيف على ثلاث مئة، وغنمت أربع مدافع وجملة كثير من البنادق. وكان ذلك في عهد الوالي التركي

(١) انظر الأبيات في أئمة اليمن، ٣٢٧.

اسماعيل حقي، الذي استضعفه أهالي عسير وثاروا عليه بقيادة الأمير علي بن محمد بن عائض، وأشغلوه في حروب مريرة، كان من نتائجها تخفيفُ الضغطِ على القواتِ اليمنية الإمامية في اليمن^(١).

وعلى الجملة، فإن علاقاتِ الامام مع عسيرٍ وأمرائها، كانت جيدة، حَكَمَتْهَا مصلحةُ كلا الطرفين، لا سيما وأن كليهما من وطن واحد.

(١) انظر، الدر المثور، ١٠٨ب، المخلاف السليماني، ٥٦٥/١.

الفصل الخامس

المطلب الأول:

وصفُ المخطوط:

اقتنت المكتباتُ العربيةُ، ثلاثُ نسخٍ من المخطوطِ، محفوظة في مكتباتِ، تعز وصنعاء والقاهرة، وقد حصلنا على تلك النسخ، وهذه النسخ هي:

- المخطوط رقم ٢، الكتب المصادرة بمدينة تعز، والمصورة بالميكروفيلم رقم ٢١٣٩، المحفوظ في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة. وجاء على صفحة العنوان:

كتابُ الدرِّ المنشورِ في سيرةِ مولانا أميرِ المؤمنين
الإمام المنصورِ باللهِ ربِّ العالمين، محمد بن يحيى بن محمد
ابن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين
ابن الامام الأعظم المنصورِ باللهِ أميرِ المؤمنين
القاسمِ بن محمدِ رضوانِ اللهِ عليهم آمين.
جمَعها القاضي العلامةُ زينَةُ الشيعةِ الكرامِ

جمالُ المسلمين والإسلامِ عليُّ بنُ عبدِالله
الإرياني رضي الله عنه، هاجرَ إلى الإمام المنصورِ بالله
في أول سنة ١٣١٦ ولازمَ حضرةَ الإمام، وكانَ مِنْ
جبالِ العِلمِ الكبارِ، وتوفي رحمه الله بعد وفاةِ
الإمام المنصورِ بالله بسنةٍ وكسورٍ
ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله .

وجاءَ في الصفحةِ الأولى بعدَ البسملةِ «الحمدُ لله الذي أطلعَ لعبادهِ في
سماءِ الاقتداءِ نجومًا مِنَ العِترَةِ النبويَّةِ ساطعةً زاهرةً، وأشهرَ منهم في كلِّ زمانٍ
سيوفًا لأعناقِ أهلِ الإلحادِ قاصمَةً . . . الخ. ثم بعدَ صفحتين: « وقد
سَمَّيْتُ هذه السيرةَ المباركةَ، الدرَّ المثنورَ في سيرةِ مولانا أميرِ المؤمنين الإمامِ
المنصورِ»

وجاءَ في آخرِهِ عندَ ذكرِهِ لوقعةِ بني مَدِيخَةَ التي كانتَ بتاريخ ٢٦ شهر
ربيعِ آخر سنة ٢١ « . . . وحاصروا العَجَمَ الذين في مركزِ بني جل ثمانيةَ أيامٍ
... الخ

ثم أبياتٌ من قصيدةٍ لسيفِ الإسلامِ كتبها إلى الإمامِ، جاءَ في آخرها:

[المديد]

وصلاةٌ من المليكِ تعالى وسلامٌ ما دامتِ الصَّحْفُ تُتلا
يُبلغانِ النبيَّ خيرَ المعالي وكذا الأُلُّ أظهُرُ الناسِ فِعلاً

ثم عبارة «تَمَّتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ».

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «ع».

كُتِبَ الْمَخْطُوطُ بِخَطِّ نَسَخٍ جَيِّدٍ، وَبِالْمِدَادِ الْأَسْوَدِ، وَضُحِتِ السَّنَوَاتُ وَالْفُصُولُ وَالْعَنَاوِينُ بِخَطِّ أَكْبَرَ حَجْمًا.

وعلى صفحة العنوان تملك تاريخه شوال سنة ١٣٤٠هـ. حيث ورد:

الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، فِي دَوْرِ الْمِفْتَاحِ إِلَى رَحْمَةِ [رَبِّهِ] عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيِّ، غَفَرَ لَهُ وَلَوْلَدِيهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، حُرِّرَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ ٤٠٠هـ.

الناسخ: عبدالله بن محمد العيزري وغيره.

تاريخ النسخ: ٤ شهر رجب ١٣٤٣.

عدد الأسطر: ٢٨ سطرًا.

ملاحظات على النسخة: جاء على حردها ما يفيد نقلها عن النسخة التي كتبها المؤلف، ثم ما يؤكد مقابلتها وتصحيحها، وتظهر التصحيحات على هوامش العديد من صفحاتها ولا ندري إذا كانت من قبل الناسخ أو من قبل أحد الذين اطلعوا عليها وصححوها.

وتظهر ملاحظة نسخها، أنه قد اشتغل بنسخها عدة أشخاص، فالأوراق حتى ورقة ٨١ مختلفة في خطها عن بقية الأوراق، كما أنه جاء فيها عشرة

أوراقٍ ليست من متنٍ المخطوطِ، وإنما هي ترجمةٌ لجامعِ السيرةِ، علي بنِ عبد الله الإرياني، كتبها القاضي العلامةُ عبد الله بن محمد العيزري المتوفى في رمضان سنة ١٣٦٥هـ، وهو من أترابِ مؤلفِ السيرةِ، وممن لازمه أيامَ طلبِ العلمِ بهجرةِ إريان».

وكتبَ علي صفحةَ عنوانِ ترجمةِ جامعِ السيرةِ بيتان من الشعرِ بخطِ نسخي حديث لبعض الشعراء:

[مخلع البسيط]

حَسُنْتُ ظَنِّي بِأَهْلِ دَهْرِي فَحُسْنُ ظَنِّي بِهِمْ دَهَانِي
لَأَمِنُ الدَّهْرَ بَعْدَ هَذَا مَا الْخَوْفُ إِلَّا مِنَ الْأَمَانِي

وبالرغمِ من ورودِ عبارة «تمت» للدلالةِ على اكتمالها، فإنَّ مقابلتها وعرضها على النسخِ تبينُ مدى النقصِ الواقعِ فيها، ثم إنَّ أوراقها رُقمتُ خطأً، وقد تطلَّبَ هذا جهداً لإعادةِ ترتيبِ أوراقها حتى جاءت بشكلها الحالي.

- المخطوط رقم ٨٢ تاريخ وتراجم (٢٥٣٤). المحفوظ في المكتبة الغربية، الجامع الكبير بصنعاء (الكتب المصادرة بمدينة صنعاء).
وجاء علي صفحة العنوان:

كتابُ الدرِّ المنثورِ في سيرةِ مولانا أمير المؤمنين
وسيد المسلمين، ونعمةِ اللهِ علي الخلقِ أجمعين
الإمام المنصورِ باللهِ ربِّ العالمين محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى
ابن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن الإمام

المنصور بالله القسم بن محمد رضوان الله
عليهم أجمعين آمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وسلم

وجاء أولها مطابقاً مع ما ورد في النسخة ع.

أما آخرها، ففيه زيادة اتصلت بوقعه بني مديحة، وانتهت بأبيات الشعر
التي جاءت في ع. ولكنها ناقصة،
وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف «م».

كُتِبَ المخطوط بخط نسخ جيد، وبالمداد الأسود والأحمر، ووضحت فيه
السنوات والفصول والعناوين بخط أكبر حجماً.

والنسخة خزائية، حيث جاء على صفحة العنوان «بسم الله، من خزانة
مولانا الإمام الأعظم أمير المؤمنين، المتوكل على الله يحيى بن أمير المؤمنين
المنصور بالله محمد بن يحيى عليهم السلام،
حرر ٦ المحرم سنة ١٣٣٥هـ.

ثم خاتم «مكتبة الجامع الكبير، صنعاء».

ولم يُذكر عليها اسم الناسخ أو تاريخ نسخها، ولكنه تم قبل سنة ٦
محرم ١٣٣٥هـ.

عدد الأوراق: ١٣٣ق

عدد الأسطر: مختلف (٢٧-٣١) سطراً.

ملاحظات على النسخة:

يبدو أن النسخة قد روجعت وصُحِّحت من قِبَلِ أحدهم، كما وردَ قِبَلِ صفحةِ العنوانِ قدرُ ١٢ ق ليست من متنِ المخطوطِ، وإنما هي ترجمةٌ للمؤلفِ عليِّ بنِ عبدالله الإرياني التي كتبها عبدالله بنُ محمد العيزري المشارُ إليه سابقاً، ثم قصائدُ قالها الإمامُ، ونصُّ رسالةٍ وثيقةٍ كان قد بعثَ بها الإمامُ في ختامِ رمضانَ سنة ١٣١٥هـ، ويُلاحظُ أنَّ هذه الترجمةَ وقعتُ في صفحاتٍ مجدولةٍ، ورُخِّرتِ الورقةُ الأولى فيها رسالةً للشيخ حمود بن مسعد أبو غانم، يحرضُهُ ويستحثُّه على قتالِ العجمِ العثمانيين، ووردَ في تقريرِ إدارةِ المكتبةِ التي تفتني النسخة، أنها مجلدةٌ بغلافٍ بُني، بلسانٍ محفورٍ على نفسِ الغلافِ.

وهذه النسخةُ، وبالرغمِ من نقصانِها - حيثُ لا توجدُ السنةُ الأخيرةُ من حكمِ الإمامِ المنصورِ بالله، ١٣٢٢هـ، وكذا جزءٌ من أحداثِ سنة ١٣٢١هـ - إلا أنها كاملةٌ وصحيحةٌ ودقيقةٌ في الضبطِ والإملاءِ في باقي الأحداثِ.

- النسخةُ رقم ٨١، المحفوظةُ في مكتبةِ الجامعِ الكبيرِ بصنعاءِ (الكتب المصادرة بصنعاء).

وقد فُقدتْ منها صفحةُ العنوانِ، وكذا الترجمةُ التي كتبها عبدالله بنُ محمد العيزري، وقد جاءَ العنوانُ في الورقةِ الثانيةِ.

«وقد سَمَّيتُ هذه السيرةَ المباركةَ بعدَ الخيرِ بالدرِّ المنشورِ في سيرةِ مولانا أميرِ المؤمنين الإمامِ المنصورِ».

أما أولها فجاء بعدَ البسمةِ مطابقاً لما ورد في ع، م.
أما آخرها فناقص، يقفُ عندَ وصولِ سيفِ الإسلامِ إلى حُبور، حيث
جاءَ في الورقةِ ١١٥ ب «وحصلَ فيها النصرُ والانتقالُ، وكادتُ أنَ تنتظم»
وليسَ هناكَ وقفةٌ كاتبٍ أو ما يفيدُ تمامَ النسخةِ.

كُتِبَتِ النسخةُ بخطِّ نسخٍ جيدٍ، وبالمدادِ الأسودِ والأحمرِ، وضُمَّتِ
العناوينُ والفصولُ والسنواتُ بخطِّ أكبرَ حجماً، ولم يُذكرَ اسمُ الناسخِ ولا
تاريخُ النسخِ، وليسَ عليها تمليكاتٌ، وخطوطُ نسخها ليسَ واحدة.

عدد الأوراق: ١١٥ ق

مسطرتها: مختلفة (٢٧-٢٩ سطرًا) وقد رمزتُ لها بالحرف «أ»
ملاحظاتٌ على النسخةِ: النسخةُ فيها نقصٌ كثيرٌ، فقد انتزعتُ منها
العديدُ من الأوراق.

إن طبيعةَ النقصِ الموجودِ في النسخِ الثلاثِ دفعني لعدمِ اعتمادِ
إحداها أصلاً، ولذا فقد اعتبرتُ النسخةَ «أ» هي المنسوخة من قبلي أولاً،
وكانها الأمُّ ثم أفرزتُ مقابلاتُ النسخِ الثلاثِ نسخةً هي الأقربُ إلى تلكِ
التي صدرتُ عن المؤلفِ.

أما لماذا لم يكتملُ تناولُ الأحداثِ في إيٍّ منها، فذلكَ مسألةٌ ستناولُها
بالإيضاحِ عندَ درسنا للمؤلفِ ومنهجِهِ في الكتابةِ التاريخيةِ، وكذا الظروفُ
التي أحاطتُ بالمؤلفِ في الستينِ ١٣٢١ هـ و ١٣٢٢، فليُنظرُ إليه في مكانه
من الدراسةِ.

هذا، وقد وردَ في كتابِ «قائمة بالمخطوطاتِ العربية المصورة»
بالميكروفيلم من الجمهورية العربية اليمنية، ط القاهرة، مطبعة دار الكتب
١٩٦٧م»، والتي تفتنيها دارُ الكتبِ والوثائقِ القومية بالقاهرة وفي ص ١٧ .
نسخة رابعة، فقد جاء في القائمة المشار إليها:

- نسخة ثانية ناقصة من آخرها، وليس بها ترجمة المؤلف، ١١٠ق (مكتبة
القاضي حسين السياغي بصنعاء)، ميكروفيلم رقم ٢١٤٠، وهذه النسخة
اطلعنا عليها وهي النسخة رقم ٨٢ المشار إليها سابقاً لأنها مصورة عنها وعليه
فقد اعتمدنا النسخ الثلاث أ، ع، م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِاسْتِغَاثَةِ

الحمدة الذي اطلع لعباده في سماء الافق ذاء نجومًا من لحن النبوية ساطعة زاهره ، واسمهم في كل زمان يتوق الاعناق الهل الاحاد والجور قائمه بآثره ، وقضا بسابق عمله لها لانزال منهم طائفة على الحق ظاهرة حتى يقال اخرهم المسيح الرضال كما نطقت بذلك الاخبار المتواتره ، فخذ ربيع الخلفه لهم في كل اوان النسبة عامره ، ومعال الدين بانوارهم وانوار طلعتهم عاطرة ناطره ، وسنا عر الفضل والعلوم بحسن صنائعهم حاملة شاكرة ، فهم في كل مكان واوان زينة البادية والحاضرة ، ومحور الفضايل الزاخرة ، **وَأَشْهَدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ** شهادة تكون لنا جنة في الدنيا والآخرة **وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** المؤيد بالمعجزات الباهرة ، والبراهين المنظاهرة المنظاهرة ، صلى الله عليه وعلى عترته الطيبة الطاهرة ، صلوة دائمة متواصلة متكاثرة ، وسلم تسليماً كثيراً **أُولُو الْأَرْحَامِ** ، **أُمَّ الْخَلْدِ** ، فانه لما من الله سبحانه على ولده بالوفادة المتقام من تلك ازمة السعادة والسيادة ، ووجوه من كمال الكمال الجسني والزيادة ، مولانا ومولى كل مسلم ، شمس الهدى التي طلعت آخر الزمان من القبله فكشفت عن حنا من الليل المظلم ، نعمة الله التي امتن بها على العباد في هدى النبي وزعمه الذي تفضل بها على المستضعفين من اهل اليمن ، وحجة الله التي اقام بها الفرائض والسنن ، امير المؤمنين ، والسالك سبيل آباية المطهرين ، والمجد لدين جده سيد المرسلين ، المنصور بالهدى العالمين ، جفظة الله بما حفظ به الذكر المبين ، وكلاه وحماه من شرور الاناسي والشياطين ، وابنه بعين نصره المبين ، واهله ملائكة من عنده مردفين ، وحين وصلت الى ذلك المقام ، وشرقت برؤية لوجه ذلك الامام ، ومفاحة اخلاقه الكرام ، التي هي على عرش روض نصير دايمة الابتهاج ، وعلى اهل الفسوق والغصيان بجر متلاطم الا

الورقة الاولى من النسخة ع

وطوى بساط مملكت آل عثمان
وهذه الوفاة الثانية بعد الوفاة الاولى

٧٣ ٢٣
٥٣٠ ٣٦ ٦٦١

التي في شهر ربيع الاول سنة ١٠٣٠ هـ وقد قلت في مدح مولانا ابي عبد الله شرفا من
القصايد لكفى اضريت عن ذكر بعضها في هذه السيرة حسنة من ان اعد من
هو بشعره مفتون ، وذلك عيب الارضية العاقلون ، وقد سميت هذه

السيرة المباركة الدر المنثور في سيرة مولانا ابي المومنين الامام المنصور
وهذا اوان الشروع في المرام ، ومن الله التوفيق والاعانة على التمام

فصل اعلم انه ينبغي

علما حارفا مستفادا من البرهان الفاطمية ان وجوب اتباع واعية اهل
البيت ائمة عليهم السلام وان طاعة داعيتهم وسوالته واجبة على كل مسلم وان من

جاد عن ذلك فقد سلك في طريق نظرا ، والاصول انك كثيرة من جاد عن سواء
الطريق ، فانزل ما نزل من السماء التوفيق ، وانظر الى واضح الادلة ، فانك لا
تكا تجرد الحق والخير الا مع القلة ، وقليل ما هم وقليل من عباده السالكين
شعرا ، تعيرنا انا قليل عددينا ، فقلت لها ان الكرام قليل

وانظركم كان اتباع الرسل في سالف الدهور ، الى غير ذلك من الادلة التي هي في
غاية الظهور ، ولا تنكرها الاخذول مغرور ، ولا انا من جاد عنها الا جهبا منتورا
وانا نجد اهل الفسوق والكفر والطغيان ، اصناف اهل الامم والامان ،
وان هذي امر لا يكاد يتكوه انسان ، وحينئذ نبين ان اهل الحق هم الجماعة ،
وان العزة النبوية لهم اساطين الحق الى قيام الساعة ، وكيف لا وقد نوه

بذلك الرسول ، في غير ما حديث تلقته الامم بالقبول كحديثه ، الى تارك
فيكم ما ان تسلكتم به لن تضلوا ، بعدى ابداننا الله وعترتي اهل بيته
فالله ان يفرقنا حتى يرد اعالي جحوض ، قال العلامة الشريف يعرفهم انه لا بد
من وجود من يكون اهلا للتمسك به من العزة الطاهرة في كل زمن الى قيام
الساعة ، حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك به ، كما ان الكتاب كذلك قلده
كانوا امانا لاهل الارض ، فاذا ذهبوا ذهب اهل الارض ، والحديث المذكور

صفحة عنوان المخطوط النسخة ع

بب عودك ناذك تاريخها بلذ يظه ديت يا منصفين للدين ناصرا في حيا قال
 بعض الشيوخ ما جف جسد الخضر في الجحيم

شوقا قام القلبيني واقعدا
 و صبرا اذاب الجحيم حتى تقيد ا
 تحت السر في البسج مشوقا اليكم
 ونطوي النيا في فذ فذ ا بعد فذ فذ
 شكرنا ايا دي العيش اذ بلغت
 لتقبيلك اقام المهرز الميخدة ا
 فترت عيونك ثم طابت حواطدك
 برويا امام العصر لغني محمد ا
 ادام اقام الله شعوان بصبره
 واحيا به السلام الينوز شتيه
 ووقفه الولد لطوع مر ا ده
 وكان له عوننا معيننا مؤنيك ا
 ولما دينا في الوقوف غنيها
 ولديده ائتنا العيش يخفى وتسعد ا
 وما لك في الهبة ليقبل ا به
 نيا ايها الورود في الهوى
 ولاكله لما نرا عندها توجب الهبة ا
 وقت لجاه خاصنا متواضعا
 وادع على كبر الصنف تومنا و مشور ا
 ومن فضل يخفى يا انت اصيل
 وجاشا عرض لجاه يظلم مر الهبة ا
 و دع ماشوا المنصفين من بجا به
 و قتنا بباب الجحيم ا شتمت
 و مررت بنا الايام كاضحا جالم
 فتم شريف شرف الله قلبه
 و حاشا بان قلبه في الدهر مثله
 آكل عصبه لاده و ابعثوا له التوب
 و الت جناح الذل منك لفضلك
 و اردد عبداهم ما ضغوبين الكرم
 و الكرم من يتفك بوجوههم
 لتستحل الفحل الجيد حبيبا
 و تلب لك بوشاخ ما ذكفها
 و نانا صفا رانتم بكم شكر ا
 اليك فما هي جبة اتسام عبيدي
 تقبلها مولاي ابي جاهدك
 و ليلنا غير ابد عامن و سيلة

منار الهبة و الناس من دونه صعبا
 و طغنا حواله مر ا مر ا معك دا
 در و ياه انسا نا الاقلاة و الهبة ا
 و يانم صعبا اقام في الناس صعبا ا
 و كلا بان ياتي به الدهر شرم صعبا ا
 يريد و افكال الهة شرم لهم يعبدا
 و ا قلم رقما دصوا بك صعبا ا
 من الخيض و ارجح منهم الطريق ارجدا
 و ا وصلهم حاضهم انت حوس صعبا ا
 و لتستولي الذكذك الجوزيك الت منردا
 بلبك و اطراف النهار منك لصعبا ا
 يذو البشرا ايتنا ان يكون لك و ايتنا ا
 تجرد يول القين في ثوب محالدا
 عن الشعر و الهة اذ اب اعني شوق ا
 الى الله يجعلكم لذي البهر الشبدا

الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من النسخة ع

ووالله على كل يوم وليلة على احمه وآل ما الطير غدا

الملك الناصر

البهور ومدبر الامور على وقت حكمت العالم بما لكتم الصلوة ولا يجاد في شيا من
 خلقه احمه حمد محزون بالتصوير والتصوير واستقر على الغامه الذي ليس يخطو على ولا يحضر
 والظلمات والكلام على سعيد فاجعل عبد الله النبي المشهور صاحب اللؤلؤ المشوق **صلى الله عليه وسلم**
 وعلى البيت الحوى **أحبا لبعث** فلما كانت الوقايح الحاد في ١٣٤٤
 حثيت بان تفر بالتاليف وتجر بالتصنيف مايت ان افردها في هذه الكراديس بلنظ
 ينحل في الاسماع فحل الخند ريت **اعلم انما** دخلت سنة سنة عشر وثلاث ماهه
 والفر وقد استند على الناس البلا وعظم الخط والظلا وعم جميع الاقطار هذه الابتلا فارتقت
 الاسعار حتى بلغ الشرف بعض البلا والسنه النار وغلا كل شئ وظهر النساء في البر والبحر
 كتبت ايدي الناس وما اطابكم من مضيه فما كتبت ابويكم ويعفوا عن كثير وانا يلو تاتت بئ
 الخط والشرين عتونه وجزر الظالمين والمتصدين عن نضر الحق المبين بعد قيام الحج ووضوح
 الحجه فكان ذلك سنة الله في الامم الماضية السابقين وقد حكى الله في كتابه قال الله تعالى ولو
 اذ اهل القرا منوا واتوا المتخنا عليهم بدكائت من السما والارض ولكن كذوا فاحذناهم ما كان ا
 يكسبون وقال الله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ولقد بين من التت لهم يذكرون
سنة سنة الله التي خلت في عباد الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تسويلا
 وما نالت هذه السنة قايه في اية الحق وبيعة اليرب اذ اتم بظاهرا واعلى التهام بايجب لرب **الخالق**
 اذ هم ورث المرسلين وان الناس لما صواعن اجاب بت داعي المهديا وعموا عن التام بما يجب الله
 الذي لم يتخذ صاحبه ولا ولدا فلم ينكروا منكر اوله امر والجرون ولا فهو عن منكرين الهرا بلن
 صار الهام المتبهم عند الخاص العام جمع الخطام كانه امر الذي خلق له جله الهام والبدي
 اللادم الذي يجب به الاهتمام حتى عظم الخطب جلم وصار طلب الحق غريه عند جميع الهام لله
 وتسلط عليهم اعلاج العجم وما ربك بظلام للخبير **اعلم ان** اوله اذ
 المخرج العظيم الذي قصبه على ولاية العجم صنفا اليه في كل المرحله ملك كوني
 لتعبد محاصره العجم ومضايقهم في مدينه صنفا صنفا في المرحله مننتا
لكن المذكور كتب اله حضرة همام عليه السلام قبايك حاشد وبكيل يطلبون
 منه ان يجرهم لجهاد العجم واعلنوا انهم يريدون ان يكون ارجبا الرب الالكدم فاستعبد
 لهم الامام عليه السلام فيما امره وخشيته من الوقوع في التصدير فيما يلزم ومع ذلك فانته
 على في متاصده بتدبيره وانهم سدون ما لكنت وانهم يكن لا وليك الا قدام بيد الصا

أول الجزء الثاني من النسخة ع

من تترجأ بالملوكات و اردي
 وله في العلوم او فرح خطا
 وهو بالكرم الزمان متعبا
 وهو في العلم حيد ري وفي الجلم
 وهو بغير الغنا فالعالم الخ
 سيد الناس اسلم الناس خيالن
 ما جذب من هبة كبرها
 لم يزله الفام عريتا و جزنا
 فهو التاج للامم حقا
 اله جام الذي له الله قبا
 لت احصي طفاك الغلوان
 فسوا عندي المكثر المت
 فيكف اليراح مد ووجه ال
 طاب بنواي في جيون ال ال
 لت في جلبة الهاد فارضا
 وكذ الحريكن جليشي اسنا
 ميا سكي فيه لمحضه ال
 يا ابا الجهد والملازم والسق
 يا اسام اله نام يا واهل ال
 اعني من جيس زام كالك
 فلقبها قاي البعا نفاي
 قد فرغنا وضا مكل شجا
 واذا كنتم تدوله صلاحا
 اويبتا فيب الخليل حنين
 فاسمعي بالجاب واله دة
 و صله من الملك اتعا
 بلخاه النبي خيال عالي
 لت واحمد لله رب العالمين وله حو له قوة اله باله العلي العظيم

نسخة
 من
 الام
 المكتبة
 في
 القاهرة
 سنة
 ١٩٠٠

الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني من النسخة ع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أطلع لعباده في سماء الأقطاب نجوم من العترة النبوية صاطعة زاهرة
وأشهر منهم في كل زمان شيوخاً لعناق أهل الجاد والجور قاصمة باثرة • وقضى بسابق
علمه إيمانهم طأدفة على الحق ظاهره • حتى تقابل أخروهم المسيح الجلال كما نطقت بذلك الأخبار
المتواترة • فهدم ربوع الخلافه بهم في كل أوام أنته عامرة • ومعاني الدين بانارتاجتهم
وأوار طبعهم عابرة ناظرة • ومسا عرافة والعلوم لمن صنابهم حامدة شاكرة • فهم في كل
مكان وأوان نينة البادية والحاضر • ومجود الفضائل الزاجرة **والشهادات**
لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لناجنة ونجاة في البنى والاخره •
والشهادتان سيدنا محمد **رسوله** المودع بالمعجزات
الباهرة • والبراهين المنظاهم المتضاهره • صلواته عليه وعلى آله عترته الطيبه النبا عروه •
صلوة دائمة متواصلة متواتره • وسلم تسليماً كثيراً أوله وآخره • **العبادات**
فائه لما من الله سبحانه على وله الحمد بالوقاره • الى مقام من ملك اذمة السعادة والسعادة •
وحوى من كمال الكمال الحسنى وزياده • من تشرفت به للخلافه والإمامه • وألقت لله مقابله
السياسة والرفاهية • مولانا ومولا كل مسلم شمس الهدى • التي طلعت آخر الزمان من القبله
مكشفت عن جناتش الليل المظلم • نعمة الله التي امتن بها على العباد في هدى الزمن • ورحمة
التي نقصل بها على المستضعفين من اهل اليمن • ورحمة الله على عباده لا قامه الفرائض والنسب
امير المؤمنين • فزين القرآن المبين • السالك سبيل آية المطهرين • والمجهد لما ايدى من
من دين جنة سيد المرسلين • المنصور بالله رب العالمين • حفظه الله ما حفظ به الذكر المبين
وحماه وكلاه من شرور الاناسي والشياطين • وأبدى بعرضه المبين • فأمده بملكه
من عباده مردفين • وحين وصلت الى ذلك المقام • وتشرفت برويه فبعت ذلك الامام •
ومفاكهة اخلافه الكرام • التي هي على المؤمنين روض نظر داهر الامتجاج • وعلى اهل الفسوف
والعصيان • بحر عجاج متلاطم الامواج • ولقد واحصنا حفظه الله بما يليق بحالته الخلافة السنية
وقابلنا عاهوه • اهله كما ذلك داب العناصر النبويه • والفروع المصطفوية • فلم ترا حفظه الله

الصفحة الأولى من النسخة أ

وهذه الوفادة الثانية بعهد الوفادة الأولى التي في شهر ربيع سنة ١٣٥ هـ هدى وقدر قال القدير
في مدائح مولانا الامام حفظه الله فصاحبنا كثره • فخره واخيره • وقدرت عن ذكر
بعضها في غضون هذه السيرة • خوفاً ان ينسب الي اني ممن هو بشعره وابنه مفتون • وذلك
عيب لا يرضيه العاقلون • **باب** في سيرة مولانا امير المؤمنين
المبارك بعلي بن الحسين • **بالدرة المنيرة** • في سيرته مولانا امير المؤمنين
الامام المنصور • وهدي اوان الشروع في التزام • ومن الله نستمد التوفيق
والعانة على التمام **فصل** انهم ينبغي للناظر والسامع ان يعلم اولاً ان
جازماً مستفاداً من البرهان القاطع • ان وجوب اتباع واعية اهل البيت امر محتتم • وان
طاعة داعيتهم وموالاة من الواجب على كل مسلم • وان من جاز عن ذلك فقد سلك في طريق مظلم
ولا يقبل لك كثره من جاز عن سوا الطريق • فانه اقل ما نزل من السماء التوفيق • وانظر الى
واضح البرهان • فانك لا تكاد تجد الحق والخير الا مع الفلأه • وقليل ما هم • وقليل من عبادي
الشكور • شعرا • تعبرنا انا قليل عبدنا • فقلت لها ان الكرام قليل •
وانظر كم كان اتباع الرسل في سالف الدهور • الى غير ذلك من البرهان التي هي في غاية
الظهور • ولا ينكرها الاخذول مغرور • ولا ياتي من خالفها الاغيار منور • وانا نجد اهل الفسوف
والكفر والطغيان • اضعاف اضعاف اهل الاسلام واليمان • وان هدى امر لا يكاد يكره انتا
وحينئذ تبين لها ان اهل الحق هم الجماعة • وان العترة النبوية هم اساطين الحق الى قيام الساعة
كيفية لا وفدية • بذلك الرسول • في غير ما حديث تلقته الامه بالقبول كحديث **اني**
تارك فيما انتم كنتم بغيري فاضلوا • بعد ان يذاب
كتاب الله وعترتي اهل بيتي • فانها ان هتق حاجتي برؤا على العوض قال العلامة
الشريف يفهم انه لا بد من وجود من يكون اهلاً للمسك به من العترة الطاهرة في كل زمن الى قيام
الساعة حتى يفتوح الحث المذكور على المسك به كما ان الكتاب كذالك فلهذا كانوا اهلنا
الارض فاذا ذهب اهل الارض والحديث المذكور قاله صلى الله عليه واله وسلم في حجة الوداع
ورواه عنه من الصحابة ما يزيد على العشرين بالفاظ مختلفة • فبدل ذلك ان يركب على الناس الموالاة
والمناصرة • والتمسك بتلك الاعتاب الطاهرة • وقد تبين صدق الاجاديت الواردة بالوقوف الربيب

صفحة العنوان من النسخة أ

وألف جناح الدال مسك فضلاً ١٠ وأقباهم رقاً رضوا بك سبباً ١١
 وأردجدهم عاصفين القوم ١٢ من الغيظ والرجح منهم لظفر أرميان
 وأقلهم من حنظل برحوتهم ١٣ وأوصلهم ما هنهم أنت مرشد إن
 لتسكن الفعل الجميل جمعاً ١٤ وسئلوا الذكر الجوزل أنت مفرد إن
 وتبقى لك الأشخاص ما إذا ألقها ١٥ ليليل وأطراف النهار مبهمة المبدأ إن
 وتمك صغار القوم ثم كبارهم ١٦ عبد الدهر ما أبقاك موكلاً وأبدان
 اليك فيها هي سيطري قد انتكمر ١٧ تجر ذبول التيه في ثوب مولد إن
 تقبها مولى أي جاهل ١٨ عن الشعر والأدب اعني مفرد إن
 وليست لنا غير الدعاء من وسيلة ١٩ إلى الله يجعلكم لدى البهر أهدأ إن
 وصل إلى كل يوم وليلة ٢٠ على عهد وأول ما الطير عزاد إن

حوادث سنة أحمد لله موصف الدهر

ومدير الأمور على وفق حكمته العالم عاكفة الصدور وحفية الصدور لا تخارده شيئا من جليمنته
 احمد حبه عتوق بالمفصير والقصور واسكن على نعامه الذي ليس مقطوع ولا محصور والصلوات
 والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله النبي المتهوم صاحب البوا المنشور صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أما بعد فلما كانت الوقائع الحادثة في سنة ١٢٣٥ حقيقة فان تقدم بالشايف وتجمع
 في الصيف رات ان أوردتها في هذه الكراميس بلغة فعل في الأشماع فعل الخبير رت
أما بعد فلما دخلت سنة سنة عشر وبلات ما وألف وقد استند على الناس ألبلا وعظم الخط
 والغلل وأجمع الاقطار هذي الأبتلا فارتفعت الأسعار حتى بلغ الشعر في بعض البلاد
 إلى سنة أثار وغلا كل شيء وطهر الفساد في البر والبحر ما كسبت ادري الناس وما أصابكم من مصيبة
 فيما كسبت ألبكم وبعقوا عن كثير وإنما يكون تنابع الخط والتنين عقوبة ورجز للظالمين ١٠
 والمفتقرين عن نصرة الحق المبين بعد قيام الحجج ووضوح المحجة كما كان ذلك سنة الله في الأهم
 السابقين وقد حكاه الله تعالى في كتابه قال الله تعالى ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
 من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم ما كانوا يكسبون وقال سبحانه وكذلك أخذنا آل فرعون
 بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون فهدم سنة الله التي حلت في عبادهم ولما تجدد بسنة الله
 تبدلا ولن تجدد لسنة الله تحولا ومارت هذه السنة قائم في أمم الحق وديانة الذين إذا لم
 يظاها وعلى القيام ما عبر رب العالمين أذهم ورثه المرسلين وان الناس لما صموا عن اجابت
 داعي القمدا وعوا على القيام ما أحبب الله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فلما تكبروا منكرا ولا أمر ولا بعرو

نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني من النسخة أ

الجمعة

وحاولوا احد بندي ابراهيم فحصل لهم حصر فخرجوا من حصرهم فرموا
 بالعتلة خوالات منته بندي فقتلوا من المته منهم ثلاثون واربعه
 من اليهودي بندي من عترة البرية وسكنوا في بيوتهم في حصرهم
 من يهودي بندي من عترة البرية وسكنوا في بيوتهم في حصرهم
 واخرج من السوق الاثني عشر بيعة واما العترة التي في حصرهم فقتلوا
 منها اثني عشر بيعة وجمع بنو مطر فاصدمت لجهاد الا ان سجنهم اجماعا
 قد اخلدوا الى ارض وحاد عن بلادهم فقتلوا ثلاثين فلما كثر جمع النجدي
 وكثر اصحابه فقتلوا اولادهم الى اصعبا محبدا انفتحت النجدي
 لهم ووقع سجنهم في حصرهم ولم ينصر فيها عترة
 بعد ان كان ينعقد بالذين عترة من شهر الاحزاب سنة وبعثت
 الى حصرهم وصحبها انما كان صبحه الرابع من شهر ربيع
 الحرام فثار القبايل على النجدي في جبل حصرهم
 لان رعي القبايل حصرهم وعلقت البعاث في حصرهم
 حصرهم من حصرهم والنجدي الى الرطبي ونهبوا جمع
 ما في الحطم من سادق وعونه وغير ذلك من الفرائد
 والنجدي والقبائل وطهرت من البنادق ثلاث مئة بندي
 وقتل من عترة الله العجمانية قبيل والشرطي قبيل
 وادعون حصرهم من النجدي في الاربعين ولم يقتل من
 القبائل غير حصرهم ثم اتيه
 ببلغ الصوت الى بلاد افلج وسلم فاقبلوا من كل فج
 وحاصروا العجم في مركز بني جلد مدة ثمانية
 ايام وكانوا يذبحوا الاحام عليه لظلم المدد
 فها بندي اذله وطول الوفاة فلاح له
 ان العجم يصادق وان المقصود غنيمه البنادق
 حيث لم ينصروا ابتداء الوفاة ثم ان
 النجدي غارت من صنعها لا يلرون على شيء
 فلما وصلوا هناك اظهروا ماله القبائل
 وانه لا فاق تما وقع وهذا ابراهيم وكل عترة
 اذا دبوا اليها مهلكة وفي سنة صفر
 اوسع شهر سيد الاسلام عماد الدين فقتل
 الى مدينة حصور لتدبير امور
 وارها بالاعتداء الله العجم فانه قبيل
 وصوله هناك اذ قد كان في انضواء في ظلم
 رعية بلاد حصرهم ولا عترة والاهوا فلما
 وصل حصرهم حصور سكتت تلك الشرار
 ووطنوا ان يقصد حصرهم في يد الجيش المنصور
 ثم قلت هناك مدة خمسة اشهر
 فاقام الشريعة وانزال كل حصرهم
 شيعه ولا يخرج اموال من صوابي بيت المال
 كما قد استولوا عليها الجمار وحصلت
 التدبير والانتقال وكادت ان تنقض

وحدث في حصرهم

الصفحة الأخيرة من النسخة أن نهاية المخطوط

كتاب الدر المنثور في سيرة مولانا امير المؤمنين
 وسيد المسلمين ونعم الله على الخلق جمعته من عبي
 الامام المنصور بالله العجل بن محمد بن يحيى بن محمد
 بن محمد بن اسمعيل بن محمد بن الحسين بن الامام
 المنصور بالله القاسم بن محمد بن صفوان القاسم
 عليهم اجمعين بن اميرين



وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وسلم
 من خزانة امير المؤمنين المتوفى له
 الاعظم امير المؤمنين المتوفى له
 كى ان اعاد الامور الى ما كانت
 على عهد الاسلام
 لسم الله
 من خزانة امير المؤمنين المتوفى له
 الاعظم امير المؤمنين المتوفى له
 كى ان اعاد الامور الى ما كانت
 على عهد الاسلام
 لسم الله

صفحة العنوان من النسخة م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَاسْتَعِين

الجهد الذي اطلع لعباده في سائر الاوقات كما جوامع من العتق والنويرة ساطعة من هجرة
 واشهرتهم في كل زمان سدا في اعناق اهل الجهاد والجهاد فاصمها بآثره ، وقضا سابق
 علمه في انزال جناب طابع الحق ظاهره ، وحتى يتاثر اخذهم المسبح للرجال كما انظمت بذلك
 لاجل انوار المنيرة ، فمهره برقى في كل اوان السيرة عامرة ومعاني
 الدين بانوار النجاة ، وانوار طبعهم عاطرة ، ناظرة ، مومنة ، عبد الفضل في كل حين صانع
 شاكرة ، فهم في كل مكان زينة البادية ، وبهاظرة ، وبجور المضائل الزاخرة ، واسمهم من
 سائر الاوقات ، وجره اشركه شهرته ، كما تلو في لنا جنة في الدنيا والآخرة ، واسمهم من سائر
محمد عبد الله وسواك المولى بالمعجزة الباهرة والبرهان المتطرفة ، صلى الله عليه
 وعلى آله الطيبين الطاهرين صلوة دائمة متواصلة ، معك آثره ، وسلم تسليمك كثيرا اوله واخوه
أما بعد فانها من الله سبحانه على ولده الجيد الوفاة في المقام من ذكره في السجادة
 والسيادة ، وحيث في المثال الحي والزيادة في قوله ، وانا مولى كل مسلم شمس المراد التي طلعت في
 الرقاع من القبلة ، فاشرفت عن جناد من الليل المظلم نعمت الله التي احسن بها على العباد في هذا
 الزمان ، ورحمة الله التي تفصل بين المصطفى عن اهل الكفر ، ورحمة الله التي اقام بها
 الفرض والسنة ، امير المؤمنين ، والسالكين ، بانوار المطهرين ، والمجربة الذين جرد سيد المرسلين
 المنصور ، والعالين حفظ الله ، حافظ به الذكر الحكيم المبين ، وكلاه وجهه من شروق الاناس
 والشياطين ، وايدى بعزير لضعف المبين ، وامتد بالحق من عند مرفوع ، وحين وصلت الى
 ذلك المقام ، وتشرفت بروية ، بهجت ذلك الامام ، ومعك كراهة الخلاق للكرام التي هي على المؤمنين
 روض نضد ايم المبتاهج ، وعلى اهل المنسوق والعصبة يحرم من لاطم الامواج ، ولقد وجدنا
 حفظ الله ، باليقين جلال الخلافة العبدية التي هي سرور الوجود النبوي ، وبصحة الذات المصطفوية
 فميراث ينقسم لنا بحج بافضل وبره ، فينا انا في حصة عن حصة ، ووقف عن اداء ، اذنا سكن ، في
 الا بالدار والناس علينا ، بالخير من فضائل الشوق بالاصالة ، وورث من المجدد با بصرف
 لا عن كلاله ، وكيف لا وهو اوجد الرغان في امة وشهادة ، وعامة ، وجلاله جامل اية
 الامامة في هذه العروة والمودع من مودة بالتمكين والتضرة ، قايلا لعمد السبيل التقوي ، في
 والمتسكة من يد العيب القوي ، اوان لما وضعت عصي التسيار ، ووجططت حلق في تلك الديار
 سمعت اذناى وواقبى وقايما جرت بين الاجزاء المنصوية ، انصار الحق ، وبين اعداء الحق
 يتجران تلو ، بقيد التمسك ، ويلزم حفظها في بطون الاوراق ، حفظ لما اثره في الامام سندن
 المتباف ، واشاعة كرامته التي تواترت بالاتفاق ، وان في حفظ تلك الحوادث تبصر

بالحق

بالملاكية

لم ياتي بعد من اجداف . وعرف اهل الامان والوفاق . وانما ظن الذي يحسد النفاق
فرايت اللزم بحكم البروة والواجب شرع المنوع . خاف من هذا الكلام الرديح وطود اجداف
الشامح المنيع . بتاريخ ليشتمل على السير المنصورية والوقايح العلوية الصفيونية . في
وما لم يترك من اجداف المنيرة والبرهان والبرهان . ومقر صلات خلد اجتهت لما علم عند
كل ذي قلب سليم . ونظمت تقم . ان ذلك الفتى عمره الثاني . وان الثنا الجليل الذي ليس
بغاني ولا يسا لم يردنا البرهان . وعلمت ان افضل الصلوة والتسليم . فصار ذلك مطلونا
عند روى العبادات والصفات السامية . لا يترك فضل الامن منا كمن عرف ارد الفضايلة
وكان وصول ذلك الغلام الشريف مناخ العز الحاشي المنيف . شجر حياوي الاخرة تاريخها
ظاهرو الامام حجة . وكان حين فوزه من الباطل وجوز حق في قول القائل . شعرا
انني لا رضى واستنكر . سطوة الزمان . ذلوعت وغابت . نظمت الامان .
سرتما الذي لم يترك . العظمة الشان . دولة الامام عا . التي جيلت على الطبع . جوار وما صنعت
بلغت العنان . فاجابها سالت . رفيع الامتحان . وطوي بساط حلفت . آل عثمان
وهذه الوفاة الثانية بعد الوفاة الاولى التي وشهر ربيع الاخر سنة ١٠٣٠ ووافقت في ربيع الاول
أيد الله عز وجل من القضايد الكني اضرت عن ذكر بعض في هذه السير وخشيت من ان اجد من
هو ليشتمل . ايد مغنون . وذلك بيت لا يترك في الجافلون . وقد تمت يد السيد المبارك
الذي اثنى في ربيع الاول . انا اهدر لعين الامام المنصور وهذا هو الشروع
والمرام . ومن الله استمر التوفيق . والجاهة على التمام .

فصل العاشر في

للناظر والسامع . ان اجداف اول اعلم . جازا حاستفا . اامن الزمان . انما طبع جان . وجوب
اتباع واعيد اهل البيت . ان طاعة داعيتهم . ومولاهم من الوجدان . كل منيتهم
وان من جاد عن ذكي وقد سكر في طريق مظلم . ولا يترك في كبري . عن طريق
فانما اقل وانزل من السماء التوفيق . وانظر الى الواضح لا اذله . فانك لا تكاد تجد الحق . في كل منيتهم
وقبيل ما هم . وقبيل . عن ذكي الشكورة . شعرا . تعيرنا انا قبيل . عديناه . فقلت . ان الكرام قبيل
وانظر حكم . كان اتباع السبل في سالف الدهور . العزير . من الادلة التي هي في غاية الظهور
ولا يتركها الا من لا يعرف . في راي . في حاله . لا يتركها . وانما تجد اهل الفسوق والكفر
والظن . اصنعوا اهل الاسلام والامان . وان هذا الخبر طحاكا . انكر انسان . وجينان
بتين . ان اهل الحق هم جماعة . وان العترة النبوية هم اساطير الحق . اقيام الشريعة . كيف لا وقد
نوع . بذلك الرسول . في غير ما جازت . تلقين . بالعهود . الحديث . التي تاركها . ان يتسليم
لن يضلوا . اهل البيت . الله عز وجل . اهل بيتي . فانها لن يفرق حتى يداعلوا في كل
العهود . الشريعة . فيهم . انهم لا بد . وجود . من يكون اهل للتمسك . يد من العترة الطاهرة . في كل زمن

جزء الثاني المنصوح به

وتلك صغار القوم ثم كما بهم
البيك منها يبي تيدي قراتكم
تقدرا ما مولاي اني جاهل ان
وليس لنا غير الدعاء من سبيل
وصلى الهى كل يوم وليد
على الجهد والاول اما الطير غير
ملا الدرهما ابقاك موكك واندا
تجر ذبول السنه في ثوب عن الدنيا
عن الشعير والاداب اعنى مفرق دا
الى الله يحبر كل لذي الدرهم مثل
على الجهد والاول اما الطير غير

حوادث سنة ١٣١٦ هـ الحرام المرفوف الدهور في حلال العيون علي

وقت حكمة العالم بالثقة الصدور وعقبة الصدور لا يعاد في شتات من خلقته
احمد محمد معترف بالتقصير والقصور واشكره على نعمته الذي ليس لمطوع ولا محصور
والصلوة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله النبي المشهور صاحب القلوب المنشور صلى الله عليه
وعلى آله سنة المعجزة **الحوادث** فلما كانت الوقائع تحدث في تلك السنة من غير ان يعرف
بالثلف وتجمع بالتصنيف لئلا ين ان امرها في هذه الكرايس بلفظ لغوي في الاستماع
فبعد الحذر بس اعلم انما دخلت سنة سنة عشر وثلاث مائة والف وقد اشتد على ابن السنبل
وعظم الخطر والغلا وعم جميع الاوقات رهاذي الينتلا فارتفعت الاسعار حتى بلغ السعر
في بعض البلاد الى ستة اقفار وغلا كل شئ وظلم العشار في البر والبحر كسبت اربك الناس ما
اصابك من مضرب فيما كسبت يدك وعمق عن كثير وانما يكون تنابح القبط والسدين
عقوبة وزجر النظار والمقصرين عن بعض الحق المدين بعد قيام تحذير ووضوح المحرم
كما كان ذلك سنة الله في الامم السابقتين وقد جكا الله تعالى في كتابه في السنة ولوان اهل القرى
امنوا واقفوا فتحننا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاحذناهم ما كانوا يكسبون
وقال الله عز وجل احذنا الذين نقص من الثمرات لعلمهم **تخصيص** فهدى الله سنة الله
التي خلقت في عبادك ولن تحاسبنا الله بتدبيلنا ولكن تحاسبنا الله بخوفنا وما زاد هذه السنة
فالمكر والمكروه ودعاة الذين اذ لم يطهروا على القيام باحب رب العالمين اذ هم ومرة الرسلين
وان الناس لما صعدوا على عن اجابته داعي الهلاك وعموا عن القيام بما تحب الله الذي لم يتخذ
صاحدا ولا اولاد علم يتدروا منكرا او امرا والمعروف في بين الوري بل صارا لهم للقادم عند
مخاصن والعام جمع اعظام كاتبة الامم الذي خلق لجلد الامم والديا الامم الذي يجب به الامم
حتى عظم الخطوط وطغ وصار طلب الحق عن عند جميع الامم ونشاط عليها اعلاج العم وما
ربك نظام للعبيد واعلم ان اول الحوادث المخرج العظيم الذي قد تميزت به ولما انعم الله
ذات الفجر **التخصيص المذكور لغرض خاصة العم** وهذا لغرض
صنعها وصفها انه في المحرم مفتاح السنة المذكورة كذلك في خلاصة الامام عبد السلام فتايل خلد
وبكل يطلبون هذا ان يفتخروا لهم بها العم واعلموا انهم يزدرون تلك ارض العرب الكرم في
فاسعوا لهم الامم عليهم فيما ارادوا حشيدة من الوقوع في التقصير فيما يلزم ومع ذلك

نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني من النسخة م

رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جازنا هدايتكم
لم ينزلنا من عرشنا
وهو التاج للامة جمعاً
الامام الذي لله
استباحتني صفاتك
فسوا عندي الملك والمقد
فليكن اليربوع مدوده في ال
طال مشواي في جهور الى ان
كنت في جبلته الجهاد فاصي
وكذا المكين جليسي اسفا
صار مكثي فيه لم تحض سوال
يا ابا المجد والمكارم والشؤ
يا امام الانام يا واحد الار
اغفني من جهور دام لك الع
فلقد ضاق قلبا بالبقا مقامي
قد وغنا وصار كل شجار
واذا تشر ترون صلاحا
او يبقى فيها خليل حسبان
فا سبحوا بالجو والاذن فيه
وخلق من المليك وتعالى
يلحان التي حية المعالي

ير ذوا الفهم ان رايه اشهد
ابن للناس احسن الناس قولاً
علمنا ما نزل اذا اصطل جلال
وارتقا عما محمد او قدرنا اخلا
وهو في العلم قد عدني مستفلا
طاه فضلاً في العالمين وطولاً
بي اعطيت السن الناس طلالاً
لك في مدح ذاوداك اقل
مدح ولينبدا ما بقلبي استفلا
تليج مجليبي وصديري تورا
بامت الاشينا جولا جولا
وهن العلم تليجني ان ما
كم وفودنا في تبليغ سوال
دار العلم زادك الله فضلاً
يام لازلت ابي العلاء مستفلا
ر وعافاك ربنا وتورا
وسمعت البقا والفكره طلالاً
بالدما والاموال بالفضل جلالاً
بالبقا فيه فالتردد اولى
خل استعمل الر فيع مجلالاً
واكلوا في الملوكة عقدا وحلا
وسلام ما دامت الصحف تنلى
وكذا الا الا ظهر الناس فغلا

الصفحة الأخيرة من النسخة م. نهاية المخطوط

كتاب الدر المنثور في سيرة مولانا أمير المؤمنين
الأمام المنصور بالله رب العالمين محمد بن يحيى بن محمد
ابن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين
ابن الإمام الأعظم المنصور بالله، أمير المؤمنين
القاسم بن محمد رضوان الله عليهم آمين
جمعها القاضي العلامة زينة الشيعة الكرام
جمال المسلمين والإسلام علي بن عبدالله
الإرياني، رضي الله عنه، هاجر إلى الإمام المنصور بالله
في أول سنة ١٣١٦، ولأزم حضرة الإمام، وكان من
جبال العلم الكبار وتوفي رحمه الله بعد وفاة
الإمام المنصور بالله بسنة وكسور
ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

/الحمد لله الذي أطلع لعباده في سماء الاقتداء نجوماً من العترة النبوية،
ساطعة زاهرة، وأشهر منهم في كل زمانٍ سيوفاً لأعناق أهل الإلحاد والجورِ
قاصمةً باترة، وقضى بسابق علمه، أنها لا تزال منهم طائفة على الحقِّ
ظاهرة، حتى يُقاتل آخرهم المسيح الدجال كما نطقت بذلك الأخبارُ
المتواترة، فهذه ربوع الخلافة بهم في كل أوامٍ آنسة عامرة، ومغاني الدينِ
بآثارٍ بهجتهم وأنوارٍ طلعتهم عاطرة ناضرة، ومشاعر الفضل والعلوم بحسنِ
صنائعهم حامدة شاكرة، فهم في كل مكانٍ وأوامٍ زينة البادية والحاضرة،
ويحور الفضائل الزاخرة.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة تكون لنا جنةً
ونجاةً^(١) في الدنيا والآخرة.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، المؤيد بالمعجزات الباهرة،
والبراهين المتظاهرة المتضاهرة، صلى الله عليه، وعلى عترته الطيبة الطاهرة،
صلاةً دائمة متواصلة متواترة^(٢)، وسلّم تسليمًا كثيرًا أوله وآخره.

أما بعد، فإنه لما من الله سبحانه عليّ، وله الحمد بالوفادة إلى مقام

(١) سقطت من ع، م.

(٢) في ع، متكثرة.

مَنْ مَلَكَ أَرْزَمَةَ السَّعَادَةِ وَالسِّيَادَةِ، وَحَوَى مِنْ كَمَالِ الْكَمَالِ الْحُسْنَى وَالزِّيَادَةَ،
 (أَمْنٌ تَشْرَفْتُ بِهِ الْخِلَافَةَ وَالْإِمَامَةَ، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ مَقَالِيدَهَا السِّيَاسَةَ وَالزَّعَامَةَ^(١)،
 مولانا ومولى كلِّ مُسْلِمٍ، شَمْسُ الْهَدَى الَّتِي طَلَعَتْ آخَرَ الزَّمَانِ مِنَ الْقِبْلَةِ،
 فَكَشَفَتْ عَنْ حَنَادِسِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي أَمَتَنَ بِهَا عَلَى الْعِبَادِ فِي
 هَذَا الزَّمَنِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي تَفَضَّلَ بِهَا عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ.
 وَحِجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لِإِقَامَةِ^(٢) الْفَرَائِضِ وَالسَّنَنِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ،^(٣) قَرِينُ
 الْقُرْآنِ الْمَبِينِ^(٤)، السَّالِكُ سَبِيلِ آبَائِهِ الْمُطَهَّرِينَ، وَالْمُجَدِّدُ^(٥) لِمَا انْدَرَسَ مِنْ^(٦)
 دِينِ جَدِّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَفِظَهُ اللَّهُ بِمَا حَفِظَ
 بِهِ الذُّكْرَ الْمَبِينِ،^(٥) وَكَلَّاهُ وَحَمَاهُ^(٥) مِنْ شُرُورِ الْإِنْسَانِي وَالشَّيْطَانِي، وَأَيَّدَهُ بِعَزِيزِ
 نَصْرِهِ الْمَبِينِ، وَأَمَدَّهُ بِمَلَائِكَةٍ مِنْ عِنْدِهِ مُرَدِّفِينَ.

وَحِينَ وَصَلْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمَقَامِ، وَتَشَرَّفْتُ بِرُؤْيَا بِهَجَّةٍ ذَلِكَ الْإِمَامَ،
 وَمَفَاكِهِةِ أَخْلَاقِهِ الْكِرَامِ، الَّتِي هِيَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ رَوْضٌ نَضِيرٌ^(٦)، دَائِمٌ
 الْإِبْتِهَاجِ، وَعَلَى أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعَصِيَانِ بَحْرٌ عَجَّاجٌ^(١) مُتَلَاطِمٌ الْأَمْوَاجِ. وَلَقَدْ

(1). تسمع لمائه صوتاً لكثرة مائة، انظر، لسان العرب، مادة عَجَج.

(١) مَنْ تَشْرَفْتُ وَالزَّعَامَةَ، سَقَطَتْ مِنْ ع، م.

(٢) فِي ع وَو، الَّتِي أَقَامَ بِهَا.

(٣) قَرِينُ الْمَبِينِ، سَقَطَتْ مِنْ ع، م.

(٤) فِي ع، م وَالْمُجَدِّدُ لِلدِّينِ.

(٥) تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ فِي أ.

(٦) فِي ع، نَضِيرٌ.

واجبنا حفظه الله بما يليقُ بجلالةِ أخلاقهِ السنيّةِ، «وقابلنا بما هو أهله كما ذلك دأبُ العناصرِ»^(١) النبويّةِ، و«الفروعِ المصطفويةِ»^(٢). فلم يزل - حفظه الله -

١٢ / يتعهدنا بجزيلِ فضلهِ وبرّه، فها أنا في حصرٍ عن حصره، وقصرٍ عن أداءِ أدنى شكره، إلّا بالدعاءِ له «بخيريّ الدارين»^(٣)، والثناءِ عليه بما أحرزهُ من قَصَباتِ السَّبِقِ^(٤) بغيرِ مَيّن، فاستحقَّ التقديّمَ^(٥) بالأصالةِ، وورث^(٥) المجدَ عن آباءِ صدقٍ لا عن كلاله، وكيف لا وهو أوحُدُ الزمانِ فخامةً وشهامةً [وزعامَةً]^(٦) وجلالة، حاملٌ رايةِ الإمامةِ في هذا العصر، والمؤيّدُ من مَولاهِ بالتمكينِ والنصرِ، قائدُ الأمةِ إلى سبيلِ التقوى، والتمسكُ من ربّه بالحبلِ المتينِ^(٧) الأقوى.

ولاني لَمّا وضعتُ عصا التسيارِ، وحططتُ رحالي في شريفِ المقامِ، «ومنَّ اللهُ عليّ بذلك، فله الحمدُ على هذا الإنعام»^(٨)، سمعتُ أذناي، ووعى قلبي وشاهدَ بصري، وقائعَ جرتُ بين الأجنادِ المنصوريةِ، أنصارِ الحقِّ^(٩) من البريّةِ^(٩)، وبينَ أعداءِ اللهِ العجمِ^(١٠)، يحقُّ لها أن تُوثقَ بقيدِ القلمِ، ويلزُمُ

(١) العجم: المقصود بالعجم الأتراك العثمانيون، وهو تعبير أطلقه العرب على كل من لا يتكلم اللغة العربية خلال تلك القرون، انظر وثائق يمنية/ ١٣٥.

(١) سقطت من ع، م وجاءت التي هي فرع الدوحة النبوية.

(٢) جاءت في ع، م، وبضعة الذات المصطفوية.

(٣) سقطت من ع، م.

(٤) سقطت من ع، م.

(٥) في ع، وورثه من المجد.

(٦) الإضافة من ع، م.

(٧) سقطت من ع، م.

(٨) سقطت من ع، م.

حفظها في بطون الأوراق. حفظاً^(١) لمآثر هذا الإمام سيّد السُّبَّاق، وإشاعةً لكراماته المتواترة بالاتفاق، وإنَّ في حفظ تلك الحوادث تبصرةً وذكرى لمن يأتي بعد من الحُدَّاق، وعبرةً لأهل الإيمان والوفاق، وإغاظةً لذوي الحسد والشُّقاق^(٢)، فرأيتُ من اللّازم بحكم المروعة، والواجب لشرع الفتوة خدمةً هذا المقام الرُّفيع، طَوْدِ الخلافةِ الشامخِ المنيع، بتاريخٍ يشتمل على السيرة المنصورية، والوقائع السنوية العلوية الصفيّة. ^(٣) وربما أذكرُ استطراداً بعضَ ^(٤) الحوادث [السنوية] ^(٥) السنوية. و^(٦) إنَّ ذلك ^(٧) لمطلبٍ فخيم، ومقصدٍ جليلٍ جسيم. فقد علم كلُّ ذي قلب سليمٍ، ونظرٍ مستقيمٍ، أن ذكرَ الفتى عمره الثاني. وأنَّ الثناء الحسنَ المخلَّد الذي ليس بفانٍ، ولذا سأله سيّدنا إبراهيم، عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاة والتسليم، فصارَ ذلك مَطْلُوباً عند ذوي الهممِ العالية، والصفاتِ السامية، لا يُنْكَرُ [فَضْلَهُ]^(٨) إلا مَنْ مَنَّاكِبُهُ عن أُرْدِيَةِ الفضلِ عاريةً.

وكان وصولي إلى ذلك المقام الشريف، مناخِ العزِّ السامي المنيف، في ^(٩) شهرِ جمادى الآخرة تاريخها «ظاهر والامام محمد^(١٠)». وكان وصولي^(١١) على حين زفرةٍ من الباطل، وجوِّرٍ يحقُّ فيه قولُ القائلِ :

(١) في أ، رعاية.

(٢) في ع، م، النفاق.

(٣) (٣) في ع، م، وما يلم ذلك من الحوادث.

(٤) الإضافة من ع.

(٦) الإضافة من ع، م.

(٣) بحساب الجُمَل.

(٥) (٥) في ع، م، وأنه.

(٧) (٧) في، سقطت من ع، م.

(٩) (٩) سقطت من ع، م.

أنت الأرض واشتكتُ سطوة الزمان
ثم ولّوت وغدتُ تطلبُ الأمان
ربّها الذي له سجّدتُ العظيّم الشان
دولة الأعاجم التي جبلت على الطغيان
جورُها وما صنعتُ يبلغ العنان
فأجاب ما سألتُ رفع الامتحان
وطوى بساط مملكة آل عثمان^(١) سنة ١٣١٦
٢٢ ٧٢ ٥٣٠ ٣١ ٦٦١

/وهذه الوفادة الثانية بعد الوفادة الأولى التي في شهر ربيع (الأول)^(٢) سنة ١٣٠٩ .^(٣) هذا وقد قال الحقيّر^(٤) في مديح مولانا، حفظه الله، قصائد كثيرة^(٥)، «قديمة وأخيرة^(٥)»، وقد أضربتُ عن ذكر بعضها في غضون^(٦) هذه السيرة، خوفاً^(٧) أن يُنسب إليّ أني^(٧) ممن هو بشعره مفتون، وذلك عيب لا يرتضيه العاقلون، وقد سمّيتُ هذه السيرة المباركة^(٨) «بعد الخير^(٨)»، بالدر المنثور في سيرة مولانا أمير المؤمنين الإمام المنصور.

وهذا أو أن الشروع في المرام، ومن الله نستمد التوفيق والإعانة على التمام.

(١) بحساب الجمل وتكون ١٣١٦..

(٢) الإضافة من، ع، م.

(٣) في ع، م. وقلت في مديح.

(٤) في ع، أيده الله غرراً من القصائد.

(٥) سقطت من ع.

(٦) غضون، سقطت من ع.

(٧) خشية من أن أعد في ع.

(٨) سقطت من ع، م.

فصل

إعلم أنه ينبغي للناظرِ والسامعِ أن يعلمَ أولاً علماً جازماً مستفاداً من البرهانِ القاطعِ ، أنَّ وجوبَ اتباعِ داعيةِ أهلِ البيتِ أمرٌ متحتّمٌ ، وأنَّ طاعةَ داعيتهم ومولاته من الواجبِ على كلِّ مسلمٍ ، وإنَّ من حادَّ عن ذلك فقد سلكَ في طريقِ مظلَمٍ . ولا يهولُنكَ كثرةُ مَنْ حادَّ عن سواءِ الطريقِ ، فإنَّه أقلُّ ما نزلَ من السماءِ التوفيقَ ، وانظرِ إلى واضحِ الأدلَّةِ ، فإنك لا تكادُ تجدُ الحقَّ والخيرَ إلَّا مع القِلَّةِ ؛ وقليلٌ ما هم ، وقليلٌ من عبادي الشكورِ .

شعراً . [الطويل] (١)

تعيّرنا أنا قليلٌ عديداً فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلٌ وانظرْ كمَّ كانَ أتباعُ الرسلِ في سالفِ الدهورِ ، إلى غيرِ ذلك من الأدلَّةِ التي هي في غايةِ الظهورِ ، ولا ينكرها إلَّا مخدولٌ مغرورٌ ، ولا يأتي مَنْ خالفها الا بهباءٍ مثورٍ .

وإننا نجدُ أهلَ الفسوقِ والكفرِ والطغيانِ ، أضعافَ أضعافٍ (١) أهلِ الإسلامِ والإيمانِ ، وإنَّ هذا أمرٌ لا يكادُ ينكره إنسانٌ ، وحيثُ تبدَّتْ تبيّنَ أنَّ أهلَ الحقِّ هم الجماعةُ ، وأنَّ العترةَ النبويَّةَ هم أساطينُ الحقِّ إلى قيامِ الساعةِ ، كيف لا وقد نوّه بذلك الرسولُ ، في غيرِ ما حديثٍ تَلَقَّتهُ الأمةُ بالقبولِ كحديثِ «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا بعدي أبداً ، كتابَ الله وعترتي أهلُ

(١) الشعر للسُّمَّوأل بن عادِياء ، انظر الديوان ، ص ٩٠ ، دار صادر ، ١٩٥١ م .

(١) سقطت من ع ، م .

بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» (1)

قال العلامة الشريف: يفهم أنه لا بد من وجود من يكون أهلاً للتمسك به من العترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة، حتى يتوجه الحث المذكور على التمسك به، كما أن الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض.

والحديث المذكور قاله ﷺ في حجة الوداع، ورواه عنه من الصحابة ما يزيد على العشرين بألفاظ مختلفة، فدل ذلك أنه يجب على الناس الموالاة والمناصرة، والتمسك بتلك الأعتاب الطاهرة، وقد تبين صدق الأحاديث الواردة بالوقوع الذي / لا ينكره إلا مكابر. وإن هذه الأحاديث متفق عليها ٢٣ عند المؤلف والمخالف. ولقد صانها الله عن تحريف المحرفين، وغلو الغالين، ولم يقدر على كتْمها أحد من المحدثين، لأنها من معدن الذكر المبين.

وقد ورد عن النبي ﷺ، «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة رجلاً من أهل بيتي يجدد لها أمر دينها» (2) - الحديث - أو كما قال، وقوله

(1) أخرجه أحمد في المسند، ١٤/٣، ١٧، ٢٦، ٥٩، الطبراني في المعجم الصغير،

١٣٥/١ والترمذي، ٣٧٨٨، ٣٧٨٦، صحيح مسلم، ٢٤٠٨ في فضائل الصحابة.

(2) معرفة السنن والآثار، ١٣٨/١، حلية الأولياء، ٩٧/٩-٩٨، توالي التأسيس، ٤٨،

سنن أبي داود، ٤٢٩١، الخطيب البغدادي، ٦١/٢ الحاكم، ٥٢٢/٤، مناقب

البيهقي، ١٣٧/١، من طريق ابن وهب، عن سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن

يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة، فيما أعلم عن رسول الله ﷺ، قال:

إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»، ورجاله ثقات،

وإسناده قوي كما قال الحافظ في توالي التأسيس، ٤٨.

﴿من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه﴾. إلى غير ذلك من الأحاديث الثابتة في دواوين الإسلام.

ولقد دلت منطوقاً ومفهوماً على وجوب التمسك بعروة أهل البيت النبوي، ووجوب طاعة أئمتهم، وموالاته داعيتهم، والقيام بنصرتهم ومعاونتهم باطناً وظاهراً، لا معنى للأحاديث إلا ذلك. وقد استدلل بذلك على حجية إجماعهم، ولا منع أن يستنبط من الخبر الواحد حكمان، وكيف لا وهو من كلام من أعطى جوامع الكلم، وأن دلالاته على وجوب اتباع قائمهم ومناصحتهم ومناصرته ومعاونته على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الحق أوضح وأظهر. وقد علم أن إقامة الحق بالسيوف المجردات، أتم منه بالكتب المجلّدت، وبرهان الوقوع قد قضى بصحة هذا المرفوع، فكان ذلك من الإخبار بالغيوب، لثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. «ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا»^(١). واغفر لنا كبائر الذنوب.

ومما يزيدك طمأنينة أنك تجد العترة النبوية، متفقين على وجوب الخروج على سلاطين الجور، ولزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي صارت بسببه هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وهو الأمر المجمع على وجوبه فيما بين السلف الصالح. «حتى خلف من بعدهم خلق»^(٢)، ركبوا متون القبائح، وران على قلوبهم عملهم الطالح^(١)، فلم يسمعوا القول

(1) سورة آل عمران، ٨/٣.

(١) من «حتى خلف... الطالح» سقطت من ع، ٢٠٤.

(٢) في أ، خلف.

المناصح، بل صارَ مطلبهم الأهمُّ تحصيلَ حُطامِ الدُّنيا من أيدي العجمِ ،
 وبما ذكرنا يتَّضحُ لك أن بذلك الأمرِ حصلتِ المقارنةُ فيما بين الكتابِ
 والعترةِ، فاحفظْ هذا، فإنه مفيدٌ بالمرَّة. وأمَّا من لهجَ بالتَّشيعِ في الأمواتِ،
 وقصَّرَ ودَّه على الرَّممِ البالياتِ، وظنَّ أنه قد بلغَ في التَّشيعِ أعلى الدرجاتِ،
 فإذا ظهرَ قائمُ العترةِ، هوَّنَ على الناسِ أمره، وحملهُ الكِبْرُ على جَحْدِ
 الحقِّ، وسلوكِ نهجِ شيخه أبي مرَّة، فبَاءَ بِخُسْرانٍ وحسرةٍ، (أوقدا) روي عن
 النبي - ﷺ - أنه قال: «أزهدُ الناسِ في العالمِ إخوانُهُ، وفي العابدِ جيرانُهُ(1)»
 الحديث. وتلك فِتنةُ القُربِ مما فتنَ اللهُ به العبادَ، وأبرزَه في صورةِ التَّكشِفِ
 [لأحوالهم](2)، والافتقارِ، ألا ترى مريمَ ابنةَ عمرانَ سيدةَ نساءِ عَالَمِها، قال
 اللهُ فيها «إن الله اصطفاكِ وطهركِ / واصطفاكِ على نساءِ العالمين(3)». وقال
 فيها قومها «لقد جئتِ شيئاً فريباً»، «وما كان أبوك امرأ سوءٍ، وما كانت أمك
 بغيّاً(3)».

وترى (3) أحدنا يُحدِّثُ نفسه أنه لو كان موجوداً في عصرِ رسولِ اللهِ ﷺ،

-
- (1) ويروى، أزهد الناس في عالمٍ قارةُ أي من قرَّ معه، ورواية أخرى، أهله وجيرانه،
 ويضرب في الاستهانة بما كان معرضاً غير مفتقد، انظر، الزمخشري، المستقصى في
 أمثال العرب، ١٥٠/١ رقم ٥٩١.
 (2) سورة آل عمران، ٤٢/٣.
 (3) سورة مريم، ٢٧/١٩، وآية، ٢٨.

(١) في ع، م «مع أنه قد».

(٢) الإضافة من ع، م.

(٣) في ع، م وإن.

أو عصر الإمام الفلاني، لَفَعَلَ وترك، (١) وظاهرًا ونصرًا، ولا يرفع رأسه لنصرة القائم في عصره، ففتنة القرب من المغويات.

وكذلك مَنْ أظهر التشيع لتحصيل بعض الأغراض الدنيوية، فإن تحصل المراد^(٢) وإلا انقلب على وجهه، وانعكست القضية. اللهم لا ذا ولا ذاك أعمالهم وأقوالهم نية [لم يصححوها بنية]^(٣)، فعليك أيها الناصح لنفسه بسلوك منهج الفرقة الناجية، وملازمة طريق السلف العتيق الخالية، فانظر إلى سيرهم، وتأمل ما أتى من خبرهم، واسلك سبيل^(٤) آثرهم، فإنهم بذلوا أنفسهم لله، وقاموا بما أوجبه الله، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك أمر^(٥) ثابت لم يأت في نسخه خبر ولا أثر، [ولو كان في ذلك إزهاق النفوس وملاقاة الشدائد والبؤس]^(٦)، وإياك أن يحملك حب هذه الدنيا الفانية على الوقوع في الأغلوطات الكاذبة، والأعدار الواهية، فإن مولاك^(٧) يعلم السر والعلانية، وعن قريب، وقد لاقيت جميع ما أعلنت وما أخفيت وقد نصحتك فالحذر، الحذر! ولقد أعذر من أنذر، شعراً:

[الطويل]

فإن تقبلوا نصحي ترون قبوله نجاة ومرقاة إلى جنة الخلد
وفي هذا كفاية لمن وفقه الله إلى سبيل الهداية، فليكن منكم على ذكر،
وبالله التوفيق.

(١) سقطت من ع، م.

(٢) سقطت من ع، م.

(٣) الإضافة من ع، م.

(٤) في ع، م، على آثرهم.

(٥) في ع، م، على آثرهم.

(٦) الإضافة من ع، م.

(٣) الإضافة من ع، م.

(٥) في أ، الدين الذي لم.

(٧) في ع، م، لك مولى.

فصل :

ولتبرِّكْ بِذِكْرِ نَسَبِهِ وَذَكَرِ شَيْءٍ مِنْ بَدَايَاتِهِ

فَأَمَّا نَسَبُهُ، فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَفْوَةُ الْأَلِ الْمُطَهَّرِينَ، أَسِيدُ الْأَسِيدِينَ
الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى حَمِيدِ
الدينِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، الْعَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ مُؤَلَّفُ
الغَايَةِ (1) وَشَرَحَهَا، ابْنُ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ، الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (ابْنُ
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ) بْنِ الرَّشِيدِ، شِعْرًا: [الكامل]

نَسَبٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُورًا وَمِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ عَمُودًا
مَا ذَاكَ إِلَّا سَيِّدٌ مِنْ سَيِّدِ حَازُوا الْمَفَاخِرَ وَالْثَنَا وَالْجُودَا

وكان مولده - عليه السلام - في مدينة صنعاء اليمن (2)، ونشأ في حجر
والده السيد العلامة المجمع على أنه من ذوي الرجاحة والشهامة والزعامه،
يحيى بن محمد، ثم لما بلغ عليه السلام لسن قبول التعليم، دأب في
تحصيل العلوم، بعد أن حفظ كتاب الحي القيوم، فكان مشايخه في العلوم
النقلية والعقلية جماعة منهم، الفقيه العلامة البعيد الغور، محمد بن عبد الله

(1) هي غاية السؤل في علم الأصول، مخطوط رقم ٣٣، ٣٤، ٣٥، المكتبة الغربية
(جامع صنعاء) ورقم «مجموع ٧٠، ١٠٢» في نفس المكتبة.

(2) ذكر صاحب أئمة اليمن أنه ولد سنة ١٢٥٠ هـ، وصاحب فرجة الهموم، ذكرانه ولد
سنة ١٢٨٠ هـ، ص ١٩٤.

(١) سقطت من أ.

الثور⁽¹⁾، والسيد العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي⁽²⁾، والسيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي⁽³⁾، والسيد العلامة قاسم بن حسين بن المنصور⁽⁴⁾، والسيد العلامة محمد⁽⁵⁾ بن إسماعيل عشيّش، والقاضي العلامة المحقق أحمد⁽⁶⁾ بن عبد الرحمن المجاهد، والقاضي العلامة جبل العلم الراسي، محمد⁽⁷⁾ بن أحمد العراسي، والقاضي العلامة

- (1) محمد بن عبدالله الثور بن محمد بن حسين بن إبراهيم الحميري الصنعاني ت سنة ١٣٠٧ هـ بمدينة صوران، انظر نزّه النظر، ٥٤٠/٢.
- (2) محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى الكبسي الخولاني ت في ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٠٨ هـ بموطنه الكبس له عدة مؤلفات منها، النفحات المسكية والإجازات السنية والسيره المتوكلية المحسنية والتراجم البهية، تاريخ الزمان، واللطائف السنية وغيرها، انظر أئمة اليمن، السيرة المنصورية، ٢٢ - ٢٨، تحفة الاخوان، ٢٤، الاعلام، ٣٨/٦، الزهراء، ٥٥٦/٤، Brock. 2: 652 (502), s:2: 818.
- (3) أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله الكبسي، رئيس العلماء، ت ذي القعدة ١٣١٦ هـ، انظر، أئمة اليمن، سيرة الإمام المنصور، ٢٩٧ - ٣٠٨.
- (4) قاسم بن حسين بن القاسم بن أحمد بن المنصور الحسين بن المتوكل الصنعاني ت ٦ ذي الحجة ١٣٠٦ هـ، انظر، أئمة اليمن، ١١٠/١. (سيرة الهادي شرف الدين)
- (5) محمد بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن عبدالله عشيّش الحسيني الصنعاني، من شيوخ الإمام الهادي شرف الدين والإمام المنصور بالله، عالم محقق، أفتى ودرس بصنعاء، كف بصره آخر أيامه، مات في سجن الأتراك في الحديدة، انظر، أئمة اليمن، ٨/١، نيل الوطر، ٢٤٦/٢.
- (6) أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين بن علي بن أحمد المجاهد ت سلخ جمادى الآخرة، ١٢٨١ هـ، انظر، نيل الوطر، ١١١/١ - ١١٣.
- (7) محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن محيي الدين العراسي ولد بصنعاء =

حسين⁽¹⁾ بن عبد الرحمن الأكوع، والإمام/ الأوحُدُ مقدَّمُ الذكرِ، المتوكِّلُ ١٤
على الله المحسن⁽²⁾ بن أحمد، وكلُّ هؤلاءِ الشيوخِ أذعنوا له بالتقدُّمِ
والرضوخِ، وأنه المُجَلَّى الذي لا يُجارى في مضماره ولا يُدركُ له غبار،
وأنه أوحُدُ الرجالِ، الجامعُ لخصالِ الكمال.

وممنَّ أجازَهُ في فنونِ العلومِ نظماً، السيّدُ العلامةُ حسنُ (3) بن
عبد الوهاب بن حسين بن يحيى الديلمي، ولم يزل عليه السلامُ يرقى في
معارجِ الكمالِ، حتى رمقتهُ الأيامُ بعينِ الاحترامِ والإجلالِ، وأنه أوحُدُ

= ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م؛ ونشأ بها ودرس على علمائها ودرس على الإمام المنصور بالله
مفتي صنعاء ت ٢٥ صفر ١٣١٦هـ / ١٨٩٨، وقبره بوادي ضهر بمقبرة برقان كان إماماً
في الفقه، انظر، أئمة اليمن، سيرة المنصور، ٢٦٤ - ٢٦٩، نزهة النظر، ٥٠٣.
(1) حسين بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن حسين بن علي بن حسن الأكوع، ت شهر
القعدة سنة ١٢٨٢ أو ١٢٨٣، انظر، نيل الوطر، ٣٧٩/١ (هذا لا يعقل أنه أخذ
عنه إلا إذا ولد الإمام سنة ١٢٥٠هـ)

(2) هو المتوكِّل على الله، المحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن
صلاح بن عبد الرحيم بن الباقر بن نهشل بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن
المطهر بن يحيى ت ١٢٩٥هـ، انظر، أئمة اليمن، ٥، سيرة شرف الدين، نيل
الأوطار من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر، ١٩٣/٢، فرجة الهموم،
١١٧، رياض الرياحين للحرازي، صفحات عديدة، لطائف الكبسي (خ) ٣٩٨،
المقتطف ٧٩، بلوغ المرام، ٢٠٤ حوليات ٢٤٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٣٥، صفحات
مجهولة ٦٢-٦٣

(3) حسن بن عبد الوهاب بن الحسين بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الديلمي الذماري،
ت محرم الحرام ١٢٨١هـ. بمكة، انظر، نيل الوطر، ٣٤٠/١ - ٣٤٢.

الرجال . وكان منه ما كان من الجهاد للباطنية (1) وغيرهم، حال كونه مُقَدِّمياً (2). بحضرة الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد عليه السلام، ولم يزل على تلك الحال إلى خروج العجم إلى اليمن.

ثم إنه نظر في أمورهم، وتَدَبَّر أحوالهم، وزاحمهم في الإصدار والإيراد، ورجح أنهم من البغي والفساد، فاعتزل في بيته ناشراً للعلوم، فاصلاً للقضايا فيما بين الخصوم، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، حتى أذن الله بما سيذكر.

فصل

في خروجه أيده الله تعالى من مدينة صنعاء المحمية

كان ذلك في يوم الإثنين، الثامن والعشرين من شوال سنة ١٣٠٧ (سبع وثلاثماية و ألف). وذلك على حين خفقة من الدين، وزفرة من الباطل والمبطلين، وضعف في طائفة المؤمنين، وقذى في عين الشريعة، وحكام يجعلون القضاء وسيلة لأخذ الأموال وذريعة، ومأمورين قد قَطَعُوا رَحِمَ الْمِلَّةِ الإسلامية أي قطعية، شربوا الخمر، ورفعوا السُّتُورَ، وارتكبوا جميع الأفعال القبيحة الشنيعة، وشرعوا لأنفسهم ديناً سَمَّوْهُ القانون (3)، فهم عن أحكام

(1) المقصود اسماعيلية اليمن.

(2) مقدمي: نسبة إلى المقدم، أي الذي يتقدم الجنود، سواء كانوا سرية أو كتيبة أو فرقة، بمعنى الرئيس أو القائد أو كبير القوم أو الطائفة، انظر، حسن الباشا: الفنون الإسلامية، ١١٢٠/٣ - ١١٢٧.

(3) المقصود «القانون الأساسي العثماني في ممالك الدولة العثمانية» الصادر في =

جَوْرِهِ لا يَعْدِلُونَ، وباعوا ضعفاء الرعية من المشايخ، فأصبح الظلم في دولتهم كالطود الراسخ.

وكان ذلك بعد أن استشرفت لظهور هذا الإمام عيون الليالي والأيام؛ وذلك بعد وفاء الإمام الهادي لدين الله (1)، شرف الدين بن محمد عليه السلام. وكانت وفاته يوم السبت تاسع عشر شهر شوال سنة ١٣٠٧ (سبع وثلاثمائة وألف). في حصن السنارة (2)، ونقل منه بوصية إلى المدان (3)، قرية في جبل الأهنوم (4)، ودفن هناك بعد وفاته بثلاثة أيام، ولم يتغير ريحُه كما أخبرني بعض السادة الأعلام.

= الاستانة سنة ١٨٧٦م، في مطلع عهد السلطان عبدالحميد الثاني، انظر، ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ٢٥٧ - ٢٧٨، أباطة: الحكم العثماني، ٤٤٨.

(1) الهادي لدين الله، شرف الدين بن محمد بن عبدالرحمن بن الحسن بن محمد الحسيني ت ١٩ شوال سنة ١٣٠٧هـ، انظر أئمة اليمن، سيرته، نزهة النظر، ٣١٣/١.

(2) حصن السنارة ببلاد صعدة، شرع الإمام الهادي في عمارته سنة ١٣٠٢ هـ انظر، سيرة الإمام الهادي، ٣٧. المقحفي: معجم القبائل، ٣٢٦.

(3) المدان: مدينة في جبل الأهنوم، بها مركز ناحية شهارة، أحد نواحي محافظة حجة، المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ٥٧٣، البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، ٢٥٤.

(4) الأهنوم: جبال شامخة في بلاد حجة في الشمال الغربي من صنعاء، سميت بالأهنوم بن الحارث أغلب قبائلها من تليل، انظر المقحفي، معجم البلدان، ٥١، من مدنها، عُلمان، المدان، والجملول ومعمرة ومن جبال الأهنوم سيران، وذري، وجبال شهارة والعيازرة، انظر، شرح أجود المسلسلات، ٢١.

وحيث توفي - عليه السلام - كان بحضرته السيد العلامة الأوحى فخر الأواخر، ونجم آل الزاهر، عماد الدين (1) يحيى بن قاسم بن عامر، رحمه الله تعالى. والسيد العلامة الأجد صفي الدين، وزينة آل المطهرين، أحمد (2) بن قاسم بن عبد الله حميد الدين.

ولقد أخبرني - حفظه الله - بما حاصله: أنه لما توفي الإمام الهادي - عليه السلام - كاد الشر أن ينهض، وطمع كل من في قلبه مرض، من أهل تلك الديار، وهم أهل صعدة (3) وسبحار (4)، وأجمع الرأي بأنه لا يصلح لهذه الرتبة العليا، إلا من جمع صفات الكمال في الدين والدنيا، ولم يوجد بهذه الصفة

(1) هو يحيى بن قاسم بن إبراهيم بن يحيى بن إسماعيل بن محمد، عامر الأهنومي ت ١٢ رجب سنة ١٣١٥هـ، انظر، أئمة اليمن، ٢/٢٣٢ - ٢٣٥.

(2) أحمد بن قاسم بن عبد الله بن يحيى حميد الدين، سيف الإسلام ت في ١٢ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ، انظر نزعة النظر، ١/١٢٠ - ١٢٣، تحفة الأخوان، ٥٢-٥٣، شرح أجود المسلسلات، ٣٤ - ٣٨

(3) صعدة: تبعد عن صنعاء بمسافة ستة أيام سيراً، ٢٤٣ كم، كانت تسمى في الجاهلية جماع، وهي كورة خولان، وفي وسط بلاد العرض، انظر، البلدان اليمانية عند ياقوت، ١٦٣ - ١٦٤، نزعة النظر، ١/٢١، صفة جزيرة العرب، ٥٣، ١١٥، نشر العرف، ١/١٩٠، فرجة الهموم، ٣٦، قرة العيون، ١٥٤، معجم البلدان، ٣/٤٠٦، مراصد الاطلاع، ٢/٨٥٤.

(4) سبحار: ناحية في بلاد صعدة سميت باسم قبيلة سبحار ومن توابعها غزلة ولد مسعود، وغزلة الأبقور وغزلة الطلح وغزلة بني معاد وغزلة الأزقول، ووادي علاف، وفروة والمهادر وبني عوير والعبديين والحمزات وغراز، معجم المقحفي، ٣٠٥.

الآ علم المعرفة، وواسطة عقد الآل^(١)، وجمانة عقد الآل، المحقق في الفروع والأصول، ٤ب والمدقق في المعقول وهو، مولانا الإمام حفظه الله / فحينئذ بادروا بالإرسال إليه، [ومكاتبته]^(٢) بأنه قد توفي الإمام الهادي - عليه السلام - ولم يبق من يصلح لهذا المنصب الشريف غيرك. وقد تحتم عليك الخروج؛ فبادر إلى ذلك قبل أن يفتن العلوح، وتدارك أمور المسلمين، فإنها قد غدت تموج. فحين وصل إلى الإمام ذلك الكتاب، شاور العلماء والعقلاء والأجباب، منهم: القاضي العلامة محمد بن أحمد العراسي، فكلهم رأوا أنه قد تحتم عليه الخروج، وما زال - حفظه الله - يقدم رجلاً ويؤخر أخرى. ثم رأى تقديم الاستخارة، وما انشرح له صدره قصده، وتفرقوا على ذلك. وبعد أن استخار في ساعة الأسحار، قضت الخيرة بالخروج، فخرج منها متكثماً خائفاً يترقب، لأن قيامه على العجم قبل ذلك مترقب.

ولقد أخبرني من أثق به، أنه سمع بعض كبار العجم، وقد رأى الإمام - عليه السلام - في صنعاء داخلاً إلى المسجد فقال: هذا إمام الزمان، وكان ذلك قبل خروج الإمام بأيام.

وأخبرني الإمام - عليه السلام - أن رجلاً من النجارين - سمّاه الإمام - كان المعتمد في حاجات كبراء العجم، فكل ما وصل إلي منهم سأله عن أحوال سيدي - حفظه الله تعالى - وما أشغاله؟، وأين استقراره؟. فحكى لهم ذلك

(١) في أ «الأول».

(٢) الإضافة من م.

الرجل، أنه مشغولٌ بالزراعة، وتدرّس العلم مع الطلبة في مسجد الخراز^(١)،
وفضل خصومات من ورد إليه لتحكيمه. وأن استقراره تارةً بصنعاء، وتارةً ببئر
العزب^(٢). وفي الخريف بقريّة القابل^(٣) حتى قال ذلك النجار:

لقد خفتُ عليكم يا سيدي من كثرة السؤال! . وكان ذلك قبل وفاة
الإمام الهادي - عليه السلام - بنحو عشرة أيام . هكذا سمعته من الإمام
- حفظه الله - . وكأنهم استدّلوا على ذلك بشيء من حوادث الفلك على قاعدة
المنجمين . وكثيراً ما يصيب من أتقن ذلك، كما أشار إليه الإمام المهدي
- عليه السلام - في شرح القلائد^(٤) .

هذا، ولما خرج عليه السلام من مدينة صنعاء، سقط ما في أيدي

(١) مسجد الخراز بالقرب من السايطة في الجهة الشرقية منها، بناه أرحب الخراز، انظر، تاريخ
مدينة صنعاء ١٠٦، مساجد صنعاء عامرة وموفيهها، محمد الحجري، ٥١.

(٢) بئر العزب، متصلة بصنعاء، كان لها سور خاص قبل ذلك، في الجانب الغربي من

صنعاء، فيها الآن محل الوزارات والادارات الحكومية، انظر صفحات مجهولة، ٣٦.

(٣) القابل من نواحي صنعاء الشرقية، من قرى بني الحارث أسفل وادي ضهر غرباً من

صنعاء إلى الشمال، والقابل في صحار بصعدة من عزلة المهادر، والقابل، محلة في

جبل ساقين من ناحية خولان بن عامر، والقابل من قرى القيفة، والمقصود هنا القرية

بأسفل وادي ضهر، البلدان اليمانية، ٢١٧، صفحات مجهولة، ٤١، اليمن الكبرى،

٦٨، معجم المقحفي، ٥٠٢ نزهة النظر/ ٢٤/١

(٤) هي الدرر الفرائد في شرح كتاب العقائد في تصحيح العقائد للمهدي لدين الله،

أحمد بن يحيى المرتضى، منه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني رقم ٣٩٥٦،

ونسخ أخرى في مكتبة الجامع بصنعاء رقم ١٩، ٢١، ٢٢٢، ٢٣٦ علم الكلام،

وله شرح صنفه عبدالله بن أحمد النجري.

العجم، وعضوا اناملهم من الندم، وارسلوا في أثره نحو أربعين فارساً إلى أطرافِ شَعْبٍ (1) من بلادِ أَرْحَبٍ (2)، علماً منهم بأن خروجَهُ سببٌ للهلاكِ والعطبِ، وأنها قد تولّت عنهم أيامِ الراحةِ والسرورِ، وأقبلت عليهم دعوةُ الويلِ والثُّبورِ. وقد كانوا سابقاً في أيامِ المشيرِ مصطفىِ عاصمِ (3) اعتقلوا الإمامَ - عليه السلام - مع جماعةٍ من أكابرِ العلماءِ ثلاثَ سنينَ، وأرادوا أن يكونَ حبسُهُم دائماً في أحدِ مدائنِ الرومِ. خوفاً من الأمرِ المكتومِ.

فبقوا مدةً في بندرِ الحُدَيْدَةِ (4). وتوفي هنالك السيدُ العلامةُ محمدُ بنُ إسماعيلَ عشيئاً رحمه الله، ثم عُزِلَ مصطفىُ عاصمٌ عن الولايةِ، وأُبدِلَ بالواليِ إسماعيلَ حافظَ (5)، فأطلق أولئك الأعلامَ، الذين من جملتهم الإمامُ، وحلَّ بالعجمِ ما كانوا يحذرون من البؤسِ والتَّقمِ.

(1) شَعْبٌ قرية في أَرْحَبِ، ينسب إليها عامر بن شراحيل الشعبي، معجم الحجري، ٢٤١/١، ٤٥٢/٢، معجم المقحفي، ٣٥٦ البلدان اليمنية، ١٥٦.

(2) أَرْحَبُ: قبيلة كبيرة من همدان، وأَرْحَبُ، ناحية تابعة لمحافظة صنعاء تبعد ٥ كم شمال شرقها، أنظر اليمن الكبرى، ٧٣، المقحفي، ٢٤، الاكليل، ١٣٤/١٠، الأكوخ: البلدان اليمنية، ٢١ نشر العرف، ٢٧٤/٢.

(3) مصطفى عاصم: حكم اليمن ست سنوات، وصل اليمن سنة ١٢٩١هـ وعزل عنها ١٢٩٧، انظر أئمة اليمن، ٩ (سيرة الهادي)

(4) الحُدَيْدَةُ: مدينة معروفة على البحر الأحمر، على بُعد ٢٢٦ كم من صنعاء، شمال غرب وهي مركز محافظة الآن، فيها ميناء كبير للتجارة، عرفت بعد القرن ١٠ هـ، معجم المقحفي، ١٦٢، أئمة اليمن، ١٠٩، حوليات يمانية، ٣٥ صفحات مجهولة، ١٩.

(5) إسماعيل حافظ هو إسماعيل حافظ حقي، أحد ولاية الأتراك على اليمن ومؤسس الحميدية توفي بصنعاء ١٣٠٩هـ، ودفن في القبة التي شمالي الداخل إلى جامع البكيرية في اعلا صنعاء - انظر، أئمة اليمن، ٩٤، حوليات يمانية، ٣٩٣.

فصل

في الإرهاصات الدالة على ظهور الإمام ، وإشراق نوره التام

وذلك من الرؤيا البصرية والمنامية، والملاحم الجفريّة، وهي كثيرة جداً، لا سبيل إلى حصرها، ولتقتصر على البعض منها، فمن ذلك أنا رأينا / ١٥ عند خروج الإمام، - عليه السلام -، أو قبل ذلك بيسير نوراً مستطياً ظهر في الجهة القبليّة ممتداً كامتداد نور الفجر، وكان يبقى من بعد العشاء إلى نحو ثلث الليل، بقي ذلك مدة شهر. وأمّا الملاحم الجفريّة فمن ذلك، ما ذكره العلامة الصرمي (١) في ملحمة التي ذكر أنه أخذها من الجفر، وذكر فيها العجم وجميع صفاتهم، وسمّاهم النظام باسمهم المعروف الآن.

ثم قال بعد ذكرهم شعراً:

[الطويل]

سيظهرُ داع عن قريبٍ وكم له أيادٍ إلى العليا وأيدٍ إلى العُلا
حليمٌ كريمٌ مُتقنٌ في فنونه له سرٌّ بيديه وآخر مُقفلًا
يقومُ بأمرِ الله لا عن كلاله ولا خيرة من عالمٍ أو مفضلاً
إلى آخر ما ذكره من صفاته - عليه السلام - التي لا تُنكر، وهي ملحمة قديمة مشهورة بأيدي الناس.

ومن ذلك ملحمة الفقيه ابن مطحن (٢)، وهي موجودة بأيدي الناس،

(١) الجفر، الكتاب المنسوب لسيدنا علي بن أبي طالب، وهو هادي بن علي الصرمي ت بعد ١١٢١هـ.

(٢) ابن مطحن، شاعر شعبي غير معروف من شعره «وكل باشه يكاد قلبه يطير فهو جدير» انظر، حوليات يمانية، ٤٧٣.

أنشأها قبل دخول العجم إلى اليمن بنحو سبع سنين، وذكر فيها العجم، وما يُحدثون من القبائح. ثم ذكر ظهور الإمام - عليه السلام -.

وكثير من الملاحم الواقعة المشاهدة، قد سبّنا جميع ما ذكرنا فيها، فلم يتخلف من ذلك شيء. وهي قصيدة طويلة من الشعر الحُميني⁽¹⁾، وإنما يقع الغلط والتصحيّف كثيراً في ألفاظها من جهة الكتاب.

أخبرني مَنْ أثق به مِنْ قرابته، أهل جبل مَطْحَن⁽²⁾ من بلادِ وصاب⁽³⁾ أن الفقيه المذكور كان من البُلّه، وأنه أنشأ القصيدة المذكورة قبل وفاته بأيام يسيرة. ولا يبعد أن الرجل المذكور من المُحدثين، كما ورد عن سيّد المرسلين: أن في هذه الأمة مُحدثين⁽⁴⁾.

ومن ذلك ما سمعناه عن كثيرين⁽¹⁾ من أهل علم الفلك بأن هذا أوأن

(1) الشعر الحُميني: أشعار منظومة على وزن الخفيف، وله بحور مختلفة، تشبه الموشحات الأندلسية، وأحياناً يسمونه الدوبيت، ولكن الدوبيت قد تتغير فيه قافية الروي، انظر، طيب السمر، ٧٥/١ - ٨١، ديوان الدوبيت في الشعر العربي، ٢٠، ١٧

(2) جبل مَطْحَن: من جبال وصاب العالي، انظر معجم المقحفي، ٦٠٤.

(3) وصاب: صقع متسع غرب وادي زبيد، فيها عدة حصون، فيها جبل عظيم وعليها حصن الشرف، انظر طبقات الخواص للشرحي، ٦٥، معجم البلدان لياقوت، ٣٧٨/٥، مراصد الاطلاع، ١٤٣٩/٣، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، ٢١٤، ٢١٦، ٢٦٦.

(4) مُحدّث انظر، تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي، ٣٤ - ٣٥، صحيح البخاري، =

(١) في ع، كثير.

ظهور إمامٍ في أعدلِ المناهج، سلكَ إلى غيرِ ذلك مما لا يمكنُ استقصاؤه.

وأما المناماتُ الصادقةُ، فمنَ ذلك ما أخبرنا به الإمامُ - عليه السلام -، وغيرُهُ عن الفقيهِ الثقةِ الزاهدِ الحاجِ المجاهدِ منصرِ خصرف⁽¹⁾، رحمه الله تعالى، أنه أتى إلى الإمام - حفظه الله تعالى - وقال: هل بينكم وبينَ الإمامِ الهاديِ مكاتبةٌ أو رسولٌ سيعزِمُ إليه منكم؟ فأجابَ عليه الإمامُ: أن لا. فأخبره الحاجُّ منصرٌ أنه رأى النبي ﷺ، كأنه في جامعِ صنعاء، وكانَ الحاجُّ منصرٌ قد جمعَ شيئاً من الواجباتِ يريدُ إبلاغها إلى الإمامِ الهاديِ عليه السلام، قال: فدَتَوْتُ مِنَ النبي ﷺ وسلمتُ عليه، وقلت: إني قد جمعتُ شيئاً أريدُ تبيغهُ إلى الإمامِ الهاديِ. فأجابَ عليه النبي ﷺ: أنه سيقبضُها منك الولدُ محمدُ بنُ يحيى. فقال الإمامُ عليه السلام: فحاولني أن أقبضَها منه تصديقاً لرؤياه، بقوله ﷺ: «مَنْ رَأَنِي فَقَدْ رَأَنِي حَقًّا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي»⁽²⁾. فلم يُسعدْهُ الإمامُ - عليه السلام - بقبضِ ذلك. فأرسلَ بها الحاجُّ منصرٌ إلى الإمامِ الهاديِ - عليه السلام -، وتحيَّرتُ في حرفِ سفيان⁽³⁾. ثم توفي الإمامُ

= ١٤٩/٤ سيدنا عمر، القول السديد (ط استانبول ١٣١٥هـ)، صحيح مسلم، ١٤٥/٧ (ط الاستانة، ١٣٢٩هـ، مسند أحمد، ٣٣٩/٢ ط مصر)

(1) هو منصر خصرف المطري من ناحية البستان، انظر، أئمة اليمن، ٨/٢.
(2) حديث صحيح، رواه أبو هريرة، انظر صحيح مسلم، ١٧٧٥/٤ رقم ٢٢٦٦، صحيح البخاري، تعبير، ١٠، سنن الدارمي، رؤيا، ٤، سنن ابن ماجه، رؤيا، ٢، مسند أحمد، ٢٣٢/٢، ٢٦١، ٣٤٢.

(3) حَرفِ سفيان: بلاد مشهورة بينها وبين صنعاء أربعة أيام، شمالاً من صنعاء بمسافة ١٤٦ كم وسفيان قبيلة من بكيل من ولد سفيان بن أرحب، لهم ناحية تعرف بحرف سفيان ترتبط بقضاء حِمزٍ أنظر، نشر العرف، ٥١٩، هامش الاكليل ٨٣/٨، معجم المقحفي، ٣١٧.

الهادي - عليه السلام -، وهي هنالك، وخرج الإمام - حفظه الله تعالى -، وهي باقية أيضاً، وفيها قليل مونة، فأخبرني الإمام - أيده الله - أنه أخذ من تلك المُرسلة مونة، وجعل في قيمتها ورقة للعامل عليها، وذلك عند مُضيّة مِنْ حرفِ سفيان / قبل أن تنتشر الدعوة. وبعد ذلك، قبض الإمام - عليه السلام - الجميع، وأتضح بذلك أنها رؤيا حق من العليم السميع.

ومن ذلك، ما أخبر به القاضي العلامة محمد بن أحمد العراسي - رحمه الله تعالى - عن بعضهم أنه رأى أنّ ديكاً في شبّاك قاعد في مدينة صنعاء، فأقبل من ناحية القبلة طائر أبيض فلم يزل ينقر ذلك الديك حتى أخرجه من ذلك الشبّاك وقعد مكانه.

وفي بعض كتب التعبير أنّ الديك يُعبر بالعجم .

ومن ذلك، ما أخبر به بعض الصالحين: أنّه رأى قبل خروج العجم بمدة، أنها خرجت الروم إلى أرض اليمن، ورآهم بصورهم التي هم الآن عليها، ثم أظلمت الأرض، ثم ظهر نورٌ يسير، وبعد ذلك عادت الظلمة أعظم مما كانت، ثم سمع صوتاً يقول: اتوا بالمشايخ، فأتوا بهم وبسَطوهم ووتدوهم إلى الأرض، وبقي يسيراً وأشرقَت الأرض بالنور، ونادى منادٍ، هذا نور آل محمد. والمنامات في هذا كثيرة.

فصل

ثم إنّ الإمام - حفظه الله - لما خرج من صنعاء تواری في الجِراف (1)،

(1) الجِراف: قرية جنوبي روضة حاتم، أقرب القرى إلى صنعاء وهي من شعوب، أنظر صفحات مجهولة، ٢٦، معجم المقحفي، ١١٦، أئمة اليمن، ١٦٨ (سيرة المنصور).

فارسَلْ كُتُباً إِلَى ابْنِهِ عَمَادِ الْإِسْلَامِ، يَحْتَهُ عَلَى الْإِنْصِرَافِ وَاللِّحَاقِ بِهِ عَلَى جِهَةِ الْمِبَادَرَةِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ابْنُهُ، ارْتَحَلَ حَتَّى بَلَغَ غَوْلَةَ زَنْدَانَ⁽¹⁾ فِي بِلَادِ أَرْحَبَ. وَمَا مَرَّ بِأَحَدٍ حَتَّى الْأَطْفَالِ وَهُمْ يَقُولُونَ: هَذَا الْإِمَامُ.

وَأَخْبَرَنِي الشَّيْخُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى دُودَهُ، أَنَّهُ التَّقِيُّ الْإِمَامُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى بِلَادِ أَرْحَبَ، وَأَنَّهُ كَانَ يَلْقَى الرِّعَاةَ وَالْأَطْفَالَ وَمَنْ لَا دَرِيَّةَ لَهُ، فَيَقُولُونَ لَهُ⁽¹⁾: أَنْتَ عَازِمٌ لِلْقِيَا الْإِمَامِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى وَصَلَ الصَّفْرَاءَ⁽²⁾ وَآلَ عَمَّارٍ⁽³⁾، فَأَقَامَ هُنَاكَ حَتَّى كَتَبَ إِلَى صَعْدَةَ وَمَا يَلِيهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ ارْتَحَلَ إِلَى السِّنَارَةِ. وَوَصَلَهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَاسِعَ عَشَرَ الْقَعْدَةِ الْحَرَامِ فِي السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ.

وَلَمَّا وَصَلَ هُنَاكَ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْأَكَابِرُ وَالْأَعْيَانُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ صَعْدَةَ وَضَحِّيَانَ⁽⁴⁾، فَأَفْهَمَهُمْ - حَفِظَهُ اللَّهُ - بِأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا فِي جَمْعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ شَعَثِهِمْ لَا تَحْمَلِ أَعْيَاءَ الْخِلَافَةِ. وَحِينَئِذٍ دَارَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُؤُوسُ الْمَذَاكِرَةِ فِي عُلُومِ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ، وَالْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ،

-
- (1) غَوْلَةُ زَنْدَانَ: زَنْدَانَ، مِنْ قِبَائِلِ أَرْحَبَ، وَالْغَوْلَةُ قَرِيَّتُهُمْ، الْيَمَنِ الْكُبْرَى، ١٨٦.
- (2) الصَّفْرَاءُ: مَدِينَةٌ بِالْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ صَعْدَةَ بِمَسَافَةِ ٢٥ كَمَ، تَرْجِعُ إِلَى قَبِيلَةِ وَاذَعَةَ هَمْدَانَ، بِهَا مَرْكَزُ قَضَاءِ هَمْدَانَ، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٣٨٢، حَوْلِيَّاتُ يَمَانِيَّةٍ، ٣٩١.
- (3) مِنْ قِبَائِلِ دُهْمَةَ فِي بِلَادِ صَعْدَةَ، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٤٦٢.
- (4) ضَحِّيَانَ: شِمَالُ غَرْبِ مَدِينَةِ صَعْدَةَ بِمَسَافَةِ ٢٥ كَمَ، أَنْظَرُ مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٣٩٥، أَيْمَةُ الْيَمَنِ، ٨٥/١.

(١) سقطت من ع.

فوجدوه في جميع ذلك البحر الزاخر، والسيد الكامل الذي فاق بإتقانه الأوائل والأواخر. وكيف لا! وقد أذعن له أجلة المشايخ. وشهدوا له بالاتفاق، وأنه العليم الشامخ الراسخ، وأنه الذي فاق الأقران، وبرز في كل ميدان.

وعلى الجملة، فإن العالم في ذاته مجموع، وليس على الله بمستنكر، ففضله غير مقطوع ولا ممنوع. فلما عرفت العلماء والأكابر ما خصه الله به ومنحه من الفضل المتكاثر، والعقل الوافر، وجودة الرأي والتدبير، حتى إنه لم يكن له في محاسنه نظير، وأنه جمع الشروط التي عليها تدور الدوائر. فلم يسعهم إلا الإذعان له، والاجتماع عليه، وأجمعوا بأنها قد تجمعت خصال الكمالات لديه.

فحينئذ، نشر الدعوة إلى جميع البلدان، فأجابته الأقصى والأدنى بالسمع والطاعة والإذعان.

فصل

وممن أذعن له بالإمامة، وشهد له بالخلافة والزعامة، جماعة من العلماء الأعلام، منهم: السيد العلامة بقية المحققين، الذي لا يمتري في فضله ممتري، عبد الله بن أحمد العثري⁽¹⁾ من علماء ضحيان، والقاضي العلامة، رئيس أولي الفقه والزعامة، عز الإسلام، وبقية العلماء الأعلام / محمد بن^{١٦}

(1) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حسين، العثري الضحياي ت ١٣١٥هـ، كان عالماً ضريراً، اشتغل بالفقه والأصول، انظر أئمة اليمن، ٢٣٥ (سيرة المنصور بالله)، نزهة النظر، ٣٧٢/١ ترجم له تلميذه في كتابه ذروة المجد الأئيل.

عبدالله الغالبي⁽¹⁾، والسيد العلامة، شرف الإسلام، حسين بن محمد الحوثي⁽²⁾، والسيد العلامة أحمد بن يحيى العجري⁽³⁾، والسيد العلامة صفي الإسلام، وبقية الأهل الكرام، أحمد بن إبراهيم الهاشمي⁽⁴⁾، والقاضي العلامة إبراهيم بن عبدالله الغالبي⁽⁵⁾، هؤلاء من علماء صعدة وضحيان،

(1) محمد بن عبدالله بن علي بن علي بن قاسم بن لطف الله الغالبي الصنعاني الضحيان، كان عالماً مجتهداً، أخذ عنه الأعلام في صعدة وسكن هجرة ضحيان ت فيها في ذي القعدة ١٣٣٤هـ انظر نزهة النظر، ٥٤٩/٢ - ٥٥٠.

(2) هو حسين بن محمد أمير الدين الحوثي، ينسب إلى حوث، جده الأعلى حسين بن محمد الحوثي وهو من علماء ضحيان ت ١٣٢٩هـ انظر، نزهة النظر، ٢٨٢/١، أئمة اليمن، ٣/٢١٥.

(3) أحمد بن يحيى بن أحمد بن الحسين بن محمد، الملقب العجري نسبة إلى قرية العجري، يتصل نسبه بالامام عزالدين بن الحسن بن المؤيد علي بن جبريل، له كتاب «ذروة المجد الأثيل فيمن قام ودعا من أولاد المؤيد علي بن جبريل» والدرة المضئية في أنساب العترة المؤيدية ت ١٣٤٧هـ انظر نزهة النظر، ١/١٦٦، لسان الصدق، ١٣.

(4) أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن الإمام الناصر الحسن، ولد برحبان صعدة سنة ١٢٦٠هـ، ونشأ بها ورحل إلى ضحيان، كان خطيب جامع صعدة، ت ٣ صفر سنة ١٣٤٢هـ، ترجم له القاضي عبدالرحمن بن حسين بن سهيل، انظر، نزهة النظر، ١/٤٥، لسان الصدق في الآخرين، ٥، نيل الحسينين، ٢٠١.

(5) ابراهيم بن عبدالله بن علي بن قاسم بن لطف الغالبي الضحيان ت ١٣٢٧هـ، وكانت وفاته في بلاد بني مالك، كان مهذباً داعياً للحق، انظر، نزهة النظر، ١/٢٨، لامية نبلاء اليمن، ٥٤ (ترجم له القاضي عبدالرحمن بن حسن سهيل الصعدي، في كتابه تراجم علماء صعدة)، له رسائل وأنظار منها، المسائل الضحيانية التي اختبر بها =

(١) حسين بن محمد أمير الدين الحوثي في ع.

المشار اليهم بالبنان، أذعنوا له كل الإذعان، وشهدوا أنه أوحّد الزّمان.

وممن أذعن له، وشهد له باستجماع الشروط السيّد العلامة حسن بن حسين ساري (1). والسيّد العلامة لطف بن علي ساري (2)، سيّد أهل قرية حوث (3) وعالمها، ومنهم أيضاً: القاضي العلامة فخرالدين، عبد الله بن أحمد المجاهد (4)، من علماء مدينة ذمار (5)، وممن شهد بأهليته واستكمال السيد

= الامام شرف الدين والمهدي محمد بن القاسم.

(1) حسن بن حسين بن عبدالرب بن أحمد ينتهي نسبه إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني الحوثي، المعروف بساري، ولد سنة ١٢٥٥هـ، درس في حوث النحو والصرف والفقه والتفسير والأصول والحديث وغيرها، تولى فصل الخصومات، له مؤلف على أبيات التلخيص ت بحوث ١٣٣٤هـ، أنظر نزهة النظر، ٢١٧/١.

(2) لطف بن علي بن قاسم بن علي، ينتهي نسبه إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني الحوثي، المعروف بساري، نشأ بهجرة حوث من بلاد حاشد، تولى أعمال ظليمة، توفي بالأبرق من بلاد ظليمة سنة ١٣٣٤هـ، عين قائداً لجنود الإمام المنصور المرابطة في حصن ظفير حجة سنة ١٣٠٩هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٨٩/١.

(3) حوث: بلدة مشهورة في الظاهر الأعلى من بلاد حاشد، شمال صنعاء، انظر أئمة اليمن، ٧٠/٢، معجم المقحفي، ١٩٨.

(4) عبدالله بن أحمد بن علوان بن أحمد المجاهد المعروف بالشماحي، ولد بدمار ١٢٥٣هـ / ١٧٣٧م، تتلمذ على شيوخ العصر، هاجر إلى صعدة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م ودرس بها، ومن ثم بمدينة المدان من جبل الأنوم ودرس في شهارة، توفي سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م، انظر، نزهة النظر، ٣٧٠.

(5) ذمار: المدينة المشهورة بعد صنعاء، جنوب شرق، على بعد ١٠٠ كم، انظر، صفحة جزيرة العرب، ٧٩، اليمن الكبرى، ٥٤، معجم المقحفي، ٢٥١، الاكليل و١/٥٥٢ صفحات مجهولة ٢١/١، أئمة اليمن، ٤٦ (سيرة الهادي)، البلدان اليمانية، ١١٣ (الاكوع).

العلامة فخر الأواخر، يحيى بن قاسم عامر، والشيخ العلامة بقية المحققين لطف شاكر (1).

وممن أذعن له، وشهد باستكمالهِ القاضي، العلامة، محمد بن أحمد العراسي، والفقية العلامة أحمد بن محمد الجرافي (2)، وسيدنا العلامة صفى الإسلام أحمد بن عبدالله الجنداري (3)، هؤلاء من أعيان علماء. ومن علماء

(1) لطف الله بن محمد شاكر الصنعاني الأهنومي، امام العربية، ولد ١٢٤٠هـ في صنعاء، استقر بهجرة علماء من جبل الأهنوم سنة ١٣٣٣هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٩٣/١.

(2) أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن حسين الجرافي الصنعاني، ولد سنة ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م بمدينة صنعاء ونشأ بها: حفظ القرآن وطلب العلم على شيوخ عصره مثل أحمد بن محمد الكبسي وغيره، أخذ عن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى من مؤلفاته، النصح النافع في التأذين عن طلوع الفجر الصادع، المكتبة الغربية مجموع ٧ (٢٠٨-٢٢٠)، توضيح الدليل والرد على شفاء العليل في تحليل زكاة حاشد ويكيل للهاشمي، القول المستوفي في تحريم الغناء، المكتبة الغربية مجموع، ١٩٩ (٧٠ - ٧٧)، وجوابات ومراسلات مع السيد عبدالوهاب بن أحمد الوريث، انظر، أئمة اليمن، ٢٨٠، لامية نبلاء اليمن، ٢٦، نزهة النظر، ١٤٠.

(3) أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الجنداري الصنعاني، ولد بصنعاء في شعبان ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، ونشأ بصنعاء والروضة، درس القراءة والفقهِ والحديث ودرس على المنصور بالله محمد بن يحيى، هاجر إلى قفلة عُذر من بلاد حاشد ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وانتقل إلى هجرة علماء، وعكف على التدريس، وله مؤلفات في أصول الدين وفي علم الحديث والرجال، والجامع الوجيز بذكر وفيات العلماء ذوي التبريز، بدأ فيه من الهجرة إلى وقته ١٣٠٥هـ، المكتبة الغربية تاريخ ٦٥ وغيرها، انظر، نزهة النظر، ٩٧، شرح ذيل أجود المسلسلات، ١٢، لامية نبلاء اليمن، ٧١.

ذَمَارَ الْقَاضِي، الْعَلَامَةَ، صَفِيَّ الْإِسْلَام، أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَنَسِيِّ (1)، - رَحِمَهُ اللَّهُ -. وَالْقَاضِي، الْعَلَامَةَ، عِمَادُ الْإِسْلَام، يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنَسِيِّ (2)، - رَحِمَهُ اللَّهُ -. وَالسَّيِّدُ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْإِمَامِ (3)، وَالْقَاضِي الْعَلَامَةُ، عِمَادُ الدِّينِ، وَلِيُّ اللَّهِ، يَحْيَى بْنُ مُحَسِّنِ الْعَنَسِيِّ، (4) هُوَ لِأَنَّ مِنْ عُلَمَاءِ ذَمَارٍ، مُدَّعِينَ لَهُ بِالْإِمَامَةِ، وَأَنَّهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْآلِ الْأَطْهَارِ.

وَمِمَّنْ سَمِعْنَا مِنْهُمْ الْإِذْعَانَ، وَالشَّهَادَةَ بِأَنَّهُ أَوْحَدُ الزَّمَانِ، الْقَاضِي،

(1) أحمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن سعيد بن عبد الله العنسي الذماري، ولد بدمار ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م، ونشأ بها درس النحو والمعاني والبيان والأصولين، علم الكلام وأصول الفقه والمنطق والحكمة، تنقل بين صنعاء وشوكان، شرقي دمار وقرية الشرية غربي دمار، توفي في ربيع الأول ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م، انظر، نزهة النظر، ٤٨، أئمة اليمن، ٢٢٢. لامية نبلاء اليمن، ٢٥.

(2) يحيى بن محمد بن يحيى العنسي الذماري، ولد بدمار ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م، ودرس النحو والبيان وأصول الفقه والحديث والتفسير، رحل إلى صنعاء طلباً للعلم، ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م، انظر، نزهة النظر، ٦٢٦.

(3) عبد الوهاب بن علي بن يحيى بن أحمد الإمام القاسم بن محمد المعروف بالوريث، ولد بدمار ونشأ فيها، كان مرجعاً في فصل الخصومات، توفي ١٣٢٠ / ١٩٠٢م، صنف، تحفة الثقات في معرفة الأوقات، المكتبة الغربية، فلك ٢ (٣٣٢٦) انظر، نزهة النظر، ٤٠٧.

(4) يحيى بن محسن بن سعيد بن حسن، العنسي الذماري، ولد بمدينة دمار ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م، درس النحو والفروع وأصول الفقه والمعاني والبيان والبدعي، دَرَسَ، وتوفي ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦، من مؤلفاته، تحفة الإعلام ببشائر سيد الأنام، المكتبة الغربية، جامع سير، رقم ٣، وكشف الغطاء عن أدلة الصلاة الوسطى، انظر، نزهة النظر، ٦٤٢.

العَلَامَةُ، عمادُ الدين، وبقيةُ المحققين يحيى بن عليّ الإيراني (1) - رحمه الله -، والقاضي العَلَامَةُ جمالُ الدين عليُّ بن يحيى المجاهد (2) من مدينةِ ذي جَبَلَةَ. هؤلاء العلماءُ الأعلامُ، همُ الْمُعَوَّلُ عليهم في الإقدام والإجحام ممنُ بايَعَ وتابَعَ، وناصرَ وشايَعَ، وغيرُ هؤلاءِ كالسيدِّ العَلَامَةِ، جمالِ الإسلامِ، وبقيةِ الأعلامِ عليّ بن يحيى بن الإمام من مدينةِ ضوران (3)، والقاضي العَلَامَةُ صفيُّ الإسلامِ أحمد بن مطهر الغشم (4)، والقاضي العَلَامَةُ، جمالِ الإسلامِ،

(1) يحيى بن علي بن عبدالله الإيراني، ولد بإريان ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م، كانت له مطارحات ونظم ت بكرريان سنة ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، انظر أئمة اليمن ١٨٥/٢.

(2) علي بن يحيى المجاهد، من علماء ذي جبلة ت ١٣١٣هـ، من كبار العلماء الذين أحيوا التدريس بمدينة جبلة انظر أئمة اليمن، ١٨٤/٢.

(١) ذي جَبَلَةَ: مدينة تحت جبل صَبِر، وتسمى ذات النهرين، اختطها عبدالله بن محمد الصليحي ٤٧٣هـ جنوب غرب إب بمسافة ٧كم، انظر نشر العرف، ٢٠٣/١، ٢٠٢/٢، نيل الوطر، ٨٦/١، البلدان اليمانية، ٦٥، اليمن الكبرى، ١٦٥، صفة بلاد العرب، ١٦٨، الاكليل، ٣٦/٨ معجم المقحفي، ١٠٩، مرصد الاطلاع، ٣٠٣/١.

(3) علي بن يحيى بن الإمام قد سبق التعريف به.

(١) ضوران: جبل مشهور وفي سفحه المدينة، جنوب صنعاء، مركز قضاء آنس، وتقوم في منتصف جبل آنس من الشمال، انظر البلدان اليمانية، ١٧٦، معجم المقحفي، ٣٩٩، نشر العرف، ٦٥٣/٢، رياض الرياحين للحرازي، ٥٥، صفحات مجهولة، ٤٦، نزهة النظر، ٢٤/١.

(4) أحمد بن مطهر الغشم، ما ورد في نزهة النظر، محمد بن مطهر الغشم، ولد سنة ١٢٨٠هـ بهجرة آنس وسار إلى الامام المنصور بالله مع أخيه أحمد، ودرس في سودة شطب، وتوفي أحمد سنة ١٣١٩هـ انظر، نزهة النظر، ٥٩١. من كتبه: مرضاة باري البرية، والطريقة المرضية.

علي بن حسن الحلالي (1).

وصارت الدعوة المباركة مُجمَعاً عليها فيما بين الخاص والعام، واستبشرَ بذلك جميع أهل الإسلام.

فصل

في ذكر نبذة من كراماته الباهرة، وآيات شرفه الزاهرة، التي هي البحورُ الزاهرة.

ولقد بلغت حد التواتر، فلا ينكرها إلا من أُصيبَ بعماء البصر والبصائر. فلنذكرها هنا قطرةً من قطرات ذلك البحر، وشذرةً من شذرات ذلك النحر. ولم يكن قصدنا إلا التبرُّك بذكر هذه الكرامات، التي تنزل عند ذكرها الرحمات. وإنما ذكرناها هنا ما حضر، وما عثرنا عليه لا بدُّ نلحقه إن شاء الله، كل شيء في محله.

فمن ذلك، ما يعلمه كل عاقل، وهو ما أكرمه الله به من إعانتِهِ على كثير من الأعمال التي لا يقدر على عملها الجسم الغفير من الرجال. ولقد رأينا وشاهدناه يكتب في اليوم الواحد، ما لا يقدر عليه إنسان، وذلك من جوابات ومكاتبات بغاية الإحكام والإتقان، وإجراء الأحكام الشرعية بإيضاح وتبيان، وإجابات السؤال، / وافتقاد جميع بيوت الأموال، والنظر في جميع الأحوال، وفي مؤنة ٦ب

(1) علي بن حسن الحلالي: من علماء صنعاء، وأخذ عن علمائها في صغره، وتولى القضاء بأنس أيام الأتراك، توفي سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م، انظر نزهة النظر، ٢٧٨.

الوافدين والمهاجرين والمجاهدين، وهم كثيرون. وأما وكلاؤُهُ للمُصْرَفِ على المهاجرين، ففي مدينة حوث. وكيل، وفي جبل الأهنوم وكيل، وفي مدينة شهارة وكيل، وفي وادعة وكيل. وقُدِّرَ المخرُجُ في كلِّ اسبوعٍ نحوَ الألفِ الريال.

وكلُّ ذلك باطِّلاعِ الإمام، مع محاسبة الوكلاء بثباتٍ وبيان، وهذه الأمور لا تدخلُ تحت طوق البشر، وإنما يُكْرِمُ اللهُ بها من صَبَرَ، وإنما ذكرنا ما ذكرنا عن اختيارٍ ونظر. فلو جُمِعَ ما يكتُبُهُ في يومٍ لزاد على كُرَّاسَتَيْنِ، مع اشتغاله أيضاً بما ذكرنا، وتفقد جميع أحوالِ المقامِ وأهلِهِ، حتَّى الخيلُ والبغالُ والجمالُ، هذا دأبه في كلِّ يومٍ طلعت عليه الشمسُ.

ومن كراماته أيضاً، ما ألبسَهُ اللهُ مِنَ الهَيْبَةِ العظيمةِ، وجعلَ له في قلوبِ عباده من المودةِ العميمةِ، التي كانت لا تُوجدُ سابقاً، ولا عجب، فقد وردَ في الحديثِ عن النبي ﷺ، «إن الله إذا أراد أن يخلق خلقاً للخلافة مسح

() شهارة: جبل مشهور في بلاد الأهنوم، شمالي حجة، من معاقل اليمن المشهورة، هي عبارة عن شهارة الفيش وشهارة الأمير بعد وصل الفج بينهما انظر، نيل الوطر، ٢٩٩/١، نشر العرف، ١٢/١، صفة جزيرة العرب، ٢٣٨، البدر الطالع، ٢٥٨/١، معجم المقحفي، ٣٦٦.

() وادعة: من قبائل حاشد، وهم يتوزعون في جهات مختلفة، منها وادعة حاشد في بلاد حاشد على مقربة من خمرة، ووادعة الشام، شرقي صعدة من ناحية الصفراء، ووادعة عسير شمال نجران بغرب، وربيع وادعة، من ملحقات صنعاء، انظر، الاكليل، ٣١٤/١ ط الثالثة ١٩٨٦، اليمن الكبرى. ١٩٧، معجم المقحفي، ٢٨٧.

ناصيته بيده». وذلك عبارة عن إلقاء المهابة عليه ليطاع. فهو استعارة وتشبيه كما قاله الزمخشري، أخرج الحديث العقيلي والخطيب وابن عدي، وأخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ: «إن الله إذا أراد أن يخلق خلقاً للخلافة مسح على ناصيته بيمينه فلا تقع عليه عينٌ إلا أحبته». قال الحاكم: رواه هاشميون.

ومن الكرامات أيضاً، ما سمعته وشاهدته، وهو أنه لما وقعت المحاصرة الأولى لصنعاء، وكان الإمام عليه السلام يتبرم من المجاهدين وأفعالهم، ويقول: إنه لا يتم المرام والأفعال هكذا، فلما خرج الرديف صحبة أحمد فيضي باشا، وهم قدر مئة ألف، صرحوا بأنهم مأمورون بأخذ اليمن من صعدة إلى عدن، والقبض على الإمام وأعوانه، وأخذ النظام والسلاح، وكان خروجهم بما لا يمكن وصفه من القوة الكافية، التي لا يقدر على مقاومتها من البشر أحد، إلا الله الواحد الأحد، فلما وصل ذلك إلى مسمع الإمام - عليه السلام - التجأ إلى مولاه، وأيقن أنه لا ناصر له سواه، ولا مانع له إلا إياه، لما علم من سوء مقاصد الناس، وعدم الإخلاص والصدق اللذين هما الأساس. فلذلك حصل منهم الإياس.

ولقد سمعته - عليه السلام - من شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٩، حين بلغه خروج العجم، وعظمة الخطب الذي ألم، يدعو الله بعد صلاة الجمعة، ويتضرع إليه في دفع شرورهم بدعاء أبكى العيون، وأيقن بإصابته المؤمنون، فأرسل الله على عساكر العجم الطاعون.

ولقد حدثني بعضهم أنه طعن منهم في مرسى الحديدة نحو من أحد عشر ألفاً، ثم ما زالوا يهلكون في المدن والطرق حتى أنه هلك أكثرهم،

ولم يرجع منهم إلا نحوَ أحدَ عشر ألفاً، فبسبب ذلك كتب السلطانُ إلى أحمد فيضي يسأله عن سببِ هلاكِهِم، هل ذلك بالقتل أم بالموت، فأجاب إن ذلك أمرٌ رباني، أرسل الله عليهم الطاعونَ، ولم يُقتل منهم إلا قليلون.

فأرسل السلطانُ كاشفاً من دارِ السلطنةِ يُسمَى نامِقُ باشا. وكان بينه وبين أحمد فيضي ما كانَ مِنَ المجاولاتِ / والمخاصماتِ. وآل الأمرُ أنه كرراً راجعاً إلى الروم.

ومن كراماته - عليه السلام - أن أهلَ دَرَبِ هِزَمٍ⁽¹⁾ ودَرَبِ عُبيد⁽²⁾ منعوا واجبَ العنبِ، بعد أن حصلَ من الإمامِ الطلُبُ، فأرسلَ اللهُ على أرضِهِم البَرَدَ، فاجتاح الثمرَ، وذهبَ بأوراقِ الشجرِ. وكان ذلك من حدودِ أرضِ مانعي الزكاةِ لم يتعدَّهُم إلى غيرِهِم.

ومنها أيضاً، أن رجلين من حاشد سلَبَا رجلين من ذو محمد⁽³⁾ في الطريق. فلما وصلا إلى الإمام استغاثا به، فأرسل إلى قُطاعِ الطريق، وألزمَهُم بإرجاعِ المأخوذِ فلم يمتثلا، وخرجا من عند الإمام، فأرسلَ اللهُ عليهما صاعقةً فأخذتُهُم، فصارَ ذلك عِبرةً وتحذيراً من عدمِ الموافقةِ.

(1) درب هِزَم: قرية كبيرة في عُزلة شعب من أرحب، انظر، معجم الحجري - مادة هزم، معالم الآثار، ٥٨، معجم المقحفي، ٦٧٩.

(2) درب عُبيد: من قبائل العقارب في بلاد صعدة، وآل عُبيد من قبائل ذو حسين، وهم آل عُبيد بن حَمَد، وآل عبيد بن الشولان من ذو حسين ومسكنهم بَرَط، انظر، معجم الحجري، مادة عُبيد، معجم المقحفي، ٤٢٦.

(3) ذو محمد: من قبائل بكيل، ومسكنهم في جبل بَرَط، وهم من أولاد محمد بن غيلان، انظر، معجم المقحفي، ٥٦٨، حوليات النعمي، ٣٩.

وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ ثَلَاثَةَ أَشْخَاصٍ مِنْ حَاشِدٍ ثُمَّ مِنْ ذُو غَانِمٍ^(١)، سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الطُّغْيَانُ، قَطَعُوا السَّبِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ قَبَاضِ الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُسَمَّى الْفَقِيهَ نَاصِرَ الْيَمَانِيِّ مِنْ مَغْرِبِ عَنَّسٍ^(٢)، فَأَخَذُوا مَا مَعَهُ مِنَ الدَّرَاهِمِ، فَأَمَّا اثْنَانِ مِنْهُمَا، اسْمُ أَحَدِهِمَا قَايِدُ بَعْرَانَ، وَرَجُلٌ آخَرُ مِنَ الْعُصَيَّمَاتِ^(٣)، فَوَصَلَا إِلَى الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَقِيرٍ^(٤) يَلْتَمَسَانِ الْعَفْوَ، وَسَلِمَا مَا أَخَذَا مِنَ الدَّرَاهِمِ، وَأَمَّا الثَّالِثُ وَاسْمُهُ شَوْيْعٌ، فَأَصْرَهُ هُوَ وَأَبُوهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِمَا، فَمَا لَبِثَ أَنْ تَخَاصَمَ هُوَ وَأَوْلَادُ عَمِّهِ قَرَمَوْهُ وَكُسِرَتْ رِجْلُهُ الْبَيْتَةَ، (وَأَمَّا أَبُوهُ)^(١) فَتَعَاَصَرَ هُوَ وَمَعْرَظَةٌ حَتَّى اخْتَبَطَ وَكُسِرَتْ رِجْلُهُ. فَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعَا إِلَى التَّوْبَةِ. وَأَحَالَا بِمَا عَلَيْهِمَا مِنَ الدَّرَاهِمِ.

وَمِنَ الْكِرَامَاتِ أَيْضًا، مَا أَخْبَرْنَا الْحَاجَّ الْفَاضِلَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْأَكْوَعِ، أَنَّ الْعَجَمَ لَمَّا مَنَعُوا بَيْعَ الرِّصَاصِ وَالْبَارُوتِ فِي الْيَمَنِ، وَلَمْ يَتِمَّ لَهُمْ ذَلِكَ، رَأَوْا مِنْ إِخْرَاجِ الْكَبْرِيتِ وَالرِّصَاصِ إِلَى الْبِنَادِرِ وَمَكَّةَ وَجِدَّةَ، وَمَا وَجَدُوا مِنْ

(١) ذُو غَانِمٍ: مِنْ قَبَائِلِ ذُو حُسَيْنٍ ثُمَّ مِنَ الرَّبْعَةِ فِي بَرَطٍ، انظُرْ، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٤٧٩.

(٢) مَغْرِبِ عَنَّسٍ: مِنْ أَعْمَالِ ذِمَارٍ بِمَسَافَةِ ٤١ كَمِ، انظُرْ، مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ ٤٣٨/٥، مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ، ١٣٩٦/٢ نَيْلُ الْوَطْرِ، ٣٤٠/٢، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٤٦٩.

(٣) الْعُصَيَّمَاتُ: مِنْ بَطُونِ حَاشِدٍ وَهِيَ أَرْبَعَةُ جَبْرِي وَفَضْلِي وَغَنِي وَقَيْصِ، انظُرْ، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٤٤٩، ١٤٣-١٤٥، مَعْجَمُ الْحَجَرِيِّ، ٦٠٥/٢.

(٤) عَقِيرٌ: ذَبْحُ الْبَقْرِ وَالْغَنَمِ دَلِيلًا عَلَى الدَّخُولِ فِي الطَّاعَةِ، انظُرْ، صَفْحَاتٌ مَجْهُولَةٌ، ٥٦.

(١) الْإِضَافَةُ مِنْ م.

ذلك أخذوه وكذلك السلاح، ووضعوا في الطرق من يفتش الحمائِل، حتى كاذ الرصاص أن يُعَدَم . فأرسل الإمام - عليه السلام - بدراهم إلى مكة صحبة الحاج علي بن محمد المذكور ليشتري بها رصاصاً، ويشتري جمالاً تحملها خشية الظهور. فحينئذ عزم الحاج علي، واشترى الجمال من الحرَجَّة، ودخل بها من الحجاز مع القحط فيه وغلاء الحَبِّ والعَلْفِ. وكان من أعجب ما وُصِفَ، أنها لم تزل الجمال إلى زيادة في القوة مع ما هي فيه من الجوع ومشقة السفر حتى وصل إلى مكة، واشترى الرصاص وأخرج ذلك ليلاً، وسافر مع الحجاج، وكلما وصل إلى محل فيه المأمورون بالتفتيش، فتشوا الجمال الآخرة، وأعمى الله أبصارهم عن تلك الجمال حتى كأنهم لم يروها. وكان رفيقهم الحاج عبدالله العكام صاحب الجوف، وظن الحاج علي أنه من الشيعة، فأسر إليه أن الحمولة للإمام، وفيها كذا وكذا من الرصاص، (اروثق منهم بالكتم، حتى وصلوا إلى عقبة مُخَايِل⁽¹⁾) في الحجاز، وقام المأمور يفتش الحمائِل، ومضت جمال الإمام وعليها الرصاص⁽²⁾، وهو عنها غافل، فقال له الحاج عبدالله العكام: فتش تلك الجمال المحملة بالرصاص. فالتفت المأمور فلطمه ولعنه، ومضت الجمال حتى وصلت إلى حضرة الإمام - عليه السلام - قفلة عُذْر⁽²⁾ سالمة، مع أنه

(1) عقبة مُخَايِل: اسم موضع في عقيق المدينة، ومخايل ثلاث عقد، فالعليا تصب في

أفلس والاثنتان على حضير انظر، المغانم المطابة للفيروزابادي، ٣٧١.

(2) قفلة عُذْر: مدينة من بلاد خَمِر، مركز ناحية القفلة، وهي في مرتفع يحيط بها حصن

النواس وحصن عزان وجبل عيشان، معجم المقحفي، ٥٢١.

(١) سقطت من ع، م.

قد مات من الجمالِ غيرها كثيرٌ من الجوعِ ، وحفظها الله تعالى فلم يُصبها شيءٌ .

وكانت بعد ذلك من أحسنِ جمالِ الإمامِ / هكذا أخبرنا الحاجُّ عليُّ بنُ محمدٍ، شفاهاً .

ومن ذلك ما أخبرنا به السيّدُ الصفيُّ أحمدُ بنُ يحيى بن المنصور، والسيّدُ حسينُ بنُ يحيى عشيّش الحوثي، أنّ الإمامَ - عليه السلام - أرسل إليهما إلى المشهدِ غربي السُّكِّيَّاتِ (1) بنحوِ اربعِ مئةِ راسِ غنمٍ ، وأمرهُما أن يوجِّرا مَنْ يرهاها، فاعترض لهما حالٌ وصولها ابنُ الشيخِ يحيى بن مقبل كليب، وقال: لا تبقى الغنمُ في حدِّ ذو كليب (2) تأكلُ مرعى أغنامهم، فراجعهُ السيدان فلم يتراجع، بل لم يزل يحدثُهم، وهو يرجمُ الغنمَ، فردَّوها، ورجع ولدُ الشيخِ محلّه، وهم ردُّوا الغنمَ نحو القبلةِ. فلم يفارقهُم الولدُ إلاّ قدر ما يُسمَعُ فيه الصوتُ، حتى سمِعوا صياحه، وهو يستغيثُ، فلما وصلوا إليه وجدوه قد التوى (أعلى رجله) ثعبانٌ عظيمٌ، ورأسُهُ قائمٌ إلى حدِّ صدرِ الولدِ. فأراد بعضُهم على التحيّلِ لقتلِ الثَّعبانِ. فقالَ لهم: لا تقتلوه، فتقتلوني معه، ردُّوا غنمَ الإمامِ ترعى في بدني، إنما سببي الإمامُ. فلما تاب وأظهر الندمَ،

(1) السُّكِّيَّات: من قُرى حاشد ثم من بلادِ عذر، انظر، معجم الحجري، مادة السُّكِّيَّات، معجم المقحفي، ٣١٩.

(2) ذو كليب: من قبائل آل سالم من بكيل في بلاد صعدة، انظر معجم المقحفي، ٥٤٠.

(١) في ع، عليه.

استرخى ذلك الشعبان عن صدره، وولّى هارباً عن القدم.

ومن الكرامات أيضاً: ما شاع وذاع، وتعطرت^(١) بذكره المجالس والبقاع، وهي قصة الشيخ محمد أبو شوصى من مشايخ العُصيّمات، وذلك حال خروج الإمام من بلاد صعدة، وهو: أنه وصل - عليه السلام - إلى قاعة^(١)، وقد اجتمع خلق كثير من سادات حوث وعلماؤها، ومن حاشد فكلمهم الإمام عليه السلام: إنا مستقبلون لجهاد أعداء الله العجم، ولا يتم ذلك إلا بعد الإصلاح بين المتخاصمين من أنصار الحق والمجاهدين، ليأمن الجاهد والقاعد، فأول فتنة ما بين أبي شوصى وخصميه، فرمى الإمام - عليه السلام - مسبحة وهو راكب على جواده إلى وسط الحلقة، وقال: هذا جاءه الإمام، فمن خالقه عجل الله عقوبته، فزاد امتناعاً، وعزم الإمام ومن معه، ورجع أبو شوصى إلى أصحابه، وهم نحو عشرين نفرًا، فما مشى نحو عشرين خطوة حتى خرج له ثعبان أسود، وقصده، ولم يعترض أحداً من أصحابه، فهرب من بينهم وتبعه الثعبان. ورأى بعض أصحابه أن يرميه فمنعه أبو شوصى، وصاح: أنا باذل صلح الإمام، وتبع بعد الإمام - عليه السلام - إلى عند بئر أثلة^(٢)، ولم يبال بخصميه أن يتعرضاه ولا خاف منهم. فوصل إلى الإمام وتاب وأناب، ورقم الإمام عليه السلام الإصلاح بينهم في كتاب.

(1) قاعة: حصن وبلدة غربي عمران، تشرع منها الطريق إلى حجة، وعزلة قاعة، من

ناحية العشة بقضاء خمر انظر، قرة العيون، ٢٣٢/١، معجم المقحفي، ٥٠٤.

(2) بئر أثلة. غارب أثلة، معروف ببلاد عذر من حاشد انظر، طبق الحلوى، ٢٨٦.

(١) في ع، تخيرت.

ومن ذلك، ما حكى لي السيد الضياء عباس بن عبد الله بن المؤيد، وهو الثقة، أن السيد ناصر حجاج من سادات غرَبَانَ (1) قدّر عليه مُخامنة الإمام قدحِين ونصف زكاة، فأبى عن ذلك، وامتنع أن يسلم لإلْقَدْحَا، وتخاصم هو والعدُول فتركوه وراحوا، وبعد أن السيد نام في المسجد رأى أن رجلاً هزّه حتى انتبه. وقال له: أنت بحسبك حتى أجايه، قال: نعم. فقال له: سلّم ما قدّر عليك العدُول إلى الإمام الذي يُقاتل على الإسلام. وكان ذلك في سنة ١٣١٦، فقام السيد من حينه مرعوباً، وأتى إلى القَبَاض. وقال له: خذ مني القَدْحِين (2) والنصف الذي قدّر عليّ العدُول. وإذا شئت أن أزيد زدْتُ، ووصف لهم ما وقع.

وحكى لي أيضاً السيد المذكور، وهو عامل الإمام في بلادِ غرَبَانَ أنه طلب من رجلٍ زكاة الغنم، فمنع عن التسليم، فأتى الذئب في ذلك اليوم فعدا على الغنم، وأخذ بقدر الواجب من بين ألف رأس غنم، مُلك الرجل وغيره.

وحكى لي أيضاً، أن رجلاً آخر منع عن تسليم خمسة ريال (3) تعيّنَتْ

(1) غرَبَانَ: بلدة شهيرة في حاشد، ينسب إليها آل الغرَباني، من فروعهم بنو حيدرة وبنو مغل وبنو جحاف، من ولد الأمير ذي الشرفين محمد بن جعفر بن الإمام المنصور القاسم العياني، معجم البلدان، ١٩٦/٤ انظر، معجم المقحفي، ٤٨٠، مراصد الاطلاع، ٩٩١/٢

(2) القَدْح: ويساوي ٢٠٦٢ لتر، والمشار إليه يساوي ١٥٦ لتراً، انظر: الأوزان والمكاييل ٦٥٠.

(3) ريال: اسم شائع في بلاد المشرق، أول من أجراه في التجارة والسوق الاسبانيون، =

عليه من طرف الإمام. فمنع عن تسليمها، فبالحال تردت عليه بقرة تساوي ١٨ قيمتها أربعة عشر / ريالاً، فتاب الرجل وسلّم المطلوب.

ومن الكرامات أيضاً، ما حكاه السيد هاشم بن يحيى الشرفي، أن حيدر بن حسن بن مقبل فارغ نذر لمولانا الإمام أيده الله بلبنة في غولة الغشم^(١) المسمى المجحافي، وطن البطاحي، وكانت هذه الغولة صالبة منذ أيام. فأراد الرجل أن يغرّسها تيناً فلما غرّسها، وبلغ الغرس فيها إلى قريب أن يثمر، أراد أن يسقيه من ماء الوادي المعروف بالمجحافي، فمنعوه، وأنكر أهل الماء استحقاقه لما كانت الأرض صالبة، وخاصموه على ذلك حتى غلبوه. فما زال الرجل يتوسّل بالإمام - عليه السلام - فأجرى الله له غيلاً في رأس ملكه، وذلك ما يكفيه وزيادة، ولا يُعرف في ذلك الموضع ماء أبداً.

ومنها أيضاً: أن شيخاً من بني الشغدري^(٢) أهل بلاد عنس، ذكّر عنده

= وهو أنواع كثيرة منها، ريال أبو طاقة، وأبو مدفع، والمجدي والريال العثماني، وفي اليمن كان الريال النمساوي المعروف بأبي شوشة أو ماريا تريزا، وهناك الريال الامامي، ويسك في صنعاء، انظر، النقود العربية وعلم النميات، ١٧٥.

(١) غولة الغشم المجحافي: من أهل آنس، بجبل الشرق، وغشم: تُسيع من بني صريم في حاشد انظر معجم الحجري، مادة الغشم، نزهة النظر، ٥٩١/٢.

(٢) الشغادرة: ناحية من أعمال حجة في الجهة الجنوبية الغربية منها، سُميت باسم قرية الشغادرة التي هي مركز الناحية، ومن توابعها، عزلة قلعة حميد، وعزلة السوالمة وعزلة المسوح وعزلة المعطن وغيرها، وهي مشرفة على بلاد بني قيس من تهامة وادي مؤر، وبنو الشغدري، من مشايخ بلاد عنس وأعمال ذمار انظر معجم المقحفي، ٣٥٩، نزهة النظر، ٢٥٥.

الإمام - عليه السلام - فصارَ يقدِّحُ في جنبهِ الشريفِ الشريفِ بكلامٍ قبيحٍ . فلمْ يشعرَ الحاضرون إلا وقد صاحَ وورمَ ذكرُهُ في تلكَ الحال، ولم يبقَ الا ساعاتٍ قليلةً وهلكَ .

ومنها أيضاً: ما أُخبرَ به السيدُ أحمدُ بنُ محمدٍ الخلفي، رحمه الله تعالى، وكان من قباضِ الإمام - عليه السلام -،

قال: جمعتُ شيئاً من الواجبات من مغربِ عَنَسٍ فتلقاني رجلان من الحداء⁽¹⁾ من بني بُخَيْث⁽²⁾، فأرادا أن يأخذا ما معي، فقلت لهما: إن معي دراهمَ للإمام، حفظه الله. فلما قُربا مني، رأيتُ أحدهما وقد استلقى على ظَهْرِهِ، وأخذَ سكيناً بيدهِ، فطعنَ فخذهَ وهربَ الآخر، وسارَ السيدُ سالماً.

ومن الكراماتِ العظيمةِ أيضاً، ما جعل الله له من الرُعبِ، وقَدَفَه في قلوبِ أعدائهِ عموماً، وخصوصاً العجمَ وأعوانهم، فلقد سَمِعْنَا ورأينا من ذلك ما يعجزُ عن وصفِهِ الواصفون.

ولقد أُخبرني الثقةُ النقيبُ عبدُالله بنُ ناصر القرحة الذي دخلَ صحبةَ القاضي يحيى بن أحمدَ المجاهد⁽³⁾، صاحبِ تعزٍ إلى استانبول، ثم خرجَ بعدَ

(1) الحداء: ناحية وقبيلة في الجنوب الشرقي من ذمار بمسافة ٣١ كم، تقع منطقة الحداء بين سهل جهران غرباً وخولان العالية شمالاً وعَنَس جنوباً، وبنو ظُبيان من خولان شرقاً، انظر معجم الحجري، اليمن الكبرى ١٦٦، نشر العرف، ١/١٤٨.

(2) بنو بُخَيْث: من قبائل حداء، عزلة مشهورة من ناحية الحداء، بالجنوب الشرقي من صنعاء، إليها ينسب المشائخ بنو البُخَيْثي انظر، معجم المقحفي، ٦٤، معالم الآثار، ٨٧، صفحات مجهولة، ٤٧.

(3) يحيى بن أحمد المجاهد ت ١٣٠٩هـ، مفتي مدينة تعز الذي تعاون مع الولاة الأتراك =

ذلك، أنها لما حوصرت صنعاء في أواخر سنة ١٣٠٩، وصل الخبر إلى استانبول بأن صنعاء محاصرة، وقد أخذ الإمام جميع اليمن، وأسر جميع المأمورين، فتزلزلت عند ذلك استانبول، ونزل بأهلها من الرعب العظيم ما لا يقادر قدرة الجسيم. وهكذا كل من اعتزى إلى الإمام وانتمى إليه بنية صادقة، فإنه لا يزال على جميع أعدائه منصوراً،^(١) وجميع مراده مسروراً، ولقد شاهدنا من ذلك عجب العجائب، واليقين الذي لا يصير للناظر معه شك ولا ارتياب، فكل من حمل راية الإمام - عليه السلام - أو أصدق النية في الجهاد معه صار سعيداً منصوراً^(٢)، وكل من ناوأه صار شقياً مخذولاً.

ومن الكرامات أيضاً: أن الإمام - عليه السلام - لما استوطن قفلة عذر، جعلها مقاماً ومناخاً لكل من ورد وصدر، وكانت أوباً بلاد القبلة، حتى أن من بات فيها ليلة أثر فيه ذلك الوباء، فلا يصبح إلا مريضاً، فلما استوطنها الإمام - عليه السلام - رفع الله منها الوباء، وصارت من أصح البلاد القبلية، يتنافس فيها وفي مائها المتنافسون، ويشتاق إليها الوافدون.

ومن الكرامات أيضاً: أن الله - سبحانه - جعل لهذا الإمام - عليه السلام -

= المعتدلين، وقعت بينه وبين الوالي العثماني على اليمن، عثمان باشا، وكذا متصرف تعز خصومه، بسبب رفضه دفع رشوات للوالي والمتصرف الأمر الذي أوجب سجنه ثم استدعى لاستانبول لعرض شكايته على المسامع السلطانية، حيث مات ولما يمكن من ذلك بسبب تحيل رجال الإدارة التركية، انظر الواسعي، فرجة الهموم، ١٢٢ - ١٢٣، أئمة اليمن، ٧٥/١ - ٧٩.

(١) سقطت من م، ع.

سلطاناً نصيراً على الظلمة وأعوانهم، فصار لا يقصدُ أحداً إلا أخذَهُ، ولا حصناً إلا افتتحَهُ.

ولقد شاهدنا من كراماته - عليه السلام - ما يعجزُ عن حصره الحيسوب، وسيأتي - إن شاء الله - بعضها في غضون هذه السيرة. / وعلى الجملة فقد أمده ^ب الله بالكرامات الكثيرة، ولا بدع ولا عجب، فأهل البيت النبوي حقيقون أن يُكْرَموا من مولاهم بما يشتهون. فهم الفرقة الناجية الذين يهدون بالحق وبه يعدلون. وكيف لا! وهم فروع دوحه النبوة، وأغصان شجرة الأخوة، فهم المُكْرَمون بصائب الفراسة، والحاملون لراية السياسة والكياسة.

ولقد شاهدنا من أحوال هذا الإمام وفراسته ما يدلُّ على أنه من المحدثين والمتوسمين.

وفي هذا القدر كفاية. حيث لا يمكن استقصاء النهاية، وإذا كانت الغايات لا تُدرَك، فالمنشور منها لا يُترك، وبالله التوفيق، والهداية إلى أقوم طريق.

فصل

وأما خصائصه عليه السلام في الكرم، فذلك أشهر من نارٍ على علم. ومن نظر في مُخرجاته وإنفاقه للأموال في سبيل الله عرف أنه عطاء من لا يخشى الفقر والفاقة، ومع ذلك فإنه يتحرى في إنفاقه المصلحة، كما في سيرة الخلفاء الراشدين.

فصل

وأما خصائصه عليه السلام في حُسن الخلق، فإنه في ذلك الآية الباهرة،

والعينُ الناظرةُ يوقرُ الكبيرَ، ويرحمُ الصغيرَ، ويؤنسُ وحشةَ الغريبِ، ليسَ له في ذلكِ شبيهٌ ولا ضريبٌ. ولقد شاهدنا من حُسنِ أخلاقِهِ عليه السلامُ ووفورِ شفقتِهِ ما يُبهرُ العقولَ، والكلامُ في تفصيلِ ذلكِ يطولُ.

فصل

وأما خصائصُهُ في جَوْدَةِ الرأيِ، فهوَ في ذلكِ الرجلُ الأوحُدُ، الذي لا يقاربهُ في ذلكِ أحدٌ، وكأنما يَنْظُرُ إلى الغيبِ من وراءِ سترِ رقيقٍ، حتى أقرَّ له في جَوْدَةِ الرأيِ العدوُّ والصدیقُ. ولو ذكرنا العُشْرَ مِنْ مِعْشَارِ ما رأينا لطالَ الكلامُ، وخرَجَ إلى حدِّ الإكثارِ.

فصل

وأما خصائصُهُ في ثباتِ القلبِ والشجاعةِ والإقدامِ، فإنه الأوحُدُ في كلِّ مقامٍ. ولقد حكى لي جماعةٌ ممن حضرَ معهُ في حُرُوبِ الباطنيةِ أيامَ الإمامِ المتوكلِ على الله - عليه السلامُ - وهو المقدميُّ حينئذٍ، أنه شاهدَ مِنْ إقدامِهِ عندَ انتهابِ الأرواحِ، وفي مواطنِ الكفاحِ ما يقضي بأنه اللئيمُ الهصورُ، والضيغمُ الغضنفرُ المذكورُ.

فصل

وأما خصائصُهُ في الفصاحةِ والبلاغةِ، فلا يشكُّ من رأی^(١) خطبةً وكتبةً، أن الله قد أعطاهُ جوامعَ الكَلِمِ،^(٢) واختصرَ له الكلامَ^(٣) اختصاراً، كجَدِّهِ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ. وهذا أمرٌ لا يمتري فيه ممتري، وله شعرٌ حسنٌ لا يوازئُهُ

(١) في ع، أي.

(٢) سقطت من ع.

فيه موازنٌ.

فصل

وأما تواضعه وأدبه وحسن معاشرته، فإنه في ذلك العَلَمُ الشامخُ، والطودُ الراسخُ، فلقد رأينا من تواضعه وإنصافه في المذكراتِ العلمية والمحاوَرَاتِ الدنيويَّةِ والدينيَّةِ ما لا يكادُ يُوجدُ عندَ غيره. من حُسنِ الأدبِ والتواضعِ، مع ما ألبسه الله من الهيبةِ.

فصل

ولنرجعَ إلى ذكرِ ما كانَ بعدَ استقرارِ أمرِ الإمامةِ، وانتشارِ الدعوةِ في الأقطارِ - فإنه، عليه - السلامُ، بعدَ انتشارِ الدَّعوةِ مكثَ في السِّنارةِ بقيَّةِ القعدةِ والحجةِ؛ لإصلاحِ البلادِ، وحَسْمِ مادةِ الفسادِ، فجمعَ اللهُ القلوبَ، وألَّفَ بينهم بعدَ التواحشِ والتقاطعِ، بِبِرْكََةِ هذا البَدْرِ الطالعِ .

ثم دخلت سنة ١٣٠٨

وفي اليومِ الخامسِ والعشرين / من محرم، مفتاحِ السِّنةِ المذكورةِ، ١٩ ارتحلَ الإمامُ عليه السلامُ من بلادِ صعدةٍ متوجِّهاً إلى جبلِ الأهنومِ، واستخلفَ على بلادِ صعدةِ سيفَ الإسلامِ . السيِّدَ الهمامِ، محمدَ بنَ الإمامِ الهادي(١)، والقاضي محمدَ بنَ عبد الله الغالبي قاضياً، والسيِّدَ العلامةَ صفيِّ

(١) محمد بن الإمام الهادي شرف الدين بن محمد الحسيني : ولد سنة ١٢٨٤هـ /، أخذ العلم عن والده وعلماء العصر، له فضل في تمهيد البلاد الصعدية في القلاقل التي وقعت بين الامام يحيى، وأصحاب السيد حسن بن يحيى الضحيانى، ثم بين الإمام =

الإسلام، أحمد بن قاسم على بلاد خولان⁽¹⁾، والقاضي العلامة إسماعيل بن علي الفضلي⁽²⁾ على جبل رازح⁽³⁾.

ولما وصل الإمام حفظه الله، إلى جبل الأهنوم، عرض له المرض الشديد، فمرض لمرضه الطارف والتليد. وبعد نحو شهر من الله بالشفاء من ذلك الألم، وصح بصحته العلياء والكرم.

فقال السيد الأديب عبد الله بن يحيى الخاشب، مهنتاً من قصيدة:
[- الوافر-]

مُهْنَةٌ بَيْرٍ بَعْدَ سُقْمٍ أَلَمَ بِكُمْ فَعَمَّ الْعَالَمِينَ
فَصَاحُوا بِالذُّعَاءِ جَمِيعاً وَأَنُوا مِنْ جَوَى الْأَحْشَاءِ أَنِينَا
فَعَجَّلَ بِالشَّفَاءِ لَكُمْ سَرِيعاً وَمَنْ عَلَى الْعِبَادِ الْمُرْتَجِينَا.

= يحيى والادارسة، اشتغل بالعلم والتدريس بمحل المدان من جبل الأهنوم وعمر جامعاً
انظر نزهة النظر، ٥٣٢.

(1) خولان: من القبائل اليمنية الكبرى وهي ثلاثة أقسام، خولان صنعاء، وخولان صعدة، وخولان قضاة وهي من خولان ابن عاجز، والمقصود هنا خولان ابن عامر، ومن بطونها رازح وخيدان وغيرها، انظر، معجم المقحفي، ٢٢٢ - ٢٢٥ (تسكن مناطق واسعة من محافظة صعدة).

(2) إسماعيل بن علي الفضلي الأنسي: فاض، علامة، هاجر إلى الإمام شرف الدين، وتولى له القضاء ببلاد خولان الشام بجهات صعدة، ولالإمام المنصور في جبل رازح ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠، انظر، نزهة النظر، ١٩٥ أئمة اليمن، ٣٠.

(3) جبل رازح، إحدى قضاوات صعدة، الجبل المشهور والبلاد التابعة له غرب شمال صنعاء انظر أئمة اليمن، ٣١ (سيرة المنصور) ٢١٠، معجم المقحفي، ٢٥٨، نشر العرف، ٧٨٨/١.

ثم إنها تتابعت إلى حضرته الشريفة الوفود، وكل من وصل أخذ منه البيعة والعهود.

فصل

في ذكر الوقائع التي طَالَ ذكرها وانتشر أمرها، وصكّت المسامع.
وقعة الشاهل (1):

وهو أول فتح، قمع الله به حزب الباطل، وأيقنت بسببه جميع القبائل، أن هذا الامام قد قامت على سعادته الدلائل. وصفتها:

أن أهل مدينة الشاهل كتبوا إلى حضرة الإمام عليه السلام بأنه زاد الجور من العجم، ومراهم أن نار الحرب تضرهم، في أي جهة من الجهات اليمنية، عسى أن يكون ذلك شاغلاً ومخففاً لبعض الجور والأذية. وكان المتصدر للمكاتبة السيد العلامة محمد بن يحيى الشهاري (2)، وهو حينئذ القدوة في الشرف، والسيد الذي ينتهي إليه الشرف، فكان العجم فطنوا لذلك

(1) الشاهل: جبل وبه قرية تحمل نفس الاسم، يقع في قضاء الشرفين في حده الجنوبي، في الشمال الغربي من مدينة حجة بحوالي ٣٧ كم، انظر، معجم المقحفي، ٤٣٨، Wilson, p, 198. تاريخ اليمن (من كتاب كنز الاخيار)، تحقيق عبدالمحسن المدعج، ١٤٥، من حجور البشرية وحجور أبو منصور الشرف الأسفل ومنه الشاهل الجانب الشامي والجانب اليماني.

(2) محمد بن يحيى الشهاري هو السيد العلامة القائمقام محمد بن يحيى بن إبراهيم الشرفي الحسيني ت ١٣١٨هـ، انظر أئمة اليمن، ١٨/٢، توفي سنة ١٣١٨هـ، بمدينة حجة، أئمة اليمن، ٣٣١/٢، ٧٣/١.

المرامِ ، وَعَرَفُوا مَا قَصَدَهُ أَوْلَئِكَ الْأَعْلَامُ ، فَجَهَّزُوا مُحَمَّدَ عَارِفِ قَوْمِنْدَانَ (1) لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّاهِلِ ، فَوَصَّلَ إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ هَائِلٍ ، وَقَدْ أَظْهَرَ التَّجَبُّرَ وَالتَّكْبَرَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قُفْلِ شَمْرٍ (2) فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ، الثَّانِي مِنْ شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ ١٣٠٨ رَمَى مِنْ فَوْرِهِ أَهْلَ الشَّاهِلِ بِالْمَدَافِعِ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ شَيْئًا . وَكَانَ اللَّهُ هُوَ الْمَدَافِعُ .

وَفِي يَوْمِ الرَّبِيعِ ، تَقَدَّمَ بِطَابُورٍ مِنَ الْعِجْمِ ، وَعَلَى الْمَجَاهِدِينَ هَجَمَ ، فَثَبَّتَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ ، وَأَنْزَلَ سَكِينَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . فَانْهَزِمَتِ الْعِجْمُ ، وَانْجَلَتِ الْمَعْرَكَةُ عَنْ خَمْسَةِ مَقَاتِيلٍ مِنْهُمْ ، وَرَجَعَ مُحَمَّدُ عَارِفٌ مَنْكَسًا الرَّأْسِ ، مُتَغَيِّرًا الْحَوَاسِ .

وَفِي يَوْمِ ثَانِي وَعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الْمَذْكُورِ ، نَهَضَ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى الْحَرْبِ يُهْرَعُونَ ، وَبَرَزُوا بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ يَقْدِرُونَ . فَوَقَعَ الْحَرْبُ فِي عَارِضَةِ جَبَلِ الشَّاهِلِ ، مِنْ وَقْتِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ (3) ، وَانْهَزِمَتِ الْعِجْمُ وَقُتِلَ مِنْهُمْ مِثَّةُ نَفَرٍ ، اسْتَبَشَرَ الدَّهْرُ بِقَتْلِهِمْ وَابْتَسَمَ ، وَمِنْ جَمَلَةِ الْقَتْلِ رَأْسُهُمْ وَطَاغِيَتُهُمْ

(1) مُحَمَّدُ عَارِفُ بَكِ (قَوْمِنْدَانُ عَسْكَرِ التُّرْكِ) ، ضَابِطٌ ، قَتَلَ فِي مَعْرَكَةِ الشَّاهِلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبَائِلِ انظُرْ ، أُمَّةَ الْيَمَنِ ، ١٨ .

(2) قُفْلُ شَمْرٍ : شَمْرٌ ، بَلَدٌ فِي حَجُورِ (كُحْلَانَ عَفَّارٍ) ، إِلَيْهِ يَنْسَبُ الْحِصْنُ الْمَسْمِيُّ قُفْلُ شَمْرٍ انظُرْ ، الْاَكْلِيلِ ، ٥٣/٢ ، مَعْجَمُ الْحَجَرِيِّ ، مَادَةُ شَمْرٍ ، مَعَالِمُ الْآثَارِ ، ٧٥ ، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ ، ٣٦٢ .

(3) انظُرْ أُمَّةَ الْيَمَنِ ، ١٨/٢ (سِيرَةُ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ) .

محمد عارف، فكانَ في ذلك عِبْرَةً لكلِّ متكبِّرٍ ومخالفٍ. ولما أصابته الرصاصُ اتَّكأَ على سيفِهِ وجعلَ يطلُّبُ الأمانَ، ولاتَ حينَ مناصٍ. فبادَرَ إليه مَنْ لا يَعْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ الإِخْلَاصِ، فاحتزَّ رأسَهُ، وأبلغوا به الإمامَ - عليه السلام - وطيفَ به في البلادِ، وقالَ لسانُ الحالِ: هذا جزاءُ من ظلمَ العبادَ، وسعى في الأرضِ الفسادَ، واستشهدَ / من المجاهدين ثلاثةَ عشرَ ٩ب رجلاً، وغنمَ المجاهدونَ من الأسلحةِ وغيرها غنيمةً عظيمةً.

وكانَ القبائلُ الذين باشروا القتالَ في هذا الحربِ، وحازوا الفخرَ في صناعةِ الرمي والضربِ، هم ساداتُ الشاهلِ، ورجالُ الجَبْرِ(1)، ورأسُهم الشيخُ منصر بن ثابت السنيدار، وقبيلةُ أفلح(2) ورأسُهم الشيخُ حسن ذياب، ورجالُ بني كعب(3) ونُوسان(4) ويني جل(5) مع مَنْ وصلَ إليهم من عسكرِ الإمامِ عليه السلامُ صحبةً المقدَّمي السيدِ العلامةِ إبراهيم بن قاسم الشرفي(6).

(1) الجَبْر، من الشرفِ الأعلى من حجور البُشْرِى وجَبْر الشَّرْفِ غير جَبْرِ حجة، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٥/١، اليمن الكبرى، ١٦٦، مصادر الفكر الاسلامي، ٤١٠.

(2) أفلح: قبيلة من همدان بناحية الشرف وأعمال حجة انظر، اليمن الكبرى، ١٨٧، وبلاد أفلح من حجور الشام.

(3) بنو كعب: من قبائل الشرف في حجور البُشْرِى، انظر، معجم المقحفي، ٥٣٨.

(4) نُوسان: عُرْلة من ناحية كُحلان الشرف بالشرف بالشرق الشمالي من حجة بمسافة ٢٤ كم، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٨٠، التعداد (حجة)، ١٧٧، معجم المقحفي،

٦٦٨ (من الشرف الأعلى) من حجور من بلاد همدان.

(5) بنوجل: قرية في بلاد الشرف، انظر، معجم المقحفي، ١٢٦.

(6) إبراهيم بن قاسم الشرفي الأهنومي الحسني، عالم مشارك في الفقه وغيره، تولى جبل =

ومن أعجب ما يُذكرُ أن رجلاً من المجاهدين رمى بعضَ العَجمِ فأخطاه، فأقبلَ نحوه العجميُّ، وجعلَ يضربُه بسيفٍ كانَ معه. وأمسكهُ بقوةٍ لا يقدرُ معها على طعنه، فعضَّ على حلقومِ العجميِّ عضَّةً فاضتَ منها نفسه.

وكان محمد عارف قد أقسمَ لا يتغذى إلا في بيتِ السيد محمد بن يحيى الشهاري، فلم يأتِ وقتُ الغداءِ إلا ورأسُه في ذلك المكان.

ولما وقعتْ هذه الواقعةُ، صارت للعجمِ خافضةً، وللمجاهدين رافعةً، وبلغَ الخبرُ صنعاءَ، إلى الوالي إسماعيل حافظ، فأيقنَ بالخذلانِ قطعاً، وكتبَ بصفةِ هذه الواقعةِ إلى جميعِ حكوماتِ اليمنِ. فكانَ ذلكَ مما أُرثَ في قلوبِهِم الوهنَ.

ويعدُّ هذه الواقعةُ، انحازَ من بقيِّ من العَجمِ إلى بني مَدْيِخَةَ (1) وقُتلَ شَمْرٌ، وقد ذهلتْ عقولُهُم لما دَهَمَ من الأمرِ. ولما وصلَ إلى العجمِ رجلٌ من حَجُورٍ يُسَمَّى أحمد نور (2)، فأشار على العجمِ بنصبِ المدافعِ على الشاهلِ، والموجبُ لذلكَ ضغائنُ بين أولئك القبائلِ، فلم يَحْظُوا من ذلكَ

= رازح للإمام المنصور بالله ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م وقبره في هجرة معمرة من بلاد الأهنوم،

انظر، أئمة اليمن، ٣٧٨، لامية نبلاء اليمن، ٣٧، نزهة النظر، ٢٩/١.

(1) بنو مَدْيِخَةَ: من قبائل بلاد الشرف وأعمال حجور الكبرى، انظر، معجم المقحفي،

٥٧٥.

(2) حَجُور: حول حَجُور وتقسيماتها وبلدانها وقبائلها، انظر، معجم المقحفي، ١٥٦ -

١٥٧، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٥/١، اليمن الكبرى، ١٦٦، مصادر الفكر

الإسلامي، ٤١٠، الصليحيون، ١٩٣، اعلام الاسماعيلية، ٢٨٠.

(3) أحمد نور من قبيلة حجور اليمن انظر، المقحفي، ١٥٦.

الرأي بطائلٍ . بل رمى المجاهدون طوبجى المدافع ، وكان الله نعم
المدافع . وأما أحمد نور فإنه نزل به الحين فجأة بعد ذلك .

ثم إن الإمام حفظه الله ، جعل أمر تلك البلاد للسيد العزي ، والمقدمي
الصارم ، إبراهيم بن قاسم .

وفي التهئة بهذه الوقعة ، يقول السيد الأديب عبدالله بن يحيى الخاشب
شعراً من قصيدة مطلعها :

[الطويل]

بُعِثَتْ نِظَاماً فِي بِيَاضٍ مُحَرَّرَا بِحِجَّةَ وَالْقَطْرِ الْيَمَانِي مُبَشِّرَا
إِلَى الْقَائِمِ الْمَنْصُورِ وَالْأَسَدِ الْهَاصِرِ وَالسَّيِّدِ الْمَشْهُورِ حَرَّزَتِ مَأْتِرَا (١)
أَبَشَّرُ مَوْلَايَ الْمُؤَيَّدَ بِالَّذِي لَهُ فَتَحَ الرَّحْمَنُ فَتْحاً مُكْرَرَا
بَدَتْ غُرَّةُ الْإِقْبَالِ وَالْيَمْنُ بِكُرَّةٍ صَبِيحَةَ يَوْمٍ كَانَ بِالنَّصْرِ أَزْهَرَا
مِنَ الشَّرَفِ الْمَلْحُوظِ مِنْ رَبِّ قَاهِرٍ يُعَزُّ بِهِ ، خِصًّا (١) الْكُمَاةَ الْكُؤَاسِرَا
رِجَالٌ مِنَ الْأَشْرَافِ مِنْ آلِ حَيْدَرٍ وَمِنْ عَرَبِ أَسَدِ الْحَلَّاحِ وَالشَّرَا
لِيُوْتُ إِذَا شَبَّتْ لُظَى الْحَرْبِ أَشْرَعَتْ بِمَسْطُونَةٍ مِصْقُولَةٍ تَهْتِكُ الْعُرَا
بِعَارِفَ ضَحَّتْ قَبْلَ يَوْمِ الضَّحَى وَبِالْ (٢)

(١) وردت بعضُ الأبيات في أئمة اليمن ، ١٩ .

(٢) الذاري : الذاري في اليمن كثير والمقصود محلة في الشرفين من غزلة مروح انظر
معجم المقحفى ، ٢٤٨ .

(١) في ع ، حظ .

(٢) في أ ، م ، وبلا .

فَأَسْمِعْ بِتِلْكَ السَّادَةِ الْغُرِّ أَوْلًا وَتَالِيَهُمُ الْأَنْصَارُ سَمْعًا وَمَخْبِرًا

وفي ذلك يقول أيضاً الفقيه الشرفي، حسين بن أحمد العرشي (1):

[الطويل]

وفي الشاهل المعروفِ جَالَتْ فَوَارِسُ عليها إذا حَانَ الطَّعَانُ دُرُوعُ
وظَلَّتْ سِيوفُ الْمُؤْمِنِينَ كَأَنَّهَا قَبَائِسُ نَارٍ وَالرِّجَالُ نَهْيَعُ
وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ فِي عَوْدِ مَنْبِرٍ تُنَادِي أَلَا إِنَّ الطَّعَانَ سَرِيْعُ
وَلَمَّا التَّقَى الْجُنْدَانِ وَالْحَقُّ بَيْنُ وَكُلُّ لَهُ فِي مَغْرَسِيهِ فِرْعُ
/فَهَذَا يَرَى اللَّهُ ذَا الدِّينِ لَا يَرَى سِوَاهُ وَذَا فِي ذَاكَ لَيْسَ يُطِيْعُ
فَكُلُّ لَهُ هَمٌّ بِهِمْ لِأَجَلِهِ وَشَتَّانَ هَمٌّ صَادِقٌ وَشَنِيْعُ

١١٠

(1) حسين بن أحمد بن صالح العرشي الخولاني الصنعاني، ولد سنة ١٢٧٦هـ بهجرة الكبس من خولان وبها نشأ، أخذ عن العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي، وعلي بن حسن الديلمي، أديب، شاعر، لازم المتوكل على الله يحيى حميد الدين، وكان خطيبه ومنشئ رسائله، لازم الامام المنصور بالله من نحو سنة ١٣١٠هـ، وكان من أعيان حضرته، وتولى الكتابة له مع غيره من الاعلام، ألف «بهجة السرور في سيرة الامام المنصور، وساق فيها الأحداث إلى سنة ١٣١٧هـ، فقط ولم يكملها إلى عام وفاته سنة ١٣٢٢هـ، صنف، بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى من ملك وامام فرغ من تأليفه ١٣١٨هـ، ط مصر ١٣٥٨ (طبعة سقيمة)، وله، الدر النظيم فيما كان بين أهل اليمن والعجم، أرخ فيه لكل قبيلة من العرب، وله رسالة سماها «كحل الأحداق في مراثية مكارم الاخلاق والتعريف بمكارم الخلاق» ت ٢١ ذي الحجة ١٣٢٩هـ انظر، نزهة النظر، ٢٤٩ - ٢٥٤، ووردت بعض الأبيات في أئمة اليمن ٣/١٩، أئمة اليمن، ٣/٢٢٦.

أرادت^(١) بُغَاةَ الْعُجْمِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ
 وَحِينَ اسْتَدَارَ الْحَرْبُ وَالْفَجْرُ قَدْ أَضَا
 أَبَاحَتْ سُرَاةَ الْمُسْلِمِينَ سُرَاتَهُمْ
 فَمِنْهُمْ جَرِيحٌ عَطَّرَ السَّيْفُ نَفْسَهُ
 وَأَخْرَجَ شَدَّ السَّاقِ فَانْجَابَ هَارِباً
 وَمَا لِلسُّيُوفِ الْبَاتِرَاتِ مَنَاهِلُ
 فَعَاذَرْتَهُمْ كَالصَّيْدِ لَقَّتْ فَأَوْقَعَتْ
 وَلَا عَيْبَ فِي أَبْدَانِهِمْ غَيْرَ أَنَّهَا
 أَعَارُفٌ هَلَّا أُبْتُ أَوْ تُبْتُ قَبْلَ أَنْ
 وَلَوْ أُبْتُ مَا أُبْتُ حُتُوفِكَ إِنَّمَا
 أَرَاكَ ظَنَنْتَ الْقَوْمَ لَا مَوْتَ عِنْدَهُمْ
 وَلِلَّهِ قَوْمٌ لَا يَقُومُ عُدُوهُمْ
 فَيَا وَقَعَةَ أَنْبَتَ بِيَمِينٍ وَمِنِّي
 وَيَا صَدْمَةَ إِسْتَوْعَبَ الْحَقُّ ذِكْرَهَا
 بِهَا مَاتَ أَقْوَامُ الظَّلَامِ وَأَشْرَقَتْ

إِلَيْهِ وَضَرَبَ الضَّارِبِينَ رُجُوعُ
 وَغَابَ الدُّجَى إِذْ غَابَ وَهُوَ شَفِيعُ
 وَأَعْمَارُهُمْ فَالْمُتَرْفُونَ^(٢) جَذُوعُ
 بَعْنَدِمِهِ^(١) وَالِدَايِرَاتُ لَسِيعُ
 وَمِنْهُمْ أُسِيرٌ مُؤْتَقٌ وَصَرِيحُ
 يَرِدُنْ سِوَى أَعْدَائِهَا وَوَلُوعُ
 عَلَيْهَا طَيُورٌ وَالشَّبَّاءُ جَمِيعُ
 وَهَامَاتِهِمْ مَا بَيْنَهُنَّ شَسُوعُ
 تَوَدَّبَ^(٣) فَضَرَبَ الْمُؤْمِنِينَ فَطِيعُ
 لِرَبِّكَ فِي الْقَوْمِ الْكِرَامِ صَنِيعُ
 وَخَلَّتْ الرُّوَا وَالسَّمُّ فِيهِ نَقِيعُ
 لَوَاحِدِهِمْ أَمْ كَيْفَ أَنْتَ خَضِيعُ
 وَطَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ وَهِيَ تَذِيعُ
 فَمَا إِنْ لَهَا عَنْ حَافَتَيْهِ رُجُوعُ
 شَمُوسُ الْعُلَا فِي الْهِنْدَوَانِ مُرِيعُ

(١) العندم: هو البُقم، خشب شجر عظام، ورقه مثل ورق اللوز الأخضر، وساقه وأفاناه
 حُمُر، انظر الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٤١/٣، نهاية الأرب، ١١/١٣٧
 معجم أسماء النباتات للدمياطي، ١٠٨.

(١) في ع، أرات، في م، إرادة.

(٢) في ع، فالمترفات.

(٣) في أئمة اليمن، ١٩ تأوب.

ومنها جُنُودُ الظَّالِمِينَ تَقَاعَدَتْ
 أَيَكْتُمُهَا ذُو هِمَّةٍ قَدْ رَسَتْ بِهِ
 وَمَا كَانَ يَبْغِي الْعُجْمُ بِالْحَقِّ قُلَّ لَهُ
 وَمَا عَذُرُ مَنْ آوَى الْعُلَا فِي دِيَارِهِ
 فَكُلُّ مُعَدِّ نَفْسِهِ لَا نُعِدُّهُ
 وَسِرُّ الَّذِي أَتَيْتَ أَنْ عَلَوْهَا

فكَلَّهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ رَبِيعُ
 لَدَى كُلِّ مَرْفُوعِ الْجَنَابِ فُرُوعُ
 إِلَيْكَ! فَمِيدَانُ الْقِتَالِ وَسِيعُ
 وَفِي نَفْسِهِ إِلَّا إِلَيْهِ رُجُوعُ
 فَيَشْكُرُهُ، حَتَّى نَرَاهُ مَرِيعُ
 لَهُ فِي قُلُوبِ الظَّالِمِينَ خَضُوعُ

وفي شهر القعدة الحرام من السنة المذكورة، أرسل الإمام - عليه السلام - قدر مئة وخمسين رجلاً إلى حصن الظفير⁽¹⁾، بلاد حجة⁽²⁾ ومقدميهم السيد عز الإسلام محمد بن يحيى بن الهادي⁽³⁾، والشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر⁽⁴⁾، وكان وصولهم حصن الظفير في ثلث الليل الأخير، فلم يشعر أهله إلا، وقد استولوا على ذلك، فحينئذٍ أذعنت جميع البلاد بالطاعة،

-
- (1) حصن الظفير: معقل مشهور ببلاد حجة على مسافة ثلاثة أيام غرباً شمالاً من صنعاء، في عزلة بني حجاج، انظر أئمة اليمن، ٢٠ (سيرة الهادي)، البلدان اليمنية، ١٨١ (الأكوع)، نشر العرف، ٤١٨/١، اليمن الكبرى، ١٠٥.
- (2) حجة: تقع بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٢٧ كم، على قمة جبل، انظر، اليمن الكبرى/١٠٠، معجم المقحفي، ١٥٧، البلدان اليمنية للأكوع، ٨٣.
- (3) محمد بن يحيى بن أحمد بن الهادي الحسن ينتهي نسبه إلى المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، صاحب المدائر، بجهة حُبور وبلاد ظليمة، ولد سنة ١٢٧٤هـ، كان عالماً لازم الإمام المنصور بالله وتولى له عدة أعمال، ت ١٣٣٨هـ في الشرف، انظر، نزهة النظر، ٥٩٢.
- (4) ناصر بن مبخوت الأحمر الحاشدي. شيخ مشايخ قبيلة حاشد في ذلك الوقت، انظر أئمة اليمن، ٤٧/٢، وثائق يمنية، ٢٤٤.

وفيها أيضاً، أرسل الإمام عليه السلام السيد عبدالله بن أحمد المتوكل إلى بلاد لاعة⁽¹⁾ وصحبته جماعة، / فقبض المعاقل، وأذعنت له جميع^{١٠} البائل.

وفيه أيضاً، أخذ العسكر الذين في الظفير⁽²⁾، من قارة الطريق أحمالاً للعجم فيها دقيق. واتصل بهذا فتح الظهريين⁽³⁾ من حجة، وهو أن ناساً من أهل الظهريين طلب الشيخ ناصر مبخوت، وطلب بعض العسكر من الظفير، ودخل البيوت: بعضها بالرغبة، وبعضها بالرهبة إلا الشيخ محمد القيلي، فإنه امتنع عن الدخول في الطاعة، لكونه صاحب قنطرة العجم⁽⁴⁾، فأراد المقاتلة، وركب إلى المجاهدين بحجر، فرعاه رجل من أصحاب الشيخ ناصر، فقتله.

وقعة الظهريين

وصفتها: أنها خرجت طائفة من العجم من مدينة حجة على من في الظهريين من المجاهدين، فوقع القتال بينهم هنالك، وانهمت العجم، وقتل منهم خلق كثير، وانقلبوا إلى حجة صاغرين. وفي خلال ذلك بلغت الأخبار

(1) لاعة: بلدة من أعمال حجة، إليها تُنسب عدن لاعة انظر، معجم المقحفي، ٥٤٧،

مراصد الاطلاع، ١١٩٤/٣. المفيد في تاريخ، ١٥٢.

(2) الظفير: بلدة في الجهة الشمالية من حجة بمسافة ١٧ كم، انظر، اليمن الكبرى،

١٠٥ نشر العرف ٤١٨/١، البدر الطالع، ٧١/٢.

(3) الظهريين: أحد أحياء مدينة حجة بالقرب من قلعتها الشهيرة، القاهرة، انظر، معجم

المقحفي، ٤١٥.

(4) صاحب قنطرة العجم: أي الذي يجمع لهم الضرائب من غلال وغيرها.

بوصول طائفة من العجم من جهة تهامة، فتلقأهم بعض حاشد، وجماعة من الرعايا إلى قلعة ابن حميد وإلى الحُصَيْب⁽¹⁾، فناوشوا الحرب قليلاً، وفرت حاشد، فدخلت العجم حجة.

وفي الليل هرب من في الظهريين من حاشد بلا سبب إلا متابعة للظن الفاسد.

وقد كان أرسل إليهم وكيل الإمام عليه السلام - الذي في الظفير أحمالاً من المونة كثيرة، فلقيتهم الرسل في الطريق، وقد سلبوا التوفيق.

ولما عرف الإمام عليه السلام ما كان من أمر حاشد، وأن طلبهم الجهاد لم يكن إلا لمقاصد، أطلق رهائنهم، وأظهر التبرم عليهم. ولما رجعوا إلى بلادهم وبئخهم الحاج الفاضل زيد بن صالح الرضي على فعلهم الذي هو غير رضي. فأجمع رأيهم على استعطاف الإمام بكتاب. وأعلنوا إليه بالمتاب، فرجع إليهم الجواب: أن ارجعوا حجة. وأقر عليهم الحاج زيد بن صالح الرضي. فلما وصلوا بني العوام⁽²⁾، خرج الشيخ⁽¹⁾ حزام بن قاسم الأحمر، وقايد بن مهدي نجم الدين من نجرة، حتى وصلا حجة مستنفرين للعجم،

(1) الحُصَيْب: اسم يطلق على مدينة زيد وواديها انظر معجم المقحفي، ١٧٦، البلدان اليمانية للأكوع، ٨٩، معجم المقحفي، ٢٦٢/١.

(2) بنو العوام: ناحية من نواحي حجة، منها عزة الصرابي وعزة بني قدام وعزة بني الذواد وغيرها، وإليها ينسب بنو العوامي، انظر، اليمن الخضراء، ١٠٢، نشر العرف، ٥٤٢/١، ٧٤٦.

(١) سقطت من ع.

طالبين منهم الغارة مما قد ألمّ.

وقعة نَجْرَةَ (1)

وصفتها: أنها خرجت طائفة من العجم من حجة بسبب الاستنفار حسبما تقدم، فلما وصلوا إلى محل من نَجْرَةَ، يُقال له قُدَم (2) في وقت السحر، وقع الحرب بينهم وبين جماعة الحاج زيد، وتقاتلوا إلى نحو ثلث الليلة الثانية، وبعد ذلك ولّى العجمُ منهُزمين. وانجلت المعركة عن مئة وخمسين قتيلًا من العجم، ومكاوين (3) كثيرين، وغنم الجاهدون السلاح. واستشهد منهم نحو من اثني عشر رجلًا، وبقي من العجم بقية بعد القتل صاروا، محصورين في بعض بيوت نَجْرَةَ قريباً من أسبوع.

وفي خلال ذلك عزم الشيخ ناصر وصحبته جماعة، يتلقى حمولة للعجم إلى الطريق، وهي قدر مئتي حمل من الدقيق، فتلقاها إلى الحُصَيْبِ، فحمل منها البعض الذي قدر عليه هو وأصحابه، وأحرق الباقي، فيما علم المحاصرون بنَجْرَةَ أنها قد انقطعت عليهم الميرة، تولّوا هاربين، وفي ذلك يقول السيد الأديب عبد الله بن يحيى الخاشب، حماه الله تعالى:

[الطويل]

(1) نَجْرَةَ: عُزلة من ملحقات حجة في الجنوب الغربي منها. انظر، معجم المقحفي،

٦٥٦. وهي من ناحية الشغادرة، انظر، معجم الحجري، ٧٣٨/٢.

(2) قُدَم: جنوبي حجة من بلاد نجرة، انظر الاكليل، ٣١٨/١، قرة العيون، ١٧٨،

صفة جزيرة العرب، ١٢٥ اليمن الكبرى، ١٨٧، تاريخ اليمن الثقافي ٥٥/١، أئمة

اليمن، ٢٠/٢.

(3) الكون: عبارة عن الإصابة بالرصاص غير القاتلة، ويُقال للجرحى بالرصاص

مكاوين، انظر، صفحات مجهولة، ٢٠.

بحاشدِ أنصارِ الأئمةِ قد سراً
فَصَبَحَ فِي حَصَنِ الظَّفِيرِ مُظْفَراً
على عَرْشِ عِزِّ شامِخِ الذُّكْرِ والذُّرَا
فَأرْسَلَ فوراً بعدَ ذلكِ ناصراً
وَمُسَوِّحَها ثم الشغادرِ والعُرا
إليها من الأنصارِ في اللَّيْلِ عَسْكَرا
عليها من المَصُوبِ ما صِيبَ أحْمرا
فهم كَجُذوعِ خاوياتِ على الشرا
فحامت منايهم عليهم كما ترا
إليه جُنودُ الحقِّ تبتارُ في السُّرا
عليه رجالٌ لا تراها تقهقرا
ويُشرى لنا بالقائمِ الطَّيِّبِ الذُّرا
وميضَ بروقِ النَّصْرِ كالبرقِ إن سراً
يَعْمُ أزالاً والبنادِرِ والسُّرا
من الله حفظٌ من أمامٍ ومن ورا

وَعَطَّرَ بِذِكْرِ السَّيِّدِ^(١) الماجدِ الذي
هَزَبَرُ الوغى عِزُّ الهُدَى جادَ غازياً
تَسَمَّ أعلى ذروةِ المَجْدِ فاستوى
/ ولاحت له من بعدِ ذلكِ فُرْصَةٌ ١١١
فدوَّخَ بالأنصارِ نَجْرَةَ كُلِّها
وحجَّةً بالغربيِّ عزَّتْ ببعثةِ
أحاطوا بها من كلِّ قُطْرٍ وأمطروا
أعاجمها في كلِّ يومٍ تَنَحَّروا
غرابُ البِلا والبيِّنِ صاحٍ بِحَتْفِهِمْ
وَمَسُورٌ أضحى باسمِ الثغرِ إذ أتتْ
وعَمْرانُ^(١) قد جاشتْ جيوشٌ وأحدقتْ
فبُشْرَى لمولانا الإمامِ مُحَمَّدِ
أرى بعيونِ الفِكرِ في كلِّ وجهَةٍ
فلا بُدُّ من فتحٍ قريبٍ مُعْجَلِ
من الله أرجو نصرَ مولاي من له

(١) عَمْرانُ: مدينة شمال صنعاء بمسافة ٤٨ كم، بأعلى البون انظر، المفيد لعمارة،
٢٦٣، مراصد الاطلاع، ٩٦٠/٢، صفة جزيرة العرب، ١٦٧، اليمن الكبرى، ٨١،
١٨٤، صفحات مجهولة، ٢٩، معالم الآثار، ٦٢، معجم المقحفي، ٤٦٤،
الاكليل، ١٥٨/٢.

(١) المقصود، السيد العلامة عز الإسلام، محمد بن يحيى بن الهادي.

وهاك إمام العصر مني عروبةً معجلاً منك القبول لها قرا
 وصل إلهي كل يومٍ وليلةٍ على أحمد وآلٍ هم سادة الورا
 وخلال هذه الحوادث أرسل الإمام، عليه السلام، السيد الهمام، والليث
 الضرغام، أحمد بن محمد الشرعي⁽¹⁾، رحمه الله تعالى، إلى بلاد أرحب،
 ومن جاورهم من القبائل، يحثهم على الجهاد الذي وجب. وكانوا إلى ذلك
 أشوق من الهيم إلى الورود. ومحاصرة صنعاء عندهم أعظم المقصود؛ لما
 في ذلك من حسم مادة الفتن، وإخماد نار المحن، وحين وصل، رحمه الله،
 إلى هنالك، كتب إلى جميع القبائل المحيطة، وهم رجال همدان وأرحب،
 وبني الحارث⁽²⁾ وعيال سريح⁽³⁾. وكان اجتماعهم في درب هزم، ورأسهم
 بالحث على تلك المقاصد المحمودة الشيخ العماد يحيى بن يحيى دوده،
 فوقع إجماعهم على نصر الإمام، ووجوب متابعتة ومناصرته على الخاص

(1) أحمد بن محمد الشرعي الحسيني ينتهي نسبه إلى الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة، نشأ بصنعاء، وكان من أعوان الأئمة الهادي لدين الله شرف الدين، والمنصور بالله محمد بن يحيى، توفي أثر اصابته في سنة ١٣٠٩هـ في قرية القابل، انظر، نزهة النظر، ١٥٤، أئمة اليمن، ٨٥/٢.

(2) بنو الحارث: قبيلة مشهورة تقع ديارها شمال صنعاء بنحو ٥ كم من قراها، القابل، علمان ثقبان، دهبان، جدر، الحتارش، بيت القشم، الغولة، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٧/١، اليمن الكبرى، ١٦٦، معالم الآثار، ٢٥، معجم المقحفي، ١٤٢.

(3) عيال سريح: من قبائل همدان، شمالي صنعاء بمسافة ٢٨ كم، من توابعها، عذلة الخميس وعذلة بني حجاج وعذلة الداية وعذلة بني عبد انظر، صفة جزيرة العرب، ١٣٧، معالم الآثار، ٢٦٣ تاريخ اليمن الثقافي، ٦٣/١، معجم المقحفي، ٣١٤.

والعام، والسعي في تحصيل ذلك المرامِ أعني محاصرة مدينة سام.

وفي خلال ذلك، أرسل السيد الصفي رحمه الله، والشيخ العماد من أشعل النار في جبال بني حشيش (1) وجبل نُقم (2)، وكوِّلة العرج (3)، وكوِّلة العرة، وقاع بني الحارث من قبلي الروضة. وكان ذلك من الرأي السديد، فعلوه لينضم إليهم من لم يدخل تحت الطاعة من بني الحارث وبني حشيش، فبسبب ذلك دخلوا كغيرهم، ولإظهار ذلك على سنحان (4) وخولان (5) بهلول (5)، ليعملوا (1) بالإجماع على المناصرة، فدخلوا في ذلك، ولتشتت

(1) بنو حشيش: قبائل تلحق بخولان الطيال، تابعة لمحافظة صنعاء، تتصل بجبل نُقم وبراش من شرقها ومن شمالها ببلاد نهم وبني الحارث، ومن غربها ببني الحارث وصنعاء وتنقسم إلى ثمانية أقسام، ثمن سعوان ومنها بيت اللهيدة، وثمن الرونة وعيال مالك وصرف وذبي مرمور ورجام، والشرفة والابناء انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٧٨/١، معجم المقحفي، ١٧٤، طبق الحلوي، ٨٨.

(2) جبل نُقم: جبل صنعاء المشهور والمطل عليها من الجهة الشرقية. يرتفع عن سطح البحر بنحو ٢٨٠٠ م انظر معجم الحجري، مادة نُقم، صفحات مجهولة، ٤٢، معجم المقحفي، ٦٦٤، الاكليل، ١٠١/٢.

(3) كوِّلة. حصن وبلد في حاشد من ناحية العشة، والكوِّلة، حصن من نواحي ذمار، والكوِّلة، قرية من عزلة بني سيف التابعة لقفر يريم، والكوِّلة، أكمة غربي روضة حاتم، انظر، معجم المقحفي، ٥٤٤، صفحات مجهولة، ٤١، البلدان اليمانية، ٢٣٤.

(4) سنحان: قبيلة موطنها في الجنوب الشرقي من صنعاء، انظر، الاكليل، ٢٤٦/٢، صفحات مجهولة، ٤١، معالم الآثار ٣٦، ٣٩، أئمة اليمن، ٤٠٥/٢.

(5) بنو بهلول: من نواحي صنعاء في الشرق، على نصف مرحلة، يفصل بينها وبين

(١) في م، ليعلموا.

=

أفكارُ العجمِ في جميعِ البلادِ، حتى لا يقصدوا واحداً من الشيعةِ المحييين إلى رأسِهِ خاصَّةً. فمع صلاحِ النيةِ تمَّ لهمُ هذا التدبيرُ، بعونِ اللهِ القديرِ، فلَمَّا وَقَعَ التنصيرُ⁽¹⁾ كما ذكَّرنا بلغتِ الأخبارُ إلى صنعاءَ، فضاقَتِ الأرضُ بالعجمِ ذرعاً، ثمَّ تواعدتْ تلكَ القبائلُ بالإجماعِ إلى جَرْبَانَ⁽²⁾ وإنَّ ذلكَ يكونُ/في خامسَ عشرَ شهرِ الحجَّةِ من السنةِ المذكورةِ.

١١ب

وفي اليومِ المذكورِ على وفاءِ الميعادِ وصلَ المُقَدَّمي المذكورُ إلى جَرْبَانَ وصحبتهُ قدرُ خمسةِ آلافِ إنسانٍ من أرحبِ، وثلاثةُ آلافٍ من هَمْدَانَ، وخمسةُ مئةٍ من عيالِ سُريحِ، وعقدوا لكلِّ قومٍ رايةً، ووقعَ الرأيُ بعزمِ الجميعِ إلى بلادِ البستانِ⁽³⁾ والحَيِّمةِ⁽⁴⁾. فعزَموا وتوجهوا بلادِ البُستانِ، فلَمَّا وصلوا هنالك

= ناحية سنحان ويتصل بها من شرقها خولان العالية، انظر مذكرات المؤيد بالله محمد، ٥٠.

(1) التنصير، (في لغة اليمن)، هو إشعال النيران ليلاً في الشواهد، وسط دور القرى إيداناً بيوم النصر، وبهذا فالتنصير هنا من النصر.

(2) جَرْبَانَ: عزلة من ناحية وصاب السافل وأعمال ذمار، وجَرْبَانَ: قرية من بلاد هَمْدَانَ بالشمال من صنعاء بمسافة ١٨ كم وهي المقصودة، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٤، معجم الحجري - مادة جربان - معجم المقحفي، ١١٧.

(3) بلاد البستان: بلاد واسعة غربي صنعاء، بها مخاليف عديدة، منها تمر الطريق إلى الحديدية، يحدها شرقاً قاع صنعاء وغرباً بلاد الحَيِّمة وجنوباً آنس وشمالاً كوكبان وهمدان، انظر، اليمن الكبرى، ٧٦، صفحات مجهولة، ٣١، رياض الرياض، ١٢٢.

(4) الحَيِّمة: ناحية مشهورة إلى الغرب من صنعاء بمسافة ٣٧ كم، وتنقسم إلى الحَيِّمة الداخلية والحَيِّمة الخارجية، مركز ناحية الحَيِّمة الداخلية العر، ومركز ناحية الحَيِّمة الخارجية مفتح انظر، نزهة النظر، ١٤٤، طبق الحلوى، ٧٨، اليمن عبر التاريخ، =

انضمَّ اليهم المجاهدون من بلادِ البستان والأهجر، وما يلي ذلك، وعزَمَ الجميعُ حتى وصلوا مَسَيْبَ (1) وما يليها، فلمْ يشعروا إلا بمكتوبٍ من أحدِ الشيعةِ من أهلِ صنعاءٍ مُخبراً لهم بأن العجمَ خارجون يومَ ثاني. وأنهم قاصدون الرِّقَّةَ (2) إلى عَمْرَانَ. فرجعَ القومُ بأجمعهم إلى شقِّ (1) بلادِ هَمْدَانَ. وخرجتِ العجمُ متوجِّهين طريقَ الرِّقَّةِ، فلما رأوا المجاهدين قد التقَّوهم إلى الأزرقين (3) رجَعوا من ذَهَبَانَ (4) إلى بيت نَعَمَ (5).

وفي اليومِ الثاني التقَّاهم المجاهدون (1) إلى رأسِ نَقِيلِ بيت نَعَمَ، وقدرُ العجمِ ثلاثة طوابير، ووقعَ الحربُ هنالك، وانهزمَ المجاهدون (2) حتى وصلوا

= ٥٢، صفحات مجهولة ٢٣٠ معالم الآثار، ٣٧، نشر العرف ٢٥٢/١.

(1) مَسَيْبَ: قرية في بني مطر، من عزلة بني الراعي، من قرى بلاد البستان (بني مطر) غرب صنعاء انظر، صفحات مجهولة، ٣١، الاكليل، ٣٥٥/٢، معالم الآثار، ٣٦، صفة جزيرة العرب، ١٥٧، البدر الطالع، ٥٨/١.

(2) الرِّقَّةَ: قرية من بلاد هَمْدَانَ بالقرب من ثُلا، انظر، معجم المقحفي، ٢٧٢.

(3) الأزرقين: اسم جبل صغير قرب صنعاء إلى الشمال منها، انظر، طبق الحلوى، ١٤٤.

(4) ذَهَبَانَ: قرية شمالي صنعاء فيما بين ثَقْبَانَ والجَرَّاف، اتصل عمرانها بمدينة صنعاء انظر، صفة جزيرة العرب، ٣٤٧، معجم البلدان لياقوت. مادة ذهبان، الاكليل، ٣٢١/٢، معجم المقحفي، ٢٥٣، البلدان اليمانية، ١١٥.

(5) بيت نَعَمَ: قرية في أعلى وادي زهر من أعمال ناحية هَمْدَانَ، انظر، صفحات مجهولة، ٨٨، السفر الثاني من رياض الرياحين، ٨٦.

(١) في ع، جانب.

(٢) سقطت من ع.

ذَرْحَانَ (1) فَلَحَقَهُمُ الْعَجْمُ إِلَى هُنَالِكَ .

وَوَقَعَ فِيمَا بَيْنَهُمُ الْحَرْبُ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وَكَانَتِ الْعَجْمُ قَدْ أَحَاطُوا عَلَى مَا فِي ذَرْحَانَ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . فَعَارَ الشَّيْخُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى دُودَهُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ . وَغَارَ الْمُقَدَّمِيُّ صَفِيُّ الْإِسْلَامِ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ .

وَقَعَةُ ذَرْحَانَ ، وَقَاعِ الْمُنْقَبِ (2)

وَصَفَّتُهَا : أَنَّهُ لَمَّا أَعَارَ سَيِّدِي صَفِيُّ الْإِسْلَامِ ، وَالشَّيْخُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى دُودَهُ مِنَ الْجِهَتَيْنِ ، وَقَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَجْمِ حَتَّى شَغَلُوهُمْ عَنِ الْمَجَاهِدِينَ الَّذِينَ فِي ذَرْحَانَ . فَانْهَزَمَتِ الْعَجْمُ إِلَى عَدْنِي ذَرْحَانَ (3) .

وَهَجَمَ عَلَيْهِمُ السَّيِّدُ صَفِيُّ الْإِسْلَامِ بِمَنْ مَعَهُ قَاصِداً لِأَخْذِ الْمَدْفَعِ ، فَحِينْتِذِ قَاتَلَتِ الْعَجْمُ أَشَدَّ الْقِتَالِ . وَكَانَ بَعْضُ الْعَجْمِ فِي الْمُنْقَبِ . فَهَجَمَ عَلَيْهِمُ الْمَجَاهِدُونَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ ، وَقُتِلَ مِنَ الْعَجْمِ خَلْقٌ كَثِيرٌ . وَأَقَامَتِ الْعَجْمُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمُنْقَبِ يَوْماً وَاحِداً . وَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى عَمْرَانَ ، فَتَلَقَّاهُمُ الْمَجَاهِدُونَ ، فَانْقَلَبُوا إِلَى جِهَةِ الْمَغْرِبِ ، وَهُمْ خَائِفُونَ وَجِلُّونَ ، حَتَّى بَلَّغُوا حَجَرَ سَعِيدِ (4) ، فَتَلَقَّاهُمْ

(1) ذَرْحَانَ : قَرْيَةٌ مِنْ نَاحِيَةِ هَمْدَانَ صَنْعَاءَ مِنْ عَزَلَةِ عِيَالِ حَاتِمَ ، انظُرْ ، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ ، ٢٥٠ .

(2) الْمُنْقَبِ : قَاعٌ مُتَّسِعٌ أَسْفَلَ مَدِينَةِ ثَلَا ، انظُرْ ، الْمُقْحَفِيُّ ، ٦٣٦ .

(3) عَدْنِي ذَرْحَانَ : جَنُوبِي ذَرْحَانَ .

(4) حَجَرَ سَعِيدِ : قَرْيَةٌ عَلَى طَرِيقِ شَبَامِ حَمِيرٍ مِنْ نَاحِيَةِ هَمْدَانَ ، انظُرْ ، مَعْجَمُ

المجاهدون. ووقع الحربُ بينهم خارجَ حجرِ سعيد من الصبحِ إلى آخرِ النهار، وقُتِلَ من العجمِ كثيرون، وباتوا تلكَ الليلةَ في شِبَام (1)، ثم عَزَمُوا كَوَكْبَانَ (2)، وحَطُّوا خارجَ البابِ، فأشارَ عليهم بعضُ الأعوانِ أنْ يَمْضُوا في اللَّيْلِ، وَيَكُونُ طَرِيقُهُمْ من وادي السَّيْلِ، ويعدّلُوا عن طريقِ المصانع (3)، وما شاءَ اللهُ فهو واقع. فكانت طَرِيقُهُمْ تحتَ الأَبْدَر (4)، وباتوا ببني الفليحي،

= المقحفي، ١٥٤.

(1) شِبَام: شِبَام كوكبان، بسفح جبل كوكبان (دُخَان)، غربي صنعاء بمسافة ٣٤ كم، انظر، نشر العرف، ٢٨٢/١، البلدان اليمانية، ١٥٠، معالم الآثار، ٧٣، مراصد الاطلاع، ١١٨٨/٣.

(2) كوكبان: جبل قرب صنعاء، والمدينة شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٠ كم، وإليه يضاف شِبَام كوكبان، انظر، معجم البلدان، ٤٩٤/٤، مراصد الاطلاع، ١١٨٨/٣، البلدان اليمانية، ٢٣٣، معجم المقحفي، ٥٤٣، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٨/١، الاكليل، ١٠٧/٢، نشر العرف، ٥٤، ٢٧٢، قرة العيون، ٢٩٧، معالم الآثار، ٧٤.

(3) المصانع: اسم مشترك بين عدد من الحصون والجبال في اليمن، وكلمة مصانع تعنى السدود والقصور نُسِبَتْ إليها الجبال من أشهرها، مصانع حمير، وافيق، ومارية، ووحاظَة وَكَنْفَى، وجبل المصنعة، بالشرق من النادرة بمسافة ٢٣ كم، انظر، البلدان اليمانية، ٢٥٩، والمصانع، الأحواض والسدود. وفيه عزلة كبيرة من ثُلا، معجم المقحفي، ٥٩٩ (منها أيضاً، جبل قُدْع، جبل حضور الشيخ وغيرهما).

(4) الأَبْدَر: من قرى جبل مَسُور في الشمال الغربي من صنعاء، انظر الاكليل، ٨٠/٢، معجم المقحفي، ٧.

وفي الصباح ارتحلوا عنه. فلما بلغ الإمام عليه السلام، خروج العجم من صنعاء غائرين على من في جبل مسور⁽¹⁾، أرسل السيد العلامة العماد يحيى بن حسن الكحلاني⁽²⁾، حماه الله، إلى بيت عُلمان⁽³⁾، وصحبته رجال من أهل ظَلَيْمة. (4) فواصل السفر ليلاً ونهاراً، فلما وصل هنالك دعا أهل تلك البلاد، أعني المصانع والزافن⁽⁵⁾ والأشمور⁽⁶⁾ إلى البصرة، فمنهم من أجاب، ومنهم من أبى ونخاب.

ولما بلغ الشيخ حزام الصَّعر وصول السيد العماد، تابع في إرسال

(1) مسور: يقال لها مسور المتتاب تمييزاً لها عن غيرها، تابعة لصنعاء، وجبالها أثرية معروفة، انظر، اليمن الكبرى، ٦٩، معالم الآثار، ٧٦، الاكليل، ٨٠/٢، نشر العرف، ١٨٣/١.

(2) يحيى بن حسن الكحلاني: ينتهي نسبه إلى الإمام شرف الدين، أرسله الامام يحيى عاملاً على الشرفين والحيمتين وهاجر إلى ظفير حجة، له عدة معارك ضد الأتراك، وخاصة في بيت ذرة ت سنة ١٣٢٠هـ انظر، نزهة النظر، ٦٢٣.

(3) بيت عُلمان: قرية وجبل أسفل وادي ضهر غربي صنعاء بمسافة ٥ كم، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٧ الاكليل، ١٢٢/٨، معجم الحجري، مادة بيت عُلمان، معجم المقحفي، ٤٥٩.

(4) ظَلَيْمة: ناحية من قضاء شهارة بالشمال الغربي من حجة، انظر، صفة جزيرة العرب، ٣٢١، نشر العرف، ٢٢٨/٢، معجم المقحفي، ٤١٤.

(5) الأشمور: جبل مشهور بالغرب من مدينة عمَّان، بمسافة ٢٢ كم، انظر معجم المقحفي، ٣٤، اليمن الكبرى ١٠٦، غاية الأمان، ٥٦/٢ اليمن عبر التاريخ، ٣٣٩.

(6) الزافن: قرية بالشمال الغربي من صنعاء، فيما بين ثُلا والخدرة، مركز جبل عيال يزيد، انظر، معجم المقحفي، ٢٨٥.

الكتب إلى أهل البلاد، لينهاهم عن الإعانة والإنجاد. وأمد السيد العماد عائض بن صالح السنحاني وصُحبتَه مئة رجل. ووصل من حضرة الإمام الشيخ صالح بن يحيى الأخرم بثمانين رجلاً من بني قيس⁽¹⁾، والعجم حيثُذ في باب كوكبان، ثم إنَّهم خرجوا إلى وادي السَّيل وباتوا في بيت الأبنر. وكان قد سبقهم السيد العماد إلى بيتِ عُلَمَانَ.

ثم إنَّ العجم بمنَّ معهم من أعوانهم العرب، تقدَّموا إلى جبل تعز وإلى قبلي بني الفليحي يقودهم السيّد محمد الشويح / وابنُ فارح وابنُ سنان. فلما وصلوا إلى هنالك طلبوا الاتفاق من المجاهدين، فوافقهم بعضُ المشايخ، وعرضوا على السيد العماد ومنَّ معه ألف ريالٍ على أن يخرجوا من بيتِ عُلَمَانَ أو يختاروا الحربَ العوان، فاختاروا رضَى الرحمن.

وقعة بيتِ عُلَمَانَ

وصفتها: أنه لما كان ما كان من الاتفاق بين أولئك الاعوان، ولم يتم الصلح، وقع الحرب من بكرة يوم الجمعة إلى آخرِ نهارِ السبت. وفي يوم الأحد، سَكَنَ الحربُ من الجهتين. أمَّا طائفةُ المجاهدين فإنها نفذت عليهم المونة مع أن الله قد كفاهم المونة. وأمَّا العجمُ فإنَّ الرُعبَ قد خالط اللحم والدم، ففروا مرعوبين، وولَّوا على أدبارهم منهزمين، وشدَّوا بالليلِ قاصدين عَمْرَانَ. فلما بلغوا ذَرْحَانَ، وكان شيخُ المحلِّ يُقال له رجل مبخوت

(1) بنو قيس: اسم مشترك بين جملة بلدان وقبائل، منهم بنو قيس، تُسبغ من بني صريم في حاشد ومنهم من أهالي ثُلا، انظر، معجم المقحفي، ٥٢٧، اليمن الكبرى، ١٠٩، مصادر الفكر الإسلامي، ٢٢٣.

الذرحاني، من أعوان العجم، رمى رجلٌ من أصحاب الشيخ المذكور إلى نحو العجم بغير رضى من الشيخ، فهجم عليهم العجم، وقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً، وحزوا رؤوسهم، وأسروا اثنين من القبائل، ولم يكن مقصد القبائل المذكورين أداء واجب الجهاد على أهل الإيمان، فبسبب ذلك كان الخذلان.

وفي ليلة الأحد نصف القعدة الحرام (1) خسف القمر من وقت العشاء، واستمر إلى نصف الليل، ونزل بسبب ذلك على العجم الويل، لأن العوام تفاءلوا بذلك، وقضوا بأن بدر العجم قد انخسف حتى نصر بسبب (1) ذلك أكثر الناس، ففرغ لهذا الخطب العجم الأرجاس.

وفي خلال ذلك لم يلبت الوالي في اليمن إسماعيل حافظ باشا أن أنشبت فيه المنية أظفارها، وكانت الفتنة قد كشفت أstarها. وهذا الوالي قد تولى اليمن مرتين:

المرّة الأولى: حين أخرج العلماء المحبوسين في الحديد بحبس المشير قبله مصطفى عاصم، بسبب إغراء (2) الشيخ البغيض محسن معيض (2)، وكان

(1) انظر، أئمة اليمن، ٢١/٢.

(2) محسن بن علي معيض: من أهل صنعاء يتجر في قشر البن، ونصبه أهل صنعاء شيخاً عليهم، حظي عند الأتراك، فكان من أعضاء مجلس الإدارة ت ١٢٩٩ هـ، انظر أئمة اليمن، ١٧-١٥/١.

(١) سقطت من م.

(٢) في م، أمر.

الإمام، حفظه الله، مِنْ جملة المحبوسين كما ذكرنا، وغيره من الأعيان.
وفي المرة الثانية: تولّى الوالي المذكور على اليمن. وكانت وفاته في
صنعاء، في هذه المدّة عند اشتغال نار الفتن.

وكان الوالي المذكور قد كتب في التلغراف إلى حضرة السلطان بأن
اليمن قد اضطرت فيه نيران الفتن، وإن لم يتدارك يلحق بخبر كان. وشنّ
الغارة في ذلك، فلم يلبث أن هلك قبل وقع الوقائع.

وفي هذه المدّة، سمع الناس في صنعاء أصواتاً مختلفة كباراً وصغاراً في
الهواء بقي ذلك نحو ثلاثة أيام، حتى فرغ الناس إلى المساجد، وحصل في
قلوبهم الرعب الزائد، وكان ذلك خاصاً بمدينة صنعاء. وذكر ذلك العجم في
جرائد الأخبار التي يُودعون فيها الحوادث، وصاروا يعتذرون عن ذلك،
ويذكرون أنه قد وقع مثله في زمن سابق.

وفي هذه المدّة خرج من العجم قدر مئة نفر صحبة سليمان بيك، وبرفته
السيد محمد بن عليّ الشويح، وراجح بن سعد، قاصدين مدينة حجة، ثم
إلى قفل شمر، فبقوا هنالك أياماً ثم جمعوا العسكر وقسموهم طائفتين: طائفة
عزمت القفل^(١) على ميلين من الشاهل، وطائفة تقدمت على بني جل.

(١) القفل: حصن من جبل حُفاش وأعمال المحويت، والمقصود هنا القريب من الشاهل
وهناك قفل شمر، وقفل الشلالة من بلاد ذمار، والقفل، قرية في وادي الجار من
أعمال ذمار، وكانت قديماً من عبيدة يريم، وجبل القفل، وجبل وعر، والقفل بلدة

(١) في ع، القفل.

وقعة القفل

وصفتها: أنها لما تقدّمت - كما ذكرنا - لم يشعر أهل البلاد إلا وقد رُمُوهم بالبنادق والمدافع، فاجتمعت الغارة/ من كل جبل، وأحاطوا بالعجم^{١٢} في القفل، وقُتِل منهم نحو من السبعين وغنم المجاهدون بنادق كثيرة. وقد كان أجمع رأي العجم على قطع شجر البن، فلم يمكنهم الله من ذلك.

وفي أوائل شهر الحجة من السنة المذكورة، وردت الأخبار: أنه وصل حسن أديب باشا والياً على اليمن، من حضرة السلطان وصحبته أحمد رشدي بيك، وصحبتهما من العساكر قدر ألفين، فخرجوا من بندر الحديدة حتى بلغا حجة، وحطّا رحلتهما هنالك.

وفي خلال هذه الوقائع المتقدمة دخلت سنة ١٣٠٩هـ.

فأما الوالي حسن أديب، ومن صحبته من العساكر، فإنه بقي محصوراً في حجة، كل ما هم بالخروج قطع عليه المجاهدون المحجة^(١).

ذُكر حصار صنعاء وما يلحق بذلك من الوقائع:

ولما أجمعت^(١) القبائل - أعني أحواز صنعاء -^(٢) جميعاً على محاصرة من

= في بني النمرى، وبلدة في جبل الأشمور من بلاد عمران، انظر، معالم الآثار، ٦٦، معجم المقحفي، ٥٢١.

(١) المحجة أي الطريق.

(٢) أحواز صنعاء، جوار صنعاء من القرى والقبائل المحيطة بصنعاء في سفوح الجبال، انظر، صفحات مجهولة، ٢٦، رياض الرياحين، ٩٦ (الحوز: الموضع إذا أقيم حواليه

في صنعاء من العجم بموجب تحريض السيد الأكرم صفي الإسلام، رحمه الله، وكان ذلك هو المقصد الأهم، والمطلب الأعظم، من حضرة الإمام، - عليه السلام -، فأشعلت النيران في الجبال جميعها، وارتاع لذلك العجم، وظنوا أنها القاضية، وكتبوا إلى العساكر الذين عزموا حجة أن يرجعوا، فقد التقت حلقتا البطان فخرجوا من عمران، وكان طريقهم من المنكل، واتفق أنه وقع مطر فساروا فيه على غفلة ولما خرجوا من المنكل التقاهم المجاهدون إلى غربي حاز(1).

وقعة حاز

وصفتها، أنه لما التقى المجاهدون العجم، - كما ذكرنا - بأشروهم بالحرب، وأصدقوهم الرمي والضرب، واستمر ذلك في أثرهم إلى أن وصلوا ريعان(2) وردغم، وهنالك بات العجم بلا زائد، والجمال قائمة وعليها الشداد، والمجاهدون محيطون بهم من كل جانب قد أصدقوهم الجلاذ. وفي اليوم الثاني، وقع الحرب، وانهزمت العجم من بيت عذران(3) إلى

= سد أو حاجن

(1) حاز: قرية في ناحية همدان على طرف قاع المنقب، أثرية، انظر، الإكليل،

٤٥٦/٢ معالم الآثار - ٢٨، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٤/١.

(2) ريعان: قرية أثرية من همدان، شمال غرب صنعاء بمسافة ٣٠ كم، وريعان أيضاً،

قرية في الحيمة الخارجية، ومحلة صغيرة في جبل مسور، انظر، صفة جزيرة العرب،

١٥٧، تاريخ اليمن الثقافي ٥٤/١، معالم الآثار، ٣١، معجم المقحفي، ٢٨١.

(3) بيت عذران: قرية من مخلاف بني شهاب الأسفل من بني مطر، وأعمال صنعاء،

انظر، معجم البلدان، لياقوت، ٥٢١/١، البلدان اليمانية للأكوع، ٤٥، وهي مشرفة =

أَنْ وصلوا صنعاءَ، وقد خالطهم الرعبُ والهوانُ، وكانوا قريباً من خمسِ عشرةِ
مئةً، وما ينفعُ الكثرةُ مع الخذلانِ.

وقعةُ يَازِل (1)

وصفتُها: أَنَّهُ في هذه المدةِ طلعت خيالةٌ من العجمِ والعربِ من جهةِ
مَنَاخَة (2) يقصدون صنعاءَ، فلما بلغوا يازلِ ثارت عليهم القبائلُ، فتحصَّنوا
هنالكَ، وطفقتِ القبائلُ بحربٍ فوقهم المنازلِ. فاستسلموا للأسرِ، ولاحت
هنالكَ لوائحُ النصرِ، ولما أسروهم أوصلوهم مع خيلهم إلى حضرةِ الإمامِ عليه
السلامُ، وبرم الأمرُ والسلامَ.

وكانَ قد وصلَ قبلَ ذلك إلى حضرةِ الإمامِ عليه السلامُ من أهلِ بلادِ
البُستانِ، وأسعدوا له بغايةِ الطاعةِ والإذعانِ، وكانَ من أثرِ ذلك ما كانَ.

وقعةُ بيتِ عَدْرانِ

ولما بلغَ العجمَ ما وقعَ في يازلِ، استقرَّ رأيهم على الخروجِ، على
أولئك القبائلِ، فخرجوا وهم في غايةِ الذلِّ والرُّعبِ والتخاذلِ. حتى وصلوا

= من الجهة الغربية على صنعاء، انظر، أئمة اليمن، ٤٩/٢.

(1) يَازِل: قرية في بني مطر ناحية بلاد البستان، من عزلة بني سوار، على الطريق الغربية
لصنعاء، انظر، صفحات مجهولة، ٥٤، الاكليل، ٨٧/٢، معجم المقحفي، ٧٠٥،
أئمة اليمن، ٤١/٢، حوليات يمانية، ٤٣٥.

(2) مَنَاخَة: مدينة في قمة جبل حراز غربي صنعاء بمسافة ١٢٠ كم فيما بينها وبين
الحُدَيْدَة، انظر، اليمن الكبرى، ٦٠، ١٩٣، معجم المقحفي، ٦٣١، فرجة
الهموم، ٣٢.

بيتِ عِذْران، قاصدين الحَيمةَ وبلادَ البُستان، فنهَضَ إليهم السيدُ صفيُّ الإسلامِ بِهَمَّةٍ عَظيمةٍ، وَقوَّةٍ عَزيمةٍ، وَصَحبَةُ من المَجاهدين كُلِّ ذي شَكيمةٍ، فأصدَقوا^(١) أعداءَ الله العَجمَ، الطعنَ والضربَ، فولَّوهم الأديارَ، وبيأوا بالذِّلةِ والصَّغارِ، والمَجاهدون يفتنون بَعدهم الآثارَ، وَقُتِلَ مَن العَجمِ حينئذٍ ما يزيدُ على ثمانينَ، والحمدُ لله ناصرِ المؤمنينَ.

وفي هذه المَدةِ قُتِلَ السيدُ عبدُالكريمِ^(١) مِن ساداتِ كوكبان، وكان للعَجمِ مِن أعظمِ الأعوانِ، وجعلُوهُ مديراً في بلادِ البُستان، فلما سَمِعَ بوصولِ العَجمِ، وكانَ في بيتِ رَدَم^(٢)، صالَ على القبائلِ بلسانه وأقدمَ، فكانَ ذلكَ من النَّقمِ، الذي يُرمى بها مَن ظَلَمَ، وفي هذه المَدةِ أذعنتُ / ١٣
أهلُ بلادِ الحَيمةِ بالطاعةِ.

وقعةُ العِراءِ^(٣) والمنصورة^(٤):

- (١) عبد الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن الحسين الكوكباني ت: ١٣٠٩هـ/١٨٩١م، نشأ بكوكبان، تولى أعمالاً للترك، تولى عمالة ناحية البستان من أعمال صنعاء، قتل غيلة من بعض الرعية انظر، أئمة اليمن، ٤٢/٢، ٨٥.
- (٢) بيت رَدَم: قرية مشهورة من قرى مخلاف بني شهاب، تابع بلاد البستان (بني مطر)، إليها ينسب بنو الرَدَمي، أهل صنعاء، انظر، صفحات مجهولة ٣٢، تاريخ اليمن الثقافي ٩٨/١، معجم المقحفي، ٢٦٦، البلدان اليمانية للأكوع، ٤٥.
- (٣) العِراءُ: مركز ناحية الحيمة الداخلية في جبل العِراءِ على مسافة مرحلة غرباً من صنعاء، وهو متصل بجبل النبي شعيب من ناحية الشرق، انظر، صفة جزير العرب، ١٧٧، معالم الآثار، ٣٧، معجم المقحفي، ٤٣٥، أئمة اليمن؛ ٤٣/٢.
- (٤) المنصورة: حصن في الحَيمةِ الداخلية، غربي صنعاء، انظر، معجم المقحفي، =

(١) في م، قاصدوا.

وصفتُها، أنها لما أجابت قبائل الحَيِّمة كما ذكرنا، وصلَ مَنْ وصلَ منهم إلى حضرة الإمام - عليه السلام -، وأخذوا أمراً لمجاهدة مَنْ في الحَيِّمة من العجمِ . فلما وصلوا البلادَ، اجتمعت قبائل الحَيِّمة من كلِّ حاضرٍ وبادٍ، وقصدوا العِرَّ والمنصورةَ وفيها قدرُ اثنين وخمسين نفرًا محصورًا، منهم ثلاثة عشرَ رجلاً من العجمِ اللُّثامِ ، والباقون من قبائلِ يام⁽¹⁾. فدخلَ المجاهدون العِرَّ عنوةً، وحاصروا العَجَمَ في المنصورةِ، وأسِرَ الحاكمُ من جهةِ العجمِ القاضي عبدالرحمن بنُ أحمدَ المجاهد⁽²⁾. فلما كان يومَ الجمعةِ خرجَ الشيخُ يحيى القطيعُ، ونادى المحصورين في المنصورةِ: إنَّ اليومَ يومٌ جمعٍ، والرأيُّ أنْ نكُفَّ عن الحربِ فيه نحنُ وأنتمُ، فظنُّوا أن المجاهدين قد جَبَنُوا، وداخلَهُم الفزعُ. فأجابَ مَنْ في المنصورةِ: أنْ ليسَ بيننا إلا القتالُ. فتقدَّم حينئذٍ المجاهدون الأبطالُ، واقتحموا الجبلَ حتى لاصقوا الدورَ. ورمى رجلٌ من العجمِ في الدارِ، وشرعَ المجاهدون في نقبِ الجدارِ. فلما أيقنَ مَنْ في المنصورةِ، أنهم هالكون استسلموا للأسرِ، وسلَّموا جميعَ ما مَعَهُمْ مَنْ السِّلَاحِ والمونَةِ. فأرسلت الأسارى والمونَةُ والسِّلَاحُ إلى حضرة الإمامِ - عليه السلامِ - . ولما كانت هذه القضيةُ، أذعنَت قبائل الحَيِّمةِ الداخليَّةِ والخارجيةِ .

= ٦٣٥، اليمن الكبرى، ٣٩، معالم الآثار، ٣٨.

(1) يَام: جبل يطل على الجوف من الجهة الغربية، كان سكن قبيلة يام قبل انتقالها إلى نجران، وهي أحد فروع همدان، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٤، اليمن الكبرى، ٧٢، اليمن عبر التاريخ، ٢٠٨، العقود اللؤلؤية، ٢٥٩/١، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٧/١.

(2) عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالرحمن المجاهد ت ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م، انظر، أئمة اليمن، ٢٧٢/٢ وتوفي علي بن أحمد ت ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م.

وقعة مَفْحَق (1)

وصفتها: أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ مَا ذَكَرْنَا فِي الْمَنْصُورَةِ، تَجَمَّعَتْ قِبَائِلُ الْحَيْمَتَيْنِ وَبَنِي مَطَرٍ، وَأَجْمَعُوا عَلَى حَصَارِ مَنْ فِي مَفْحَقٍ مِنَ الْعَجَمِ، وَقَدَرَهُمْ سِتُونَ رَجُلًا، فَأَحَاطُوا بِالْحَصَنِ الْمَذْكُورِ، وَشَدَّدُوا عَلَيْهِمُ الْحَصَارَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الْعَامِلُ، وَطَلَبَ الْأَمَانَ لِمَنْ فِي مَفْحَقٍ مِنْ دُونِ سِلَاحٍ. فَخَرَجُوا مِنَ الْحَصَنِ، وَسَلَّمُوا الْبِنَادِقَ، وَخَلَّوْا الْحَصْنَ الْمَذْكُورَ بِلا رُتْبَةٍ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنَ التَّقْصِيرِ الَّذِي لَا يَرْضِيهِ ذُو(1) التَّدْبِيرِ، وَكَانَ قَدْ سَبَقَ مِنَ الْمُجَاهِدِينَ أَخْذُ السُّمُسْرَةِ(2) الْمَشْهُورَةِ هُنَاكَ، وَأَخَذُوا مَا فِيهَا مِنَ الْمُونَةِ وَالزَّادِ. ثُمَّ إِنَّ الْعَجَمَ، الَّذِينَ خَلَّوْا سَبِيلَهُمْ مِنَ الْحَصَنِ، لَمَّا وَصَلُوا إِلَى مَنَاخَةِ وَفِيهَا حَسَنِي بَاشَا، وَمَعَهُ قَدْرٌ سِتِّ مِئَةٍ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، وَأَفْهَمُوهُ أَنَّ حَصْنَ مَفْحَقٍ خَالٍ عَنِ الرُّتْبَةِ وَالْعَسْكَرِ، فَأَرْسَلَ حَيْثُ ثَلَاثَ مِئَةِ رَجُلٍ وَأَرْبَعِينَ جَمَلًا تَحْمِلُ الزَّادَ، وَقَصَدُوا حِصْنَ مَفْحَقٍ، فَقَبِضُوهُ، وَالْمُجَاهِدُونَ حَيْثُ ثَلَاثَ مِئَةٍ تَقَرَّقُوا وَاشْتَغَلُوا بِأَمْرِ الْغَنِيمَةِ، كَمَا هِيَ عَادَةُ الْعَرَبِ الْمُسْتَدِيمَةِ، فَلَمَّا بَلَغَتْ الْعَجَمُ إِلَى بَنِي مِقَاتِلٍ(3) تَلَقَّاهُمُ الْمُجَاهِدُونَ،

(1) مَفْحَق: بَلَدٌ وَحَصَنٌ فِي نَاحِيَةِ الْحَيْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ وَأَعْمَالِ صَنْعَاءَ، انظُرْ، مَعَالِمُ الْأَثَارِ،

٣٧، الْيَمَنُ الْكُبْرَى، ٥٩.

(2) السُّمُسْرَةُ: عِمَارَةٌ فِي السُّوقِ، تُورَدُ إِلَيْهَا بِضَائِعُ التِّجَارَةِ، وَيَنْزَلُ فِيهَا الْمَسَافِرُونَ وَالتَّجَارُ.

(3) بَنُو مِقَاتِلٍ: مِنْ قِبَائِلِ حِرَازٍ، وَهُمْ أَهْلُ الشَّرْقِيِّ انظُرْ، الْأَمْثَالُ الْيَمَانِيَّةُ، ٥٨٨/١،

مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٦١٩.

(١) فِي ع، أَوْلُو، وَفِي م، أَوْلِي.

ووقع بينهم الحرب في العِجْز (1)، وفرّ المجاهدون.

وكان العجمُ قد هَجَموا على ناسٍ في «صَبِل» (2)، وقتلوا منهم اثني عشر رجلاً، فبموجب ذلك انهزمت القبائل ودخلت العجمُ مَفْحَقًا. ومَنْ ترك الحزمَ ندمَ، وأدركه الشقاءُ. ورجعت الجمالُ بعد حطِّ الأثقالِ، ومَنْ معها مِنَ الرِّجالِ يُؤْمونَ مَنَاحَةَ. فهضت إليهم قبائلُ الحَيْمَةِ، واتفقوا في العِجْزِ، ووقعَ الحربُ هنالك، وقُتِلَ من العجمِ خمسةٌ، ومن العربِ واحدٌ، وسلبوا من الجمالِ والبغالِ خمسةً وعشرين رأساً، وعشرَ بنادق، ورجعَ المجاهدون نحوَ مَفْحَقِ، وبدأوا بالمحاصرةِ لِمَنْ فيه.

ذكرُ دخولِ الأجنادِ المنصورةِ رَوْضَةَ حاتمِ:

وصِفَةُ ذلك: أنَّ السَيِّدَ صَفِيَّ الإسلامِ أحمدَ بنَ محمدٍ الشرعي / لما ١٣ ب تمَّ له المرامُ من جميعِ القبائلِ على الجهادِ، لم يزلْ يزحفُ قليلاً قليلاً حتى وصلَ بالأجنادِ بيتَ عِدْرَانَ.

ثم عَزَمَ المجاهدون إلى الروضةِ (3) وهم، أرحبُ وهَمْدَانُ وبنو حَشِيشِ،

(1) العِجْز: بلد من الحيمة الخارجية على طريق المسافر من مَفْحَقِ إلى مَنَاحَةَ انظر، معجم المقحفي، ٤٣٠، صفة جزيرة العرب، ٧٨ وفيه أنها من حضرموت.

(2) الصَّبِل: وطن في آنس ثم في عزلة المنار انظر، الاكليل، ٣٣٢/٢، معجم المقحفي، ٣٧٦.

(3) روضة حاتم شمالي صنعاء تنسب إلى حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي، زعيم هَمْدَانَ ت ٥٥٦ متنزه، كانت تسمى المناظر، انظر، المفيد لعمارة، ٣٣٥، مراصد الاطلاع، ١٣١٥/٣، صفحات مجهولة، ٢٠، صفة جزيرة العرب، ١٥٣، ١٧٨، اليمن عبر التاريخ، ٢١٨، معالم الآثار، ٢٧ نشر العرف، ١٦١/٢، معجم =

فلما وصلوا الروضة دخلوا بيوت أعوان العجم ، مُبغضي آل النبي المكرم ،
وقعدوا فيها ثم شدّوا حصارَ صنعاء ، وانضافَ إليهم قبائلُ سنحان وبنو بهلولٍ
ويلاذُ الروس⁽¹⁾ ، وتعاقدوا على محاربةِ العجمِ ، وقطعَ الطرقَ عليهم من
جميعِ الجهاتِ ، ما عدا أولادَ السيدِ هاشمٍ من أهلِ سيّان⁽²⁾ ، فإنهم أسروا
في أنفسهم مُلازمةَ الأعاجمِ ، فلمْ يعبأ الناسُ بهم ، بل قاموا بفرضِ الجهادِ
اللازمِ ، ثم إنها نهضت طائفةٌ من المجاهدين فقبضوا جرفَ نُقم . وطائفةٌ
أخرى طرحوا في القرى القريبة ، وفي أثناء ذلك فإن طائفةً من العجمِ كانوا
في مدينةِ دَمَار ، فوقَّعَ الطلبُ لهم من صنعاء ، فطلعوا ولمْ يشعروا بهم
المجاهدون ، إلّا وقد بلغوا محلَّ النجاة ، فأكثروا من التأسفِ على عدمِ
الانتباه .

ولما تيقنتِ العجمُ ما تعاقَدَ عليه أولئك القومُ ، أهلُ الكرمِ ، قرعوا سنَّ
الندمِ ، وضاعت عليهم الأرضُ بما رحبت .

= المقحفي ، ٣٧٦ .

(1) بلاد الروس : من نواحي صنعاء على بعد ٤٠ كم جنوباً ، مركزها وعلان ، تتصل من
شمالها ببلاد سنحان وناحية البستان ، ومن شرقها ببلاد نخولان العالية والحدأ ، ومن
جنوبها ناحية جهران وبلاد آنس انظر ، معجم الحجري ، ١/١٤٠ ، رياض الرياحين ،
١١٢ (هامش ٣) .

(2) سيّان : جنوب صنعاء من بلد سنحان ، محاطة بجبال بني بهلول وبني مطر ، انظر ،
صفحات مجهولة ٥٤ ، أئمة اليمن ، ٢١٣ معجم المقحفي ، ٣٣٦ ، صفة جزيرة
العرب ، ٢٣٨ ، مرصد الاطلاع ، ٧٦٣/٢ ، تاريخ مدينة صنعاء ، ٥٦٥ .

وقعة جُربان

وصفتها: أنه خرج طائفة من العجم أهل الطغيان، فلما وصلوا جُربان، تلقاهم المجاهدون.

ووقع الحرب هنالك، فانهزم العجم وولّوا الأدبار، ولم يُقتل غير ثلاثة من الأنصار، وكان ذلك عاشرَ شهرِ محرمٍ من السنة المذكورة. وفي اليوم الحادي عشر خرجت العجم وصحبّتهم شيخُ صنعاء عليّ البليلى، فرتّبوا بيتَ معياد⁽¹⁾ خشية أن يقبضه أهل الجهاد.

ثم إنها لما سمعت قبائل خولان، بما أجمع عليه أهل الإيمان من جهادِ حزبِ الشيطان، اجتمعوا إلى سوقِ الحضارم، وهم: جبري⁽²⁾ وشُدادي⁽³⁾ وعَرشي وسحامي⁽⁴⁾، فتعاقدوا على القيامِ بفريضة الجهاد، وطاعة الإمام التي هي طاعةُ لربِّ العباد، وكتبوا إلى قبائلهم الخارجية من اليمانيّين⁽⁵⁾ والهجرتين

(1) بيت معياد: قرية في قاع صنعاء الجنوبي، كانت تعرف باسم داع الخير، أصبحت اليوم جزءاً من صنعاء، انظر، معجم المقحفي، ٦١٢.

(2) جبري، نسبة إلى بني جبر من بطون خولان صنعاء، انظر، معجم المقحفي ٢٢٣.

(3) شدادي، نسبة إلى بني شداد من بطون خولان صنعاء، انظر معجم المقحفي، ٢٢٣.

(4) بنو سحام: عُزلة ووادٍ في خولان العالية متصلة بسنحان، بها جبل اللوز، انظر، معجم المقحفي، ٣٠٥.

(5) اليمانيّان: اليمانية السفلى واليمانية العليا من بطون خولان صنعاء، من مخلاف ذي جرة، ببلاد سنحان، من خولان العالية، انظر، معجم المقحفي، ٢٢٣.

وأهل حصن الظبيتين⁽¹⁾، فدخلوا فيما⁽²⁾ أجمع عليه قبائلهم، أرسلت عُقال خولان جميعهم زهائنهم إلى الإمام - عليه السلام -، صحبة السيد أحمد بن حسن الكبسي، وكتبوا إلى الإمام يطلبون مقدمات، فأرسل إليهم سيف الإسلام، وعز الأنام، محمد بن الإمام المتوكل - عليه السلام - وفوض إليه أمر القيام بالجهاد في تلك البلاد، وأمرهم بمحاصرة صنعاء من جميع الجهات، وألا يدع للعجم مسلماً إلا قطعه، ولا سلكاً إلا انتزعه. وأمره بتقوى الله، والعمل بما يرضاه، وأن يلزم الكياسة والاحتراص، ويعامل الناس بالسياسة التي هي لكل خير أساس. فسار على بركة الله المنان. واتفق في الطريق برهائن خولان متوجهين حضرة الإمام - عليه السلام -.

وفي هذه المدة، اجتمعت قبائل خولان إلى الشَّرْزَةِ⁽³⁾ (٢) بنية الجهاد^(٢).
ووقع طريق بني جبر من بني حشيش.

-
- (1) الظبيتين: حصن في اليمانيتين من خولان العالية انظر، معجم المقحفي، ٤٩٠.
(2) محمد بن المتوكل على الله محسن بن أحمد، سيف الاسلام، ولد بحصن ذي مرمر من جهات صنعاء ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م، حفظ القرآن ودرس النحو والفروع وأصول الدين، شاعر حارب الباطنية (المكارمة)، تولى قيادة جيوش الامام المنصور بالله، كان عاملاً للإمام يحيى على بلاد رداع، استقر بالحمري من بلاد حاشد، توفي ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م، انظر، نزهة النظر، ٥٧٤.
(3) الشَّرْزَةُ: قاع معروف في بلاد سنحان وعلى حدود خولان الطيال، على مقربة من قرية شُعْسان انظر، صفحات مجهولة ٥٧١، معجم الحجري، مادة الشرة، معجم المقحفي، ٣٥٠.

(١) في ع، م، بما.

(١) سقطت من ع، م.

وفي هذه المدة، وَجَّه الإمامُ عليه السلامُ الحاجَّ الفاضلَ شريانَ بنَ حزامٍ مرج، وكانَ رجلاً من أهلِ السَّابِقَةِ في الجهادِ، وصحبته جماعةٌ من أرحب، ومن انضمَّ إليهم من أهلِ بلادِ البستانِ، وأمرهمُ بأنَّ يكونَ مطرُحَ الجميعِ في حَدَّةٍ (1) لمحاصرة مدينةِ صنعاءَ من تلكِ الجهةِ، فلمَّا وصلوا إلى هنالك استولوا على طاحونِ العجمِ. وكانَ يَطْحَنُ في اليومِ واللييلةِ قَدْرَ ستينِ قَدْحاً، وفيه شيءٌ يُنْقِي الأحجارَ من بينِ الحَبِّ، ودَوْرَانُهُ على ماءِ حُمَيْسٍ (2).

وفي هذه المدة، قطعَ المجاهدونَ السُّلْكَ، وُسِّمِيَ العجمُ «التلغراف»، وهو منْ غرائبِ الاختراعِ بلا خلافٍ، قيلَ: إنَّهم أخذوا أصلَ صَنَعَتِهِ من خزائنِ حِمَيْرٍ، / أخذوا ذلكَ من الأحكارِ التي يتطلَّبونها⁽¹⁾ من اليمنِ، وفيها كُتِبَ^{١٤} بالقلمِ الحَمِيرِي، ما زالوا يبذلونَ الدراهمَ الكثيرةَ لمنْ أتى لهم بشيءٍ من تلكِ الأحجارِ المكتوبةِ بالقلمِ الحَمِيرِي، وكذلك الأحجارُ التي فيها الصورُ، وأكثرُ من يعتني بذلكِ النصارى.

(1) حدا: (حدة) ناحية جنوب شرقي صنعاء، على بعد ٥٠ كم، مركزها الرئيسي زِراجة، انظر، مراصد الاطلاع، ٣٨٦/١، اليمن الكبرى، ٦٨، صفة جزيرة العرب، ١٠٢، فقهاء اليمن لابن سمرة، ٣١٢، صفحات مجهولة، ٣٢.

(2) حُمَيْسٍ مذيور: قرية من عزلة المخلاف بالحِمْيَةِ الخارجية، وحُمَيْسٍ بن الهيج، وإد صغير في تهامة يأتي من جبال حجور ويمر بالحُمَيْسِ شمال الواعظات انظر، اليمن الكبرى، ٢١، معجم المقحفي، ٢١٩.

(١) في ع، يطلبونها وفي م، التي كانوا يطلبونها.

وصفةُ السِّلَكِ، على ما وصفه بعضُ أعوانِ العجمِ المختبرين، أن طَرَفَ الخيطِ الحديدِ مُرَكَّبٌ إلى مكينةٍ تسمى التلغرافِ، وهي كثيرةُ الآلاتِ والعجلاتِ، فبمجردِ ما يستعملُها الشخصُ عندَ احتياجِ الكُتُبِ، يركَّبُ لها عجلةٌ من بياضٍ على حكمِ السَّيرِ الملحِ مطويةً. ثم يركَّبُ طرفَ البياضِ التي هي كالسيرِ إلى تحتِ الإبرة، ثم يَدُقُّ اللولبَ فتتحركُ تلكُ العُجَيَّلاتُ، يحركُ بعضها بعضاً، حتى يحركُ لولابَ الإبرة، فيضربُ كما ضربَ الأسطى، وكلُّ ضربةٍ لها في البياضِ خَرَقٌ معيَّنٌ، كما هو مقرَّرٌ عندَ أهلِ المعرفةِ بذلك^(١)، ولكلِّ^(٢) حرفٍ أخراقٌ متعدِّدة^(٣)، وحاصلُه: أن السَّيرَ الذي من البياضِ يمرُّ تحتَ الإبرةِ إلى نهايةِ ذراعِ الأربعِ، ويقطعهُ المِنْبَاشُ ويحطُّه، وما حصلَ قطعهُ وحطُّه فوقَ الأولِ حتى يتمَّ دقُّ المكينةِ، وتسكنُ تلكُ اللوالبُ بتمامِ المكاتيبِ، فيبدعُ بنقلِ السَّيرِ الأسفلِ معَ معرفتهِ بمفتاحِ حروفها، كمَّ كلِّ حرفٍ خَرَقَ الإبرةِ، فينقلُها بخطِّه، وأمَّا أن السِّلَكَ يصنعُ خطأً فمحالٌ، إنما هو استحكامٌ والعملُ على خواصاتِ المعادنِ والمجموعاتِ في الحديدِ المركَّبِ منه لاستجذابِ الدقَّةِ بذاتها من المحلِّ إلى آخرِ.

وأما استعمالُ الكُتُبِ فهو صنعةُ الشخصِ القَيِّمِ في عهدتهِ، وعلى هذا [قد]^(٤) شوهدَ غيرَ مرَّةٍ. وحاصلُه أن ذلكَ حكمةٌ يسهُلُ استعمالُها عندَ أبناءِ العربِ معَ وجودِ آلتها أحسنَ مما يستعملُه العجمُ، هذه صفةُ السِّلَكِ.

(١) في، ع، وذلك.

(٢) في ع، م، كل.

(٣) في أ، م، معددة.

(٤) الإضافة من م.

وكان قد استقصى قطعَه المجاهدون مِنْ حَرَازِ (1) إلى صنعاء، فعميت على العجم الأخبارُ عن الذي في صنعاء، وعن الذي في الحديدِ، لم يعلموا لانقطاع السلكِ؛ لأنه كان يأتي إليهم الخبرُ في السلكِ من الحديدِ، ثم منها في البحرِ إلى مصرَ ثم إلى استانبولَ، فيبلغُ الخبرُ في أسرعِ وقتٍ. وفي هذه المدةِ، عزمَ صفيُّ الإسلامِ حتى توسَّطَ البلدين: بني مطر والحيمتين.

وقعة الجرداء (2)

وصفتُها، على ما أخبرنا به المشاهدون أنَّ العجمَ في صنعاء لما اشتدَّ عليهم الحصارُ من جميعِ الجهاتِ، وكان مطرُ همدانَ، وبني الحارثِ في الروضةِ، ورجالُ بني حشيشٍ وبني جبرٍ في بيتِ اللهيدة (3) في سعوان (4)،

(1) حَرَاز: صقع متسع غربي صنعاء بمسافة ٨١ كم، مركزه مناخه انظر، الاكليل، ٢٠٣/١، صفة جزيرة، ٢٠٩، صفحات مجهولة، ٤٥، معالم الآثار، ٧٧ نيل الوطر، ٣٥٧/١.

(2) الجرداء: قرية من سرحان، جنوبي صنعاء، انظر، معجم المقحفي، ١١٧، أئمة اليمن، ٤٣/٢ طبق الحلوى، ٢٣٠.

(3) بيت اللهيدة: على مقربة من باب ستران، من بني حشيش بخولان الطيال تلحق محافظة صنعاء، وبيت اللهيدة من ثمن سعوان، ومنها أيضاً العشة والخربة، انظر، معجم المقحفي، ١٧٤، تاريخ اليمن الثقافي ٧٨/١ أئمة اليمن، ٤٥/٢، والأئمان الباقية، ثمن الرونة، ثمن عيال مالك، ثمن صريف، ثمن ذي مرمر، ثمن رجام، ثمن الشرفة، ثمن الأبناء.

(4) سعوان: بلد ووادي في الشرق الشمالي من صنعاء بمسافة ٨ كم، يُطل عليه جبل نُقم من جنوبه، انظر، صفة، ١٥٥، غاية الأمان، ٦٥١/٢، الاكليل،

والحاج شريان بن حزام مرح، ومن صحبته من رجال أرحب، وبلاد البستان في حدّة، والمقدمي السيد صفي الإسلام، وقع مطرحة في بيت عذران، وسيف الإسلام محمد بن الإمام بمن معه من قبائل خولان، وسنحان في دار الحيد⁽¹⁾، حينئذ أجمع رأي العجم وأعوانهم على أن يخرجوا ثلاثة مخارج لقصد الإرهاب، وأخذ الحب الذي كان في قرية الجرداء للشيخ على البليلي.

وكان قد كتب المذكور إلى سنحان وبلاد الروس وبني بهلول، ما حاصله، أنكم إن لم تعقروا في باب المشير، وتطلبوا منه الأمان. وتطيعوا، فلا بد ينالكم العقاب الشديد، وقد برئت منكم الذمّة.

ثم إنّه في اليوم الثاني، خرج العجم من صنعاء قبل الفجر بالقوّة والسلاح والعدّة، التي لا تُغني شيئاً إذا انقضت المدّة، وكانت القبائل بعضهم في نُقم، وبعضهم في الجرداء، وما قرب منها جداً / وكانوا قد أرسلوا عيوناً لحراسة العدو، فنامت تلك العيون، فلم يستيقظوا إلاّ والعجم بهم محيطون، فأوقعوا بهم وجزوا رؤوسهم، ولم يُشعر من في قرية الجرداء إلاّ بأصوات المدافع قد وُجّهت إليهم.

وفي القرية المذكورة قدر خمس مئة رجل من سنحان وبلاد الروس، فتعاقدوا على الموت حين علموا أنّه لا محيد لهم عن البؤس، وإزهاق

١٠١/٢، معجم المقحفي، ٣١٥.

(1) دار الحيد: قرية بناحية بني مطر، بلاد البستان، ودار الحيد، قرية من سنحان، انظر، أئمة اليمن، ٤٩/٢، معجم المقحفي، ٢٠١.

النفوسِ ، فضرَبَت العَجْمُ سورَ القريةِ بالمدافعِ ، وأجمَعَ مَنْ في القريةِ أنهم لا يرمونهم إلا وقد قُربوا منهم . فلما أكثروا الرميَ بالمدافعِ ، ولم يسمعوا لأهلِ القريةِ حسًّا ، ظنَّوا أنه لم يبقَ فيها أحدٌ ، فهجموا عليها ، وكادوا أن يدخلوها ، فرماهم مَنْ في القريةِ أشدَّ الرميِّ فانهمزوا ، وقُتِل منهم خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ ، فرجعوا من حيثُ جاءوا ، وطفِقوا يرمون القريةَ بالمدافعِ من بُعدٍ . وقد كانوا رتبوا الجهاتِ التي ستُغيَّرُ منها العَرَبُ ، وجعلوا طائفةً منهم في قريةِ حمراءِ عَليَب^(١) ، وجعلوا مَنْ هنالك يرمون مَنْ في جروفِ نُقْمِ مِنَ العَرَبِ ، فهربوا مَنْ هنالك . وكلُّ مَنْ غارَ من العَرَبِ مِنْ أيِّ جهةٍ دافَعته العَجْمُ ، وحملتِ الخيالةُ ، فأحاطتْ بالقريةِ من جهةِ العَدَنِ مِنْ وراءِ الكَوْلَةِ السوداء^(٢) ، ومرأهمُ قبضُ مَنْ قُربَ إلى القريةِ . فلما أخذتِ العَجْمُ ما قابلها من السورِ هجموا على القريةِ المرَّةَ الثانيةَ ، حتى بلغوا إلى حيثُ بلغوا المرَّةَ الأولى ، فأطلقتْ عليهم العَرَبُ البنادقَ ، وناجزوهم بالرَّميِ الصادقِ ، فانهمزوا إلى حيثُ انهزموا أولاً ، وبقيت القتلى حولَ القريةِ ، لا يستطيعُ أحدٌ أن يبلغَ إليهم ، فلما رأى علي باشا أنه لم ينجعَ فيهم ما وقعَ ، جعلَ يُحرِّضُ أهلَ المدافعِ على الرَّمايةِ والعسكرِ على الهجومِ .

وأرسلَ طائفةً من العسكرِ فأحرقوا قريةَ القُلْفان^(٣) فحرقَ بعضها وجمعَ

(١) حمراءِ العَليَبِ : قرية من بلادِ سنحان في السفحِ الجنوبي من جبلِ نُقْمِ ، انظر ، تاريخ مدينة صنعاء ، ٥٦١ ، معجم المقحفي ، ١٩١ .

(٢) الكَوْلَةُ السوداء : أكمة جنوب الجرداء ، انظر ، صفحات مجهولة ، ٤١ .

(٣) القُلْفان : قرية صغيرة بالقرب من الجرداء من جهة المشرق ، انظر ، أئمة اليمن ،

العسكر، وعزم على الهجوم حتى قارب القرية، فرمتهم العرب حتى ردوهم
مكأنهم. وكان أهل قرية الجرداء لما أحسوا بخروج العجم، أخرجوا أطفالهم،
ولم يبق إلا من يقدر على الحرب، هكذا حكاه بعضهم.

وأخبرنا بعض من حضر الواقعة أن العجم لما هجموا دخلوا من باب
القرية فرماهم من في القرية رمياً شديداً حتى ردوهم. ثم هجموا المرة الثانية،
وحينئذ تناجى من في القرية، وقالوا: من أراد البقاء، فليخرج، ومن وطن
نفسه على الموت فليبق. فخرج منهم جماعة، فلما رأتهم العجم ظنوا أنهم
قد خرجوا الجميع. وقال رجل من أهل العبس⁽¹⁾: يا جماعة، أين الذين كانوا
يرمونها في كل ساعة، اليوم وقتها. فنزل الجميع إلى سور القرية، وجعلوا
يثبتون فيه المرامي والمتارس. فهجمت عليهم العجم، فأطلقوا عليهم البنادق
حتى انهزموا، وكان بهم ما كان من القتل، ثم هجموا المرة الثالثة كذلك،
وأما من كان حولهم من القبائل ففروا، وأيس الناس ممن في الجرداء لما
شاهدوا من الهجوم والمعدا. وأما سيف الإسلام، ومن معه من خولان،
فأقبلوا غائرين، وهم قدر اثنتي عشرة مئة.

وقد كانت العجم رتبت الأكام التي في طريقهم، فلما رأوهم غائرين
رموهم بالمدافع والبنادق، فما قدروا على الوصول، بل أنحبسوا مكأنهم،

(1) العبس: قرية وواد غربي بلاد الروس، ويصب الوادي في سهام بعد أن يلتقي مع
بقية مصبات أودية بلاد الروس في قرش آنس، انظر، الإكليل، ٤٥٠/٢، صفة جزيرة
العرب، ١٣٥، ١٨٢، طرفة الأصحاب، ٦٥، قرة العيون، ٣٠٢، معجم المقحفي،

وأقبل الحاج شريان مرح، رحمه الله، وصحبته جماعة غائرين من مطرح حدة، لما رأوا أنها قد تناهت على أهل الجرداء الشدة، فرماهم العجم بالمدافع والبنادق، فلم يرجع منهم كل صادق. بل حملوا حملة رجل واحد. حتى وصلوا إلى قرب من الجرداء، فلما رأتهم العجم وأحسوا منهم الصدق والثبات انهزموا أقبح هزيمة. ورجعوا صنعاء وقد ندموا / غاية الندم، وقُتِلَ ١١٥ منهم خلق كثير، وتركوا في الفلاة طعاماً للسباع والطيور، وأدخلوا معهم المكاوين. ولما دخلوا صنعاء عند الغروب خائبين فشلين، منعوا الناس عن النظر إلى المكاوين، خوفاً من شماتة الشامتين، وكان قدر المقاتل منهم مئة وخمسين، وقيل أكثر من ذلك، ومثلهم مجاريح.

ثم إن العجم لما رأوا ما نزل بهم وألم، استعدوا لنزول البلاء، وحسبوا أن الله قد كتب عليهم الجلاء. وطلبوا الطعام من أهل صنعاء الذين يدخرون الحبوب طوعاً وكرهاً. وخرجوا في بعض الأيام إلى مذبح^(١)، وصحبته السيد محمد الشويح ليدخلوا حياً من هنالك، كان قد اشتاطه لهم السيد محمد الشويح، فبكروا لذلك عند طلوع الفجر، ولم يشعر المجاهدون إلا وقد رجعوا فتبعوهم بالحرب. وكان قد تلقاهم جماعة من العسكر الذي في صنعاء: فطاب لهم المآب والرجع.

ثم إن العجم وأهل صنعاء كتبوا كتاباً إلى من في الروضة من المجاهدين؛ أنه لا ينبغي أن تكون الروضة ميداناً للحرب؛ لما في ذلك من

(١) مذبح: بلدة من بني الحارث في الغرب الشمالي من صنعاء بمسافة ٣ كم في الطريق إلى ضلع همدان، انظر، معجم المقحفي، ٥٧٦.

ترويع النساءِ والصبيانِ ومنَ ليسَ له ذنبٌ: فعِينُوا أَي موضعٍ شتمَ يكونُ فيه تلاقي الفرسانِ. فأجابَ عليهم المجاهدون: إنَّ الخيرةَ إليكم في هذا الشأنِ. فاتَّفَقوا على الخروجِ إلى جبلِ قُرْعَةَ (١)، وكانت فيهِ وقعةٌ وأَيُّ وقعةٍ، وهي وقعةُ الجرافِ.

ذِكْرُ وَقْعَةِ الْجِرَافِ (٢)

وصفْتُها: أنها خرجت العجمُ من صنعاءَ يومَ الإثنين، وربَّوا طريقَ الجرافِ، ليصعدوا إلى جبلِ قُرْعَةَ بمدافعِهِم، وجعلوا يرمونَ إلى الجرافِ، وفيه السيّدُ الجمالي عليُّ بنُ صلاحٍ [وهو] (١) المقدمي (٢)، وصحبته جماعةٌ من أَرْحَبَ وهَمْدَانَ، فلمْ تؤثرِ المدافعُ إلَّا تأثيراً يسيراً، وأقبلتِ الغارةُ من بني حشيشٍ، فجعلوا يرمونهم بالمدافعِ إلى جبلِ الحشيشية (٣) فتحيروا هنالك. وما زال سيدي عبدالله بنُ المتوكل، وسيدي يوسفُ بنُ غالبٍ ومن معهما من أهلِ البنادقِ الشاشخان (٣) يرمون العجمَ. ولم تزلِ الغاراتُ تتلاحقُ، وكلَّما

(١) جبل قُرْعَةَ: فوق وادي الحربي، المعروف عند أهل الجراف، انظر، حوليات يمانية، ٤٢٩.

(٢) الجراف: قرية جنوبي روضة حاتم تتوسط بين صنعاء (المدينة القديمة)، والروضة، أصبحت اليوم جزءاً من العاصمة صنعاء، انظر، اليمن الكبرى، ٧٤، صفحات مجهولة، ٣٦، طبق الحلوى، ١١٩.

(٣) الشاشخان (الشيخشان): نوع من البنادق تبلغ في مرماها ضعف البنادق العربية، والمرت: بندق عرفتها اليمن سنة ١٣٠٩هـ، تبلغ في مرماها ضعف الشاشخان انظر، حوليات يمانية، ٤٢٨.

(١) الإضافة من ع.

(٢) في أ، م، مقدمي.

(٣) في أ، الحشيشة.

وصلت تحت الجراف تحيرت خوفاً من المدافع .

ثم إن جماعة من همدان وغيرهم شمروا الهمة، وزحفوا نحو العدو، فصعدوا أكمةً سوداءً غربي ذلك الجبل، كانت قد طرحت فيها العجم حتى هزمهم عنها وصعدوها، ثم صاروا يرمون إلى رأس الجبل، فأصابت طوبجى⁽¹⁾ المدفع رصاصةً كان فيها حنفة. وأقبلت غارةً من حدة، فلما عرف العجم إقبال الغارات وقد قتل الطوبجى، انهزموا، ونزلوا عن الجبل، وقد ظهر عليهم الرعب والوجل. فأقبل إليهم المجاهدون من كل جانب، فأظهر العجم الهزيمة خداعاً كما هي عادتهم المستديمة، فتبعهم المجاهدون. ثم إن العجم عطفوا وثار الحرب العظيم. وصبر الفريقان، كل طائفة من الأخرى. وقُتل منهم جماعة، وكان العجم قد رتبوا بيت الطوقي⁽¹⁾ والنوبة⁽²⁾ التي قريب البئر الجديد، ولم يعلم المجاهدون بذلك لأنهم كانوا قد قالوا لأهل⁽³⁾ بيت الطوقي أن يرتبوا محلهم. فقالوا: لا نقبل منكم عسكرياً ولا من العجم، فظنوا صدقهم، فلما أرادوا أن يخلفوا للعجم من جهة الشرق

(1) طوبجى المدفع: ضارب المدفع

(2) بيت الطوقي: بوادي شعوب على نحو نصف ساعة شمالاً من صنعاء، انظر أئمة اليمن، ٩/٢.

(3) النوبة: مكان يخصص للقتال من داخله وهو مبنى مدور من طين يتخذ على الاسطواني للتحصين والدفاع، ويوضع في الجوانب خروق للرمية منها، بحيث لا يستطيع من في الخارج أن يرمي عليها، لأنها تكون ملتوية من الداخل، تسمى بالعامية مواشق، انظر، صفحات مجهولة، ٤٢.

(١) في ع، لبيت الطوقي.

ليقطعوا عليهم الطريق التي إلى صنعاء، رماهم الذين في بيت الطوقى وفي النوبة من العجم، واستشهد من المجاهدين ثلاثة، منهم: الشيخ أحمد بن يحيى دهره، رحمه الله. فانحاز المجاهدون راجعين، وانهزمت العجم إلى صنعاء فارين، فتلقتهم غارة بلاد البستان، فرمواهم، فقتلوا منهم جماعة.

ثم بعد ذلك^(١) دخلوا المدينة في تلك الساعة، واستشهد من / المجاهدين في تلك الواقعة (انحو العشرين^(١))، ومن العجم كثير غير محصورين.

ولما رجع العجم إلى صنعاء، وقد ضاقت بهم الأرض ذرعاً، وخالطهم الرعب الظاهر، أمروا أهلها بأن يحرسوا كل ليلة في الدوائر، ومن لم يحرس كان عليه الجزاء والأدب. ومن الغرائب^(٣)؛ أن رجلاً من المجاهدين الصادقين، جعل له حفرة في أسفل جبل نقم، فوق القصر، وكان يدخل في تلك الحفرة بعد الفجر إلى الليل، ويرمي العجم إلى داخل القصر، وكان إذا رمى خرج من الحفرة، وترك بعض ثيابه في تلك الحفرة، فيرميها العجم بالمدافع. ثم يرجع إلى الحفرة ويرميهم كذلك حتى أضرب بهم، وقتل منهم نحواً من خمسة وعشرين، حتى حصلت فيهم النكاية. وكان مؤيداً بالنصر، كلما رمى رصاصة وقعت على لحم.

وفي بعض الأيام رماه طوبجى المدفع، ففهم ذلك قبل أن يرمي

(١) انظر أئمة اليمن، ٤٤/٢ «وفيه أن لقبه المعتكف».

(١) الإضافة من ع، م.

الطوبجي، ونصب ثوباً في الحفرة، واختبأ في حفرة أخرى، فرماه الطوبجي، فلما وقعت الرصاصة في الأرض نصب الرجل رجله، واستلقى على ظهره، كأنه قد أصيب، فلما رآه الطوبجي سرّ بذلك، وأخذ الناظر وجعل ينظره، فمدّ الرجل البندق من بين أصابع رجله ورمى الطوبجي، فأصابه في وجهه، فقتله.

ومن العجائب، أنه لم يُعلم من هذا الرجل، مع أنه قد أراد بعض المجاهدين الوصول إليه ليعرف من هو، فلما وصل إليه هرب منه، ولم يُطع له على خبر إلى حدّ التاريخ، حتى سمعنا من بعض العوام أنه من صالحى الجن، والله أعلم.

ولقد سمعت من يحدث عن عليّ البليلى أن الرجل المذكور أترّ فيهم تأثيراً عظيماً، وسمعت من الامام عليه السلام، أنه لم يعلم من الرجل، ولعله من المجاهدين المخلصين تقبل الله منه.

ثم إنه اشتدّ على العجم الحصار، وظهر عليه الذلّ والصغار، وفرقوا المدافع في النوب التي في الدوائر، ودارت عليهم الدوائر.

ومما اتفق أنه في بعض الأيام، خرج جماعة من العجم والضبطية⁽¹⁾ يجرون مدفعاً ليرموا به، ففرح من قفاه، وقتل اثني عشر رجلاً.

ثم إن أهل صنعاء ما زالوا يُخرجون منها في كل يوم إرسالاً، بعضهم

(1) الضبطية: نسبة إلى فرق الضبطية التي كونها العثمانيون من أبناء البلاد، وتشبه مهمتها مهام الشرطة حالياً. انظر، وثائق يمنية، ١٩٥.

على أثر بعض .

وفي هذه المدة خرجت العجم أيضاً وقت الظهر، وقد اشتدت عليهم، فالتقاهم المجاهدون بالحرب حتى ردوهم إلى صنعاء، واستشهد حينئذ من المجاهدين ثلاثة، وقتل من العجم أربعة.

وفي اليوم الثاني، خرجت العجم يقصدون الغنم، فوقع الحرب بينهم وبين سنحان، من الصبح إلى العصر.

وفي وقت العصر غارت جماعة من مطرح الروضة، فتقاتلوا هم والعجم حتى ردوهم من نقم إلى صنعاء. وكان دخولهم من المشهد⁽¹⁾، وصار الذين في صنعاء يرمون من الصوامع⁽²⁾ ومن الدوائر⁽³⁾ عند رجوعهم. ولما اجتازوا عند ماجل الدمة⁽⁴⁾ - وكانوا يفرون من بين القبور - حتى وصلت الرصاص إلى باب اليمن⁽⁵⁾. واستشهد من المجاهدين قدر سبعة، وقتل من العجم عشرة، فحينئذ خالط العجم الوهن الأعظم. حتى إنه أخبرني من أثق به من العلماء

(1) المشهد: مصلى العيد في جهة قروة وهي حارة من ظاهر شعوب بصنعاء تنسب إلى المسجد الكائن بها، انظر، مذكرات المؤيد بالله محمد بن اسماعيل، ٤٤.

(2) الصوامع: الأماكن العالية، مفردا صومعة.

(3) الدوائر، ج دوار في الحارات أو مكان تجمع الدور، الحي.

(4) ماجل الدمة: الماجل في اللغة البركة الكبيرة، وهو كل ماء في أصل جبل أو واد، وماجل الدمة، بجوار مقبرة صنعاء الشرقية وعلى مقربة منها آكام الزيب، انظر، رياض الرياحين، ١١٩.

(5) باب اليمن: هو الباب الجنوبي لمدينة صنعاء القديمة، وهو من المعالم الهامة التي تبرز روعة الفن المعماري، انظر، طبق الحلوى، ٩٩.

الأعلام ، أنه سمع الشيخ عليّ البليلي يقول: لو دخل المجاهدون في تلك الحملة لأخذوا المدينة على الجملة، لما أصابهم من شدة الوهن والرعب^(١). وفي هذه الفتوح يقول القاضي حسين بن أحمد العرشي، شعراً:

[البيسط]

اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ الْفَتْحُ وَأَقْتَرَبَا
لَمَّا رَأَيْتُ سَيْوْفَ الْحَقِّ مُضَلَّتَةً
مُحِيطَةً بِبُغَاةِ طَالَ مَا عَمِيَتْ
وَأَلْزَمَتْ كُلَّ مَنْ يَدْعُو أَسْنَتَهَا
وَقَدْ رَأَيْتُ خِيُولَ اللَّهِ صَاهِلَةً
تَمُرُّ وَهِيَ إِلَى الْأَوْطَارِ قَدْ بَسَطَتْ
/ وَقَدْ رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ
وَخَيْرَ أَهْلِ ذَوِي الْغَايَاتِ كُلِّهِمْ
مُحَمَّدَ بْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَا أَل
أَفْتَى الْبَرِيَّةِ مَحْمُوداً وَأَجُودَهَا
قَوْمٌ تَفَرَّدَ بِالْعَلِيَاءِ فَانْفَرَدَتْ
وَأَمْرٌ لَوْ رَأَاهُ الْأَمْرُونَ لَهُ
وَالْجَرْدُ تَهْوِي إِلَى الْأَعْدَاءِ قَدْ كَشَفَتْ
وَالْأَسَدُ تَزَارُّ إِذْ وَافَتْ فَرَائِسَهَا

وَاسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِنْ غِيظِ الَّذِي وَهَبَا
جَدِيرَةً أَنْ تُؤَدِّيَ كُلَّ مَا وَجَبَا
أَبْصَارُهَا فَتَعَامَتْ وَاعْتَدَتْ نَكْبًا
أَنْ يَضْرِبَ الْعَصَبَ الْمَشْتَبَّ وَالْعَضْبَا
مُغِيرَةً تَتَهَادَى نَحْوَهُمْ سَرَبَا
وَالسُّمُّ مِنْ مَنَخَرَيْهَا يَقْدِفُ الْعَطْبَا
عَبَا لِحَرْبِهِمْ مِنْ حِزْبِهِ النَّجْبَا ١١٦
مِشَاعِرًا وَأَجَلَّ الْعَالَمِينَ أَبَا
هَيْجَا إِذَا أَضْمَرَتْ فِي سِرِّهَا نَصْبَا
جُودًا وَأَكْرَمَهَا بِالْمَكْرُمَاتِ حَبَا
إِلَيْهِ طَالَعَةٌ لَا تَبْتَغِي سَبَبَا
وَقَدْ تَبَسَّمَ حِينَ اللَّيْثُ قَدْ غَضِبَا
عَنْ وَجْهِهَا بَرَقَ التَّحْسِينُ وَالْعَتْبَا
وَكُلُّ مَا عَمَّرْتَهُ الْعُجْمُ قَدْ خَرِبَا

(١) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ٤٥/٢.

(١) في م، والرهب.

وصارع فوق مَضْرُوعٍ يُجَدِّلُهُ
يَرْمِي العُدَاةَ بِجَيْشٍ لَا يِنَازِلُهُ
وَكُلُّ مَا بَانَ مِنْ أَعْدَائِهِ عَلَّمَ
أَكْرَمُ بِهِ مِنْ حَسَامٍ قَاطِعٍ ذَكَرَ
يَشْتَأِقُ لِقَا عُدَاةِ الدِّينِ بَارِزَةً
حَتَّى كَأَنَّ عَلَيْهِ العُجْمُ رَاضِيَةً
ومنها:

وذا الذي كَانَ جَبْرِيلُ الأَمِينُ يَرَاهُ
وَالفِرْعُ مِنْ أَصْلِهِ المَوْصُوفِ مَنْبُتُهُ
ومنها:

وقد رأيتك أهلاً أن أقول له
من خير أصل له الآيات شاهدة
وفي هذه المدة، وجه الإمام - عليه السلام - السيد محمد بن محمد
المطاع إلى مدينة ذمار ويزيم (1) لقبض ما في خزائن العجم من البنادق
الشاشخان والمونة لا غير، فأنعموا له بالتسليم.

وقد كان أهل المدينتين كتبوا إلى سيف الإسلام لتحصيل ذلك المرام،

(1) يزيم: مدينة تقع إلى الجنوب من مدينة ذمار والمنطقة المحيطة بها تسمى باسمها، تتبع إدارياً محافظة إب، تبعد عن ذمار بمسافة ٤٠ كم، في سفح جبل يصبح انظر، صفة جزيرة العرب ١٣٢، طبق الحلوى، ٦٨، الاكليل، ١٩/٢، تاريخ اليمن الثقافي، ١٠١/١، اليمن الكبرى، ٤٥، معالم الآثار، ٩٧، صفحات مجهولة، ٢١، معجم المقحفي، ٧١٠.

فلما وصل السيد محمد إلى دَمَار تلقاه أهلها بأهبةٍ تُهَيِّلُ العقولَ والأبصارَ، فقبضَ ما هنالك مِنَ البنادقِ، وأرسلَ إلى يريمَ مَنْ يقبضُ ما فيها، فقبضوا جميعَ ذلك.

/ وكانَ جملةُ المأخوذِ مِنَ البنادقِ الشاشخانِ ثلاثةً وسبعينَ قصبَةً، واثنى عشرَ بقلعةً وفرساً، وبقيَ المأمورونَ من طَرَفِ العَجَمِ في المدينتينِ: يَريمَ وذمارَ، حتى أرسلَ لهم الإمامُ - حفظَهُ اللهُ كما ستأتي به الأخبارُ.

وفي هذه المدةِ كتبَ أهلُ مدينةِ يَريمَ وذَمَارَ وبلادَهُما مِنَ المشايخِ الكبارِ إلى الإمامِ - عليه السلامُ - بالبيعةِ، وأن يرسلَ العَمَالَ لِيُقيموا شَرَعَ ذِي الجلالِ. وكانَ المَعْرِفُ إليه مِنَ المشايخِ والرعيةِ أُولو الكمالِ، خوفاً من ثورانِ العامةِ والأندالِ؛ لأنَّ العامَّةَ لما سمعوا بحصارِ مدينةِ صنعاءَ، طارتْ قلوبُهُم فَرَحاً واشتياقاً إلى رُفَعِ دولةِ العجمِ، وطَمَسَ اسمَ مَنْ بغى وظَلَمَ، حتى أنَّ الرعيةَ هَمَّتْ بالبَطْشِ فِي المشايخِ، وهَدَمَ رِكنَ جَوْرِهِم الراسخِ. وكانَ الحَقِيرُ مَمَّنْ حَثَّ النَّاسَ عَلَى الطاعةِ، والدخولِ فِي بيعةِ الجماعةِ فأذعنوا لذلكِ، وسارعوا إلى الدَّخولِ فِي أَوْضحِ المسالكِ. أما الرعيةُ منهمُ صادقونَ فيما يَدْعونَ، وأما المشايخُ وأعوانُ العَجَمِ، فإنَّهُم يُبْطِنونَ خِلافَ ما يُظْهِرونَ. ولقد نَزَلَ بِهِم مِنَ البلاءِ والخوفِ ما لا يَصِفُهُ الواصفونَ. وحينَ أَجمَعَ أَهلُ بلادِ يَريمَ على مبايعةِ هذا الإمامِ الكَريمِ، أمرني أن أكتبَ البيعةَ إلى حَضرةِ الإمامِ، عليه أَفضَلُ الصلوةِ والتسليمِ، مصحوبةً بأبياتٍ فيها التهنئةُ بتلكِ الفتحِ، التي بروقِ السعادةِ من جوانبها تلوحُ. وهي هذه (1):

[الطويل]

(1) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ٤٨/٢.

[الطويل]

بفتح به سُرْتُ جميعَ العوالمِ
وفخرٍ سيقى ذِكْرُهُ في المواسمِ
وقد ولَّتِ الأدبارَ جندُ الأعاجمِ
وقُمتَ بأمرِ اللهِ قومةَ حازمِ
فكلُّهُمْ لاقى شِفَارَ الصُّورِمِ
رؤوسِ الأعادي لا كغيثِ الغمامِ
طعاماً لغيرانِ الهوا والقشاعِمِ
وما اجترموا في سالفٍ من جرائمِ
هُمْ وَسَعُوا في الناسِ طُرُقَ المظالمِ
هُمْ فَعَلُوا فيها جميعَ المآثمِ
بحينِ استحلَّ التركُ كلَّ المحارِمِ
وبالطَّعنِ رَوَى رُمَحَهُ غيرَ راجِمِ
وَجَدَّدَتْ مِنْهُ دَارِسَاتِ المعالمِ
كطيفِ خيالٍ أو كاضغاثِ حالمِ
وهلْ بعدَ هذا مِنْ مقالٍ لناظِمِ
هنياً بما أولَّيته من مكارِمِ
وأنصارِكَ الغرُّ ليوثِ الملاحِمِ
وحاشدُ حيوا من رجالِ أكارِمِ
مساغيرُ حربٍ لم يدينوا لظالمِ
إليها كإِرسالِ اللُّيُوثِ الضراغمِ

أهنيك يا ابنَ الطُّهْرِ من آلِ هاشمِ
ومجدٍ أثيلٍ ليس يُدْرِكُ شأوُهُ
لَقَدْ جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ كلُّهُ
نَصْرَتَ كتابِ اللهِ يا ابنَ رُسولِهِ
وَدَوَّخَتِ أَهْلَ الجورِ والفِسقِ والخنا
إذا نشأت في حربك السَّحْبُ أمْطَرَتِ
فقد أصبحَ الأعداءُ في كلِّ مَنْهَلِ
جزاءٍ وفاقاً عَن خبيثِ فَعالِهِمِ
هُمْ ضَيَعُوا دينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
هُمْ رَكِبُوا كلَّ الفواحشِ جَهْرَةً
وقد كاذَ هذا الدينُ ينهدُّ رُكنُهُ
ومَنْ عَرَفَ الأتراكَ معرفتي بهمِ
فأحييتَ فينا يا ابنَ يحيى رسومَهُ
وأصبحتِ الأعداءُ في كلِّ بلدةٍ ١١٧
فهلْ بعدَ هذا من فخارٍ وسؤددِ
فقلْ لأميرِ المؤمنينِ مهنيّاً
عليك صلاةُ اللهِ ثم سلامُهُ
فاللهِ هَمْدانٌ واللهِ أرحبُ
ويا جَبداً أولادُ كهلانِ جُملةً
رجالاً متى يُدْعَوُا إلى الحربِ يرقلوا(1)

(1) | أزلت القوم إلى الحرب إزقلاً، إذا اسرعوا، قال النابغة:

هُمُ نَصَرُوا قَدْماً عَلِيّاً وَهَكَذَا
 وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ
 سَلُّوا عَنْهُمْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا
 هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ إِنْ كُنْتَ جَاهِلاً
 الْيَكُ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - قَصِيدَةٌ
 وَلَا زِلْتَ مَنْصُوراً لِرَبِّكَ نَاصِراً
 بِنُوءٍ جَمِيعاً قَائِماً بَعْدَ قَائِمٍ
 بِهِنُ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْجَمَاجِمِ
 تُخَبِّرُكَ الرُّكْبَانَ مِنْ كُلِّ قَادِمٍ
 فَسَلْ عَنْهُمْ صِنْعاً وَمَنْ فِي التَّهَائِمِ
 وَجُهِدْ مَقَلَّ فَاقْبِلُوا قَوْلَ خَادِمٍ
 وَغَوَّثَ ذَوِي^(١) الشُّكُوى وَرَغِمَ الْمَرَاعِمِ

ثم إن الامام، حفظه الله، بعد وصول المكاتبة^(٢) إليه بطلب العامل، أرسل السيد الماجد، عز الإسلام محمد بن يحيى بن الهادي، عاملاً على بلاد يريم، فتلقته مشايخ البلاد إلى مدينة دمار.

ولما وصل مدينة يريم رحبت به الدار، وأيقنت الرعية أنها قد طلعت شمس الفرح المحمدية، فاذعنت له كل الإذعان، وكان ما كان.

ثم بعد وصوله بمدة تقوت نية الحقيق، راقم هذا التسطير، بعد استخارة الملك القدير على شد الرحال، إلى مقام نجم الآل، وقثم الكمال، مقام الرجال، والإمام الذي لا يُصاب له شكل ولا مثال، فأخذت الإذن من العامل، وعزمت على بركة الله تعالى، والاشتياق يسوق حثيثاً، وعناق الركائب تقول هات حديثاً. فلما وصلنا إلى حدة، بلغنا من الأخبار ما فيه أعظم الشدة، وهي: أن صفياً الإسلام، السيد الماجد، أحمد بن محمد

(١) في م، لذوي.

(٢) في أ، المكاتب.

الشرعي (1) قد وافاه الحِمَامُ شهيداً، يُرَزِّقُ عندَ رَبِّهِ الملكِ العَلامِ.

ويلغَ أيضاً خبراً آخرُ، وهو أن العَجَمَ قد خرجتْ غارتهم، وقد وصلَ أوائلهم سوقَ حُمَيْسَ مذيورِ صحبةِ أحمدَ فيضي، فصارَ الناسُ من تلكَ الأخبارِ في حَيْصَ بَيْصَ.

وفي صبحِ تلكَ الليلةِ، توجَّهنا من حدَّةٍ حتى وصلنا تحتَ نقيـلِ عَصْرُ⁽²⁾، وإذا النذيرُ العريانُ يخبرُ بأنَّ العَجَمَ على أثرِهِ / قاصدينِ صنعاءَ، فقطعنا الطريقَ عَرْضاً حتى وصلنا قريةَ القابلِ. ثم إنَّ القبائلَ الذين كانوا محاصرينِ لصنعاءَ تلقَّوا أحمدَ فيضي بالحربِ، وأصدقوا الجِلاذَ والضربَ، وكانَ أحمدَ فيضي قد ألزَمَ الطوبجيةَ بأنَّ يتابعوا الرميَ بالمدافعِ ليلاً ونهاراً، وفي كلِّ ساعةٍ خشيةً أن ينامَ (1) العسكرُ، لأنَّهم قد كانوا سهروا في اللَّيالي

= إذا استنزلوا عنهن للطننِ أرقلوا إلى الموتِ إرقالِ الجمالِ المصاعبِ
انظر مادة رَقَل في لسان العرب.

(1) أحمد بن محمد الشرعي الحسيني، ينتهي نسبه إلى الإمام المتوكل على الله، المحسن بن أحمد، اثر قتله لرجل من صنعاء اسرته الأتراك ١٢٨٩هـ، وارسلته إلى الحديدية وبقي في مركب من المراكب البحرية، وحج إلى مكة، ومنها هرب إلى طرف الامام المنصور بالله. مقدم، شجاع، روى عنه أنه كان يحرض الناس على القتال قبل موته بساعة إثر اصابته برصاصة في صدره ويقول «رتبوا أموركم، وأصلحوا قلوبكم وصدوركم، ولا تأمنوا العدو ولا تحقروه، ان مكر الأعداء لا يؤمن وإن قليلهم لا يحقر» انظر، أئمة اليمن، ٤٦/٢، نزهة النظر، ١٥٤.

(2) نُقيل عَصْرُ: جبل يطل على صنعاء من غربيها، وتحت الجبل من الجهة الشرقية قريباً =

(١) ينام.

السابقة كثيراً. ولم يزل الحرب بين العرب والعجم، حتى دخل أحمد فيضي صنعاء.

ولقد سمعنا من المدافع والبنادق، ما هو أشد من الرعد القاصف وأصوات الصواعق. ثم إننا عزمنا في اليوم الثالث نحو ذيفان، ولحقنا الخبر بأنها قد افتشلت العرب وكان وكان، وسيأتي تفصيل هذا، والحديث ذو شجون.

ولما وصلنا حضرته السعيدة، وفاكهنا بأخلاقه الحميدة المجيدة، وتأملنا قوة آرائه السديدة، وتدابيره الرشيدة. وسمعنا من دُرر ألفاظه في مذاكرة العلوم فرائد مفيدة، ولاح لنا أنه أوحّد الرجال، وفريد أهل الكمال، ونعمة الله في هذا الزمن، ورحمة الله على أهل اليمن، ولقد وقع حبه من حينئذ في قلبي، وصادفه فارغاً فتمكّن.

وقال قطني وحسبي: [الطويل]

وهل يستوي ودُّ المُقلِّدِ والذي له حجّة في ودّه ودلائل
وحين أرسل الإمام، عليه السلام، العمّال إلى البلاد، أرسل القاضي

= عَصْرُ السفلى والعليا انظر، الإكليل، ١٠٨/٨، صفحات مجهولة، ٢٣، قرة العيون، ٤١٧، رياض الرياحين، ١٧٨، والنقييل: الطريق المسلوكة صعوداً في الجبل بلغة اليمن، وعَصْرُ، اسم لقريتين غربي صنعاء ومن منتزهاتها وفيها الغيول والأشجار، وهي في سفح الجبل الغربي الممتد من عيبان ومن رأسه الطريق إلى الحديدية.

العلامة سعد بن محمد الشرقي عاملاً على بلاد أنس، والسيد الجمالي^(١) علي بن محمد المطاع عاملاً على بلاد ذمار، والسيد العلامة شرف الإسلام حسين بن إسماعيل الشامي عاملاً على بلاد إب^(٢)، والسيد حسين بن يحيى الشامي على بلاد قعطبة^(٣). فلما بلغ كل واحد منهم إلى محل عمله تلقته الرعايا بالترحيب والتسهيل والتعظيم والإجلال، فصلحت لهم الأحوال، ورحبت بهم المنازل والأطلال، وقبضوا على من كان فيها من عمال العجم. ووجه الإمام، عليه السلام، سيدي^(٤)، السيد يوسف بن غالب عاملاً على الروضة، فوصل هنالك بجمع كثير. ودخل بيت الشيخ علي البليلي.

وفي يوم الثلاثاء^(٥) الرابع من شهر صفر، ضاق الخناق بمن في صنعاء من العجم، وكاد أن ينفذ عليهم الزاد، وعلف الدواب فخرجوا إلى قاع صنعاء ليأخذوا من الزرع هنالك ما يحصل به لهم ولدوابهم الانتفاع، فتلقاهم المجاهدون واقتتلوا قتالاً شديداً حتى اختلط بعضهم ببعض،

(١) إب: مدينة عامرة، تبعد عن صنعاء ٢٠٠ كم جنوباً غرباً، في رأس ربوة متصلة بجبال بَعدان، انظر: معجم البلدان، ٦٤/١، مرصد الاطلاع، ١٠/١، تاريخ مدينة صنعاء، ٦١٧، الفضل المزيدي لابن الديبع، وتحقيق صالحية، ٢٥١، معجم المقحفي، ٧٢٦، معجم البلدان اليمانية للأكوع، ١١٥.

(٢) قعطبة: مدينة بالشرق الجنوبي من إب بمسافة ٦٢ كم، عمّرت على أنقاض مدينة جيشان، انظر، أئمة اليمن، ٣٧٨/٢، معجم المقحفي، ٥٢٠، طبق الحلوى، ٨٤، مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، ٢٠٠.

(١) سقطت من ع، م.

(٣) في أ، م الثلوث.

(٢) سقطت من ع، م.

فانهزمت العجم، وقد أخذوا شيئاً مما خرجوا لأجله. وقُتِلَ منهم نيفٌ وعشرون، واستشهد من المجاهدين سبعةً أنفاسٍ منهم: الشيخ صالح بن حسين الكلبي من مشايخ الحداء، وحينئذٍ اشتدت الأزمة على العجم، ولم يجدوا ملجأً مما قد ألم. فما أغنت عنهم المدافع، وإذا جاء أمر الله فليس له من مدافع.

ولقد أخبرني الثقة أنهم كانوا يرمون بالمدافع، فيتلقف المجاهدون الرصاص، فتصل إليهم، وتقرح بينهم ولا تضر أحداً / ويأخذون ما فيها من الرصاص.

ولما اشتد الحصار على أهل صنعاء خرجوا منها أرسالاً، إلا أنهم وجدوا من سفهاء العسكر شدةً ونكالا، فصاروا ينهبون الداخل والخارج من صنعاء، فما أحسنوا في ذلك صنعاء، وإنما أمرهم الإمام بمحاصرة العجم وأعوانهم اللثام، فتعدوا إلى ما ليس من شأنهم، ثم إنه لم يبق للترك معاون ولا متابع في جميع البلاد إلا شعوب بيت معياد.

وفي مدة الحصار أرسل سيف الإسلام محمد بن الإمام للقاضي عبدالرحمن المجاهد، وكان قد أُسِرَ في عرّ الحيمة قاضياً للعجم، فلما وصل إليه حبسه في بيت حاضر^(١)، ثم بعد مدة أرسل به إلى الإمام عليه السلام، وكان قد طلب أقاربه أن يفتدوه^(١) بثلاث مئة ريال.

(١) بيت حاضر: قرية في وادي الأجبار (وادي التناعم سابقاً) من بلاد سنحان، انظر، معالم الآثار، ٤٢، معجم الحجري، بيت حاضر، مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، ٨٥، معجم المقحفى، ١٤٥.

(١) في ع، يفتدوه.

فلم يساعدهم على ذلك الحال، فلما بلغ به حضرة الإمام، لم نشك أنها القاضية المؤدية إلى الحجام. وكان معه ابن له صغير، فحين واجهته الإمام، حفظه الله، تلقاه بالإجلال والإكرام، ولم يعامله بما يستحقه من الإهانة والإعدام، بل كساه وأعطاه شيئاً من الحطام، تأنيساً له ولغيره من أهل الإجماع، وصَفَحَ وعفا كما هو دأبه ودأب آبائه الكرام، عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولما سكن جأشه وزال استيحاشه، جعل له أمراً على الطويلة (1) لإصلاح أمرها، وضاعف له النفقة، وأركبته بغلة، وأصبح معه عسكرياً. ولما بلغ ثلاً (2) أظهر الكامن، ونادى على نفسه أنه خائن، وانخذه راجعاً إلى طائفة العجم. ولما رأى ذلك بعض العسكر الذين أصبحهم الإمام معه، نجا بنفسه وبالغلة، ووصل بها حضرة الإمام - عليه السلام - ووصف له ما جرى من عدو الله من نكث العهد. وجحد النعمة، وذلك من القبيح عند كل أمة. لا يُقدِّم عليه إلا الأسافل ولا يتفياً ظلاله إلا الأراذل.

ومن قبيح فعله أيضاً، أنه أخذ الرأي المختوم بختم الإمام، ومحا

(1) الطويلة: مدينة بالغرب من كوكبان بمسافة ٢٥ كم، في سفح جبل القرائع، بها مركز قضاء الطويلة المطل على بلاد المحويت من الغرب وإلى الجنوب على بلاد حراز والحيمة أنظر، صفحات مجهولة، ٧٢، اليمن الكبرى، ٦٣، معجم المقحفي، ٤٠٦، طبق الحلوى، ٢٠١.

(2) ثلاً: تبعد ٤٥ كم شمال غرب صنعاء، مطلة من الجنوب على شِباب كوكبان وحَبَابَة، انظر اليمن الكبرى، ٦٥، نشر العرف، ١٥٩/١، صفة جزيرة العرب، ١١٢، الاكليل، ١٠٨/٢.

الكتابة بالإسفنجة، وهي شيء كالليفة لا يبقى للمداد معها أثر. وكتب موضع
الكتب تحت الختم، يُسَلَّم الولدُ أحمدُ بنُ محمد العازري إلى الواصل بهذا
كذا وكذا. ثم ما زالَ بعدَ ذلك يُشاغِلُ الشيعة^(١)، فالله يعاملُهُ بأفعاله القبيحةِ
الشيعة.

وقعة وادي علي (2) :

وفي هذه المدة كانت وقعة وادي علي في الحيمة.

وصفة ذلك : أن العجم أرادوا أن يقصدوا الحيمة الداخلية، وكان الإمام،
عليه السلام، قد وجه إليها مقدمياً: السيد عز الإسلام، محمد بن أحمد
الشامي، فلما قصدها الأعاجم تلقاهم الشيخ يحيى قطيع في رجال من
جماعته أهل الحيمة الداخلية، واشتد بينهم الحرب، ثم إنه وقع مطر،
فطفت فتائل بنادق المجاهدين، وبنادق العجم لا يضرها المطر، فما زالوا
يرمون المجاهدين / حتى كادوا أن ينهزموا، فأمدتهم السيد الهمام محمد بن
أحمد الشامي بمن معه من العساكر، فانهزمت العجم إلى حصن العجز ورجع
العرب، وقد دخل في قلوب العجم الوهن والرهب، فعزموا من فورهم
مناخة، ولم تعلم العرب بذلك.

(١) الشيعة: الزيدية يعتبرون أنفسهم زبدة الشيعة لاعتصامهم بالصحيح من مذاهب
العترة المشفوعة بالبرهان المنهي إلى العلم اليقين، انظر السيرة المنصورية لأبي
فراس بن دعثم، ٥٤٦/٢.

(2) وادي حمام علي: في آنس جنوب ضوران بمسافة ١٠ كم، به ينابيع مياه معدنية فوارة
انظر اليمن الكبرى، ٥٩، ١٤٤، ١٤٥، هذه هي اليمن، ٧٧/٥، معجم المقحفي،
١٩٠، رياض الرياحين، ٥٦.

فلَمَّا وصلوا إلى مَنَاخَةَ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَتَّبِعْهُمْ، رَجَعُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ إِلَى مَرَاتِبِهِمْ، فَوَجَدُوهَا خَالِيَةً، وَقُتِلَ مِنْ الْعَجْمِ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ ثَلَاثُونَ رَجُلًا وَمِنْ الْمَجَاهِدِينَ خَمْسَةٌ رَجُلًا.

ثم إنَّ المَقْدَمِيَّ المذكورَ أرسلَ السيدَ أحمدَ بنَ محمدِ الحديري إلى جبلِ عانز (1) وأمرَهُ أَنْ يَشُنَّ الْغَارَاتِ وَيَقْطَعَ الطَّرِيقَاتِ. فلَمَّا وصلَ السيدُ أحمدُ إلى الجبلِ المذكورِ جمعَ أربعينَ رجلاً من بني القلَّام، ومن أصحابِ الشيخِ عليِّ بنِ صالحِ الهروي، فوقفَ بهم في الطريقِ ليقطعها على مَنْ في حصنِ ابنِ مهدي (2)، فخرجتْ عليهم العَجْمُ مِنْ ذَلِكَ الْحِصْنِ حَتَّى بَلَغَتْ واديَ المحلَّاءِ، وخرجَ السيدُ المذكورُ بِمَنْ مَعَهُ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمُ الْحَرْبُ مِنَ السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ فِي النَّهَارِ إِلَى الْعِشَاءِ، وَرَجَعَتِ الْأَعَاجِمُ مِنْهَزِمِينَ، وَصَارُوا يَرْمُونَ الْمَجَاهِدِينَ مِنَ الْحِصْنِ بِالْمَدَفَاعِ، وَقُتِلَ مِنْ الْعَجْمِ سَبْعَةٌ، وَسَلَّمَ اللَّهُ الْمَجَاهِدِينَ.

وفي هذه المدة زادت الشدة، وعظمت الحصارُ على أهلِ صنعاء، وخرجَ الضَّعْفَاءُ مِنْ أَهْلِهَا حَتَّى امْتَلَأَتِ الرَّوْضَةُ وَالسِّرُّ (3) ودارَ الحَيْدِ، وَهَرَبَ كَثِيرٌ مِنَ

(1) جبل عانز: جبل واسع وعزلة ذات قري وحصون من الحيمة الخارجية، وهو بالجنوب من مَفْحَق، يطل جنوباً على وادي سهام انظر، صفحات مجهولة، ٥٧، اليمن الكبرى، ٨٠، هذه هي اليمن، ٣٨٧، معجم المقحفي، ٤٢٠.

(2) حصن ابن مهدي: عزلة بيت ابن مهدي بمحل حيدرة، قرب السائلة التي تنحدر إلى وادي سهام بواد هناك تسمى البادية انظر، معالم الآثار، ٣٧، وبيت المهدي قرب مناخة.

(3) السِّرُّ: وادي مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣ كم، وهو من ناحية بني =

عسكر العجم .

وفي هذه المدة أيضاً، كانت وقعة حصن مَفْحَق. التي استشهد فيها السيد صفي الإسلام (1).

وصفتها، أنه لما اشتد الحصارُ على مَنْ في حصن مَفْحَقِ، خرجت طائفةٌ مِنَ الْعَجَمِ مِنْ مَنَاخَةِ، وصحبَتَهُمْ جماعةٌ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ، يريدون الغارة على مَنْ فِي مَفْحَقِ، فتلقَّاهم السيد صفي الإسلام، رحمه الله، بمن معه، ووقع الحربُ بينه وبينهم، فانهزمَ بعضُ أصحابه، فلما فرَّ عنه مَنْ فرَّ، قامَ يُحْرِضُ مَنْ بَقِيَ معه مِنَ الْعَسْكَرِ، فطلعَ سبعةً أَنْفَارٍ مِنَ الْعَجَمِ، فقالَ السيدُ، رحمه الله، للحاج المجاهد أحمد معصار: اشهد لي على واحدٍ منهم، فرماه فقتله، ورمى الحاج أحمد معصارَ الثاني فقتله، ورمى السيد الثالث فقتله، ورمى معصارَ الرابع فقتله. ثم إنَّ واحداً مِنَ الْعَجَمِ تواري وراءَ حَجَرٍ، ورمى السيد الصفي فأخذت الرصاصُ أنملةً من أناملِ يده ومحلَّ جريدةِ البندقِ، ودخلت من صدره إلى أن خرجت من ظهره. فقال للحاج أحمد معصار: قد رُميتُ. فأجابَ عليه: لا تُفْشِلِ النَّاسَ، ثم دعا برجلين فحملهُ على أحدهما، وألقى عليه ثوباً لثلاً يعرفهُ النَّاسُ فيفشلوا، وعارَضَهُ الرجلُ الآخرُ حتى بلغا به النجا. وحينئذٍ دخلَ الْعَجْمُ مَفْحَقاً. وأدركَ الْعَرَبُ الشقاءَ، هكذا ذكره بعضهم في صفةِ استشهاده.

= حَشِيش، ويطل على حصن ذي مرمر، وحصن ذباب، وجبل صَرَع، كان يُقال له سابقاً سر ابن الروية انظر، اليمن الكبرى، ٧١، معالم الآثار، ١١٣، صفة جزيرة العرب، ١٧٦، نشر العرف، ٩٥/٢، معجم المصحفي، ٣١٠.
(1) السيد صفي الإسلام المقصود أحمد بن محمد الشرعي.

ولقد وَصَفَ لي بعضُ ضَبَّاطِ الْعَجَمِ ، وكانَ مِنْ حاضِرِي الوَقْعَةِ :

قال : وَقَعَ الحَرْبُ فحملَ علينا الشَريفُ ، ووثبَ وَثْبَةً الأَسَدِ ، وكانَ لا يَحْتَجِي حَتَّى فَرَّ مِنْهُ أَكْثَرُ العَسْكَرِ ، ثُمَّ حملَ على المَدْفِعِ والأَحْجارِ بِيَدِهِ ، فرماه / رجلٌ مِنَ العَجَمِ مِنْ فَوْقِ بَغْلِيَّتِهِ ، قالَ : وَكُنَّا نَعُدُّهُ مِثْلَ أَلْفِ رِجْلٍ ، ١١٩
ولقد صدقَ ، فإنه كما قيل :

والناسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كواحِدٍ وواحدٌ كالألفِ إن أمرَ عنا
فلما أُصِيبَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ سَقَطَ في أَيَدِي المِجَاهِدِينَ ، وَقُتِلَ في هَذَا
اليومِ مِنَ العَجَمِ خَلَقٌ كَثِيرٌ . وَمِنَ العَرَبِ سَبْعَةُ أَنْفَارٍ مِنْهُمْ ، «صَفِيُّ الدِّينِ ،
وأوحدُ المِجَاهِدِينَ»^(١) رضوانُ اللهُ عَلَيْهِ .

وقَعَةُ حِصْنِ عَكْبَارِ وَبَنِي خَطَّابٍ^(١) :

وصفَةُ ذلكَ : أَنَّهُ في هَذِهِ المَدَّةِ تَشاورَ سَيِّدِي صَفِيُّ الإِسْلامِ وَالشَّيْخُ
«يَحْيَى قَطِيعَ عَلى أَنْ يَغزُوا العَجَمَ إِلى مَنَاحَةِ ، فَاجْتَمَعَ سِتُّ مِئَةِ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ
الحِيمَةِ ، وَتَوَجَّهَ الشَّيْخُ يَحْيَى قَطِيعَ وَأولادُهُ في سَتِينَ نَفَرًا ، فَقبَضُوا حِصْنَ
بُنْدَارِ فَوْقَ هُوَجْرانِ بَيتِ المَدْعِيِّ^(٢) ، وكانَ الحِصْنُ المَذْكَورُ خراباً لا سَكَنَ
فيهِ ، وَرَبَّبوهُ مَعَهُ حِصْنَ عَكْبَارِ ، وَتقدَّمَ الباقونَ إِلى عِزلةِ بَنِي خَطَّابِ ،
فَتقدَّمتْ عَلَيْهِمُ العَجَمُ ، واستمرَّ الحَرْبُ حَتَّى حَجَزَ اللَّيْلُ ، وَوَقَعَ القَتْلُ في
العَجَمِ مَمَّنْ في الحِصْنِ ، وَمَمَّنْ في بَنِي خَطَّابِ .

(١) الخَطَّابُ : من توابِعِ مَنَاحَةِ انظُرْ ، معجمُ المَقْحَفِيِّ ، ٦٣١ ، اليَمَنُ الكَبْرَى ، ٦٠ ،

(٢) بَيتِ مَدْعِيِّ : قَريَةٌ شَمالِ مَنَاحَةِ .

(١) (١) في ع ، م ، السَيِّدِ الصَّفِيِّ وَواحدِ المِجَاهِدِينَ .

وفي اليوم الثاني، وقع الحرب أيضاً من الفجر إلى أن أظلم الليل. وكانت هنالك ملحمة عظماء أوهنت أعداء الله، وقُتِل منهم مئة وخمسون رجلاً، ومن المجاهدين خمسة، وعاد كلُّ منهم إلى مطرحه.

وفي هذه المدّة، توجه الشريف حسن الجندبي لقصد حصار كوكبان، فطرح بمن معه في قاع الضلع. وما زال من معه في كل يوم يتناوشون الحرب: هم والعجم وتكون الهزيمة في العجم.

وفيها أيضاً، خرجت العجم من مدينة حجة يريدون حصن عقار⁽¹⁾، وسبب ذلك: أنه خرج واحد من العسكر الذين في حصن عقار، وزعم أنه هارب، ووقف عند المجاهدين فأمنوه وخلّوا سبيله، فمضى حتى دخل حجة، وأعلم العجم الذين هنالك بأن الذين في حصن عقار قد اشتد عليهم الحصار، وبلغوا حد الاضطرار حتى أكلوا بغلاً من الجوع، فكان ذلك سبب خروج العجم من حجة للغارة على من في عقار، فتلقاهم السيد عز الإسلام محمد بن يحيى بن قاسم عامر بمن معه من الأنصار. ووقع الحرب بينهم من عند خروجهم من حجة إلى أن وصلوا عقاراً. وقُتِل من العجم ما يقرب من مئة، وأكثر القتل وقع في وادي شرس⁽²⁾. فلما دخلوا عقاراً وأصلحوا أمور من فيه، عادوا إلى حجة، فتلقاهم المجاهدون بالحرب، وقُتِل من العجم قريب

(1) عقار: بلد من نواحي حجة الشمالية الشرقية على مقربة من كحلان تاج الدين، ينسب إليها بنو عقار، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٨٣، الاكليل، ٨٨/٢، نشر العرف، ٦٨٥/٢ قرّة العيون، ٤٠٧، معالم الآثار، ٧٦.

(2) شرس: وادٍ وبلدة أسفل مدينة حجة، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٢٥، الاكليل، ١٠٠/٢.

من الخمسين، ومن المجاهدين عشرة، فلما رجعوا إلى حجة اشتد الحصار على مَنْ فِي حصن عَفَّارٍ، وحين وَصَلَ أحمد فيضي أجازهم على ذلك الاضطبار.

وفي هذه المدة، اشتد الحصار على مَنْ فِي جبل مَسُور (1) وبيت عِدَاقة (2)، وفيهما أربعة مراتب: قصبَةُ السوقِ فيها مسعودُ بْنُ سعدٍ يسر من مؤلدي صنعاء، وثمانية عشر رجلاً تحت أمره، وفي قصبَةِ الحسوي (3) على علوي، أصله من أَرْحَب، وكان هو وأُمَّهُ فِي صنعاء يبيعان مِنْ أَهْلِ صنعاء روثَ الحمير ويعرّ الجمال، فرقاه العجم، وكان مأموراً على سبعة وعشرين رجلاً / وفي باب الرميح أربعون رجلاً عليهم عليّ العسيري، وفي المصنعة، أحمد آغا الرُوسي وصحبته ستون رجلاً. فأما مَنْ فِي قصبَةِ السوق فإنهم خرجوا بالتدبير والحيلة، وكيفية ذلك: أن الإمام - عليه السلام - أرسل السيد الهمامَ محمدَ بْنَ عباسٍ (3) ووجههُ إلى جبل مَسُور وما حوله، لمحاصرة العجم،

ب ١٩

(1) مَسُور: يُقال لها مسور المتتاب لتمييزها عن غيرها، تابعة لمحافظة صنعاء انظر، اليمن الكبرى، ٦٩، ١٠٤، صفة جزيرة العرب، ١٦٢، معالم الآثار، ٧٦، نشر العرف، ١٨٣/١، تاريخ مدينة صنعاء، ٥٨٨.

(2) بيت عِدَاقة: مدينة كبيرة في جبل مَسُور، بها مركز قضاء مَسُور التابع لمحافظة صنعاء، انظر، الاكليل، ٨٢/٢، اليمن الكبرى، ١٠٢، أئمة اليمن، ٤٧/٢، حوليات يمانية، ٥٠٦، وبيت عِدَاقة تقع إلى الجنوب من حجة انظر، اليمن الكبرى، ١٠١.

(3) محمد بن حسين بن عباس الكوكباني: أحد قادة الإمام المنصور بالله في حروبه مع =

(١) في أ، الحيسوي.

وقَطَعَ الطُّرُقَاتِ، فوَقَعَ الحَرْبُ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ مَنَاشِئَةً. وَقَدِ دَبَّرُوا حِيلَةً، وَهِيَ :

أَنَّهُمْ حَفَرُوا غَارًا إِلَى تَحْتِ القَصْبَةِ، وَأَرَادُوا أَنْ يَحْرِقُوا مَنْ فِيهَا بِالْبَارُودِ. كَانَ مَنْ فِيهَا قَدْ رَدَّمُوا بِأَبْهَاءِ الأَحْجَارِ. فَحِينَ عَلمَتِ العِجْمُ بِذَلِكَ، نَادَوْا بِالصُّلْحِ مَكِيدَةً مِنْهُمْ أَيْضًا، لِيَشْرُفَ عَلَيْهِمْ مَنْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ، وَلَمْ يَفْطِنِ المَجَاهِدُونَ لِذَلِكَ، فَظَهَرَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ المَجَاهِدِينَ، فَرَمَوْهُمُ بِالبِنَادِقِ، وَسَلَّمَهُمُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَصَابَ الشَّيْخَ نَاصِرَ مَبْخُوتٍ جِرَاحَةً خَفِيفَةً.

ثُمَّ دَارَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ عَلَى خُرُوجِهِمْ مِنَ القَصْبَةِ، فَخَرَجُوا مِنْ طَاقٍ فِي تِلْكَ القَصْبَةِ، وَقَبِضُوا مَا مَعَهُمْ مِنَ السَّلَاحِ وَالمُؤْنَةِ، وَأَوَّصَلُوهُمْ إِلَى حَضْرَةِ الإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَفِي هَذِهِ المَدَّةِ اشْتَدَّ الحِصَارُ عَلَى مَنْ فِي حِجَّةَ، وَكَانَ المَقْدَمِيُّ هُنَاكَ السَّيِّدَ العَلَامَةَ لُطْفَ بَنِ عَلِي سَارِي، حَفِظَهُ اللهُ، فوَقَعَ التَّدْبِيرُ مِنَ الوَالِي حَسَنِ أَدِيبِ بَاشَا، وَكَانَ حِينَئِذٍ مُحَاصِرًا فِي حِجَّةَ أَنْ يَرْجِعَ الحُدَيْدَةَ، فَخَرَجَ مِنْهَا، وَصَحْبَتَهُ قَوْمندان أحمد رشدي، وَكَانَتِ الطَّرِيقُ إِلَى الحَدِيدَةِ مَفْتُوحَةً بِسَبَبِ مَعَاوَنَةِ بَنِي قَيْسٍ، فَلَمَّا بَلَغَا الحُصَيْبَ اعْتَرَضَ لَهُمُ الشَّيْخُ نَاصِرَ مَبْخُوتِ الأَحْمَرُ فِي ثَلَاثَةِ عَشْرَ رَجُلًا لَا غَيْرَ، وَرَمَى أَحْمَدَ رَشْدِي فَسَقَطَ مِنْ فَوْقِ بَغْلَتِهِ، وَتَبَعَتْ أَوْلَئِكَ النِّفْرَ مِنَ المَجَاهِدِينَ عَسَاكِرُ العِجْمِ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ، وَنَجَّاهُمْ اللهُ مِنْ فَرَجَةٍ بَقِيَتْ، فَخَرَجُوا مِنْهَا، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى ذَلِكَ المَحَلِّ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ الحَرْبُ، وَجَدُوا البَغْلَةَ مَيِّتَةً. وَلَعَلَّ أَنَّهَا لَمْ تُقْتَلِ إِلا هِيَ. وَأَمَّا

= الأتراك ت ١٠ محرم ١٣١٠هـ، انظر، أئمة اليمن، ١٠٥/٢.

أحمد رشدي فبقي تحت الاستنطاق، وزعم العجم أنه قَصُرَ فيما دَبَّرَ حتى رُدَّوه إلى نفرٍ.

وفي آخر شهر الحجة وأوائل مُحَرَّمِ كانت المحاصرة لمدينة إب.

وصفة ذلك: أن المتصرف والعجم الذين في تعز⁽¹⁾، لما علموا بثوران العامة، دبّروا بأن يرسلوا عسكرياً إلى مدينة إب، فأرسلوا طابوراً وألزموهم المحافظة.

ثم إن أهل بلاد إب وما يتبعها من نواحي بَعْدَانَ⁽²⁾ وبلاد حُبَيْش⁽³⁾ وبلاد المَخَادِرِ⁽⁴⁾ لما بلغهم ما وقع في أحواز صنعاء من محاصرة أعداء الله العجم، نصّروا تنصيراً واحدة، وتكاتب الشيخ صالح بن قاسم الصبري، شيخ بلاد

(1) تعز: مدينة مشهورة معروفة، قلعتها تسمى القاهرة، أول من مدنها ومصرها توارن شاه الأيوبي، في السفح الشمالي لجبل صبر، وقلعتها تتوسط بينها وبين جبل صبر، انظر، البلدان اليمانية، ٥٥ اليمن الخضراء، ٨١/١، اليمن الكبرى، ٣٣، نشر العرف، ٢٢١/١، معجم المقحفي، ٩١.

(2) بَعْدَانَ: من أعمال إب، جبل واسع فيه قرى وحصون كثيرة ومزارع، والجبل يُطل على مدينة إب، انظر، معجم البلدان، ٤٥٢/١، مراصد الاطلاع، ٢٠٧/١، صفة جزيرة العرب، ٢١١، معجم المقحفي، ٨١، الاكليل، ١٠١/٢، نشر العرف، ٣٦٩/٢.

(3) حُبَيْش: ناحية من أعمال إب في الشمال الغربي منها، انظر، معجم المقحفي، ١٥١، نشر العرف، ٧٦٩/١، اليمن الكبرى، ٤٤.

(4) المَخَادِرِ: بلدة شمالي إب بمسافة ٢٠ كم انظر، معالم الآثار، ١٠٧، طبق الحلوى، ٢٣، معجم المقحفي، ٥٧١، وثائق يمنية، ١٩٤، اليمن الكبرى، ٤١.

المخادر، والشيخ سعيد بن غالب الدعيس، شيخ بلاد بَعْدَانَ، وكان الإجماع منهما على محاصرة مدينة إب، فعزَمَ الشيخ صالح بن قاسم، وجمَعَ من^(١) العسكر، وأعلن بالفساد، وأظهر وتقدّم بمن معه، وتقدّم أيضاً الشيخ سعيد بن غالب، وابنه الشيخ محمد، وكان مطرَحُ الشيخ سعيد من جهة العَدَنِ والشرق / والشيخ صالح بن قاسم الصبري من جهة القبلة والغرب في ١٢٠ بيوتِ العَدَنِ وقبة جُرَّانَةَ، وكانتِ العجمُ حينئذٍ خارجَ المدينة.

فلما بلغهم ما دبّروه، دخلوا المدينة وصحبتهم الشيخ عبد الواحد بن محمد بن قاسم، وهو من مشائخ العجم الذين شرحوا صدورهم بمحبتهم، فلما دخلوا المدينة انقطع عليهم المواد والداخل والخارج من جميع البلاد، وكانت بينهم وبين المجاهدين وقائع، كان النصر والظفر فيها للمجاهدين، وكانوا كل ما هموا بالخروج ردّوهم إلى المدينة، وقطعوا عليهم الماء النازل من المشنة^(١)، وعظمت على العجم وأهل المدينة المحنة، حتى كاد أن يُعَدَمَ عليهم الماء، إلا أنه بقي في المجنّ شيء يسير، وهلكت من المواشي بسبب الجوع والعطش شيء كثير، وصار العجم يرمون بالمدافع فلا تؤثر شيئاً.

وفي خلال ذلك، وصل الشيخ علي بن عبد الله بن سعيد، أرسله المتصرف من تعز لاستحسان خروج الذين في إب لما اشتد عليهم الحصار،

(١) المشنة: في سفح جبل بَعْدَانَ، فيها ساقية ماء، انظر، المدارس الاسلامية، ٢٥٣.

(١) في ع، خالد وهو خطأ.

(٢) سقطت من ع، م.

فطلع بأبهة كبيرة.

فلما وصل إلى مدينة ذي جبلة، اتفق بالشيخ صالح بن قاسم وبأعيان المجاهدين، وهو كما وصف لي الشيخ صالح بن قاسم: لا مقصد له إلا إخراج من في إب من المعجم. فوقع الرأي من الشيخ صالح بن قاسم والشيخ سعيد بن غالب على قبول الصلح الواصل به الشيخ علي [بن عبد الله] (١) وهو: أن العجم يخرجون من إب بسلاحهم، وتخلص مدينة إب وبلاؤها لعامل الإمام - عليه السلام - ويمضي فيها أمره، وكتبوا بذلك إلى السيد عز الإسلام محمد بن يحيى بن الهادي لطلب المشورة، فاستحسن ذلك واستحسننا جميعاً ذلك الرأي السديد، لتقليل معاقب الأعجمين، وتخفيف المؤنة على المجاهدين. وتقع المحاصرة على مدينة تعز.

فلم نشعر بعد وصول المكاتب إلى السيد محمد بن يحيى بالاستشارة من الشيخين إلا بوصول الشيخ محمد بن سعيد يأبى هذا الرأي، وأنهم لا يخرجون العجم إلا من دون سلاحهم. وأن ما ذكر من الصلح خديعة من الشيخ علي. وصادف وصوله مدينة يريم، محل ولاية السيد محمد بن يحيى، على حين وصول عامل بلاد إب من طرف الإمام - عليه السلام - السيد الهمام حسين بن إسماعيل الشامي، فوافق الشيخ محمد بن سعيد العامل المذكور على هذا التدبير، فراجعناهما في ذلك فصمما وعزما بيد الجميع، ووقع تقوية المطارح، وتشديد الحصار على مدينة إب.

(١) الإضافة من ع.

وأما الشيخُ عليُّ بنُ عبدِاللهِ بنِ سعيدِ الأمويِّ ، فإنه لما لَمَّ يتمُّ له المرامُ ،
دخلَ مَعَ العجمِ المدينةَ .

وقعةُ القاعدة (1) :

وصفْتُها: أنَّ السَّيِّدَ شرفَ الإسلامِ ، حُسَيْنَ بنَ إسماعيلَ الشاميِّ ، ورؤساءِ
ذو غيلان (2) شَمَرُوا الهِمَّةَ لمحاصرةِ العجمِ في تعزِ ، فعزَمُوا صحبةَ السيدِ
عبدِالرحمنِ الشاميِّ . وفي القومِ مِنْ رؤساءِ ذُو محمدِ التقيِّبِ ، عبدُاللهِ بنِ ناجيِ
الدمينيِّ ، وأحمدِ بنِ قايدِ ، أبو راسِ ، والقاضيِ أحمدُ بنُ محمدِ الشرعيِّ ،
وعليُّ بنُ محمدِ دَمَاجِ . وغيرُ هؤلاءِ مِنَ الرؤساءِ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ العَجَمَ خرجتْ
منهمُ غارةٌ مِنَ الذينِ في تعزِ على مَنْ في إبِ ، فَاتَّفَقَ بهمُ المجاهدونِ في
القاعدةِ .

فكانتْ هنالكُ ملحمةٌ زائدةٌ . وحينَ رآهمُ المجاهدونِ حَمَلُوا عليهمُ حملةً
واحدةً ، فانهزمَ العجمُ ، وقُتِلَ منهمُ ما يزيدُ على الخمسينِ ، ونُهِبَتِ أسلحتُهُمْ ،
وتفرقتْ العجمُ بعدَ ذلكِ أيدي سباً . وأوضعَ فيهمُ المجاهدونُ قتلاً ونهباً ،
حتى أنَّ بعضَ عسكِرِ العجمِ كان يُطعِي المرأةَ البندقِ لَتَسْتُرَهُ عن العربِ خوفاً
من القتلِ .

(1) القاعدة: مدينة بالشمال الشرقي من تعز، على أكمة مطلة على الجند، انظر، اليمن

الكبرى، ٤٥، اليمن الخضراء، ٨٤/١، معجم المقحفي، ٥٠٤ .

(2) ذو غيلان: من قبائل بكيل وهم محمدي وحسيني، وبنو غيلان من أهل آنس فيهم
رؤساء ولعلمهم المقصودون هنا، انظر، الاكليل، ٢٣٦/١، صفة جزيرة العرب،

وفي هذه المدة وصل السيد حسين بن يحيى الشامي إلى مدينة قعطبة بموجب أمر الإمام ، - عليه السلام - ، فأخذ ما فيها من البنادق والخزنة ، وأذعن له جميع الرعايا والعقال (1) إلا قليلاً ، فإنهم خرجوا عن الطاعة ، فتقدم بمن أطاع على من عصا ، ودار الحرب بينهم ، وكان في مدينة قعطبة حينئذ قريب من عشرين رجلاً من العجم ، ومن أعوانهم العرب .

فقبض المجاهدون بعض المدينة ، وانحاز العجم إلى بيت الحكومة ، فاحتال بعض مشايخ البلاد ، بأن طلب صلح يومين من السيد المذكور ، فأجابه إلى ذلك ، فيقال : إنه أخرج العجم ، ومن معهم في الليل سراً .

وفي اليوم الثاني عند وفاء الصلح ، دخل المجاهدون بيت الحكومة ، ولم يجدوا فيه أحداً إلا قليلاً من البنادق والمونة والشمشير .

وفي هذه المدة أمر الإمام - عليه السلام - السيد الماجد محمد بن حسين بن عباس [الكوكباني] (1) ، رحمه الله ، ليقبض رجلاً من بني الرميم (2) ، صار يدعي أنه ابن السيد حسين الهادي ، ويأخذ من البلاد واجبات (3) ،

(1) عقال مفردا عاقل ، وهو رئيس جماعة أو منطقة أو قرية أو جزء من قبيلة ، والعاقل أقل من الشيخ في الدرجة ، إذ أن الشيخ قبلياً يرأس عدداً من العقال انظر ، وثائق يمنية ، ٢١١ .

(2) الرميم : موضع في بلاد الحيمة الخارجية ، إليها ينسب بنو الرميم ، انظر صفحات مجهولة ، ٨٤ ، معجم المقحفي ، ٢٧٤ .

(3) الواجبات : ما فرض لبيت المال من زكاة واعشار وخراج ، وهناك غيرها مثل الضرائب الوضعية ومثل رسوم الأسواق واعانة الجهاد . انظر وثائق يمنية ، ٦١ .

(١) الإضافة من ع ، م .

ويكتب إليهم: من محمد بن أمير المؤمنين، وقد طلبتُ العجم أشدَّ الطلبِ فلم يظفروا به، وكان معتقداً عند العوامِّ، فتوجَّه السيد المذكورُ إلى قرية الرُّونة⁽¹⁾، فتلقاه أهلها بالحرب، وغلب أهل القرية، ونهب المجاهدون ما فيها، وأحرقوا بعض البيوت، وقبضوا الكذاب المذكور.

وحكي عن السيد محمد بن عباس، أنه قال: دخلنا على الرجل المذكور، وهو يبرق وجهه، في صورة حسنة، فنزعنا ما عليه من الثياب، ووجدنا في عَضِدِهِ كتاباً لم ندر ما هو، وحين نزعنا ذلك رأيناه بعد ذلك في أقبح صورة، فعلمنا أن ذلك من السُّحر والتَّمويه. وقُتِل في هذه القصة جماعة من أهل القرية، وجماعة من المجاهدين.

ثم إنَّ السيد، رحمه الله، حبسَ الرجل المذكور، وأوصله حضرة الإمام - عليه السلام - فأودع الحبس حتى مات.

وفي هذه المدة، أعني شهر محرم وصفر وبعض ربيع، تتابعت الوفودُ إلى حضرة الإمام - عليه السلام -، من جميع النواحي والأقطار. ووردت إليه الكتب من بلاد إب وزداع⁽²⁾ وريمة⁽³⁾ وذمار، وغير ذلك من البلاد، مُعلنة

(1) الرُّونة: عزلة وادٍ خصيب من ناحية بني حشيش، بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٣ كم، انظر، صفحات مجهولة، ٥٨، معجم المقحفي، ٢٧٧.

(2) زِدَاع: مدينة كبيرة شرقي ذمار بمسافة ٥٣ كم، تعرف برداع العرش انظر، اليمن الخضراء، ٨٠/١، صفة جزيرة العرب، ١٠١، نشر العرف، ١٨/١، قرة العيون، ٢٠١، الاكليل، ٢٠٤/١، اليمن الكبرى ٤٨، فرجة الهموم، ٣٣، المقحفي، ٢٦٥.

(3) رِيْمَة: جنوب شرق الحديدة بمسافة ٧٠ كم، وجنوب غرب صنعاء انظر معالم الآثار، =

الطاعة والانقياد، إلا أجوان العجم في جميع أقطار اليمن، فإنهم أظهروا الطاعة على دخن. ولم يزل الإمام - عليه السلام - يُرسل القضاة والعُمال، ويوصيهم بتقوى الله، والعمل بما يرضاه ذو الجلال، ومتابعة أوامره في كل حال.

ومما ورد من الأشعارِ والتَّهاني، ما قاله القاضي الأديبُ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمِ الحضْراني (٣) شعراً: [الطويل]

طُيُورُ القَنَا غَنَّتْ عَلَى كُلِّ دَوْحَةٍ
وَفَتَحَ مُبِينٍ وَأَنْتَصَارٍ عَلَى الْعِدَى
/ وَنَصْرٍ إِمَامِ الْحَقِّ مَنْصُورِنَا الَّذِي
وَمُحِبِّي رِسُومًا لِلْجِهَادِ وَمَعْهَدًا
مَائِرُ تُبْنَى بِالصُّوَارِمِ وَالقَنَا
فَقُلْ لِعُلُوجِ الرُّومِ وَأَفَاكِمُ الَّذِي
هُمَامٌ كَرِيمٌ مِنْ ذُوَابَةِ هَاشِمٍ

بأفصح قولٍ بالعلا والمسرة
فأعظم يبشري للأنام وبنعمة
أقام قناة الدين في كل بلدة
لآل رسول الله أهل السفينة
وبالعذل والتوحيد لا بالمجلة (٢)
لسطوته ينجاب كل الملمة
خبير بكم يا شر كل الخليفة

٢٢١

= ٣٧، اليمن الكبرى، ٥٧، قرة العيون، ٢٦٩، الاكليل، ٤٦٢/٢ نشر العرف،
٤٩٠/١، صفحات مجهولة، ٣٢.

(١) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد الحضْراني الأنسي، ولد سنة ١٢٨١هـ في

آنس، درس في صنعاء شاعر، ت ١٣٢٣هـ، انظر، نزهة النظر، ٥٠٠.

(٢) المجلة: المقصود المجلة العدلية التي أصدرتها الدولة العثمانية. للأحوال الشخصية
والعقوبات (مجلة الاحكام العدلية).

وهيهات هيهات الفرار وإنما
هتكتتم شريعة جلده وارتكبتهم
وجتتم بأعوان الظلام وعصبة
لكم كل مفتون بكم ومداهن
مدافعكم لم تغنكم عن لقائه
سيصبح ذاك الروم ثكلاً ومألها
سلاحكم سلباً وأرحامكم سباً
أتاكم كريم الأصل لا عن كلاله
عليه بأحوال الأنام مجرب
وينشر رايات الجهاد عليكم
أما قد علمتم أن سيف إمامنا
سلوا عارفاً ينبئكم بنضاله
وما سيف دين الله إلا محمد
ولله أجناد الهدى وحماته
ولله ابننا حارث وقبائل
بنو مطر أكرم بهم من عصابة
وما أنس من أرحب ببعيدة
قيال بكيل، بل وجبر بن غالب
خذوا علم المنصور لا يرهبنكم
وسموا على راي الإله وصمموا
بنصر من الله الكريم لعبده

تولوا تلاقوا وقعة بعد وقعة
جرائم أدناهن ظلم الرعية
من العي مرتدين من كل ملة
وعصمتنا بالله يا شر عصبة
وأسيافه مشهورة ذات سرعة
جزاء من المنصور غير الأسنة
وأموالكم نهياً إذا الهام حزت
سمي رسول الله خير البرية
عواقب دهر، بحر علم وحكمة
لكل خميس كرة إثر كرة
يُنجزكم في بكرة وعشية
وما وقعة الجردا بكم ببعيدة
حميد المساعي فرغ بيت النبوة
رجال التقى سبحان أهل الحفيظة
من الصادقين الفعل عند الكريهة
وحي بلاد الروس أركى تحية
وهمدان همدان رجال الحقيقة
ويا لبني شداد عند الشديدة
طماطم أعلاج وجدوا بهمة
على فتح صنعا فهو أيسر حلة
وفتح مبين قادم بالسعادة

فتاريخُ هذا العامِ قد جاءَ مُخبراً /
 وصلُّ على المختارِ والآلِ دائماً
 وقال القاضي الأُمجدُ حُسينُ بنُ أحمدَ العرشي شعراً:
 لعزُّ وعزمٌ بابتهاجٍ وفرحةٍ
 ومنهُمُ إمامُ العصرِ ختمَ القصيدةِ
 [البسيط]

أهلاً بذالدار^(١) ذاتِ الفخرِ والكرَمِ
 دارُ تُنارِ قلوبِ المؤمنينَ بها
 دارُ الكرامةِ دارُ للعداةِ^(٢) بها
 أهلاً بها ثم أهلاً قد رأيتُ بها
 وظلُّ ترعدُ من خوفِ فرائضه
 تممَّتها حين ناداني بقوتهِ
 وطفتُ منطلقِ الكفينِ قد سلكتُ
 لهمتي همَّ ساداتِ الرجالِ وما
 منزهاً مذ عرفتُ النفسَ من دنسِ
 ولا وطيتُ فراشَ الظالمينِ ولا
 حتى رضيتُ لنفسي كلَّ مكرمةِ
 وقادني قائدُ الخيلِ الذي انتشرتُ
 وأكرمُ الناسِ عوداً في منابتهِ
 وآيةِ العَلمِ الممتدِّ في العِلمِ
 كما تُنارُ بقاعِ الأرضِ بالنُجمِ
 مرامياً^(١) كعداةِ الجنِّ بالرجمِ
 ما لو رآه عدوُّ باتٍ لم ينمِ
 فعلُ الذليلِ الأبختِ الزنمِ
 عزمي وتممَّتها بالسيفِ في كلمِ
 مسالكي في سبيلي سلكُ منتظمِ
 يهتمُّ فيه ذوو^(٣) الغاياتِ والهممِ
 ممَّا يعيبُ وفيه غيرُ مُتهمِ
 واليُتهمُ بسوى بُعدٍ من الحُرْمِ
 وكلُّ فعلٍ صحيحِ المتنِ مرتسمِ
 رايته فأزالتُ رايةَ العَجَمِ
 وأبعدُ الناسِ من عيبٍ ومن تُهمِ

(١) خطأ نحوي ولكن يحق للشاعر ما لا يحق لغيره.

(١) في ع، الدر وفي م، بلدي الدار.

(٢) في م، بالعداة.

(٣) في ع، ذي.

فَعَيْنُ مَاءِ حَيَاتِي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ
 يَعْنِي بِذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا
 يَا صَاحِبَ النَّظَرَةِ الْمَعْرُوفَ نَظَرْتُهُ
 يَا أَرْفَعَ النَّاسِ بَيْتاً فِي أَزْمَتِهِ
 وَعَامَرَ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ أَنْ هَدِمْتَ
 اضْرَبْ عِدَاكَ بِسَيْفٍ غَيْرِ مُثَلَمٍ
 غَزِيرَةُ الْمَاءِ لَمْ تَنْضَبْ وَلَمْ تَرْمِ
 يَعْنِي سِوَاهُ فِي ذِكْرَاهُ لَمْ أَلَمْ
 يُغْنِي الْوَفُودَ عَنِ الْأَمْطَارِ وَاللَّدِيمِ
 مُشِيداً مُسْتَقِيمًا غَيْرَ مَنْهَدِمِ
 أَرْكَانُهُ وَتَسَاوَى الْبَارُ بِالرَّخْمِ
 وَحُدُّهُمْ بِطَعَامٍ غَيْرِ مُثَلَمِ

وفي هذه المدة، بلغ الإمام - عليه السلام - رجوع حسن أديب باشا من حجة إلى الحديدة، فعلم أن ثم مكيدة، فكان الإمام - عليه السلام - يكتب إلى جميع المجاهدين في جميع البلدان بحفظ الطرقات، وشن الغارات، من كل مكان، فأعرض أكثرهم لموجبات وأسباب، ولكل أجل كتاب.

ولما وصل حسن أديب إلى الحديدة، دخل في هيئة رثة، وشدد في الشكاية مما وقع كتباً بالتلغراف - أعني السلك - ووقف في الحديدة منتظراً للجواب.

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة، توفي السيد الأوحّد، صفّي الإسلام، وصارم الصّدام، أحمد بن محمد الشرعي، يوم الجمعة شهيداً، رضي الله عنهم وأسكنه أعلى درجات الجنان وتلقاه بالرافة والرحمة / ١٢٢ والرضوان، فيا له من جرح ما انجبر، وخطب تنسكب عنده العبرات والعبر، ومصاب كل مصابٍ دونه جلل وهدر! وأحفظ فيما قلته من مرثيته، وقد غاب عن خاطري بعضها(١)، وهي:

[البسيط]

(١) انظر، نزهة النظر، ١٥٧، أئمة اليمن، ٨٩/٢.

العينُ في أرقٍ والدمعُ في قَلَقٍ
لموتِ نجمٍ (١) المعالي وابن نَجْدَتِها

السيدُ الورعُ ابنُ السيدِ الورعِ
صفيُّ الاسلامِ لقلبِ (١) الحربِ فاتِكُهُ
قد كانَ يومَ الوغى كالألفِ نحسُّبه
فالله يرفعُ في الفردوسِ رُتَبَتَهُ
وقال القاضي حسينُ بنُ أحمدَ العرشي ترقية إلى آخرها (٢)، وهي:

والقلبُ في حَرَقٍ والدهرُ في جَزَعِ
غيثُ الخليفةِ في صيفٍ ومُرتَبِعِ

ابن السيدِ الورعِ ابن السيدِ الورعِ
سيفُ الخلافةِ نجلُ السيدِ الشرعي
فَبَعْدَهُ المجدُ أضحي غيرَ مجتمعِ
يومَ المعادِ ويُنجيه مِنَ الفَزَعِ

[الطويل]

وتفتَرُ إن هي صاحبتك وتستُرُ
فمنها وعنّها يَصُدُّرُ الهَمُّ والشُّرُ
وتستأنفُ اللذاتِ مطعمُها المرُ
وآخرُها فجرٌ وأولُها عَصْرُ
وذا هاربٌ عنها وكلُّهم برُ
لَهَانَ عليه الأمرُ لو عَظُمَ الأمرُ

أبالدهر والأيامِ يا صاحِ تَغْتَرُ
وما أضحكَّتْ حتى أرتك نواجِداً
وهل أضحكَّتْ يوماً فلم تبكِ بعده
فأولُها ليلٌ وأبهجُها (٣) دُجى
وأبناؤها جيشان: ذا طالبٌ لها
ومن ينظرُ الدُّنيا بعينِ احتقارِهِ

(1) انظر، نزهة النظر، ١٥٦ وفيه «صاحكتك بدل صاحبتك» في الشطر الثاني من البيت الأول، وللدين بدل وما الدين، ولولا الظباء بدل الضياء، بيت بدل نبت، وانظر أيضاً، أئمة اليمن، ٨٨/٢-٨٩.

(١) في ع، نجل.

(٢) في م، ليث.

(٣) في ع، وابهاجا.

لكلِّ زمانٍ مُلبِّسٍ لا كُمُلبِّسٍ
وما الدينُ والدُّنيا رجالٌ نُعدُّهم
وما المجدُّ إلا رايةٌ مسنونةٌ
متى يبلغُنَّ المجدَّ قومٌ تأخَّرتُ
ولولا الضِّياءُ ما كانَ للعزِّ منبَتٌ
وهُنَّ اللَّواتي شرَّدَ العُجمَ بأسها
وما هذه الأيَّامُ إلا مُعارَةٌ
لحا الله ذي الدُّنيا رَمَتْ كُلَّ ماجدٍ
وَمِنْ عَجَبِ الأيَّامِ والذُّهرُ كُلُّهُ
أسيْفُ العُلى والمجدُّ أحمدٌ خيرٌ مَنْ
أمثَلُ الذي نادى العُلى فأجابَهُ
وكمْ أودَعَتْ أرماحُهُ الموتَ فانقضَّتْ
وكمْ وقعةٌ أسقاهُمُ الحَتْفُ كَفَّهُ
/ أتاحَ لهمْ مِنْ كَفِّهِ ما أبادَهُمُ
بِعِزْمٍ يَرُدُّ العِزْمَ والعِزْمُ صادقٌ
وضربٍ يكادُ الصَّخْرُ من عَظْمٍ وَقِعِهِ

وكرَّبٌ وتفرَّيْجٌ وعُسْرٌ بهِ يُسْرُ
فواحدُهُمُ كُلُّ وَكَلُّهُمُ القَطْرُ
سيُدرِكُها مَنْ كانَ في رأبِهِ الصَّبْرُ
سوابِقُهُمْ عَن هِمَّةِ العِزِّ واغْتَرُوا^(١)
ولا للعُلى المحكِّي بيتٌ ولا وكُرُ
مشارِدُهُمْ حتى لَقَدْ مَسَّهُمْ ضَرُّ
[^(٣)

بأهوالِها حتى استَبانَ بها الحَقْرُ
عجيبٌ وإنْ أنكَرْتَ أمراً فلا نُكْرُ
مشى أودَيْتَهُ يا دهرُ بالقسرِ يا دهرُ
سَمِعاً مُطيعاً يُودِعُ الجَدَثَ القَبْرُ^(٤)
ليالي عِداهُ ما لها أبداً فَجْرُ
كُؤُوساً لحتى قيلَ ذي وقعةٍ بِكُرُ
فلَمْ ندرِ أفنى الكُلِّ أمْ بعضُهُمُ قُرُوا^{ب ٢٢}
وحِزْمٌ يَرُدُّ الحِزْمَ والحِزْمُ مُفْتَرُ
ينادي ألا يا قومُ قد أسلَمَ الصَّخْرُ

(١) في أ، م، واغتر.

(٢) في ع، م فهن.

(٣) بياض في كل النسخ.

(٤) في أ، القدر.

ويومٍ كأنَّ النقعَ ليلٌ وسيفُهُ
 تَطَاوَلَ ميدانُ الوغى في سمائِهِ
 له ولَهُمْ في معرِكِ الحربِ عادةٌ
 لئن ماتَ ما ماتتْ مآثرُهُ التي
 وما ماتَ حتَّى موتَ العُجمِ بأسئِهِ
 ولو عَلِمَ السُّهُمُ الذي جاءَ أَنَّهُ
 ولو قيلَ ها هُوَ ذاكَ قبلَ اتصاليهِ
 جلالاً وإكراماً وخَوْفاً وهَيِّبَةً
 ثوى إذ ثوى لا واهناً في فَعاليهِ
 فيا حبِّذا روحاً إلى الله سافرتُ
 فيا آلَ طهَ ثم يا آلَ أحمدِ
 فكُم صولَةً صولوا عليهم وبادروا
 فَمَنْ غيرُكم أَمِنْ سِواكم أحيِلُها
 وتركضُ بالفتيانِ في كلِّ ما قطِ
 وأينَ السيوفُ الباتراتُ التي إذا
 ألا فاضربوهم ضربةً بعدَ ضربةٍ
 ودلُّوا إليهم كلَّ شخصٍ مُكْرَمِ
 ألا لَيْتَ شعري ما جوابي فإنني
 وهذا أميرُ المؤمنين محمدُ

هلالٌ يراهُ الجيشُ والكوكبُ السمرُ
 فساعاتُهُ في عينِ أعدائِهِ شَهْرُ
 فعادَتُهُ كُرٌّ وعادَتُهُم فرٌّ
 بناها ولا ماتَ العلى لا ولا الفخرُ
 وأفعالُهُ (فالأسدُ في عينِهِ حُمُرُ)
 إليه سيدنوا ما يُخبُّ ولا سبرُ
 لذابٍ فلا بردٌ لديه ولا حرُّ
 ومَنْ مثلهُ حتَّى يقاسَ بهِ حرُّ
 ولا طائشاً كلاً ولا مُتَرَفَّ نَزْرُ
 وألقتُ عصاها حينَ قربها الأجرُ
 ويالَ عليَّ أينَ ضربُكُم الهَبْرُ
 إليهم بصدقِ العزمِ إذ كُتُمُ وترُّ
 مثمرةٌ تسعى المُطَهِّمةُ الشقرُ
 ويهوى فلا يبقى لباقيهم ذكرُ
 رآها عدوُّ ماتَ من قبلِ يضطرُّ
 فما لَهُم دارٌ ولا لَهُم قصرُ
 سموحٍ فإنَّ النصرَ يتبعُهُ النصرُ
 بِكُم ولكم أرضى مراراً واحترُ
 ينادي الا يا قومنا [١]

(١) بياض في كل النسخ. وتقديره «كروا».

فدئى لكم يا آل طه عشيرتي
 وحمدأ لمولانا وشكراً لرّبنا
 وصلّ إلهي كلّ ما هبت الصّبا
 مع الال والتسليم واليؤمن كلّهُ
 وأهل ودادي بل وما حمل الصّدْرُ
 وصبراً لمنا فالحمدُ لله والشكرُ
 على المصطفى الهادي وما همَل القطرُ
 فهُم مَفخَرُ الأيامِ والسادة الغرُ

وفي شهر ربيع الأول المذكور، خرج أحمد فيضي باشا غائراً على من في اليمن من العجم، وكان مُشيراً على مكة، فلما بلغه ما وقع في اليمن خرج مُسرِعاً بمن معه، وكانوا نحواً من سبع مئة وثمانين بغلة ومدفعين. وكان أحمد فيضي قد تولى اليمن سابقاً، فله فيه وفي أهله اختبار، مع أنه - كما حكى لي غير واحد - من أهل الصناعة في علم السحر. وكذلك ابنه طاهر، فإنه في علم السحر ماهر، فلما وصل الحديدة توجه نحو صنعاء وصحبته حسن أديب وأحمد رشدي، فلما وصل مناخة تجمعت القبائل لحربه، وكان خروج العجم من مناخة، يوم السبت السابع من الشهر المذكور، فباتوا تحت نجد إصرير⁽¹⁾، وأقاموا به يوم الأحد، ووقع في نجد إصرير، فهرب من فيه من العرب، واستولت عليه العجم، وأحرقت بعضاً منه، ورتبوه وساروا يوم الاثنين، وباتوا في مَفْحَق، وتلقاهم المجاهدون ومقدمي الإمام، السيد محمد بن أحمد الشامي، عافاه الله. ووقع الحرب من بعد الظهر إلى الليل، وثبت الفريقان، ومطرخ العجم قاع مَفْحَق، والعرب محاذون لهم.

وفي الصباح، ارتحلت العجم، فتلقاهم المجاهدون، واقتتلوا قتالاً شديداً، ففرت العسكر الذي من الشرف⁽¹⁾، وثبت أهل البلاد والمقدمي السيد

(1) نجد إصرير: على مقربة من مناخة، انظر خريطة اليمن.

(1) في ع، م المشرق.

محمدُ بنُ أحمدَ الشامي بعضُ ثباتٍ، ولكنْ قدْ خالَطَهُمُ الرعبُ، وسارتِ العجمُ إلى خُمَيْسِ مذيور. ولم يقدرِ المجاهدونَ على رَدِّهِمْ، فأحْرَقَتِ الأعاجِمُ الخُمَيْسَ وفرَّ مَنْ فيه.

وقعةُ بيتِ الحسام (١):

وصفَتْها: أنَّ العجمَ لما أحرقتِ الخُمَيْسَ وفرَّ مَنْ فيه، وقعتِ المعركةُ في بيتِ الحسام، وامتدَّ الحربُ إلى الليل. وكانتْ هنالك ملحمةٌ عظيمةٌ حتى أنه قال أحمدُ فيضي: إنه لم يرَ مثلَ حربٍ ذلكَ اليومِ، وحربِ الظفيرِ إلا في جهادِ الكُفار. وأخبروا أن صبيَّةً من أهلِ بيتِ الحسام، لما رأتِ العجمَ، وقد أحاطوا بالدارِ، ألقتْ عليهم جداراً من سطحِ البيتِ، فقتلت من العجمِ سبعةً، وكان عددُ القتلى من العجمِ ما يزيدُ على الستين، ورمتِ العجمُ الصبيَّةَ التي ألقتِ الجدارَ فقتلوها، وامرأةٌ أخرى، ولم يُقتلْ غيرُ هاتينِ المرأتينِ من العربِ، وباتتِ العجمُ في الخُمَيْسِ، وقد بُعدتْ عنهم مطارحُ العربِ، فرتبتِ العجمُ الذي فوقَ الطريقِ ليلاً، وأقبلَ المجاهدونَ من كلِّ جهةٍ، فقبضوا الأكامَ التي على الطريقِ، وحينئذٍ فرَّتْ [العجمُ وثبت] (٢) المجاهدونَ من أهلِ البلاد.

وفي الصباحِ تقدَّمتِ العجمُ واشتدَّ الحربُ، والتحمَ حتى أدبرَ عسكرُ العجمِ وانهزمَ، وخلفت خالفةً من وراءِ جبلِ قملان، فما شعرَ المجاهدونَ إلا ورميَ البنادقِ مِنْ ورائِهِمْ كالصواعقِ، وأحاطوا بِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ الجِهاتِ،

(١) بيت الحسام: موقع قريب من خُمَيْسِ مذيور.

(٢) الإضافة من م.

فانهزم المجاهدون. وكان ذلك من أثر الخداعات، واستشهد أثنى عشر رجلاً في حال الهزيمة، وقُتِلَ من العجم ثمانون، ودخلت العجم بيت حصية قُمْلان⁽¹⁾؛ وقد تفرَّق المجاهدون بكلِّ مكانٍ، وقد خالط أفئدتهم الفشل والخذلان والوهن، فرجع كلُّ واحدٍ إلى بلده وما أحسن.

وقعة بيت عذران:

وصفتها: أن أحمد فيضي انتقل من بيت حصية نصف الليل إلى صنعاء، وقد كثروا بمن انضاف إليهم من الباطنية. فلما وصلوا بيت عذران [قبضوا الأكام التي حوله، وأقبلت القبائل، فلم يؤثروا شيئاً، وأرسلت العجم المدافع على بيت عذران]⁽¹⁾، وفيه نحو أربعين رجلاً من الأعيان.

ثم هجمت العجم فردهم الذين في القرية، ثم ما زالت العجم يهجمون، ويردُّهم المجاهدون من نصف النهار إلى نصف الليل. وكان فيهم الحاج شريان مرج، فلما علموا أنه لا طاقة لهم، وأن جميع من بقي من القبائل قد فروا عنهم، وما فيها من الأهل والمال؛ لأنه لم يخرج منها شيء قبل القتال، وقع خروجهم من بين مطرح الأعاجم، وما حفظه الله فهو سالم، وقُتِلَ من العرب نحو ما زاد على الأربعين، واستشهد / من ٢٣ ب المجاهدين الشيخ علي من مشايخ البلاد وامرأة. ودخلت العجم بيت عذران، وما شاء الله كان. ودخل حسن أديب بمن معه من صنعاء يوم السبت، وأمست

(1) قُمْلان: بلدة وحصن يسيطران على الطريق بين صنعاء والحديدة شمال صنعاء، في

عداد بني مطر انظر، الاكليل، ٢/٢٨٤، طبق الحلوى، ٢٤٣، معجم المقحفي،

٥٢٣، ١٧٥، وجاء في أئمة اليمن «قُمْلان بيت حصية».

(١) الإضافة من ع، م.

العرب في مذبح، وسائر القيعان.

فلما كان يوم الأحد التحم، وخرجت من العجم طائفة، وسلكت طريق الجراف، وقصدوا مذبح، ولم تزل العرب في قلة العرب. وتتابع الهزيمة، وآها لها من خلة ذميمة، وسجية غير كريمة.

وكان في مطرح الجراف السيد علي بن صلاح، وصحبته جماعة من أرحب ونهم (1) فلم يزالوا يتسللون. وبلغت خيل العجم إلى قرب الكولة، فقتلوا ناصر بن صالح دغيش، والسيد محمد بن موسى، وجزوا رأسيهما، وحصل في العرب من الفشل والوهن، ما يتعجب منه ذو الفطن. وتقدمت طائفة من العجم إلى حدة، ففر منها الشريف محمد الحتري، ومن فيها من الرجال المعدة. وتوجه أحمد فيضي الجراف فرمى بالمدافع، فلم يخرج من فيه فتركهم، ثم طلع جبل عرقة، ورمى من هنالك إلى الروضة، وأهلها في غفلة لا يشعرون، فوقعت أول رصاصة في بيت رجل، ففتحت في أعلاه باباً، وقرحت داخل المكان، فكسرت طاقاته والزجاج، ففرع الناس لذلك، ثم تابعوا الرمي بالمدفع إلى الروضة قدر أربع عشرة ضربة، وطفق أهل الروضة يشدون أذاتهم، ويهربون من وقت العصر إلى الصبح، حتى هرب بعضهم إلى ذيفان. وكان في الروضة عسكري كثير من العرب، فما أمسى أحد منهم إلا إلى أهله انقلب، ثم عاد العجم إلى الجراف، فأخذوه بالاعتساف، وباتوا فيه، وفي الصبح أحرقوه. وأما أهل

(1) نهم: قبيلة من بكيل الهمدانية، مساكنها في الشرق الشمالي من صنعاء على بعد ٥٨ كم انظر، اليمن الكبرى، ١٩٤، صفة جزيرة العرب، ١٥٤، الاكليل، ٢/٥٣٣ معالم الآثار، ٣٧، نشر العرف، ٢/١٩٤.

الروضة فطلبَ لهم بعضُ أهلِ صنعاءَ أماناً مِنَ العَجَمِ ، فما أصبحوا الا والبيروق على رأسِ الصَّومعةِ (1).

وفي الصُّباحِ دخلَ أحمدُ فيضي بِمَنْ معه ، وأصبحتِ الأسعارُ فيها مرتفعةً ، واستحلُّوا حُرْمَةَ الجامعِ ، وأدخلوا فيه البِغَالَ والمزاميرَ ، وما هذا منهم بأولِ نكيرٍ ، بل في طبائعِهِم القبائحُ ، وكراهةُ كلِّ عملٍ صالحٍ ، وأما دارُ الحَيِّدِ فما قد تعرَّضَ لهم العجمُ بكيدٍ ، إلا أنَّ العربَ ما بَلَغَ أحدٌ منهم خبراً إلا هَرَبَ ، فصاروا يذهبون رجلاً رجلاً ، وقد ذهبتْ عقولُهُم خوفاً وَوَجلاً .

وفي اليومِ الثاني ، وعندَ وصولِ أحمدَ فيضي الروضةَ ، خَرَجَ جَدِرٌ (2) فرماه بالمدافعِ . وكان أهلهُ قد فرَّوا منه ، هُمُ ، ومن هناك من العسكرِ ، فدخلها العجمُ ، وأحرقوا بعضَ بيوتهم .

وقعةُ الحاورِي (3) :

وصفتها: أنَّ العجمَ في اليومِ الثاني ، قصدوا الحاورِي ، وفيه الشيخُ المجاهدُ يحيى بنُ يحيى دوده باقٍ فيه بعدَ عزمِهِ من جَدِرِ ، فتلقاهُم الشيخُ يحيى ومَنْ معه بالحربِ مِنَ الصُّبْحِ إلى الليلِ ، وتكوَّنَ الشيخُ يحيى بنُ يحيى دوده

(1) الصوامع الأربع ، صومعة صلاح الدين والمدرسة والمرادية والبكيرية انظر، المدارس الاسلامية ٢٨٢ ، حوليات يمانية ، ٤٧٠ .

(2) جَدِرِ: من قرى بني الحارث ، شمال شرق صنعاء ، هي جَدِرِ أعلى وجدِرِ أسفل ، وجدِرِ أيضاً بلدة من عُزلة الأحيوب وأعمال الحَيمة الداخلية ، صفحات مجهولة ، ٤٠ ، الاكليل ، ٥٢٧/١ ، معجم المقحفِي ، ١١٣ .

(3) الحاورِي: من قرى همدان التي تمتد مساكنها من شمال صنعاء حتى صعدة انظر أئمة اليمن ٥٠/٢ : (سيرة المنصور بالله ، ٥٠) .

كوناً خفيفاً. وجماعةً من أصحابه مكاوين، ولم يُقتل منهم أحدٌ، ومن العجمِ قدرُ أربعين.

ولقد أخبرنا الشيخ يحيى بن يحيى دوده أنه رُمِيَ بالمرت، وحُرقت اللَّحْفَةُ والقَمِيصُ، وأكْبَسَتْ في الجَلْدِ، وقد خرجتُ^(١) إلى جَبِيه، وهذه من الغرائب.

ولمَّا علموا أن البيوتَ قد تَهَدَّمَتْ من رمي المدافعِ، خرجَ الشيخُ يحيى بمن معه في الليل، وقَدَّرهم مئةً وخمسون، وقدرُ العجمِ أربعةُ آلافٍ.

ورجعَ أحمدُ فيضي بمن معه صنعاءَ، وأنفذَ علي باشا إلى بلادِ حُبور كما سيأتي. ثم خرجَ أحمدُ فيضي إلى الجَرْدَاءِ^(١)، ففرتِ القبائلُ، ولم يَبْقَ إلَّا القليلُ فرمَوْهم بالمدافعِ من الظُّهرِ إلى اللَّيْلِ. فلَمَّا عَلِمَ مَنْ في الجَرْدَاءِ أنه لا طاقةَ لهم، خرجوا في الليلِ. فلما أَصَبَحَتِ العَجْمُ ضربوها بالمدافعِ، ثم دخلوها، وأخذوا ما فيها من الحبوبِ وأحرقوها.

وفي ذلك اليومِ خرجَ سيدي / عزُّ الإسلامِ من دارِ سالمِ المسمى دارَ الحَيْدِ^(٢)، خوفاً أن يصيبه^(٣) من الأعاجمِ كيدٌ.

ثم إنَّهُ تقدَّم فيضي على دارِ سالمِ، فلم يلقَ فيها أحداً من الأوامدِ، فأخذَ ما فيها من الحبوبِ التي طَلَعَتْ من يريمِ وذمارِ، ثم أحرقَ بعدَ ذلك بعضَها بالنارِ. ثم تقدَّم إلى دارِ سالمِ^(٣)، فوقعَ مِمَّنْ فيها حربٌ يسيرٌ، ودخلَ فيها العجمُ

(١) الجَرْدَاءُ: قرية من سَنحان جنوب صنعاء انظر، معجم المقحفي، ١١٧، طبق الحلوى، - ٢٣.

(٢) دار الحيد، دار سَلَم: من ناحية سَنحان، قرية في القاع الجنوبي الشرقي من صنعاء

(٣) في ع، خرقت. (٢) من أن تصيبه، في ع. =

ليلاً فأحرقوها، ثم تقدّموا إلى جوب، وكان فيها الصوفي وجماعة، فوقع الحربُ بينهم وقُتِلَ من العجم جماعة، وسُلبت منهم ثنتين بنادق، ثم خرجوا منه، وأما عز الإسلام فإنه خرج غَيِّمان (1) واستدعى بني هلال (1)

وفي هذه المدّة، وصل السيّد أحمد بن قاسم حجر من يريم وذمار قافلاً بالأسارى الذين من العجم، ولما عَلِمَ بانهزام العرب، أوثَقَهُم بالحديد المُحكَم، وسارَ بهم حتى أوردَهُم المقام المكرّم، بما أنضاف اليهم من الأثاث والسلاح والخدم.

وفي هذه المدّة أيضاً كان فتحُ قصبه الحسوي في بيت عِدَاقة، وفيها سبعة وعشرون، أجبرهم علي علوي كما تقدم. وكان صفةُ خروجهم أنه لما خرج من قصبه السوق سعد يسراً عيرهُ عليّ علوي، فشُدو عليه الحصار، وجعلوا يحفرون الحفائر، وكان الشيخُ غالبُ عليّان يأتيه ليلاً طالباً للصُّلح في الظاهر، وإرادةُ علي علوي الغدْرُ به، وكان يُظهِرُ له البِشْرَ، فلَمَّا عَزَمَ علويّ على قتله

= بمسافة ٥ كم، ووردت في معجم المقحفي، دار سلّم، انظر المقحفي، ٢٢٩، أئمة (سيرة المنصور بالله)، ٤٩، صفحات مجهولة، ٦١.

(1) غَيِّمان: شرقي صنعاء بمسافة ٢٠ كم، مشهورة في بني بهلول، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ١٢٠/٢، صفة جزيرة العرب، ١٥٥، الاكليل، ٢٩٧/١ اليمن الكبرى، ١٨٧، معالم الآثار، ٤٥، تاريخ مدينة صنعاء، ٢٣٣.

(2) سعد يسر: بيت سعديسر، هم ذرية النقيب يسر من عبيد الدولة في صنعاء انظر، صفحات مجهولة، ٢٥.

(١) في م، بهلول وهو الأصح.

ذات ليلة، فِظَنَ (١) لذلك الشيخُ غالبٌ، فثَبَّتَ لها (٢) بخمسة عشر رجلاً، وأقبلَ علوي بخمسة من العجم، ففرَّعَ البابَ، ودخلَ بِمَنْ مَعَهُ، فطَلَعَ إليه، وخرجَ الكامنون، فقبَضُوا عَلَويًا ومن معه، وحاولَهُ المجاهدون أن ينادي مَنْ فِي القِصْبَةِ بالخروجِ فأبى، فعذَّبوه حتى ناداهم، فخرجوا وأوصلوا الجميعَ إلى حضرةِ الإمامِ - عليه السلام - (١).

وقال القاضي العلامةُ حسينُ بنُ أحمدَ العرشي في ذلك شعراً:

[الطويل]

<p>عَمُومًا وَأَهْلَ المَرَوْتَيْنِ وَزَمِزِمِ أَخْصُ مِنَ الأَعْرَابِ أَهْلٌ يَلْمُكُمْ وَمَبْتَدِعُ فِي دِينِهِ مَتْرُومِ إِلَى المَوْتِ قَوَادِ الخَمِيسِ العَرَمِ عَلَى العُجْمِ فِي سَوَاقِ النِّفَاقِ المَتَمِّمِ وَيَنْتَالُ عَلَيْهِ وَرَاءَ كُلِّ مُحْرَمِ مَكَارِمُهُ إِنْ قَلَّ أَهْلُ التَّكْرَمِ سَيَسْقِيهِ مِنْ كَاسَاتِهِ كَاسَ عَلَقَمِ حَبَاهُ فَسَوَاهُ بِأَهْلِ التَّنْعَمِ غَمَامَتَهَا فَاسْتَفْتَحَتْ كُلَّ مُبْهَمِ لَهُ أَهْبَةٌ فِي طِيَّهَا رُوحُ ضَيْغَمِ</p>	<p>أَلَا هَلْ أَتَى الأَعْرَابُ فِي نَايِ دَارِهَا وَإِنْ كُنْتَ قَدْ حَصَّنْتَ قَوْمًا فَإِنَّمَا فَجَالَدْنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ مُعْتَدِ غَدَاةَ احْتَمَلْنَا لِلْقِتَالِ يَقُودُنَا إِمَامٌ لَهُ الأَخْبَارُ بِالْيَمَنِ أَشْرَقَتْ يُعَادُ إِلَيْهِ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَيُنْسَبُكَ وَالْأَخْبَارُ عَنْكَ خَفِيَّةٌ وَمَا النَّاسُ إِلا ائْتَانُ فِيهِ: فَمُبْغِضُ وَذُو خِلَّةٍ قَدْ مَحَّحَ العُسْرُ سَيْلَهَا وَلَمَّا دَعَى الأَعْرَابَ قَامَتْ وَأَلْفَتْ بِكُلِّ كَمِيَةٍ يَلْتَقِي المَوْتَ بِاسْمًا</p>
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(١) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ٤٧.

(١) فظن في ع، م.

(٢) سقطت من م.

وكلُّ حَسَامٍ أَخْلَصَ الصَّقْلُ لَوْنَهُ
 وَقَوْمٌ لَهُمْ فِعْلُ الرُّمَاءِ سَجِيَّةً
 / قِبَائِلٌ مِنْ حَيِّيٍّ بِكَيْلٍ وَحَاشِدٍ
 وَمِنْ مُذَجَّحِ الْغُلْبِ الْكِرَامِ بِأَنْفُسِ
 وَمِنْ كِنْدَةِ الْأَبْطَالِ كُلِّ مِقَاتِلِ
 وَمِنْ حَمِيرِ الشُّمِّ الْمَطَاعِينَ عَصَبَةً
 سَلَوْا مَفْحَقًا أَغْنَى عَنِ الْعُجْمِ عَصْمَةً
 بَلَى قَدِ رَمَتْهُ الْعُرْبُ فَانْقَادَ طَائِعًا
 وَيَوْمَ لَهُ وَالذِّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الشَّنَا
 وَيَوْمَ اسْتِغَارَ الْجَيْشُ بَيْتَ عِدَاقَةٍ
 ثَمَانِينَ لَا نِصْفَ الثَّمَانِينَ غُودِرُوا
 وَقَدْ سَلَّمُوا مَا كَانَ فِي الْحِصْنِ عُنُوءَةً
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْعَةٌ بَعْدَ وَقْعَةٍ
 تَرَكْنَا نِسَاءَ التُّرْكِ يَبْكِينَ حَوْلَهُمْ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْعُرْبَ لَمَّا تَنَمَّرَتْ
 وَعَنْ أَمْرِهِ لَا عَن سِوَاهِ نَوَّفَهُمْ
 إِمَامُ بَنِي الزُّهْرَاءِ وَشَمْسُ أَزْدِ هَائِهِمْ
 وَمَوْلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِحْسَانُهُ الَّذِي
 وَيَحْتَارُ وَصِفُ الْمَادِحِ الْوَصْفَ وَصَفَهُ
 وَيُؤَلِّيكَ إِحْسَانًا وَيُقَرِّيكَ طَيْبًا

يَحْدُثُنَا عَنْ حَيِّ عَادٍ وَجَرُّهُمْ
 إِذَا كَانَ أَعْمَالُ الْعِدَا بِالْتَّعْلُمِ
 مُطِيعَتُهُ يَوْمَ الْوَعْيِ وَالتَّقَدُّمِ ٢٤ب
 مَعْوَدَةٍ ضَرَبَ الْكَمِّي الْمَجْمَعِ
 كَرِيمٍ يَلَاقِي الْجَيْشَ غَيْرَ مُذَمِّمِ
 مَرَاجِحَةٌ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَيَقْدُمِ
 أَمْ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ حِبَالُ التَّعَصُّمِ
 وَلَمْ يَلْقَ لِلْأَتْرَاكِ غَيْرُ الَّذِي هُمِ
 وَيَسْتَلْزِمُ الْأَعْرَابَ مِنْ كُلِّ مُلْزِمِ
 فَآبَوْا بِرِضْوَانٍ، وَغَفِرَانَ مِنْهُمْ
 أَسَارَى هُمْ مَا بَيْنَ عُرْبٍ وَأَعْجَمِ
 وَسَاءَ بِهِمْ أَمْرُ الْحَدِيثِ الْمُقَدَّمِ
 وَفِي كُلِّ حِينٍ مَغْنَمٌ بَعْدَ مَغْنَمِ
 حِزَانًا عَلَيْهِمْ بَيْنَ بَكْرِ وَأَيْمِ
 مُتَابِعَةً نَجَلَ النَّبِيِّ الْمَكْرَمِ
 وَنَتْرَكُهُمْ فِي بَلْقَعٍ مِنْ جَهَنَّمَ
 وَمَفْخَرُهُمْ فِي الْعِلْمِ لَا فِي التَّعْلَمِ
 أَفَاضَ عَلَى كُلِّ الْعِبَادِ بِأَنْعَمِ
 فَلَمْ يَدْرِ مَاذَا قَالَ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
 وَيُعَلِّيكَ فِي مَرْقَى مِنَ الْعِزِّ مَتَمِّ (١)

(١) الأبيات ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٣ وردت في أئمة اليمن، ٤٧ مع بعض الاختلاف.

وكم يَسْمَحَنُ اليَوْمَ مِنْ بَعْدِ قُدْرَةٍ
وكم مِنْ أَسِيرَاتٍ وَهُوَ مَنْعَمٌ
فَذَا خُلِقَ الْأَبَاءُ كَانَ قَدِيمُهُ
وَأَوْصَافُ خَيْرِ الْخَلْقِ عِلْمًا وَحِكْمَةً
وَمِنْ حَيْدَرِ الضَّرْبِ الْمَبِيدِ وَرِاثَةٍ
(١) «فَدَعْنِي فِي عُلَاكَ مَشِيدًا»
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَصَّرْتُ فَالْقَصْرُ عَادَةٌ
وَفِي آلِ طَهِ الْمَصْطَفَى سَيِّدِ الْوَرَى
فَصَلِّ عَلَيْهِمُ وَالسَّلَامُ فَإِنَّهُمْ

وَيَغْفِرُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ مُعْظَمٍ
وَكَانَ يَظُنُّ الْمَوْتَ فِي طَيِّ مَقْدَمٍ
وَأَدْرَكَهَا الْمَوْلُودُ عِنْدَ التَّقْسِمِ
مُنْقَلَةً فِي مُسْتَمٍ بَعْدَ مُسْتَمٍ
تَوَارَثَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَتَمِّمٍ
أَظُنُّ بِهِ ظَنَّ الْحَبِيبِ الْمَتِيمِ (١)
لِمَثَلِي كَانَ الْعَفْوُ [(٢)]
وَسَيَلُّنَا عِنْدَ الْقِيَامِ الْمَعْظَمِ
هُدَاةً وَهُمْ أَهْلُ الْمَقَامِ الْمَحْرَمِ

وَيَخْلَالُ هَذِهِ الْمَدَّةَ خَرَجَ عَلِيٌّ بِأَسَا بَعْسَكِرٍ كَثِيرٍ لِلْغَارَةِ عَلَى الْمَحَاصِرِينَ
فِي كُوكِبَانَ، وَبَيْتِ عِدَاقَةَ، وَكَانَ طَرِيقُهُ عَلَى شِبَامٍ وَمَرَامُهُ الطَّوِيلَةَ، لِأَنَّهُ قَدْ
صَارَتْ بِحَوْزَةِ الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَتَلَقَّاهُ الشَّرِيفُ حَسَنٌ (٣) الْجَنْدَبِيُّ / ١٢٥
وَمِنْ مَعَهُ وَوَقَعَ الْحَرْبُ فِي قَاعِ الضَّلْعِ، وَمَنْعُوا الْعَجَمَ عَنِ الدَّخُولِ. فَلَمَّا
كَانَ اللَّيْلُ ارْتَحَلَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ حَتَّى بَلَغَ الْهَرَّةَ، فَرَمَى بِالْمَدَافِعِ، فَفَرَّ مَنْ
فِيهِ، وَعَزَمَ مِنْ حِينِهِ الطَّوِيلَةَ، فَهَرَبَ الْمَجَاهِدُونَ فَدَخَلَهَا وَرَبَّهَا، وَلَمْ يَلْقَ
أَحَدًا بِهَا.

(١) فِي هَذَا الْبَيْتِ خَلَّلَ عَرُوضِي.

(١) (١) سَقَطَتْ مِنْ ع.

(٢) (٢) بِيَاضٌ فِي أ، ع.

(٣) (٣) فِي ع، عَلِيٌّ.

ثم سارَ حتى وصلَ بيتَ عِدَاقةٍ ، فوجدَ من فيه قد استسلموا وأَسْرُوا، فرتَّبَ بيتَ الفقيهِ صالح، وبيتَ سريح، وعزمتُ طائفةً من العجمِ طريقَ ثُلا. وكانَ الإمامُ، حفظهُ اللهُ، قد وجَّهَ إليه السيدَ أحمدَ بنَ عبدِالرحمنِ بنِ هاشم، وأمرَهُ أن يشحَنَ الحِصْنَ بالرجالِ والزَّادِ. فلَمَّا وصلتِ الأعاجمُ فرًّا، فاستولتِ العجمُ على الحصنِ ورتبوه، وعزمتُ طائفةً من العجمِ ، فرتبوا بيتَ عُلْمَانَ.

وقعةُ نَجْرَةَ:

وهذه هي الوقعةُ الثانيةُ، وصفتُها: أنه لما بَلَغَ من في حجة (1) [من العجم] (1) أن علي باشا وصلَ الطويلةَ، كتبوا إليه أنه سيخرجُ منهم عسكريٌّ، وهو - أعني علي باشا - يمدُّهم بعسكريٍّ فيملكون ما بين القريتين، فاتَّفَقَ المجاهدون بالرسولِ والكتابِ، فعرفوا ما يريدُه الأعاجمُ، ولم يعلمَ مَنْ في حِجَّةَ بأنَّ العربَ قد أخذوا المكتوبَ، فخرجوا على الوعدِ المضروبِ، وقد تأهَّبَ المجاهدون لذلك اليومِ، فأقبلتِ العجمُ وتلقاهم المجاهدون، ووقعَ الحربُ في بيتِ صولان (2)، وجاءتُ فرقةٌ أخرى من العجمِ، واشتدَّ الحربُ

(1) يتبع حجة النواحي التالية، بني العوام، الطور، مَبِين، الجَمِيمة، الشَّغَادرة، كحلان عَفَّار، نَجْرَه، شرس، المَدَان، ظَلِيمة حُبور، كُشِر، وشحَّة، كحلان الشَّرَف، خَيْرَانَ، المَحَابِشَةَ، القُفْل، الشَّاهِل، أسلم، أفلح الشام، كُعَيْدنة، عَبَس، المفتاح، حَرَض، ميري، شُهارة، مُسْتَبَّأ، بكيل المير، أفلح اليمن.

(2) صولان: قرية من عزلة مرهبة، ناحية ذيبين، وجبل صولان يقع شمال وادي ذيبين انظر، التقسيمات الادارية لعام 1985، خريطة ج. ع. ي، ٥٠:٥٥ صفحة، 1544, A, I السيرة المنصورية، ٥٩٣.

(١) الإضافة من م.

والتحموا، فهربت العجم حتى وصلوا إلى مطرحهم، وقُتِلَ اثنان وثلثون غير الأسارى، وغنموا منهم أحد عشر بندقاً^(١).

ذكرُ وقعةٍ في الشرف^(١):

وفي هذه المدة كانت الوقعة في الشرف ، وذلك أن من فيه من الأعاجم تقدموا يريدون القتال، فالتقاهم المجاهدون، ووقع حربٌ عظيمٌ حتى فرت العجم، وتبعهم المجاهدون إلى مطرحهم، وقتلوا منهم نحو الأربعين. وفي هذه المدة رتب علي باشا بيت عداقة وجبل مسور، ووصلت إليه الأخبار، أنها عاد الأنصار إلى حصار صنعاء، فترك في الطويلة أربع مئة نفر، ورجع متوجهاً صنعاء.

ثم إن المجاهدين أحاطوا بيت عداقة من كل جانب، فحاصروهم ثلاثة أيام، فخرجوا بعدها للأسر والاستسلام، وأوصلوهم حضرة الإمام عليه السلام، حتى ضاقت قرية المدان عن الأسارى، فتضرر أهلها، فبعث الإمام - عليه السلام - منهم جماعة إلى صعدة.

ثم إن العجم آمنوا من هرب من العرب في الأحواز، فترجع أكثر الناس. ثم خرجت العجم على عز الإسلام إلى غيمان. فأرسلوا عليها

(١) الشرف: هو شرف حجور، جبل واسع في الشمال الغربي من حجة ويشكل أحد قضاوتها، انظر الاكليل، ٨٦/١٠، صفة جزيرة العرب، ١٢٦، المفيد، ١٤٨، نشر العرف، ٦٧/١ نيل الوطر، ٥٨/١، معجم المقحفى، ٣٥٢.

(١) سقطت من ع، م.

المدافع، وكان خروجهم هنالك فجر يوم الاثنين، وانتهى الحرب إلى الليل، وأحاطت العجم بغيمان من جميع الجهات. وتجاوز العرب في بقائهم أو الخروج، واستقر رأيتهم في نصف الليل على الخروج.

وكانت المدافع قد أخرجت الجدار التي حول الباب، وبعد مشقة افتتح الباب، فخرجوا من بين مطارح العجم بجميع دوابهم، وكان العجم لا يعلمون تغاضياً، هكذا أخبرني من حضر الواقعة ممن أتق به، وعزم سيف الإسلام جبل اللوز⁽¹⁾، وتقدمت العجم في اليوم الثاني حتى بلغوا جوب⁽²⁾ فوق بينهم وبين القبائل الحرب، ثم رجعوا غيمان فأحرقوه، ورجعوا صنعاء، وفيها عزم أحمد فيضي بعكسٍ عظيمٍ قاصداً إلى ذمار ويريم، فلما وصل ذمار فر أهلها أشدّ الفرار، ولم يبق منهم دينار، إلا نحو أربعين نفراً، فأمن الناس وأظهر العفو عما وقع منهم/ وأرسل الشيخ علي البليلى⁽³⁾ ومصطفى ب ٢٥ نافذ ومن معهم من العساكر إلى يريم، فوجدوا أهلها قد فروا، ولم يبق إلا اليسير. وتلقاهم المشائخ وأعلنوا بالأمان، والعفو عن كل جان. وأما عمال الإمام ففروا من كل مقام من ذمار ويريم وإب وقعطبة.

(1) جبل اللوز: من جبال خولان الطيال في بني سحام، وقد سبق التعريف به. انظر، معجم المقحفي، ٥٧٢.

(2) جوب: هي جوب غيمان، قرية من ناحية بني بهلول بالشرق الجنوبي من صنعاء بمسافة ١٧ كم انظر، معجم المقحفي، ١٣٤، رياض الرياحين، ١١٣.

(3) علي بن محمد البليلى الصنعائي، انظره في أئمة اليمن، ٤٣/٢.

وَمِمَّنْ قُتِلَ فِي حِصَارِ إِبِ سَيْفِ بْنِ غَالِبِ الدَّعِيسِ (١) وَمُحَمَّدِ بْنِ غَالِبِ الدَّعِيسِ (١). وَلَمَّا تَفَرَّقَتْ تِلْكَ الْجُمُوعُ، وَخُفِضَ مِنْ أَعْلَامِهَا كُلِّ مَرْفُوعٍ، اشْتَدَّ الْخَطْبُ عَلَى الْعَرَبِ، وَأَيَقَنُوا بِالْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. وَإِنَّمَا اللَّهُ أَرَاهِمُ أَنَّهُ الْعَظِيمُ الْقَادِرُ عَلَى سَلْبِ الْمَمَالِكِ وَأَنَّ كَثْرَةَ الْعَدَدِ وَالذَّخَائِرِ لَا تُغْنِي شَيْئًا إِذَا أَرَادَ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ، وَأَنَّهُ لَا يَغْتَرُّ أَحَدٌ بِعَظَمِ سُلْطَانِهِ، فَإِنَّ الْجَمِيعَ بِحَسَبِ تَفْضِيلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَامْتِنَانِهِ. لَكِنَّهُ سَبَحَانَهُ لَمَّا امْتَنَّنَ عَلَى الْعَرَبِ بِرَفْعِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لِيَنْظَرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، فَبَادَرُوهُ بِالْمُخَالَفَةِ، وَنَسُوا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ (٢). وَأَنَّ بِشُؤْمِ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ تَعُودُ الْعُقُوبَةُ وَالْإِمْتِحَانُ، كَمَا نَطَقَ بِذَلِكَ مُحْكَمُ الْقُرْآنِ، وَتَفَكَّرَ آيَهَا الْإِنْسَانُ فِي صَدْرِ سُورَةِ سَبْحَانَ، فَإِنَّمَا وَلايَةُ الْعَجَمِ إِنَّمَا هِيَ عِقُوبَةٌ لِمَا سَبَقَ مِنَ الذُّنُوبِ وَتَقَدَّمَ، فَإِنَّ الْقِبَائِلَ فِي الْيَمَنِ أَضْرَمُوا نَارَ الْفِتَنِ، وَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ يَدَّعِي أَنَّهُ الْأَمِينُ الْمُؤْتَمَنُ، وَأَكَلُوا أَمْوَالَ اللَّهِ، وَخَالَفُوا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ. وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ فِي الْيَمَنِ لِلْعَسْكَرِ، فَأَعْلَنُوا بِكُلِّ مُنْكَرٍ، وَأَثَارُوا كُلَّ شَرٍّ، فَلَمَّا لَمْ تَوَدَّ الْعَرَبُ شُكْرَ هَذَا الْإِحْسَانِ، وَلَا عَزَمَتْ قَدْرَ هَذَا الْإِمْتِنَانِ، بَلْ لَمَّا اسْتَخْلَفَهُمُ اللَّهُ فَسَدُوا فِي الْأَرْضِ، وَأَضَاعُوا النِّوَافِلَ وَالْقَرُضَ، وَلَمْ يَحَاسِبُوا نَفُوسَهُمْ قَبْلَ الْحِسَابِ وَالْعَرْضِ، سَلَبُوا هَذِهِ النِّعْمَةَ، وَكُلُّ أَعْمَالِهِ سَبْحَانَهُ لَا تَخْلُو عَنْ حِكْمَةٍ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا مَرَّاتٍ وَشَاهَدْنَا كَرَّاتٍ، فَوَجَدْنَا كُلَّ مَنْ خَالَفَ رَسْمَ إِمَامِ (٣) الزَّمَانِ، لَا بَدَّ أَنْ يُيْتَلَى بِالْخِذْلَانِ، وَيُسَلَبَ التَّوْفِيقَ وَيُرْمَى بِالْإِمْتِحَانِ. وَمَنْ صَدَّقَ فِي نِيَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَتَابَعَ الْإِمَامَ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ يَبْلُغُ مَرَامَهُ مِنَ النُّصْرِ، وَلَوْ

(١) سقطت من ع، م.

(٢) في أ، ع، أهل.

(٣) في ع، م، السالفة.

اجتمع عليه أهل العصر، وحسبك في فضل الصديق أن الله مع الصادقين. ومن كان الله معه، فحقيق أن ينصره الله ويرفعه. ويكفي في شؤم المخالفة، قوله تعالى «حتى إذا فشلتم، وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا، ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم⁽¹⁾» فالابتلاء سببه المخالفة، فليتك كل مخالف على ما مضى في أيامه السالفة. فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب شديد، فاستيقظوا عباد الله، فما هي من الظالمين ببعيد.

وفي هذه المدة، بعث الإمام -عليه السلام- صفي الإسلام - صفي الإسلام، أحمد بن قاسم حميد الدين إلى بلاد أرحب. لما بلغه ما وقع من الفشل والغلب.

ولقد سمعنا الإمام -حفظه الله- يتبرى ويتبرم من أفعال العرب في أحواز صنعاء، وأنهم لم يحسنوا في ذلك صنعا، وأن ما وقع من الخذلان، كان بسبب المخالفة والعصيان، كما ذلك سنة الله في جميع الأزمان.

وحين وصل صفي الإسلام -حفظه الله- إلى أرحب، جمع القبائل، وبلغ الرسائل، وأدى ما وجب، وكنت برفقته في هذه السفرة من حين خروجه من الحضرة بإشارة من الإمام طول الله عمره، ونعم الصاحب لم أزل أشكر بره.

ولما رأى من الناس الفشل والمكَل. أنشأ هذه الرسالة، / ونعم ما ١٢٦ فعل، ولفظ الرسالة⁽²⁾:

(1) سورة آل عمران، ١٥٢/٣.

(2) ورد قسم من الرسالة في أئمة اليمن (سيرة المنصور بالله)، ٥١، وقد ورد فيه الأبيات

٤٠-٤١، ٦، ٩، ١٣، ١٨، ٣٢، ٣٤، ٤٥، ٤٧، ٥١.

يقولُ الراجي عفوَ اللهِ، والداعي إلى نُصرةِ أميرِ المؤمنين، المنصورِ بالله،
أحمدَ بنِ قاسمٍ، وفقه الله:

الحمدُ لله، وما النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ، وبعد،

فإني لما رأيتُ شقائقَ النِّفاقِ قد هُدِرتْ، وسَلَعَ الظلمِ في سوقِ النِّفاقِ
قد نَفَقَتْ، وراياتِ الجهادِ معَ الأئمةِ قد سَكَنْتْ، وطبولُ^(١) جنودِ الحقِّ قد
وقفتْ، وأرجفَ الظالمونَ على المسلمينَ بإرعادٍ وإبراقٍ، وقامَ أهلُ الدنيا
لفسادِ الدينِ على قَدَمِ وساقٍ - قلتُ مستنجداً للعصاةِ الزيديةِ، ومادحاً للفرقةِ
الشَّيعيةِ، عسى اللهُ أن يُوجِدَ لنا عصاةً للحقِّ نافعةً، ولما يُريدهُ الظالمونَ
مانعةً:

[الطويل]

وأجمَعُ أهلَ المُنكَراتِ على النُّكرِ
على البؤسِ والضَّرَاءِ والقتلِ والأسْرِ
ويُعَدُّ عن الأوطانِ بالبرِّ والبحرِ
وعُجْباً على عُجْبٍ وكِبْراً على كِبْرٍ
ومن حُرْقَةٍ بَيْنَ الجوانحِ والصُّدْرِ
وشيعتِهِم، أهلَ الفضائلِ والذِّكْرِ
وأبناءِ قَحْطَانَ الحِجَابَةِ الغُرِّ
ومن بطلٍ مِنْهُ ومن عالمٍ حَبْرٍ
وأينَ رجالُ الطُّعْنِ من حاشِدِ الزُّهْرِ
لِكَسْبِ المعاليِ والمحامدِ والذِّكْرِ

تخادَلُ أهلُ الدينِ عَن نصرِ دينِهِم
وشدَّتْهُم في النائباتِ وصبرُهُم
على قِلَّةٍ في دينِهِم ورجالِهِم
لقد أظهِرُوا تيهاً على كلِّ مُسْلِمٍ
فللهِ ما في القلبِ مِنْ لوعةِ الأسى
فأينَ حُماةَ الدِّينِ مِنْ آلِ أحمدٍ
وأينَ أسودُ الحَرْبِ مِنْ آلِ حَيْدِرٍ
وأينَ رجالُ الصُّبْرِ في كلِّ عاربٍ
وأينَ رجالُ الغزِوِ مِنْ شُمَّ أرحبٍ
هُمُ الباذلونَ النفسِ في كلِّ موقفٍ

(١) في ع، طيور.

كذلك ليوث الحرب سفیان الـذيـن قَد ذَهَبُوا بِالْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْفَخْرِ
وَأَيْنَ رِجَالُ الْعِزِّ مِنْ نَهْمٍ وَالْأَلَى
وَأَيْنَ رِجَالُ الصَّبْرِ هَمْدَانٌ مَنْ لَهُمْ
وَأَيْنَ جِمَاعُ الْعِزِّ مَنْ نَسَلَ حَارِثٍ
أَلَا أَيْنَ بُسْتَانُ الْفَوَاضِلِ وَالنُّهَى
وَأَيْنَ بَنُو خَوْلَانَ إِذْ طَالَ ذِكْرُهُمْ
وَأَيْنَ (٢) خِيَارُ النَّاسِ شِيعَةُ جَدُّنَا
أَلَا بَايِعَ (٣) فِي طَاعَةِ اللَّهِ نَفْسَهُ
أَلَا خَائِفٌ مِنْ غَضَبَةِ اللَّهِ زَاهِدٌ
أَلَا بَايِعَ فِي دَارِ الْغُرُورِ بَجَنَّةٍ
فِيَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ مَالِي أَرَأَيْتُمْ
أَلَمْ يَأْتِ أَنْ تَسْتَيْقِظُوا مِنْ مَنَامِكُمْ
/ أَلَا فَاسْتَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ إِنْ دَعَا
أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا جَاءَ فِي كُتُبِ رَبِّكُمْ
(٥) أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ وَارِدٌ
أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا جَاءَ فِي الْعَجَبِ الَّذِي

بِهِمْ عِزُّ دِينِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ
مَقَامُ اجْتِهَادٍ وَاضِحِ الْحَالِ وَالْقَدْرِ
وَمِنْ نَجْلِ قَحْطَانَ حَشِيشٍ مَعَ الْجَبْرِ
أَلَا أَيْنَ سِنْحَانٌ وَبِهْلُولُنَا الْغَرِّ
كَذَاكَ الْحَدَا وَالرُّوسَ [أَكْرَمَ مِنْ يُقْرَى] (١)
ذَوِي الصَّبْرِ فِي الْبِأْسَاءِ وَالْيُسْرِ وَالْعُسْرِ
فِي حَرْزِهَا مِنْ قَبْلِ حَادِثَةِ الدَّهْرِ
لِنَارٍ تَلْظَى بِالشَّرَارِ وَبِالْجَمْرِ
رَوَائِحُهَا بُشْرَى وَأَنْهَارُهَا تَجْرِي
غُفُولًا عَنِ الْفَضْلِ الْمَضَاعَفِ وَالْأَجْرِ
فَقَدْ بَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ عَنِ شَفَقِ الْفَجْرِ
فَأَسْمَعَ ذَا سَمْعٍ وَمَنْ كَانَ ذَا وَقْرِ ٢٦ ب
مِنَ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ (٤) لِمَنْ كَانَ ذَا فِكْرٍ
عَنِ الْمِصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ وَكَلِدِ النَّظْرِ (٥)
تَوَلَّى فِرَارًا مِنْ وَعِيدٍ وَمِنْ زَجْرٍ

(١) الإضافة من ع .

(٢) في ع ، الا .

(٣) في أ ، بايعي .

(٤) في ع ، والذكرى .

(٥) سقطت من ع ، م .

ولا تتركوا المولى يجودُ بنفسه
 أفي الدين أن يبقى إمام بنفسه
 ولا تبخلوا بالمالِ عنه وقد سخا
 أنيسوا أنيسوا قبل أن تُمطرَ السما
 وتنتزع الأرواح والمالَ عنكم
 بخلتُم على الله الكريم برزقه
 كأنكم الملاكون^(١) لذاتكم
 ألم تعلموا كم من صحيح مُنعم
 / وكم تاعب في ليله ونهاره
 فهل تائب من ذنبه ومراجع
 ونسأل رب العرش في كلِّ حالة
 بجاهِ رسولِ الله أكرم خلقه
 عليهم سلامُ الله ثم صلاته

اتثاقلوا من غير شغلٍ ولا عُذرٍ
 وحيداً وما منكم معين على أمرٍ
 بمُهجته، والروحُ أغلى من الدرِّ
 عليكم بأنواع المصائب والفقر
 علانية من غير شكٍ ولا أجرٍ
 ولم تجزوا الباري بحمدٍ ولا شكرٍ
 وأرزاقكم من عند أنفسكم تجري
 أته المنايا بغتة حيث لا يدرى
 يريدُ الغنى، والفقرُ في سيره يجري^٧
 إلى ربِّه قبل المصيرِ إلى القبرِ
 يمدُّ إمامَ العصرِ بالفتح والنصرِ
 وآلِ رسولِ الله خيرِ بني الدهرِ
 ما دام وعدُ الله بالفتح والنصرِ
 يا قومنا، أجيئوا داعي الله، وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم، ويُجرِّكم من
 عذاب أليم، أجيئوا داعي إمامكم، ولبوا صوت مناديه فيكم، واتبعوا هاديكم،
 والمُذب عن دينكم، إمام شري مهجته بالجنة، ويين ما كان أجداده سنه،
 ولم يزل على الكتاب يقاتل الظالمين والأظنة، فإن اجبتموه حملكم على
 واضح المحجة، وأبان لكم الدليل وأوضح الحجة، فلا تضربوا عن نصرتيه
 صفحاً، ولا تطروا^(٢) عن إجابته كشحاً، «ومن لا يُجب داعي الله فليس بمعجز

(١) في ع، الملاك حتماً، وهو الصحيح.

(٢) في أ، ولا تطروا.

ولا تركوا المولى يجوؤُ بنفسه
 أفي الدين أن يبقى إمام بنفسه
 ولا تبخلوا بالمال عنه وقد سخا
 أنبيوا أنبيوا قبل أن تمطر السما
 وتنتزع الأرواح والمال عنكم
 بخلتكم على الله الكريم برزقه
 كأنكم الملاكون^(١) لذاتكم
 ألم تعلموا كم من صحيح مُنعم
 / وكم تاعب في ليله ونهاره
 فهل تائب من ذنبه ومراجع
 ونسأل رب العرش في كل حالة
 بجاه رسول الله أكرم خلقه
 عليهم سلام الله ثم صلاته

اتثاقلوا من غير شغل ولا عُذر
 وحيداً وما منكم معين على أمر
 بمهجته، والروح أغلى من الدر
 عليكم بأنواع المصائب والفقير
 علانية من غير شك ولا أجر
 ولم تجزوا الباري بحمد ولا شكر
 وأرزاقكم من عند أنفسكم تجري
 أته المنايا بغتة حيث لا يدري
 يريد الغنى، والفقير في سيره يجري
 إلى ربه قبل المصير إلى القبر
 يمد إمام العصر بالفتح والنصر
 وآل رسول الله خير بني الدهر
 ما دام وعد الله بالفتح والنصر
 يا قومنا، أجيئوا داعي الله، وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم، ويُجركم من
 عذاب أليم، أجيئوا داعي إمامكم، ولبوا صوت مناديه فيكم، واتبعوا هاديكم،
 والمُذب عن دينكم، إمام شري مهجته بالجنة، ويين ما كان أجداده سنه،
 ولم يزل على الكتاب يقاتل الظالمين والأظنة، فإن اجبتموه حملكم على
 واضح المحجة، وأبان لكم الدليل وأوضح الحجة، فلا تضربوا عن نصرتيه
 صفحاً، ولا تطؤوا^(٢) عن إجابته كشحاً، «ومن لا يُجب داعي الله فليس بمعجز

(١) في ع، الملاك حتماً، وهو الصحيح.

(٢) في أ، ولا تطؤوا.

في الأرضِ ، وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أَوْلِيَاءُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (1). لَا تَمَلْ بِكُمْ الْأَهْوَاءَ ، وَلَا تَفْتَرِقْ بِكُمْ الْأَرَءَاءَ ، وَلَا تَغْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ زِينَتَهَا تَزُولُ وَتَفْنَى . وَالذِّكْرُ فِيهَا شَيْءٌ يَدُومُ وَيَبْقَى . أَمَّا الْأَمْالُ فِيهَا فَهِيَ كَالسَّرَابِ وَالْأَمَانِي فِيهَا كَكَيْلِ التَّرَابِ . حَلَالُهَا حِسَابٌ ، وَحَرَامُهَا عِقَابٌ ، وَعِمَارَتُهَا إِلَى خَرَابٍ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ ، وَلَيْسَتْ الدُّنْيَا نَافِعَةً إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا وَأَنَابَ . وَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ ، عَمَّنْ قَدْ سَلَفَ قَبْلَكُمْ ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ حُثَالَةٌ بَعْدَهُمْ .

مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ سَعِيدًا ، ذُكِرَ بِالْخَيْرَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَاتَ شَقِيحًا لَعَنَهُ النَّاسُ إِلَى يَوْمِ النَّدَامَةِ ، فَشَمُّرُوا لِلْجِهَادِ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ ؛ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ رَبِّ الْعِبَادِ ، وَأَفْضَلُهَا فِي الْعُقُوبِ وَفِي الْمَعَادِ .

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (2) .

وقال تعالى : « إِنْ اللَّهُ إِشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ (3) الْخِ » .

وقال ﷺ: «(4) لَغْدُوَةٌ أَوْ رُوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» انْفِرُوا

(1) سورة الأحقاف، ٣٢/٤٦ .

(2) الصُّف: ١٠ ، ١١ .

(3) التوبة: ١١١ .

(4) صحيح البخاري، جهاد، ٥ ، ٦ ، ٧٣ ، رفاق، ٥٢ ، الترمذي، فضائل الجهاد، ١٧ ، سنن النسائي، جهاد، ١١ ، ١٢ ، سير أعلام النبلاء، ٤٥٢/٣ ، مسند أحمد بن حنبل ١٦٨/٤ .

والحديث «روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وغدوة في سبيل الله خير

خِفافاً وثِقَالاً، وأقبلوا على طاعة إمامكم أرسالاً أرسالاً، ممثلين بما أَلزَمكم ربُّكم تعالى، منتقمين مِنْ عدوِّكم لله بما عصاه، ناعشين لدينكم الذي قد أماته البُغاة، موضحين من مذهبِكُمْ ما طمَّه الظالمون، ومستحجِّين بما صنَّعه من الأعمالِ الخبيثة، وأنتم بها عالمون. قاتلوهُم فانتُم حزبُ الله. «ألا إنَّ حزبَ الله هم الغالبون»، وأنتم إن شاء الله أنجذُ منهم، وأصبرُ وأشرفُ وأفخرُ. أنتم العربُ العرباءُ، وهُم الأعاجِمُ النُكبا، هم أذلُّ منكم وأحقُّرُ، وإن كانوا في عدَّتِهِم أكثرَ وأوفرَ، وهم الذين قاتلتوهم بالأمسِ، وامتلاتِ القيودِ منهم والحبسُ.

وفي هذه المُدَّة، تقدَّمتِ العجمُ مِنْ مدينةِ تعزٍ إلى حصونِ الأخطور⁽¹⁾ ونقيلِ المَحْرَس⁽²⁾، وفيها جماعةٌ من آلِ دماج، وأحمد بن قايد، وجماعةٌ من ذو غيلان، فوقع الحربُ بينهم في المَوْضِعَيْن، حتى أسفرَ الصبَّحُ لذي عينين، وقُتِلَ مِنَ العجمِ نحوُ مِنْ مئةٍ على ما قيل، وتكوَّنَ الشيخُ عليُّ بنُ عبد الله بنِ سعيد، وأخذتِ العجمُ الحصنين، وقصدوا الشيخَ سعيدَ بنَ غالبِ الدعيس، فاحرقوا بيوتَه، ولم يَقَعْ بينهم وبينه حراية.

وفي هذه المدَّة قصدت جماعةٌ مِنْ العجمِ مدينةَ قَعُطبة، ثمَّ عزَموا من ٢٧ب

من الدنيا وما عليها، وإن المؤمن على المؤمن حرام، عرضه وماله ونفسه، حرمة كحرمة هذا اليوم».

(1) الأخطور: قرية على بعد ١٠ كم من مدينة إب، فيما بينها وبين القاعدة على الطريق المؤدي إلى نجد الجماعي، انظر، معجم المقحفي، ٢١.

(2) نقيل المَحْرَس: نقيل مشهور ما بين إب وتعز فوق بلد السَيَّانِي وأعلى وادي نَخْلان، انظر، معجم المقحفي، ٥٦٥.

هنالك مخلاف الشيعي (1)، يريدون تصليحهُ للشيخ ناصر بن مثنى البسيس، فالتقتهم القبائل، ووقع بينهم حربٌ هائلٌ، قُتل فيه من العجم كثيرٌ، وانهزموا حتى وصلوا قَعَطْبَةَ.

وفي هذه المدّة تقدّم الشيخُ محمد بنُ عبد الله الزبير، من مشايخ الشُعير (2) وله عسكرٌ من العرب، ومقصدهُ يصفي الرعيّة للعجم، فتلقاهُ أهلُ العُود (3) والشعر، فوقع الحربُ بينهمُ وقُتلَ الزبيرُ، وفتكوا به، وهربَ مَنْ معه، ونهبَ أهلُ العُودِ والشُعيرِ ما جمَعَهُ.

وفي الشهرِ المذكورِ، سارَ الشيخُ عليُّ بنُ حسن الصنعاني، وصحبته جماعةٌ من العربِ والعجمِ، حتى وصلوا بَعْدَانَ والمنارَ (4)، ووقع الحربُ بينهمُ وبين أهلِ المحلِّ، فقتلَ من العجمِ نحوُ ستّةٍ، وأسروا بنَ أحمدَ صالح، والشيخَ عليَّ بنَ حسن الصنعاني، فرجعتِ العجمُ إلى أصحابها في إب فخرجَ إسماعيلُ باشا والشيخُ عليُّ بنُ عبد الله بنِ سعيد، ومَنْ معهما، فوقعَ الحربُ فيما بينهم، ووقعَ القتلُ من الفريقين، واستفاضوا على المحلاتِ، وأحرقوا بعضها وعادوا إلى إب. وقد كان دَخَلَ الشيخُ محمدُ بنُ سعيد بن

(1) مخلاف الشيعي: مخلاف بني شُعيب في وصاب.

(2) الشُعير: ناحية تابعة لقضاء النادرة، انظر، معالم الآثار، ٤٢، معجم المقحفي، ٣٥٧.

(3) العُود: بلد في النادرة بالشرق الشمالي من إب انظر، معالم الآثار، ١١٠، الإكليل، ١٤٧/٢، ٣٦٧، صفة جزيرة العرب، ٢٠٠، معجم المقحفي، ٤٧٣.

(4) المنار: عَزَلَةٌ من بَعْدَانَ جنوبي يريم، في أعلاها حصن، انظر مع الآثار، ٨٠، ١٠٤ تاريخ اليمن الثقافي، ٩٦/١، اليمن الكبرى، ٤٣.

غالب الدعيس عند العجم ركوناً إلى ما أظهروا وأعلنوا من التأمينات التي كتبوا بها إليه، وإلى غيره فحبسوه، وبعد مدة أطلقوه.

وفي جمادى الآخرة، تقدمت العجم وأعاونتهم على الشيخ قاسم بن صالح الصبيري إلى محلة منوز والحافر، فوقع الحرب بينهم وبين العجم، ورمتهم بالمدافع، فلما عرف أنه لا طاقة له بأن يدافع عزم بمن معه القفر^(١)، وما زال يغزو العجم من هنالك.

ثم إن العجم أخرجوا الدور، ووصل الشيخ صالح وجماعته إلينا. ومكثوا عندنا في الهجرة، رجب وشعبان ورمضان.

وفي شوال، وصلت له الأمانات من أحمد فيضي، فرجع بيته هو وجماعته، وهو باقٍ إلى الآن قد حلَّ بالمجد بأعلى مكان.

وفي الشهر المذكور، خرجت العجم على الشيخ ناصر بن علي العمري، صحبة القوماندان^(١) مصطفى نافذ والشيخ علي البليبي. فلما وصلوا محلَّ الشيخ ناصر بن عمر، وقع الحرب بينهم في الحائط من الصبح إلى نصف الليل.

(١) القفر: قفر حاشد، أرض واسعة تمتد من جبال يريم شرقاً حتى جبال وصاب العالي غرباً، ومن مغرب عنس شمالاً حتى المخادر جنوباً، وهو القفر الذي يسميه الهمداني، الوحش بلد حاشد، وقد أصبح الآن ناحية مستقلة تتبع قضاء يريم، ناحية القفر، ومركزها قرون، انظر، اليمن الكبرى، ١٤٣، الاكليل، ١٩٤/٢، معجم المقحفي، ٥٢١.

(١) في أ، م الكمندار.

ثم إن الشيخ ناصر عزَمَ القفرَ، ورَتَّبَ حصنَه قرون^(١)، ثم إن الشيخ علي البليبي كاتبه، ووقَّع الاتفاقَ بينهم إلى بعضِ القفرِ.

وفي خلال ذلك، أرسلَ القومانداُن^(٢) مصطفى نافذ بُلُك^(٢) عسكر لقبضِ الحصنِ خديعةً^(٣). فلَمَّا وصلوا إلى بابِ الحصنِ قبلَ طلوعِ الشمسِ، خرجَ بعضُ العسكرِ من الحصنِ يُصَلِّي، وهم دخلوا الحصنَ فصلَّى، ورجعَ آتيةَ النيامِ، وأعلَقوا البنادقَ وعشَّروا في البُلُكِ، فصادفتِ البنادقُ جميعها، فهلكوا عن آخرهم، ما عدا شريفٍ من بني الضَّمِينِ^(٣)، فإنه نزلَ من فوقِ الحصنِ إلى مزبلةٍ قَسَلِمَ، وكانَ الذي من أصحابِ الشيخِ ناصر بعدَ دخوله أغلقَ بابَ الحصنِ لثلا يخرجوا من الحصنِ، فلما أهلكَ اللهُ البُلُكُ سلبوهم البنادقَ، وما معهم من المونةِ، وخرجوا وجلينَ من بعضِ عرضِ الحصنِ، فلَمَّا وصلوا إلى بعضِ الطريقِ، لقوا الشيخَ عليَّ البليبي فأرجعوه أسيراً إلى الشيخِ ناصر، ولوَّموا عليه بما وقعَ من العيبِ.

(١) قرون، انظر، صفة جزيرة العرب، ٢٩٧، معجم المقحفي، ٥٢١.

(٢) بُلُك: كلمة تركية معناها فرقة من الجند.

(٣) بنو الضَّمِين: أسرة من الأشراف تعيش في الجوف، ينتهي نسبهم إلى عبدالله بن حمزة، ولذا عرفوا باسم الأشراف الحمزاوات، حتى اشتهر أحد أجدادهم وهو الشريف عبدالوهاب بن محمد ويلقب بالضمين، لأنه كان يضمن بين الناس انظر، معجم المقحفي، ٣٩٨، وثائق يمنية، ٢١٣.

(٢) سقطت من أ.

(١) في أ، م الكمندار.

(٤) في أ، م، الضميم.

(٣) في ع، م، خدعة.

وقال له الشيخ ناصر أنت مؤمنٌ في نفسك بشرط سلامة الحصن والبلاد، فكتب علي البليلي إلى مصطفى نافذ: «إني قد أسرتُ بسبب العيب الذي أعبتوا بالشيخ ناصر. وإنكم ما قصدتوا بهذا إلا إلى جنابي، ولكن أسلموا البلاد والحصن والا فأنا مقتولٌ»، . فحينئذ أسقط في أيديهم، وخافوا من المسئولية، فكفوا أيديهم، وبعد، حضر^(١) الوسطة فيما بينهم بأن الشيخ ناصر يفك البليلي، وتعزم العجم من البلاد، فأبى الشيخ ناصر أن يفكه حتى تعزم العسكر ذمار. وبعد أن وصلوا ذمار فكه. وكانت تعد هذه من كرامات الإمام، - عليه السلام - / لأن الشيخ ناصر من الصادقين في المحبة.

١٢٨

ثم «لم يزالوا»^(٢) يحاذرون من البغض للشيخ المذكور، إلى الآن؛ خوفاً من تلك القضية، وفي اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الآخر، وصل كتاب من الياور على مثنى الحسيني^(١) إلى الحضرة الشريفة، وهذا الرجل أصله من السر^(٢)، تعلم لغة العجم، ودخل استانبول، فصار ياوراً والياور بلغتهم

(١) على مثنى الحسيني الرجامي اليمني، انظر، أئمة اليمن (سيرة المنصور بالله)، ٦٣، حوليات يمانية، ٥٢٩.

(٢) السر: وادي مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء: بمسافة ٢٣ كم، وهو من ناحية بني حشيش ويطل عليه حصن ذي مَرَمَر الأثري، وحصن ذباب وجبل صرع، وكان يُقال له قديماً سر ابن الروية نسبة إلى محمد بن أحمد الروية، وهو وادٍ خصب ذو خضرة دائمة انظر، اليمن الكبرى، ٧١، تاريخ الواسعي، ٣٠، معالم الآثار، ١١٣، صفة جزيرة العرب، ١٧٦، الاكليل، ١٨١/١٠، نشر العرف، ٩٥/٢.

(١) في أ، م حضرت.

(٢) في ع، لا زالوا.

خادمُ السلطانِ، وصارتْ خِدْمَةُ السلطانِ عندهم من أرفعِ الأمورِ، لا تُعَدُّ من النقصانِ.

ولقد فَكَّرْتُ في بعضِ الليالي، أن هذا الشرفَ حصلَ لمن خدَمَ رجلاً من بني آدم، لا يملكُ ضراً ولا نفعاً، مع أن الخدْمَةَ من أزدلِّ الحِرَفِ، فكيف بمن خدَمَ مولاةً وخالقه، الذي يعلمُ سرَّهُ وما أخفاه، ويجيبُ المضطَّرَّ إذا دعاه، ويكشفُ الكُروِبَ، ويقبلُ التَّوْبَ مِنِّمَن يَتُوبُ، فيغفرُ الذنوبَ، ويسترُ العيوبَ، ويُظهِرُ الجميلَ ويسترُ القبيحَ، ويتحَبَّبُ إلى عبده بالنعمِ، ويشفيه من الألمِ، وهو مع ذلك يتبغَّضُ إلى مولاةٍ بالعصيانِ، ويبارِزُهُ بالذنوبِ في السرِّ والإعلانِ، ثم يحلُمُ عنه ويصفحُ، عسى أن يرجعَ إلى التوبة والإذعانِ، لا إله إلا الله، ما أعظمَ هذا الربِّ! وأحلَمَهُ عن عبده إذا أذنبَ! اللهمُّ الهُمْنِي رُشْدِي وَقَدْ جَرَى القَلَمُ بما ليسَ بمقصودٍ، والشْيءُ بالشْيءِ يُذَكِّرُ، وصورةُ كتابِ الحسيني ما لفظه (1):

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجنابَ العالِي المنيفَ، جنابَ مولانا الإمامِ الشريفِ، العلامةِ، عَيْنِ أعيانِ أهلِ البيْتِ المطهرينِ، الإمامِ المنصورِ باللهِ ربِّ العالمينِ، حَفِظَهُ اللهُ وتولَّاهُ، وأمتعني بحياتِهِ، (1) وشريفُ السَّلامِ، يَخْصُكُمْ، ورحمةُ اللهِ وبركاته، وصلاته وسلامه على محمدٍ وآله.

(1) انظر، أئمة اليمن، ٦٣ - ٦٤.

(٣ ٣) في أئمة اليمن، ٦٣ «وشريف سلام الله يخصكم».

صُدورها بعد وصولنا من حضرة مولانا السلطان - دام عزه - بأمر من لديه لمعرفة ما حصل في أرض اليمن من القتل والقتال، وما سبب ذلك الموجب⁽¹⁾، وكشف حقيقة الأمير والمأمور، وأمور معنا ما يسعها إلا المشافهة، والمقصد صلاح الإسلام والمسلمين، وإخماد الفتنة. فقد جعلنا هذه الإشارة إليكم صجبة العازمين إلى حضرتكم الشريفة من طرفنا لاستمداد الجواب، والإذن منكم في الوصول إليكم بصحح صحيح يكون به الأمان في الطريق، وعند الوصول الحديث شفاه، ومع صلاح النيات، الرجو⁽²⁾ من الله صلاح الشأن. والعازم من لدينا الوالد الشيخ أحمد بن عبد الله الحسيني، وكمال التحقيق من لسنة⁽¹⁾، والسلام عليكم.

حرر يوم ١٥ شهر ربيع آخر⁽²⁾ سنة ١٣٠٩.

وهذا جواب الإمام - عليه السلام -، وأطال مدته⁽³⁾:

بسم الله الرحمن الرحيم

⁽³⁾ إلى من جعل مودة أهل بيت النبوة لدينه شعاراً، ومحبة المنصب العلوي

(1) في أئمة اليمن، من لدنه.

(2) في أئمة اليمن، ربيع أول.

(3) انظر أئمة اليمن، ٦٤ - ٦٦، هناك بعض اختلاف بينهما.

(1) في أئمة اليمن، ٦٣ «وموجه».

(2) المقصود الرجاء.

(3) ورد في أئمة اليمن، ٦٤ «نهي كتابنا».

لما يرومُهُ من خَيْرِي الدارين دثاراً، فطابَ لذلك نفساً وأقوالاً وأفعالاً وخبراً
وأخباراً، الياورِ الأكبر، والمقامِ العالي الأشهرِ، الأخذِ مِنْ رِياسَةِ الكمالِ
بالخطِّ الأوفرِ، علي بن مثنى الحسيني، أسبغَ اللهُ عليه النِعَمَ، ورفعَ له إلى
مطلبِ (١) رضاهِ عاليِ الهممِ، وأرشدَهُ من التقوى إلى شامخِ القِمَمِ [وجعلَهُ
ممن تمسكُ بسفينَةِ النجاةِ واعتصمَ] (٢)، وأهدى إليه سلاماً يُنيرُ به الأرجاءَ،
ويتضوُّعُ بالمسكِ الذكيِّ أرجاءَ (٣). ورحمةُ اللهِ الموصولةُ إلى غايتهِ الأملِ
والرَّجا. وبعد،

فإنَّا (٤) نحمدُ إِيكُم اللهُ الذي لا إلهَ إلا هو، ونُعلِمُكُم أنَّ أحقَّ الناسِ
بالسَّعادةِ، وأقربَهُمَ لنيلِ ما فيه الحُسنى وزيادة، مَنْ منحه اللهُ مِنَ العِقلِ ما
يبلغُ به غايةَ مُراضيه، ويتجنبُ به موبقاتِ معاصيه، وأنه وصلَ كتابُكُم
الكرِيمِ، وخطابُك الفخيمِ، الذي لمحتُ فيه إلى استطلاعِ حقيقةِ الأسبابِ
ب ٢٨ / الباعثةِ لما جرى من القتلِ والمحاربةِ، وعدمِ التوافقِ والمقاربةِ بيننا وبينَ
المأمورينَ مِنْ حضرةِ السلطنةِ القاهرةِ، أدامَ اللهُ عزَّها، على الملحدينِ،
وشتتَ بقوتِها شملَ المعتدينِ. فاعلم - أسعدَكَ اللهُ - أنَّ أهلَ الكتبِ المُنزلةِ
يحافظونَ على كتابِهِم، وأوامرِ رسولِهِم، ولا يدعونَها مُعطلَّةً، فاليهودُ يحافظونَ
على أحكامِ توارثِهِم وكلامِ نبيِّهِم موسى، والنصارى يحافظونَ على إنجيلِهِم

(١) في أئمة اليمن، طلب.

(٢) الإضافة من أئمة اليمن.

(٣) في ع، أرجوا.

(٤) في أئمة اليمن «نحمد الله إليك».

وكلام نبيهم عيسى، ونحن أمة خاتم النبيين، الذي وصفنا الله بقوله: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر»⁽¹⁾. وبقوله «وكذلك جعلناكم أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا»⁽²⁾. وكتابنا القرآن المهيمن على جميع الكتب المنزلة الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد»⁽³⁾. ومع ذلك فاللائق بحالنا أن نرعى كتاب ربنا حق رعايته، ونعمل ببيئاته ومحكماته، ونعمل لسنة نبينا كما أمر ربنا بقوله: «وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا»⁽⁴⁾.

وإنك تعلم أيها الرئيس: أن اليمن الميمون محل الإيمان، كما أخبر به سيد الأنام.

ولما وصلت عساكر السلطنة القاهرة لم يخطر على بال أحد أنهم يعملون بغير ما أنزل الله، ولا يرتكبون ما حرم الله، ويتجاوزون في ظلم عباد الله، ولمما تمكنوا في اليمن ارتكبوا جميع المحرمات، من الزنا واللواط وشرب الخمر وظهورها في بلاد الإسلام كأنها الماء الزلال، وعطلوا الشرائع⁽⁵⁾ وأن مذاهبهم في المسائل الأصولية أعدل المذاهب

(1) سورة، آل عمران، ١١٠.

(2) سورة، البقرة، ١٤٣.

(3) سورة فصلت، ٤٢.

(4) سورة، الحشر، ٧.

(5) هناك فرق بين ما ورد في كتابنا وما جاء في أئمة اليمن، ٦٥/٢ بقوله «الإيمان يمان» وإن مذهب

في مسائل العدل. والأحكام والوعد والوعيد يستندون فيها إلى ضروريات المعقول، وقطعيات المنقول، وكذلك في المعرفة بحقوق الصحابة ومن بينهم من السلف. وكذلك في المسائل الفرعية صار مذهب فيها النصف. [لا يفترق]^(١) أئمة المذاهب الأربعة إلا من بحار علمهم، ولا حكموا في كل مسألة إلا بحكمهم، حتى نشأ الخلاف بين المخرجين للمذاهب، ففرقوا بين الأئمة، وصار المسلمون في ظلمة، وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

وإنك تعلم أن ولاية اليمن كانت بأيدي أسلافنا من العترة الزكية التي هي بضعة من الذات النبوية، وكانوا يعملون فيه بكتاب الله وسنة رسول الله، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الحدود، ولا يأخذون من أرباب الأموال إلا ما قرره عليه رسول الله ﷺ، لأن أهل اليمن أسلموا في عهد رسول الله ﷺ طوعاً. فلا عليهم غير

أهل اليمن في المسائل الأصولية أعدل المذاهب في التوحيد والعدل والوعد والوعيد، لا يعتمدون فيه إلا على ضروريات المعقول، أو قطعيات المنقول، وكذلك في المسائل الفرعية، لم يفترق أهل المذاهب الأربعة إلا من بحار علوم العترة الزكية، حتى نشأ الخلاف من مخرجي مذهبهم، وندبهم البعير لسوء مراكبهم، ففرقوا بين الأمة، وصار المسلمون في ظلمة، وما اختلفوا إلا من بعد أن جاءهم العلم بغياً بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

الزكاة والفطرة^(١).

«ولما وصلت عساكر السلطنة القاهرة، عطلوا الشرائع ورفضوا القصاص والحدود التي نصوصها قطعياً ثم أسرعوا إلى استيعاب أموال الناس بالقوانين الموضوعية التي لم يرد عليها إشارة من علم.

وصارَ التاجرُ والزارعُ في كلِّ أسبوعٍ يُسلِّمُ فلوساً من العدمِ ، ويتقي الإهانات على أنواعها حتى أن بعضهم يؤجِّر نفسه، ويُسلِّمُ أجرته لأعوان الدولة وبيت طاوياً مع أهله وأولاده^(١)، وساعدوا النصارى في الكرنيتية حتى صدوا أهل اليمن عن حج بيت الله الحرام ، وردوهم من طريق مكة مراراً. وكذلك أخرجوا مقابر المسلمين، وعمروا بأحجارها، وحفروا محلات القبور وغرسوا فيها أشجاراً، وكانوا يُخرجون الميت ويترثون به وراء الحائط، وبألغوا في طلب الرسم وقيمة الأوراق، وصاروا يأخذون من الحكام الجهال الذين لا يعرفون أحكام الصلاة، وكذلك من المأمورين، الفلوس المتكاثرة، ويصير متهوراً في أخذ الرشوة / على أي وجه متعمداً على أن ما دفعه من الفلوس ١٢٩ يدفع عنه القيل والقال وغير ذلك، ممَّا لا يرضاه ذو الجلال، ولا يفعله إلا أهل الضلال. فقد أوضحنا لك أيها الرئيس بالأسباب الباعثة، والأفعال

(٢) الإضافة من م.

(١) الإضافة من أئمة اليمن ٦٥ / ٢.

(٢) في م، وأطفاله.

العابثة، وأنك تعلم أن السلطان الأعظم قد قرّر الكُفَّار على ممالك من بلاد الإسلام، ولم يُقرّر أولاد رسول الله على هذه الخطة اليمانية، ويوفي أجر رسول الله ﷺ على التبليغ المشار إليه بقوله تعالى: «قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المودةَ في القُربى». فنعينه بالله أن يدخل في الدعوة النبوية التي قال فيها رسول الله، ﷺ لأهل بيته: أنا حرب لمن حاربتم، سلّم لمن سلّمتم». ويقول: «من قاتلنا آخر الزمان، فكأنما قاتل مع الدجال»، وأما حقن الدماء وتسكين الدّهماء، فنحن أقرب إلى ذلك من السيل إلى منحدره، مهما وجدنا مجالاً للعمل بكتاب الله وسنة رسول الله، ﷺ، ومهما وجدنا أناساً يعملون بقوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بَغَتْ إحداهما على الأخرى، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله». . . وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه رضاه، وسلك بنا سبيل النجاة، وإنه قد وصل مکتوب من السيد محمد الرفاعي الحموي⁽¹⁾، وأجبنا عليه بما صدرت صورته، نرجو إبلاغ ذلك إلى السلطنة القاهرة، أعز الله بها الإسلام.

[تاريخه ٢٥ ربيع الثاني ١٣٠٩هـ-⁽¹⁾].

وفي هذه المدة وصل إلى الإمام، عليه السلام، كتاب من السيد محمد

(1) محمد الرفاعي الحسيني الحموي: هو السيد محمد بن عمر بن حسن الحريري الرفاعي، ولد بحماة سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م، ونشأ في بلده ثم انتقل إلى استانبول، ورأس الطريقة الرفاعية، عاد إلى حماة شيخاً للزاوية الحريرية ت ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م، انظر، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ٣/ ١١٨٩.

(١) الإضافة من أئمة اليمن، ٦٦/٢.

الرفاعي الحسيني الحموي، الذي يزعم أنه « خرج من السلطنة^(١) لافتقارِ أحوالِ اليمن، وكان وصول ذلك المکتوبِ مصحوباً بمکتوبِ من القاضي أحمد بن يحيى الردي^(٢)، وهو رجل مشؤوم، لا يعرف من العلم إلا رسوماً، ومع ذلك فهو قاضٍ بالدعوى^(٢)، عارٍ بقلبه عن التقوى، فلا يستاهل أن يسود به وجه القُرطاس، لأنه مبني على غير أساس، ولا ريب إنما ألقاه في فكره الوسواس الخناس، فلو أراد الله به خيراً لدفن خطله، وكان كالكهر^(٣) يُخرج خطله^٣ ثم ليستره، ولو أنه عرف من الكتاب والسنة مثقال ذرة لما استدل بذلك الكلام الساقط بالمرّة. على نجم العترة، ولقوله ﷺ: لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، ولكنه من شدة شؤميه وبخسه ما عرف قدر نفسه، فضل بجهله المركب، بأنه قد استدل بقول صحيح موجب، ولو سلك طريق التوفيق لعلم أنه قد زاع عن الطريق، وصار من شرّ فريق. وقد خبرت هذا

(١) أحمد بن يحيى الردي: أديب، تولى القضاء في أيام الدولة العثمانية في يريم وحراز وحجة والعدين وناحية البستان وسنحان والحيمة وبنو الحارث وهمدان، ينسب إلى بيت ردم من قرى البستان، ت ١٣٢٠هـ / ١٩٢٠م، انظر، أئمة اليمن، ٣٨٦/٢، لامية نبلاء اليمن، ٣٨.

(٢) قاضي الدعوى: تعينه الدولة بوظيفة قاضٍ، أما القاضي بالتراضي فهو، القاضي الشرعي الذي يقبل أو يرتضي الأهالي الرجوع إليه ليفصل بينهم فيما يثار من قضايا، لذلك يطلق عليه حاكم التراضي، والأهالي والحكومة تكون ملزمة بتنفيذ ما يحكم به، والغرماء الذين يتقاضون أمامه يدفعون أجره، وهم يقبلون بحكمه انظر، وثائق يمنية . ٤٠٢

(١) في م، من عند السلطان.

(٢) في ع، زيله.

الرجل فوجدته أضلّ من راعي ضانٍ ثمانين، وأجهل من ابنٍ تسعين. وأعياناً من باقلٍ بيقين، والله حكمةٌ في إيجاده، وعجيبَةٌ تقضي بإنفاده حيث أوجد دابةً تقضي بين عباده. ولم أطلق عنانَ القلم استنقاصاً لهذا الرجل إلا تحذيراً منه، لأنه ربما يظنُّ من رأى كبرَ عمامته وطولَ أكمامه، أنه من أفراد الزمانِ وأعلامه، فخرَّ بذلك الظنُّ الفاسدِ إلى أسفلِ سافلين، وأبعدَ ممّا بين السماء والأرضين، ليصبحَ ضحكةً للمجانين.

اللهم اغفر لنا، يا خيرَ الغافرين، ولكنّا نذكركه لتعرفَ صدقَ ما قلناه، وأنا لم نكنْ بالغيبِ رجمناهُ. وهذه صورةُ الكتابِ ولفظُهُ:
بعد الحمد لله، (1)

حَفِظَ اللهُ ذَاتَ سَيِّدِي وَسَنَدِي، واسطوّةَ عقْدِ الآلِ
ب ٢٩ الفريد، من عزّ عن مباراته النظيرُ والنديدُ، مَنْ هو / في عينِ اليمينِ إنسانُ،
المشارُ إليه بالبنانِ، قُرّةُ عينِ، أهلِ اليقينِ، محمدُ بن يحيى حميد الدين،
وفقه الله السُّدادَ، وأرشدَهُ لِمَا فِيهِ صلاحُ العبادِ، وخصّه من تحيته بأشرفِ
السلامِ، وأسنى التحياتِ وأنواعِ الإكرامِ، والصلاة والسلامُ على محمدٍ وآله
الكرامِ، والله يحفظُ مولانا سلطانَ الإسلامِ والمسلمين، ويُقيمُ به الدينَ،
ويُنيرُ شريعةَ سيّد المرسلين، وبعد، فإنه لا يخفى على شريفِ ذهنيكم، أن
هذا الأمرَ الذي تحمّلتموه والعبءَ الجسيمَ الذي ارتكبتموه، قد سبقَ في علمِ
الله وقوعه، والله في ذلك حكمةٌ، لتوقفِ أفعاله عليها، وأيُّ حكمةٍ مثلُ
استيقاظِ مولانا سلطانِ المسلمين، فإنه بهذه الفضيلة العظيمة، والداهية
الدهماءِ، تحقّقَ لديه، وصحَّ له صدقُ الأخبارِ المرفوعةِ إلى مسامعِهِ الشريفةِ،

(1) انظر أئمة اليمن، ٥٩، ٦١.

مِنْ أَنْ الْمَأْمُورِينَ فِي الْيَمَنِ غَيْرُ مُسْتَقِيمِينَ، وَلَا لِرَعِيَّتِهِ رَاعِينَ، بَلْ ظَالِمِينَ. وَأَنَّ الشَّرِيفَ الْقَائِمَ فِي الْيَمَنِ، لَمْ يَكُنْ قِيَامُهُ خُرُوجًا عَنِ الطَّاعَةِ، وَلَا تَفْرِيقًا لِلْجَمَاعَةِ، بَلْ لَيْسَ الْحَامِلُ إِلَّا ظَلَمَ الْمَأْمُورِينَ، وَجَوَرَ الْجَائِرِينَ، مَعَ حُسْنِ ظَنِّهِ بِالسَّلَالَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالذُّوْحَةِ الْعُلُويَّةِ، الَّذِي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، الْمَوْجِبُ لَهُ حُبُّهُمْ، الْمَتَمَكِّنُ فِي قَلْبِهِ وَعَلِمِهِ، «بَأَنَّهُمْ أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ»، فَيَأْتِيهَا مِنْ خِصْلَةٍ شَرِيفَةٍ، وَمِنْحَةٍ عَظِيمَةٍ لَطِيفَةٍ! لَكِنْ مَعَ هَذَا صَارَتْ الْمَعَارِضَةُ وَالْمِغَالِطَةُ بِأَنَّ هَذَا الشَّرِيفَ الْقَائِمَ فِي الْيَمَنِ، لَوْ تَحَصَّلَ مِنْ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ عَدَالَةٌ عَمْرَبِينَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا لَهُ عَلَيْهِ طَاعَةٌ، بَلْ شَقَّ الْعَصَا، وَخَلَعَ الطَّاعَةَ، لَهُ اللَّهُ طَاعَةٌ، فَاسْتَثَارَ غَيْظُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَلَمْ يَقْرَأْ بِهِ قَرَارًا، لَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ بِيَعْضِ أَوْلَى الْفَضْلِ مِنْ جُلَسَائِهِ، وَهُوَ السَّيِّدُ النَّاسِكُ، إِمَامُ الطَّرِيقَةِ، أَبُو الْهَدْيِ مُحَمَّدُ الرَّفَاعِيُّ - حَمَى اللَّهُ ذَكَرَهُ بِحَقِّ الْقَرَابَةِ -، وَمَا يَجِبُ لَهُمْ مِنْ حُبِّهِ عَلَيْهِ، وَبِحَقِّ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ أَنَّ الْإِيمَانَ يَمَانًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَلَا تَظُنَّ بِالشَّرِيفِ الْمُؤْمَى إِلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَلَا اعْتَزَتْ إِلَيْهِ قِبَائِلُ الْيَمَنِ إِلَّا فِرَارًا بِسَبَبِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، فزَالَ عَنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ مَا كَانَ بِهِ، وَبِنَاءٍ عَلَى ذَلِكَ انْتَخِبَ السَّيِّدُ الْمَذْكُورُ بِأَمْرِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ بَعْضَ أَقَارِبِهِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الْحَرِيرِيِّ الرَّفَاعِيِّ لِعَلِمِهِ بِدِيَانَتِهِ وَفَضْلِهِ، وَرَجْحَانِ عَقْلِهِ، وَرَجُلًا «الْفَّ عَرَقَهُ وَعَرَقَكَ»^(١)، سَيِّدَ النَّاسِ مُحَمَّدَ وَعَلِيَّ، لِأَجْلِ أَخَذِ الْحَقِيقَةِ، وَاسْتِدْرَاكِ الْأَمْرِ وَالتَّلَافِي لِه قَبْلَ التَّلَافِ، وَمِرَادُهُ الرَّجُوعُ إِلَى الطَّاعَةِ، قَبْلَ الْاسْتِثْصَالِ وَاسْتِدْرَاكِكُمْ [الْأَمْرِ]^(٢) قَبْلَ الزَّوَالِ، فَإِذَا حَصَلَ مِنْكُمْ الْإِسْعَادُ، وَجَاوَبْتُمْ عَلَيْهِ بِالْإِنَابَةِ وَالْإِنْقِيَادِ، جَدُّ

(١) (١) فِي ع. لَمْ عَرَقَهُ، وَعَرَقَهُ سَيِّدُ النَّاسِ.

(٢) الْإِضَافَةُ مِنْ م.

في الإسراع ، وضرب في التلغراف مضمون جوابكم إلى الأبواب العالية،
 وصيرتكم في أمانٍ وعافية، ونلتُم المراد، أنتم وأهل اليمن من الحاضر والباد،
 وإن صمتمتُم على ما أنتم عليه، فذلك وبأل لا مزيد عليه، فقد شاهدنا من
 العساكر والسلاح، مالا قدرة لأحد به، ولا له فلاح، وليست التي قد وصلت
 من العساكر إلا عَجالةً، ومقدمة لا يسعُ المقلدُ جهلها، فأرجو من الله أن
 يكون منكم الإسعادُ إلى ما فيه الوفاق، وصلاح حالكم، وأحوال العباد.

وفي ذلك صلاح الدنيا والأخرى، وقد علمتُم قولَ النبي ﷺ لولده
 الحسن رضي الله عنه «إن ابني هذا سيد» الحديث، فكن في هذا الزمن،
 مقتدياً بالحسن كما قال الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير⁽¹⁾،

- المتقارب -

خليلي دَعَنِي أرى مُهَجَّتِي أزوفَ الرُّحيلِ وليس الكَفَنُ
 فإن كنتُ مقتدياً بالحسين فلي قدوةً بأخيه الحسن
 / وظنُّ التأثيرِ شرطٌ عندَ من يقولُ بوجوبِ الخروجِ ، بل هو مذهبٌ واحدٌ
 كما لا يخفى ، وكيفَ يحصلُ لأحدٍ ظنُّ ، وقد أودعَ اللهُ سرّاً عظيماً في الدولةِ
 العثمانيةِ ، المثاغرةِ للكفرةِ ، وملوكِ النصارى ، أم كيفَ يخالَجُ الانسانُ شكُّ ،

١٣٠

(1) محمد بن إبراهيم الوزير، ولد سنة ٧٧٥هـ في هجرة الظهرابين، قرأ على أكابر مشائخ صنعاء وصعدة، وسائر المدائن اليمنية ومكة، اشتهر صيته في الآفاق، مجتهد وباحث له عدة مؤلفات منها ديوان شعر، انظر، البدر الطالع، ٨١/٢ - ٩٣، الضوء اللامع، ٢٧٢/٦، الاعلام للزركلي، ٣٠٠/٥، الإمام محمد بن إبراهيم الوزير للقاضي إسماعيل الأكوخ، ١١ - ٤٠.

وقد ثبت عن الصادق الأمين «اتركوا التُّرك ما تركوكم»، ولعمري! إن هذا الحديث ترياقٌ نافعٌ، وطريقٌ واسعٌ، ومخصَّصٌ لتلك العموماتِ رافعٌ، وعذرٌ عند الله شافعٌ. فالله الله سيدي محمد! لا تصدِّق مَنْ لا خيرَ فيه، فانت عارفٌ به وبأبيه. هذا وصدَّرَ مكتوبٌ سيدي الفاضل، وإذا مرَّادكم في مواجهته أفدَّتم في جوابكم، وسيصلُ إلى حضرتكم، وما مقصوده في هذا السعي الا الله، الله يجعلُ الأعمالَ خالصةً لوجهه الكريم، وأرجو من الله تعالى ألا يعودَ الرسولُ إلا بإفادته تسرُّ مُرسَلُهُ كما هو مؤمَّل فيكم، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته.

وحرر ٢٩ شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٩.

هذا لفظُ المكتوبِ، وهذا جوابُ الإمامِ، عليه السلام، ولفظه (١):

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، مستحقُّ الحمدِ ووليُّه، وصلاةٌ وسلاماً على حبيبه ووصفيِّه، المبعوث بالشرعية الحنفيَّة، وعلى آله القائمين إثره في إحياءِ السُّنةِ النبويةِ، الباذلين نفوسهم في الذَّبِّ عن الأمةِ المحمديةِ.

صُدورُها بعدَ وصولِ المشرفِ الكريمِ، والمسطورِ الفخيمِ من جنابِ القاضي العلامة، والقدوةِ الأجلِّ الفهامةِ، صفيِّ الدين، وزينةِ المسلمين، أحمدَ ابن يحيى الردمي، وفقه الله لصالحِ العملِ، وحرسَهُ عن الخطأِ والزَّلَلِ، وأتخَفَهُ بأسنى التحيَّاتِ ونوامي البركاتِ، مؤذناً باستعمالِ القريحةِ، ومتضمناً لإبداءِ

(١) انظر أئمة اليمن، ٦٢ - ٦٣.

النصيحة، ومصرحاً بعدم تيقظ سلطان الإسلام بما أُصيب به الخاص والعام، من ظلم عماله لجميع الرعية، وعدم سيرتهم الطريق المرضية، ولا يخفى على كل من له عقل سليم، وفهم غير سقيم.

إن ما أشرتم إليه وأمثاله مما يؤدي إلى هدم الدين ونكاليه، كارتكاب المعاصي في السر والعلن، وانتهاك محارم الله قطعاً بغير ظن مع إضاعة الحدود وإبطالها، وترك الشريعة الغراء [ولاهمالها]^(١)، فكم شاهدت وشاهدنا من دم ضل، وحق ضاع وضل، مع ما علمه كل أحد من الصد عن البيت المعظم، فتحتم علينا القيام غيرة لدين الله، وامثالاً لأوامر الله، وطمعا في إزالة أو تقليل ما حرم الله، لما لم نجد من نعشته همته إلى هذا الشأن، أو قادته عزمته إلى دفع ما يغضب الملك الديان، مع طول المدّة المشعرة بغفلة^(٢) لا يصدر مثلها الا من غافل أو متغافل. والواجب عليكم إذا تصدقتم لنصيحة المسلمين، أن توجهوها إلى من ناوؤ وأهل بيت سيد المرسلين، ﷺ وتذكيره بما أوجب الله عليه من اتباعهم والإخلاص في مودتهم، كما صرحت به آية المودة، وأحاديث من لا نبي بعده، فنحن نرجو من الله إصلاح العباد، وإبانة من خالف الحق وجاد. وما ذكرتم من الإرعاد والإبراق، فلا يصدنا ذلك عما فيه إرضاء الملك الخلاق، وإن لنا قدوة فيمن فاز من آبائنا بالسعادة، وختم الله له بما يرضي من الشهادة، وأناله الله من الحسنى وزيادة، وما ذكرت من ظن التأثير المنادي في كلامك بأعلى صوت بانهمكهم في عصيان

(١) الإضافة من م.

(٢) في ع، التي.

السميع البصير، فقد رأينا بحمد الله النصر والزيادة والمعونة، التي قابلتنا منه بجدير الإفادة، ما تقرُّ به العيون، ويطمئنُّ به المؤمنون، وما اعتصامنا إلا بقدرة مَنْ يقولُ للشيءِ كُنْ فيكونُ / وكفانا قولُ ربِّنا: «حتَّى إذا استيأسَ الرُّسُلُ، وظنُّوا أنهم قد كُذِّبُوا، جاءَهُم نَصْرُنَا، فَنُجِّي مَنْ نَشَاءُ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ»⁽¹⁾، وما دَعَوْنَا إِلَّا لَهِ اللَّهِ، إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ جَدُّنَا، وَلَا سِرْنَا إِلَّا سِيرَةَ الْحَقِّ الَّتِي سَارَهَا أَسْلَافُنَا وَأَبَاؤُنَا. وما أَشْرْتُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَدِيثٍ: «اتْرَكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ» فَذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى الْمُسْتَدَلِّ بِهِ، وَمَتَى تَرَكُونَا، وَقَدْ قَصَدُونَا! والسلام.

وهذه صورةُ مكتوبِ السيدِ محمدِ الحريري⁽²⁾:

الحمدُ لله وحده، وصلى الله على مَنْ لا نبيَّ بعده، وسلامٌ الله على أهلِ البيتِ الكرامِ وأتباعِهِم ومُحِبِّهِم على الدَّوامِ، أما بعد،
فالتحيةُ الزكيَّةُ، والتسليماتُ العظيمةُ، تُهدى لحضرةِ السيدِ الشريفِ،
والعالمِ العَلمِ الغَظيرِ، بقيةِ السلفِ، وبركةِ الخلفِ، المتحلِّي بالفضلِ
والكمالِ، كريمِ السجايا والخصالِ، سليلِ السادةِ الأماجدِ المُكرِّمينِ السيدِ
الفاضلِ محمدِ بنِ يحيى حميدِ الدينِ، كان اللهُ لنا وله وللمسلمينِ، أخبركم
- أخبركم اللهُ بالخيرِ - أنْ جدَّكم عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «الحكمةُ ضالَّةُ
المؤمنِ أينما وجدَّها التقطها»، وأنتم أهلُ الحكمةِ إنَّ شاءَ اللهُ. فكيف فاتكم

(1) سورة يوسف، ١١٠.

(2) أئمة اليمن، ٥٢ - ٥٥.

شرفها، وقد علمتم أن الزمان ما سمح لأسلافكم العظام، من الدنيا بمرام، كيف والأحاديث كثيرة بأن الدنيا تبقى لمحمد وآله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً، وقوتهم عفافاً»، إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة، وأن مذاهب الأئمة على اختلافها قائمة بوجوب جمع الكلمة، وعدم التفرقة. وقد قال النبي ﷺ:

عليكم بالسواد الأعظم الحديث. وصرح بهذا النص النبوي «بأنه من شد شد في النار» وهل السواد الأعظم إلا جماعة المسلمين، وطوائف الموحدين من العرب والعجم، المجتمعين تحت لواء الخليفة الأعظم، ظل الله في العالم، الصالح المبارك التقي، والملك المؤيد الرضي، سلطان المسلمين وابن سلطان المسلمين، مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان. أيد الله ملكه إلى انتهاء الدوران.

وإنك تعلم أيها السيد أن الإمامة التي تطلبها الآن، نزل عنها حضرة سيدنا الإمام الحسن، رضوان الله وسلامه عليه، واستعوض عنها عُرف الجنان، وما طلبها أحد من أهل البيت الكرام إلا وأصبح دونها قتيلاً، وما بلغ المرام، وقد توطنت أحكام الخلافة المرضية في العائلة الطاهرة العباسية زمناً من الأزمان، فصدمها القدر بانطماس شأنها، وانقضاء زمانها. وآل أمر الخلافة الشرعية بإجماع المسلمين، واتفاق المؤمنين، إلى الملك الغازي المجاهد، مشيد ببيان الشرع والفرقان، هادم أركان الكفر بكل مكان، مولانا المرحوم السلطان الغازي سليم خان، عليه الرحمة والرضوان، وسليل هذا العقد الفريد الذي لا يجحد، إلى الخلفاء العثمانيين يداً بعد يد، من خليفة إلى خليفة مؤيد، إلى أن انتهى بالعز والإقبال والمجد والإجلال بالعقد

الصحيح، والإجماع الصريح، إلى سيدنا ومولانا خليفة الإسلام، مؤيد
شريعة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، أعني به إمامنا الغازي
المنصور عبد الحميد خان ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان. الذي سبق
ذكر اسمه الجليل، لا زال للإسلام ظلاً ظليلاً آمين.

وها هو بحمد الله تعالى حافظ بالجنود المنصورة، بلاد المسلمين،
حارس بالأعمال المبرورة، بيت الله الحرام، ومسجد سيد المرسلين عليه،
وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، معزاً للسادة الأشراف، حافل مجلسه / ١٣١
بالعلماء العاملين، العالمين بأحكام الخلاف، مواظب على الفروض والسنن،
متمسك بما جاء به جد الحسن، انتشرت خيراته وعمت مبراته^(١)، وإن اللسان
والله قاصر عن أداء حقوق الثناء عليه، قاصر عن إيضاح ما أحسن الله به
في الأخلاق المحمدية إليه. فطاعته مفروضة، وخدمته مشروعة، ومحبة لله
ولرسوله واجبة، والخروج عليه بغى وعدوان. وقد بلغه عنك: أنك تكفر
المسلمين، وتحرض القوم على قتالهم، ورأى من كتبت جملة رسائل أرسلت
بها بخطك وختمك إلى أكثر القبائل، وبها تقيم على كفر الترك دلائل، حتى
نشرت^(٢) نار الحرب بين المسلمين، وشققت العصا في زمان يجب فيه الكف
عن هذا، وإنما تشفي بها صدور الكافرين، فأوجب ذلك غضب السلطان
المعظم عليك، وجهز العسكر لجهاد العسكر المجتمعة لديك، وأقسم: إنه
لا بد إن لم تقف عند حدك، قتلك ومن أتبعك بسيف جدك، على أنك جئت
بأمر يهدم من الدين الأركان، وهيئت بسبيك أهل الفساد والطغيان. ولما كان

(١) في م، مثرايه.

(٢) في ع، أثرت.

أمدُّ الله بحياتِهِ ونصرِهِ، حريصاً على حفظِ دماءِ المسلمين، تآخذُهُ الرِّقَّةُ
والشَّفَقَةُ على الموحِّدين. أَحَبُّ نُصْحِكَ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بِكَ الرَّدَى، فانتخبني من
حماة الشامِ، وأرسلني لنُصْحِكَ مأموراً مخصصاً موجزاً بالكلامِ، على أنها
تجمعُني وإياك الأعراقُ الهاشميةُ والحَمِيَّةُ العربيَّةُ. وقد آتيتُ اليمنَ من أوطاني
امثالاً لأمرِهِ الكريمِ الواجبِ الامتثالِ، مُتَكِلِلاً على الكريمِ المتعالِ، فبادرتُ
بهذا الكتابِ لحضرتِكُمْ مع المذاكرةِ مع جنابِ أخيكُم الفاضلِ أحمدَ بنِ
يحيى الردمي، ولم يكنْ ذلكِ إلا إنذاراً وتفهيماً لا إرشاداً وتعليماً، فإنَّ
فضلَكُم معلومٌ، لكنَّ الأقدارَ إذا تقدَّرتْ، قدَّمتْ وأخرتْ. فإنْ تكنْ أيُّها السيِّدُ
تجمعُ وتجيَّبُ، فلكَ مِنْ عَوَاطِفِ السُّلْطَانِ أوفرُ نصيبٍ، حُرْمَتِكَ محفوظةٌ،
ومنزلتِكَ مصونةٌ، وشأنكُ مزيدٌ، ومقامكُ جليلٌ، والله على ما أقولُ لك وكيلٌ.
وإذا آبيتَ فلا تلومَنَّ غيرَ نفسكِ، وإني راغبٌ للاجتماعِ بكِ لبعضِ أمورٍ لا
يسوغُ تصدُّرها، قدْ بلغتُ بعضها مُشافهاً لحاملِ هذا التحريرِ، فإنْ أحببتِ
أتينا، وعلى الله العسيرُ يسيراً. وإن كنتِ لا تشتهي ذلكِ، فاكتبِ جواباً
بالسَّمْعِ والطاعةِ لحضرةِ سلطانِ المسلمين، متضمناً الكلامَ الشفاهيَّ الذي
أودعَ عندَ حاملِ هذا، وأنا أقومُ - إن شاء الله - بخدمتِكُم فيه لدى الحضرةِ
السلطانيةِ طبقَ المرغوبِ، وأشعرُ بما يُسرُّ به أبو البتولِ التَّقِيَّةِ، وقد عرفتُمُ
المقصودَ، وكفى ما وقعَ مِنْ قتلٍ وقتالٍ، وضياعِ أنفسٍ وأموالٍ. ولعمري،
إنَّ العربَ لا تقدِرُ على قتالِ الدولةِ العليَّةِ بحالٍ من الأحوالِ، بل جزوا
إلى نفوسِهِم آثارَ الدِّمارِ والنِّكالِ، وهذه جنودُ الدَّولةِ العليَّةِ، قد
وَرَدَتْ على اليمنِ كالرَّمالِ، والباغي عليه من الله الوَيْالُ، فليتَّقوا الله في
أنفُسِهِم إن كانوا مؤمنين، وليحِقِّنوا دماءَ اخوانِهِم المسلمين، ولينقادوا لطاعةِ

الله ورسوله بانقيادهم لطاعة مولانا أمير المؤمنين، ولا عدوانٍ إلا على
الظالمين، والعاقبة للمتقين، والحمد لله رب العالمين.

[وكان رَقْمُهُ بمحروس صنعاء في ٢٩ ربيع الأول سنة ١٣٠٩ تسع
وثلاثمائة وألف^(١)].

وهذا الجواب من أمير المؤمنين الإمام، عليه السلام^(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أَيْدِ دِينَكَ الْقَوِيمَ بِالْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَاكشِفْ بِيرَكْتِهِمْ جَهْلَ
الجاهلِينَ، وَارْقَعْ بِحَمِيدِ سَعِيهِمْ غَفْلَةَ الْغَافِلِينَ / فهِم بِحَارِّ الْعِلْمِ الزَّاهِرَةِ،^{٣١}
وَنَجْوَمِ الْهَدْيِ الزَّاهِرَةِ، وَزِينَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَهْلَ الْفَضَائِلِ الْمُتَكَاثِرَةِ، دَعَّ
عَنْكَ مِنْ أَثَارِ الْجَهْلِ عُجَاجَهُ وَفَارَقَ طَرِيقَ الْحَقِّ وَمَنْهَاجَهُ، وَجَعَلَ الرَّاحَةَ بُرَاقَهُ
وَمِعْرَاجَهُ، مِنْهُمْ، ذُو الْمَجْدِ الشَّامِخِ الْمَنِيفِ، وَالْحَسْبِ الْبَادِخِ الشَّرِيفِ،
وَالْأَدَبِ الْمَثْمُورِ رَوْضَةُ الْوَرِيفِ، السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الْحَرِيرِيِّ الْحُسَيْنِيِّ^(٢) الْحَمَوِيِّ،
أَلْبَسَهُ اللَّهُ جِلْبَابَ التَّقْوَى، وَقَادَهُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِالْحَبْلِ الْأَقْوَى، وَأَعَادَ عَلَى
مُحْيَاهُ السَّلَامَ الْأَسْنَى وَالْإِكْرَامَ الْأَهْنَى، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ،
وَعَلَى آلِهِ سَفِينَةِ النِّجَاةِ وَتَرَاجِمَةِ الْكِتَابِ وَقُرْآنِهِ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ بَعْدَ
مَمَاتِهِ وَفِي مَحْيَاهُ، وَبَعْدَ؛

فإننا نحمدُ اللهَ إلَيْكُمْ الَّذِي لَا نَرْجُو وَنَخْشَى سِوَاهُ. وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَإِنَّهُ

(1) أئمة اليمن ٥٥/٢ - ٥٩.

(2) في أ، الحسنِي.

(1) الإضافة من أئمة اليمن، ٥٩/٢.

أتانا أيها السيد منك كتاب كريم، ومسطور رائق فخيم، أفاد معرفتك بحقوق العترة النبوية والسلالة العلوية، بما ورد فيهم من الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة المروية، وإن دواعي المحبة اقتضت المراسلة، وبواعث المودة حَدَّتْكَ إلى المكاتبة والمواصله، وإن من لوازم المحبة والإيمان بَدَلُ النصيحة للاخوان، لاسيما ولاية الأمور الذين أناطَ اللهُ بهم صلاح الجمهور، وأفاد - أسعده الله - أنه مستنكر لما جرى بيننا وبين الولاة المرسلين، من حضرة الدولة العثمانية، والسدة الخاقانية من الحرب والاختلاف، وعدم التوافق والائتلاف، وأنه يرى الخير في صلاح ذات البين، ورفع الفتنة المؤدية إلى الهلاك والحين. وأنه قد ورد الحث عليه في السنة والكتاب، وأنه مناط رضا رب الأرباب، وأن السلطان الأعظم ممن أقام الله به الدين، وانتظمت به أحوال المسلمين، وتشرف بخدمة الحرمين الشريفين، وقام بجهاد الكفار، وجهابذة الأشرار، وأن رغبته في صلاح الدنيا والدين، وقمع الفجار المعتدين، وأن القطر اليماني المحروس بالله محل الإيمان كما ورد عن سيد ولد عدنان، وأن سعيه في ذلك مصلحة دينية ومحبة إيمانية، فنقول: نعم الأمر كما ذكرتم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطنة القاهرة، أعز الله بها الإسلام، وقمع بها ذوي الإلحاد الطغام، ولم يكن لنا في الرئاسة الدنيوية طلب، ولا في الراحة البدنية أرب، ولا نعول على جمع المال ووفرة المكتسب، ولا مزيد على ما نحن فيه من الحسب والنسب، لكننا رأينا المأمورين لم يؤدوا حقوق الله، ولا رعوا حرمة ما حرم الله، ولا غضبوا يوماً على معاصي الله، ولم يعملوا بشيء في كتاب الله، ولا بسنة رسول الله،

(١) في أئمة اليمن، وإفانا.

وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، وارتكبوا المعاصي، وزموا إليها الناس بأطراف النواصي، وجاهروا بشرب الخمر، ونكاح الذكور، وارتكاب الفجور، وظلموا كل ضعيف، وأهانوا كل شريف، حتى ضعفت^(١) الذرية، وارتفعت كلمة اليهودية والنصرانية، وصارت الأكراد والحبوش تحكم في البرية، ولا يقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يأخذهم في المسلمين رافة ولا رحمة. فلما لم نجد عن أمر الله بداً، استعنا به وتوكلنا عليه، وبذلنا في الجهاد جهداً، امثالاً لقول الله عز وجل: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»، وقوله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعو إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون». وقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر» وخوفاً مما خوفنا الله به، في قوله تعالى: «لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون». ونحو قوله ﷺ: «لتأمرن / بالمعروف ولتنهن عن المنكر. أو لیسلمطن الله علیکم شرارکم، فیدعو خیارکم فلا یستجاب لهم حتی إذا بلغ الكتاب أجله، كان الله هو المنتصر لنفسه» ولم نزل نتوخي أن السلطنة القاهرة، أعز الله بها أركان الإسلام، إذا رفعت إليها تلك القبائح التي لا يختلف في وقوعها اثنان، أن تأخذها حمية الدين والإيمان فلا يلامسها فرط من الإضاعة عما تلافي وخاف من الإضاعة، ويستدرک ما فات من حق عتره رسول الله، ﷺ، الذين لا يستحق بدون أتباعهم الشفاعة، فلم

(١) في أئمة اليمن، فسدت.

يزدادوا مع طولِ المدّةِ إلّا انسلاخاً من الدين، وتوسّعاً من تأميرِ الفجرةِ المعتدين. فإن قلت أيتها السيد: إن تلك القبائحُ مباحةٌ في الإسلام، وإن فاعلها مستحلٌّ من اتباعِ شريعةِ سيدِ الأنام، فهلّمّ الدليل! ولا يقول ذلك إلّا ضليلٌ. وأنكرت أيتها السيد أن ورثةَ الرسولِ الحجّةُ في الفروعِ والأصولِ، صحّح بك قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتابَ الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مُقْتَصِدٌ، ومنهم سابقٌ بالخيراتِ بإذنِ الله ذلك هو الفضلُ الكبير» وقوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى». وقوله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتُم به لئن تضلّوا: كتابُ الله، وعترتي أهلُ بيتي»، «إن اللطيفَ الخبيرَ نبّاني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض». وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ عندَ كلِّ بدعةٍ يكونُ من بعدي وليٌّ من ذريّتي إلخ، وقوله ﷺ: «أهلُ بيتي أمانٌ لأهلِ الأرضِ» إلخ وقوله ﷺ: «أهلُ بيتي كسفينةِ نوح» إلخ، وغير ذلك مما لا يحتمله المقام، فانظر بيانِ الحجّةِ أوضحِ المحجّةِ، لا ما خوّفننا به من القتلِ والنكالِ، وإنّا أهلُ بيتٍ لا تُزْعِزُنا كواذبُ الآمالِ، ولا نَعُدُّ بذلِ نفوسِنَا في سبيلِ اللهِ إلا منْ أشرفِ الخصالِ، ولا نَفزَعُ إلى غيرِ ذي الجلالِ، ولا ندعو سواه في البكرِ والأصالِ.

على أن قومي يحسبُ الموتَ مغنماً وان « فراراً من^(١) الزحفِ عاراً ومغرمٌ أمِنُ هذا الذي هو جُنْدٌ لكم ينصركم من دونِ الرحمنِ (إنّ الكافرين)^(٢)»

(١) في أ، فرار الزحف.

(٢) الاضافة من م.

إلا في غرور: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم، وإن يخذلكم فمَنْ ذا الذي ينصركم من بعده» (1) «ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» (2)، و«نريد أن نمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، والله عاقبة الأمور» (3) فنحن مَنْ وَعَدَ رَبُّنا على يقين، والعاقبة للمتقين. وإنَّك لا تجدُ في محطَّتنا المنصورة إلا قائماً بعبادة رَبِّه، إذا أسدَل الليل جناحه، أو تالياً لكتابِ الله، أو ذاكراً لربِّه إذا طلع الفجرُ صباحه. ومساجدنا معمورةٌ بالعلم والعمل، وقلوبنا خاليةٌ عن الجبن والفشل. هذا ولا نفتخرُ كغيرنا بآلاتِ الحربِ الفاخرة، ولا بالجيوشِ المتكاثرة التي هي تحتَ أمرنا عائرة، بل نبزاً من الحَوْلِ والقوَّةِ ونتمسكُ بأذيالِ سيرةِ الإمامةِ والنبوةِ.

[الطويل]

مغارسُ طالتُ في ربا الفضلِ فالتقتُ على أنبياءِ الله والخلفاءِ
إذا حَمَلَ النَّاسُ اللوَاءَ علامةً كفاهم مشارُ النقعِ كلُّ لواءِ
فقد أَوْضَحْنَا لَكَ، أيها السيِّدُ، طريقتنا، وأسلفنا إليك حقيقةَ أفعالِ
أعادينا، فأَيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمنِ إن كنتم تعلمون؟! «الذين آمنوا ولم يلبسوا

(1) آل عمران، ١٦٠.

(2) سورة محمد: ٧.

(3) القصص: ٥.

إيمانَهُمْ بظلمٍ ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون». ولو يعلمُ السلطانُ الأعظمُ بحقيقةِ الحالِ لَسَارَعَ إلى معاوِنَتِنَا بالحالِ والمالِ ، وَلَرَفَعَ (١) المأمورين عن الخطةِ اليمانية ، ولَأَمَرَهُمْ بمحاربةِ الفرقةِ الكفريَّةِ ، ومنعَهُم عن محاربةِ العترةِ الزكيَّةِ التي هي بضعةُ الدَّاتِ الشريفةِ النبويةِ ، ولأوفى جدُّنا رسولَ اللهِ ﷺ أجرَ تبليغِ الأبناءِ المشارِ إليه ، بقولهِ تعالى : «قُلْ لا أسألكم عليه أجرًا إلاّ المودَّةَ في القربى» ولتباعَدَ عنِ مقاتلةِ (٢) مَنْ قَالَ فيهم خاتمُ النبيين : «مَنْ قَاتَلَهُمْ آخَرَ الزمانِ ، فكأنما قاتَلَ مع الدَّجَالِ». وعن الدعوةِ النبويةِ في قولهِ لأهلِ بيتهِ : أنا حربٌ لِمَنْ حاربتهم ، سِلِّمْ لِمَنْ سألتمُ»، وقد أَمَرَنَا اللهُ بالكُونِ مع الصادقين . بقولهِ تعالى : «يا أيُّها الذين آمنوا ، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين». وتبيَّنهم بقولهِ تعالى : «إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالِهِم وأنفُسِهِم في سبيلِ اللهِ ، أولئك هم الصادقون(١)» : «قُلْ (٢) هذه سبيلي ، أَدْعُو إلى اللهِ على بصيرةٍ ، أنا ، ومن اتَّبعني وسبحانَ اللهِ ، وما أنا من المشركين».

يا قومنا ، أجيِّبوا داعيَ اللهِ وآمنوا به يغفرَ لَكُمْ من ذنوبِكُمْ ويَجْزِيَكُمْ من عذابِ أليم ، وَمَنْ لا يُجِبْ داعيَ اللهِ ، فليس بمعجزٍ في الأرضِ ، وليس له من دونهِ أولياء .

ويا قوم ، مالي أدعوكم إلى النجاةِ ، وتدعونني إلى النار؟ فإذا وجدتَ أيُّها

(١) سورة الحجرات ١٥ .

(٢) سورة يوسف ، ١٠٨ .

(٢) في أئمة اليمن ، مشابهة .

(١) في ع ، ويدفع .

السيد لنا خلاصاً من أوامر الله، أفدتنا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ودع
عك التخوف بالمخلوقين، والحال كما قيل: [السريع]

جاء شقيق عارضاً رُمحَهُ إِنَّ بني عمك فيهم رماح
وأما اجتماع الكلمة، فمن أين لنا ذلك، والا فهو عندنا من أجل
المسالك، حَقناً للدماء، ورفعاً للدهماء، ونسأل الله أن يرفع عن الأمة
المحمدية الضيق والمحن، ويجمعها على اتباع الكتاب وقرائنه، أهل بيت
نبيه المؤمن، وأن يُعيدنا من الشيطان الرجيم، ومن مُضلاتِ الفتن، وحسبنا
الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

التاريخ ٦ شهر صفر سنة ١٣٠٩^(١).

وفي هذه المدة كانت وقعة المحويت^(١).

وصفتها: أنها تقدمت طائفة من العجم الذين في الطويلة إلى المحويت
وما حولها، ومعهم جماعة من أعوانهم، فلما وصلوا هنالك رتبوا المحويت.
وكان السيد النبراس محمد بن حسين عباس، قد توجه إلى تلك البلاد في

(١) المحويت: مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٠٠ كم، انظر، اليمن الكبرى،
٦٠، معجم المقحفي، ٥٦٨، طبق الحلوى، ١٢٩، صفة جزيرة العرب، ١١٢.

(١) في أئمة اليمن «وحرر في سادس ربيع الآخر سنة ١٣٠٩هـ، ونشر الكتاب في مجلة المنار، شهر
ربيع الأول ١٣٢٦هـ، وعلق محمد رشيد رضا «تسمع الدولة هذه الأخبار، وتقرأ مثل هذا الجواب،
ثم هي توالي إرسال الجيوش إلى اليمن، انظر أئمة اليمن، ٥٩/٢.

جماعة قليلة من أهل الجهاد، فلما بلغه قبض المحويت، غار بمن معه من المجاهدين، وعضده النقيب أحمد بن يحيى حبيش في رجال كثيرين، فحاصروا العجم حصاراً شديداً. واتفق في بعض ليالي الحصار أن بعض الأنصار رأى جماعة من العجم في بيت، فدخل فيه شيئاً من البارود، وأشعل فيه النار، فانهدم البيت فوقهم، فهلكوا جميعاً، وهم ثمانون رجلاً، فلما اشتد الحصار على أولئك الأشرار، ورد إليهم المدد والزيادة من العجم الذين بالطويلة وكوكبان حتى بلغوا بيت رذمان⁽¹⁾، فتلقتهم الأبطال واشتد القتال وعظم النزال، فانهزمت العرب إلى بيت السروي، وباتوا هنالك، وباتت العجم في الركن الأعلى، وقُتل من العجم ثمانية عشر، ومن العرب واحد. وكان هذا في يوم الجمعة ١٢ شهر ربيع الآخر.

وفي يوم السبت، تقدمت العجم، فأفرجت لها العرب، فدخلت المحويت بذلك الجيش، وتقدمت من حينها على النقيب أحمد بن يحيى حبيش، وهو في حصنه المعروف بنعمان⁽²⁾، ومعه فيه مئة وخمسون رجلاً من أهل البلاد، ومن جماعته سفیان، فرمت العجم إلى الحصن بالمدافع حتى وقع فيه بعض هدم، وصبر من في الحصن، فلم يرموا العجم بشيء، فظنوا أنه لم يبق فيه أحد، فهجموا عليه، فلما قربوا منه رماهم من في الحصن،

(1) بيت رذمان: بلدة شرقي رداع من ناحية السوادية، من حصونها حصن المغسال ومن توابعها قرية قرن، وحصن رذمان في غزلة الشرقي بجبل المحويت انظر، معجم المقحفي، ٢٦٦، اليمن الكبرى، ٦٠، مرصد الاطلاع، ٦١٢/٢.

(2) حصن نعمان: حصن من حصون حجة، ونعمان، حصن في سحر من بلاد صعدة، انظر، معجم الحجري، ٧٣٤/٤، معجم المقحفي، ٦٦١.

فقتلوا منهم كثيراً لم يُعَرَفَ قدرُ ذلك. ولم يَقَعِ في العربِ غيرُ مكاوَيْنَ^(١).
ومِنَ بعدِ ذلكِ وَقَعَ الفشلُ ، فرجعَ السيدُ عزُّ الإسلامِ بلادَ لاعةِ وبني
العوامِ^(١)، يجمعُ الناسَ ويحثُّهم وهم نيام.

وأما النقيبُ أحمدُ بنُ يحيى حبِيشَ فصَارَ في قطعتهِ^(٢) المعروفة.

١٣٣ وفي ليلةِ الاثنينِ / الخامسَ عشرَ من الشهرِ المذكورِ خَسِفَ القمرُ من
بعدِ نصفِ الليلِ إلى قريبِ الفجرِ خسوفاً أسوداً، فقالَ في ذلكِ القاضي،
شرفُ الإسلامِ، حسينُ بنُ أحمدَ العرشي.

الشمسُ آيَّتُكَ المنيرِ والعدوله القمرِ
أما تراه وقد غدا في وجهه نير الأثر

وقال أيضاً الفقيهُ المفضلُ، محمدُ بنُ حسنِ دلال^(٢): [الطويل]

أهنيكم بالفتح^(٣) قد حانَ وقتُهُ وإنَّ لِحزبِ اللهِ نورٌ معَ الصبرِ
فقد دَلْنَا محقُّ المنيرِ لدى المسا على مَحَقِّ أريابِ الضلالِ بلا نُكْرٍ

(١) انظر أئمة اليمن، ٥٢/٢.

(٢) محمد بن حسن دلال: ولد بالروضة سنة ١٢٨١هـ، أخذ علومه عن جماعة من
العلماء، تولى إمامة جامع صنعاء سنة ١٣٠٤هـ، وسار إلى الامام المنصور ولزم
مقامه، نفي إلى رودس، وقد بعثه السلطان عبدالحميد ١٣٢٣هـ إلى الامام، ومن
ثم عاد من منفاه إلى اليمن سنة ١٣٣١هـ، وتوفي سنة ١٣٥٢هـ، انظر تحفة
الاخوان، ١١٠، أئمة اليمن، ١٠٢/٢.

(١) في أ، مكانين، وبياض في ع، والمقصود جرحى اثنان.

(٢) في أ، قعطية.

(٣) في ع، الفضل.

وإنكُم في الأفقِ شمسٌ تظاهرتُ على كلِّ هذا جاء في الحيِّ والقصر
وفي اليومِ السادسِ عشر من شهر ربيعِ الآخر، طلعتُ من تهامةَ غيرُ
ويغالُ تحملُ للعجمِ الأثقالَ، مصحوبةً بجماعةٍ من الرجالِ، فتلقأها الشيخُ
ناصر مبخوتٍ إلى محبَّة، وكانوا يريدون إيصالها إلى حجَّة، فنهبَ منها
ثمانيةَ جمالٍ بما فوقها من الأحمالِ، وفُعلَ في الرجالِ الفظيُّع من الأفعالِ،
وقُتلَ منهم القتلُ الذريعِ، وسَلِمَ مَنْ معه الجميعِ.

وقعةٌ في الشاهل⁽¹⁾،

وفي يومِ الربوعِ من الشهرِ المذكورِ، سابعِ عشر، كانتُ وقعةٌ في
الشاهلِ، وصفتُها: أنَّ العجمَ الذين هنالك، أمِدُّوا بأمدادٍ من تهامةَ، فاشتدَّ
غضبُهم لذلك، فوجهوا المدافعَ إلى بيتِ دجباش، فرمَوْه ذلكَ اليومِ، واليومِ
الثاني. وكلُّ ما هدموا سقفاً، انتقل المجاهدون إلى السقفِ تحته حتى إذا
انهدمَ الجميعُ، خرجَ المجاهدون إلى ميدانِ الحربِ الواسعِ، فرموا العجمَ
بالبنادقِ حتى أزهقوا منهم سبعةً، أحدهم طوبجِي المدفعِ، فحينئذٍ انهزمت
العجمُ، وعادتْ مطرحها في بني مذيخةَ المعلوم، وقامَ المجاهدونَ في
إصلاحِ ذلكَ البيتِ المهدمِ. وسيأتي بقيَّةُ خبرهم إن شاء اللهُ.

وفي هذه المدة اشتدَّ الحصارُ على مَنْ في حصنِ عَفَّار من العجمِ
الفُجَّار، حتى أكلوا الحِمَارَ، فأمدَّهم إخوانُهم بِمَدَدٍ من صنعاء، فلمَ يشعرِ
الناسُ بهم حتى بلغوا كُحلانَ، وذلكَ صحبةَ أحمد فيضي، وكانَ مقدَّمي

(1) انظر أئمة اليمن، ٥٢/٢، والشاهل من بلاد الشرف.

الحصارِ السيّدِ السيفِ الباترِ العالمِ محمد بن يحيى بن قاسم عامر، فوقَعِ الحربُ هنالك فيما بين العربِ والعجمِ يوماً كاملاً، إلى أن دجى الليلُ وأظلم. ثم عاودوا الحرب، اليومَ الثاني، وكانَ قد خرجَ بعضُ أهلِ الحصنِ إلى العجمِ، لطلبِ المسالمةِ، ثم عادوا إلى المقدمي، وبذلوا له دراهمَ ليخرجَ فأبى.

وبعدُ، وقعَ الحربُ وصادفَ نزولُ المطرِ، فأطفئَ فتيلُ العربِ، وتقدّمتِ العجمُ، فأدركتِ المآربَ، ودخلوا عَقَارَ، وصارَ المقدمي إلى بيتِ وَهَبَانَ، وانجالتِ العربُ من كلِّ مكانٍ، ولما استولتِ العجمُ على ما تقدم، أطاعهم بنو عشب (1) وبنو الطرفي وكُحْلانَ وبيتِ قدم (2)، وخربوا وأحرقوا بعضَ القرى، وانحاز المقدمي إلى قريةِ الراس (3)، وأمدَّ والدُه العمداد يحيى بن قاسم عامر، وصحبته جماعةٌ من الناسِ من بني عبد (4) وجبل عيال يزيد، وكان عاملاً هنالك من طرفِ الإمامِ السعيد، فلما بلغَ رحبةً (5) من بلادِ السودة أتاه الخبرُ

(1) بنو عَشْب: عزلة من ناحية كُحْلان تاج الدين بالشرق من حجة، كانت تعرف باسم أعشب، انظر، الاكليل، ٨٥/٢، معجم المقحفي، ٤٤٦.

(2) بيت قُدَم: جنوبي حجة، تنسب إلى بطن من هَمْدَانَ من ولد قُدَم بن قادم بن زيد بن عريب بن جُشم بن حاشد انظر، الاكليل، ٣١٨/١، قرة العيون، ١٧٨، صفة جزيرة العرب، ١٢٥، اليمن الكبرى، ١٨٧، تاريخ اليمن الثقافي، ٥٥/١.

(3) الراس: بلدة بالقرب من لؤلؤة من هَمْدَانَ صنعاء، انظر، البلدان اليمانية، ٨٨.

(4) بنو عَبد: من قبائل بكيل بجوار عيال يزيد، وأعمال عَمْران، انظر، نشر العرف، ٣١٩/١، معجم المقحفي، ٤٢٤.

(5) رحبة: من بلاد السودة، الواقعة في ذروة جبل حججاج، بالشمال الغربي من عَمْران بمسافة ٤٤ كم. انظر، اليمن الكبرى، ٨١، البدر الطالع، ١٠٣/٢، نشر العرف، =

بما وقع من أولئك العسكر، فحكّم أنّه لا فائدة في السفر.

وقعة بيت عُلمان وسوق الصّميل:

وصفتها: أنّ العجم لما استولوا على كحلان وعفار، تقدموا على جبل / مسور، وشراقي لاعة، وكان في مسور جماعة، مقدّمهم السيد محمد بن عباس الشهاري، وفي شراقي لاعة السيد محمد بن عبدالله الشرفي المعروف بمزيمر. فأتى علي باشا من الطويلة ومعه عساكر كثيرة، فاتفق به أحمد بن علي الصليحي وحزام الصعر⁽¹⁾، واجتمعوا في بيت عُلمان، وتقدمت في يوم الربوع الثاني والعشرين من ربيع الآخر، والتقوا إلى سوق الصّميل⁽²⁾، ووقع الحرب بينهم، وثبتّ الله المجاهدين، وانهزمت العجم حتى بلغوا طرف سوق الصّميل، ثم تراجعوا فتوجّهوا إلى الجبل المعروف بالكلال⁽³⁾ وعادوا القتال، فهزموا مرة ثانية حتى بلغوا القاع، فرماهم أصحاب المدافع ليُعاودوا القتال حتى قتلوا منهم سبعة رجال، فلما رأت العجم أنه لا مفرّ لهم من الموت، تقدّموا ثم انهزموا، عاودوا يريدون الجبل، وفيه السيد محمد الحوري وجماعته وأناس من بني مهدي وأناس من التّهام⁽⁴⁾ فصبّروا قليلاً، ثم فرّوا، فدخلت

ب ٣٣

. ١٧٤/٢ =

(1) بيت الصعر بدون ياء: بيت معروف في عمران، إليه المشيخة والرئاسة، انظر، صفحات

مجهولة، ١٠٠.

(2) سوق الصّميل انظر حوليات يمانية، ٤٨٩.

(1) في أئمة اليمن، الكلالي.

(2) في أ، السهام.

العجمُ الجبلُ المذكور، وانتقلتِ العربُ إلى المفتاح (1) وبيتِ عِدَاقة، فتوجهتِ العجمُ إليهم، فوقع الحربُ بينهم منَ الصَّباحِ إلى الليلِ . وَقَتِلَ مِنْ العجمِ سبعةٌ وخمسون قتيلًا، وستةٌ وثلاثون جريحًا، وبغالٌ كثيرةٌ، ولم يُقتل من العربِ غيرُ رجلين .

وفي الثالث والعشرين من الشهرِ المذكور، قبضَ المجاهدون عِزلة بني مؤمن ومن فيها ، ووقعَ الحربُ في شرقيِّ الجبلِ، وتلقَّاهم هادي سريح، وجماعةٌ من بني عبد(2)، كانوا قد رتبوا في مغربةِ بيتِ الجذيمة رأسَ الجبلِ المذكورِ، فوقعَ الحربُ يومَ الخميس، ودخلتِ العجمُ المصنعةَ والرميح، وياتوا فيهما ليلةَ الجمعة . وعزمتُ طائفةٌ منهم، فرتَّبوا بيتَ فائز(3) والمضمار(4)، وليسَ بها(1) أحدٌ من الأنصارِ وقبضُهما يمنعُ الغارةَ على مَنْ في مغربةِ بيتِ الجذيمة، وتبعهم بقيةُ العجمِ فجراً، فما أصبحتِ العربُ إلا والمدافعُ ترمى إليهم، فاستمرَّ الحربُ إلى الليلِ، ولم يَقْدِرْ أحدٌ من العربِ على الوصولِ إليهم، لما ذكرنا من أنَّ العجمَ قد رتبوا بيتَ فائزِ والمضمارَ.

(1) المفتاح: ناحية من قضاء الشرفين وأعمال حجة بالشمال منها، ومن توابعها، عِزلة عِلْكَمة، وعِزلة الجبر الأعلى، وعِزلة الجبر الأسفل، وعِزلة الجبر الشرقي . انظر، معجم المقحفي، ٦١٧ .

(2) جبل بني عبد: غرب وادعة، انظر أئمة اليمن، ١٠١/٢ .

(3) بيت فائز: قرية أعلى جبل مسور واسمها القديم، «بيت فائز» انظر، الاكليل، ٨٢/٢، صفة جزيرة العرب، ٢٣٩ .

(4) المضمار: هو القاع الممتد غرب جنوب مدينة صنعاء القديمة، والمضمار بلدة في جبل حراز من عِزلة هُوَزن، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٢ .

(1) في أ، المهاجرين، وفي م منهما .

فلما أظلم الليل دخل عليهم المدد [فوجدوا البيوت غير مانعة] (١)، وقد تهدمت بيوت المغربة، فأخرجوا من فيها، واجتمعوا إلى بيت هادي سريح، وبيت المعافي، وكان القتلى من العجم خمسة عشر رجلاً، والعرب سالمون، وتوجهت العجم إلى البيتين المذكورين، وقد استولوا على المغربة، فأما بيت المعافي فهدم بالمدافع، وفر من فيه إلى أسفله، ولم يمكنهم الدخول إلى البيت الثاني، وأما الذين في البيت الآخر، فانتهى بينهم وبين العجم الحرب إلى الليل حتى هدمت عليهم طبقتان، ونفذ عليهم الماء؛ لأنهم أملوا السطح ماءً، وكان مقصفاً (٢) فانهدم فلما رأوا أنه لا طاقة لهم بما ألم، خرجوا في الليل إذ أظلم، وقد قتل نحو ثلاثين من العجم، ولم يسئل من المجاهدين (٣) دم. وتفرقوا، فبعضهم توجهوا التهام، وبعضهم توجهوا الرغيل، وتوقف الحرب الأحد والاثنين والثلاثاء.

وفي التاسع والعشرين من الشهر المذكور، عزم السيد عبد الرحمن بن عباس، ومن معه من سادة شهارة من التهام إلى الرغيل.

وفي الشهر المذكور، وصل أحمد فيضي بعسكر عظيم وحط في بني مهدي.

وفي شهر جمادى الأولى، تجمعت الذين مع علي باشا إلى قارة أحمد (١)،

(١) قارة أحمد: القارة اسم مشترك بين جملة قرى منها، قارة مسور المنتب بالشمال الغربي من صنعاء، يسكنها أولاد أحمد بن المطهر بن الإمام شرف الدين، انظر صفة =

(١) الإضافة من م.

(٢) في م، مقضضا.

(٣) في أ، المهاجرين، وفي م، منهما.

وجدر وبيت قسيم .

وفيه أيضاً تقدّم على مَنْ في الرغيل حتّى بلغ طرف القارة، فرمته الأنصارُ من داخله وخارجِه، فرجع، وقُتِلَ من العجمِ جماعةً.

وفي يوم الجمعة، تقدمت العجمُ فهزموا كما تقدم .

وفي يوم السبت، تقدموا من كلِّ مكانٍ، وتقدّم أحمد فيضي بمنّ معه .

١٣٤ من جهة بني مهدي، وتفرّقت، وفرقةٌ جاءت على هداد^(١)، وفرقةٌ من أهلِ الشراقي، ومن أهلِ المشرق، وخرجَ علي باشا بمنّ على مَنْ في الرغيل وفي القارة، فتقدّمت طائفةٌ من عسكريه إلى شرقي الرغيل، فقتلَ بعضهم وحوصِرَ البعض الآخرُ، فلم يستطع التقدم ولا الرجوعُ، ونصبوا في ذلك الحربِ على هداد والرغيل بستةِ مدافعٍ صغارٍ، حتى صارت أصواتُ المدافعِ والبنادقِ كالرعودِ والصواعقِ .

وفي يومِ الأحدِ دبرت الحيلةُ العجمُ: بأن يصدّموا العربَ جميعاً في يومٍ واحدٍ، لئلا ينتقلوا من معقلٍ، فأما مَنْ في الرغيل وهداد فمن حيث وقفوا، وتقدمت العجمُ الذين في الحُصيبِ، وقد عجزَ عنهم من حولها، فتوجّهوا

= جزيرة العرب، ١٦٨، المدارس الاسلامية، ٣١٠، نيل الوطر، ١٠٥/١ معجم المقحفي، ٥٠٢ وهناك قارة أنس .

(١) حصن هداد: اسم يطلق على حصون في بلاد أنس، وجبل في مخالاف ابن حاتم، جنوب صنعاء، وآخر في جبال حجة بالشرق منها، والثالث في نجران في جبال يام، انظروا الاعتبار، ٦/١، معجم المقحفي، ٦٧٥، المفيد، ١٦٣، صفة جزيرة العرب، ١١٥ العقود اللؤلؤية، ٧٧/٢، أئمة اليمن، ٣/١٢٢ .

حصن دؤاس، وفيه السيد محمد الشرفي⁽¹⁾ والسيد محمد بن الحسين بن عباس رحمه الله، وبعد خروجه من المحويت ومن بني العوام والشيخ ناصر مبخوت، أقبل من الظفير في جماعة للغارة على من في الشراقي فكان جملة من في دؤاس في بيت أحمد غالب ثمانين رجلاً، ومثلها في القرية، وفي قرية قدم متين، وجملة العجم في مسور والشراقي والحصيب ستة آلاف. فلما كان يوم الأحد نصبوا المدافع على دؤاس من شرق وغرب، وهجمت العسكر من جهة العجم، حتى بلغت إلى حد الحصن، واستمر الحرب إلى الليل، ولما وصل العجم إلى قرية الحصن عمروا مترساً في المغربة، وباتوا ليلة الاثنين، وقد تقدمت منهم جماعة ثم تقدمت منهم طائفة على من بهداد، ونصبوا عليهم المدافع، فتلقاهم المجاهدون فهزموا، ثم ردوا فرمؤهم فرجعوا، ولما رأتهم الأنصار، وقد انهزموا، خرجوا إلى خارج الدار ليمنعوهم من الهجوم، فتصادموا قليلاً، فخلقت خالفة من العجم، ولا يعلم المجاهدون بما قد ألم، فاستولت العجم على الدار، وفر من فيه من الأنصار، فرأهم من خارج الدار، فأسرعوا بالفرار، ودخلت الأعاجم فأحرقوه بالنار، وقُتل منهم ما ينيف على الأربعين، ومن المجاهدين ثلاثة.

وفيه أيضاً تقدم علي باشا على من في الرغيل مع الطائفة التي أمدهم بها أحمد فيضي، فوقع الحرب من الفجر إلى الليل، وخرج من المجاهدين جماعة من بني عبد، ومن بيت مسعود، قاصدين مدفعاً نصبوه، يرمون به بيت سعيد صلاح المعروف بالرغيل، حتى بلغوا إلى فوقه، فاقتتلوا قتالاً شديداً،

(1) المقصود محمد بن عبدالله مزيفر الشرفي.

فانهزمت العجم بمدفعيها، وتبعهم المجاهدون، وكلما قاربوهم رموا إليهم من أسلحتهم ليأخذوه ويستغلوا به فصاروا يأخذونه ويتبعونهم، فخرجت سداة المدفع التي لا يستقيم إلا بها، فأخذها المجاهدون، ولما عرف العجم الذي في الوهزة ما وقع، رموا بالمدافع إلى العرب، فوقع في العجم، فقتلوا منهم كثيراً، ونجا أصحاب المدفع به، بعد أن انهزموا من قارة الذيب إلى الرأس^(١) حدرًا في جبل وعير.

وقتل من المجاهدين مسعود بن أحمد بن محسن من بيت مسعود^(١). وقيل من العجم في هذين اليومين مئة وخمسون رجلاً.

وفي الشهر المذكور تقدمت العجم على من بقي في الرغيل صباحاً، وقد تعطلت الجبال عن الرجال، فرتبتها العجم، وهي جبال مانعة. فلما اشتد الحرب هم المجاهدون بالفرار، وفي المحل نساء وصبيان، فخافوا أن يلحقهم العار فثبت السيد الأجل عبد الرحمن بن عباس، حتى خرج من المحل النساء والأطفال، وختم الله له بالشهادة حينئذ، ففاز بالحسن وزيادة، أصابته رصاصة مدفع، وحمل إلى بيت عقب فدفن فيه، رحمة الله تغشاه، وقيل معه / رجلان وامرأة، ولم يصب العجم غير جراحة واحدة، واستولوا^{٣٤} على المحل.

(١) مسعود: قرية وسوق في ناحية سنحان من نواحي صنعاء، انظر، أئمة اليمن، ٥٣٦/٢، معجم المقحفي، ٥٩٢.

(١) في ع، م الماس.

وفي هذه المدة عَزَمَتْ رجالٌ من بني عُكَّاب (١) ليلاً، وَقَصَدُوا من بقي في الحُصَيْبِ من العجمِ ، فلما بلغوا طرفَ المطرحِ، مالوا على العجمِ، وأخذوا نحوَ ثلاثِ مئةِ كيسٍ دقيقي. في كلِّ كيسٍ قدحان، وألقوا باقيه على الأرضِ ، حتى انتهبت منه نساءُ بني عُكَّاب. وأخذوا من حَسَكِ المدافعِ شيئاً كثيراً، ولم يجدوا لهم من دونِ الله من وليٍّ ولا نصير.

وفي المدةِ المذكورةِ، تقدَّمت العجمُ على مَنْ في دُوَّاس (٢)، فوقع الحربُ بينهم وبين المجاهدين، وصاروا كلُّ ما هجموا، ردَّهم المجاهدون، وقُتِلَ منهم قتلى كثيرون.

وفي يومِ الثلوثِ السابعِ من الشهرِ المذكورِ، انهزم مَنْ في قُدَم، فما شعرَ من في دُوَّاسِ الا بكتابٍ من حسين النوفي مخبرٍ بفرارِ مَنْ في قُدَم، ولم يبقَ منهم الا عشرةُ أنفارٍ، فينما هم كذلك، إذ طَلَعَ دخانٌ من قلعةِ العمري (٣)، وهي حصينةٌ لا تؤثرُ فيها المدافعُ، وكان بها الحاج زيدُ بنُ صالح الرضي، ورجالٌ من الصَّيْدِ (٤)، وقد سَحَنُوهَا بالمونةِ والزادِ، فَوَهَنَ لذلك مَنْ

(١) بنو عُكَّاب: من قبائل بلاد حجة بغرب مَبِين انظر، اليمن الكبرى، ١٠٥، معجم المحففي، ٤٥٦.

(٢) حصن دُوَّاس: في الشاهل، ودوسان، حصن يطل على مدينة المَهْجَم انظر اليمن الكبرى، ٦.

(٣) قلعة العمري: في بلاد يريم، انظر، حوليات يمانية، ٥١٥ اسمه «ناصر بن علي العمري، انظر، أئمة اليمن، ٧٦/٢. وما ورد في الأصل المعمرى.

(٤) الصَّيْد: بطن من خارف من حاشد، وبلاد الصَّيْد متصلة بالبون ومن قراها المشهورة كانط وناعط، انظر، معجم الحجري، ٢١٧/١، ٥٤٨/٣، اليمن الكبرى، ١٧٩ صفة جزيرة العرب، ١٢٣، ١٨٤، الاكليل، ١٩٩/٢، صفحات مجهولة، ٩٩.

في دُوَّاس، وظنُّوا أنَّ العجمَ قد أخذتُها من جهةِ مَسُور، فوَقَعَ الحربُ بينهم إلى الليلِ، وعَزَموا على الخروجِ من الحصنِ المذكورِ، ولم يبقَ لهم إلا طريقٌ واحدٌ من جهةِ الغربِ، وقُتِلَ من العجمِ في هذا الحربِ ما يزيدُ على المئة.

وحُكي عن سيدي، سيفِ الإسلامِ، محمد بن الحسين بن عباس، رحمه الله، أنَّه رمى يوماً ثلاثاً^(١) وخمسين ضربةً حتى انصبَّت عيناه دماً من الرمي، وكان إحراقُ قلعةِ المعمري رأياً من الحاج زيد بن صالح الرضوي خشيةً أن يستولى عليها العربُ، فيرتّبوها. هذا، وأما من في جَبَلِ مَسُور، فإنَّ العجمَ لما استولتْ على الرغيل، وفرَّ مَنْ فرَّ عَزَمَ السَيْدُ عَزَّ الإسلامَ محمد بن الحسين بن عباس إلى بيتِ مسعود، فاجتمع إليه مَنْ بقيَ مِنْ بني عبد وغيرِهِم، واجتمعَ رأيهم أن يكونوا زيادةً لمن في قلعةِ المعمري، فلم يشعروا إلا بطلوعِ دخانها، فلم يَسْعَهُمْ في الحالِ إلا التفرُّق. فتفرقوا أيدي سبأ، ورجعَ المقدمي إلى حضرةِ الإمامِ - عليه السلامُ - وأما مَنْ في دُوَّاس، فإنه لما أظلمَ الليلُ خرجوا من مطرحِ العجمِ في الحُصَيْبِ، فتغاضى عنهم العجمُ كأنهم لم يسمعوا ولم يُبصروا حتى دخلوا الظفير، وسار السيدُ محمد مزيفر يريدُ حصنَ حقييل^(١)، فمَنَعَهُ أهلُها، فقصدَ عُولي^(٢)، فمَنَعَ أيضاً، فدخل الظفير، ولما استولتِ العجمُ على ما ذُكِر، أحرقوا البيوتَ بالنارِ، وتحصَّنَ كثيرٌ

(١) حصن حقييل: حقييل من أرض عَيَّان في مغرب هَمْدَانَ انظر، السيرة المنصورية لابن دِعْثَم، ٤٨٨/٢.

(٢) عُولي: وطن وجبل جنوبي حجة انظر، صفة جزيرة العرب ١٢٥.

(١) في ع، م، ثلاث مئة وخمسين.

من أهلها بالفرار.

ذكرُ وقعاتِ الحَيمةِ الداخلية:

وفي هذه المدة، كان الحربُ في الحَيمةِ الداخلية، والسببُ في ذلك: أنَّ أحمدَ فيضي لما دخل صنعاء، ووقعَ ما قد ذكرنا من الحروب، لم يدخل أهلَ الحَيمةِ في الطاعة، وبقيَ لديهم مقدّمهم السيد الهمام محمدُ بنُ أحمد الشامي (1) بحصن العرّ (2)، فأتى إلى الإمام - عليه السلام - الشيخُ مقبلُ بنُ يحيى قطيع، فجهزَ معه عساكرَ من حاشد ومن الغولة، وعزَمَ بهم، ونفدَ السيّد الهمام، صفيُّ الإسلام، أحمدُ بنُ قاسم بمن عنده من قبائل أرحب، وتوجّهَ السيّد الجمالي، علي بن صلاح بمن معه من قبائل نهم وبني حشيش، حتى بلغت العسكرُ في الحَيمةِ إلى الخمسِ مئة، وعزمتْ جماعةٌ من أهلِ الحَيمة ليلاً إلى السُّلك، فقطعوه، فتوجّهَ من جهةِ العجم القاضي أحمد الردمي، وعياش والأسد إلى الحَيمة يريدون الصُّلح / والمسالمة، ودخول أهلِ الحَيمة في الطاعة، فأبوا عن ذلك إلا الشيخ محمد بن محمد الشَّقَاقِي، شيخُ عزلة الأُحُوب (3) وحزام اليعربي، شيخُ عزلة بني السِّيَاغ (4)، فإنهما بدلا الطاعة في

(1) محمد بن أحمد الشامي: ولد سنة ١٢٨٨ في محلة المسقاة من بلاد خبان، ولي القضاء في بلاد السود من عيال يزيدت سنة ١٣٢٧هـ، نزهة النظر، ٥٠١.

(2) العرّ: حصن في جبل العر في الحَيمة الداخلية، متصل بجبل النبي شعيب من ناحية الشرق، انظر، معالم الآثار ٣٧، صفة جزيرة، ١٢٥، ١٧٧، والعرُّ اسم مشترك بين عدد من المواضع في اليمن.

(3) الأُحُوب: عزلة من ناحية الحَيمة الداخلية فيها القرى، جِدِر وبيت سلم وبيت يريس وبيت الشَّقَاقِي انظر، المفيد، ٩٤، معجم المقحفي، ١٥.

(4) بنو السِّيَاغ: عزلة كبيرة من الحَيمة الداخلية محاذية لبني مطر من جهة الشرق فيها =

الخفية، فلما أبوا، توجّه الشريف محمد بن علي الشويح، وصحبته خمسة وعشرون رجلاً حتى بلغوا المسجدين بيت محمد بن محسن، وهو من أعوان العجم، فلما وصل الشريف الشويح هنالك، كاتب مشايخ الحيمة وطلب منهم الوفقة، فاتفقوا إلى الذيلة⁽¹⁾، فأبى عن الصلح مشايخ الحيمة، إلا الشيخين المذكورين. فلما بلغ السيد محمد بن أحمد الشامي، أرسل إلى أعيان الأحبوب، فقَبَضَ عليهم وحَبَسَهُم، ثم توجّه السيد حسين⁽²⁾ بن قاسم عامر وعسكر زهاء مئتين وخمسين من أرحب ونهم والغولة وذيفان، فبلغ السيد المذكور فرمى من معه بينادقهم ضربة واحدة، فشمّرت رجال الأحبوب، فدخلت بيت البئر⁽³⁾، فرتبوه بنية الإمام، وقد بلغ من أهل المداهنة، وخرج السيد المذكور من الذيلة فدخل بيت يقع⁽²⁾⁽³⁾ ومعه خمسة وأربعون رجلاً، وعزم الشيخ مقبل قطيع، والحاج راجح بمن معهم، فدخلوا بيت معدن⁽³⁾

= قرى كثيرة أهمها: هجرة العين انظر، معجم المقحفي، ٣٣٥، رياض الرياحين . ١٣٠

- (1) الزيلة: جنوب صنعاء من بلاد صُريم بالقرب من اثافت انظر، صفة جزيرة العرب، ١٤٥، والزيلتين، من بلاد صُريم بالقرب من اثافت، انظر السيرة المنصورية، ٣٤٤، اللالي المضيفة، ٢/٢٩٩ وجاءت في معجم المقحفي، الزيلة، قرية في الحيمة الداخلية من عزلة الأحبوب، وهي المقصودة هنا، انظر، معجم المقحفي، ٢٩٦.
- (2) بيت يقع: قرية في أعلى بني السباع، هي الحد بين الحيمة وبلاد البستان، انظر، صفحات مجهولة ٩٢، التعداد في صنعاء، ١/١٢٢، معجم المقحفي، ٧١٥.
- (3) بيت معدن: بلدة عامرة من حضور، انظر، المفيد، ٩٢، معجم المقحفي، ٦٠٩.

(١) في أ، حسن.

(٢) في م، بيت النش.

(٣) في أ، نفع، م، بيت نفع.

بغيرِ رضیِ أهلِهِ بسعايةِ الحاجِ محمدِ بنِ أحمدَ العبدلي، ومالَ أهلِ معدنِ إلىِ
مخادعةِ الشويح.

وفي شهرِ جمادى الأولى خرجتِ العجمُ من صنعاء متوجهين إلى الحيمة
نحو ستِ مئةٍ بما معهم من السلاح والمدافع فباتوا بمتنه (1) وداعر (2).

وفي يومِ الجمعة، ساروا حتى بلغوا القليس (3) ظهراً، وتقدموا من وقتهم،
فتلقَّتهم الأنصارُ، والسيّدُ المذكور، ومن انضمَّ إليهم من أهلِ البلاد، وقد
افترقتِ العجمُ فرقتين: فرقةٌ نحو بيت معدن من قاع الوسط فما فوقه، جاءوا
معدن من عدينه، وفرقةٌ بقيت بقاعِ الوسط، ونصبوا المدافع من هنالك، ولم
يزلَّ الحربُ بينهم وبينَ من في بيت معدن إلى الليل، وأما من في جهةِ
الغرب، فإن السيد ومن معه تقدّم إلى أكمة بقاعِ الوسط، واتصل الحربُ إلى
الليل، وقُتِلَ من العجمِ في هذا الحربِ كثيرٌ ومن المجاهدين اثنان.

وفي يومِ السبتِ، عاودوا الحربَ من قبيلِ الشروقِ، وتقدّمَ من في الوسطِ
يقصدون بيتَ محمد بن محسن ليتمكّنوا من الارتقاء على من في جبل الشبه،
فدخلوه بعد الحربِ الشديد، وذلك في وقتِ الضحى، وسائرُ أهلِ البلادِ أذُّ

(1) متّنة: قرية غربي صنعاء في حقل سُهَمَان من ناحية بني مطر انظر، صفحات
مجهولة، ٥٤، معجم المقحفي، ٥٥٧.

(2) داعر: جنوب غرب صنعاء، من قرى ناحية بني مطر (البستان سابقاً)، انظر، معجم
المقحفي، ٢٣٠، الاكليل، ٣٠٢/٢.

(3) القليس: بلدة في جبل النبي شعيب، بناحية مطر، انظر، معجم المقحفي، ٥٢٢.

ذاك لم تبلغ غارتهم إلى السيد المذكور، ولا وصلت زيادتهم الا جماعة من بني السَيَّاح.

ولما دخلت العجمُ هنالك، تقدّموا من ساعتهم على من في جبل الشَّبه، وصعدوا إليه، فثبتَ لهم العربُ قليلاً، ثم فرّوا، وقد قُتِلَ منهم قتيلاً، فلم يَشْعُرْ المقدمي الآ وقد تخلت المراتبُ الغريبةُ، فانتقل المقدمي إلى أكمةٍ هنالك تحمي على من هربَ من العرب، واستمرَّ القتالُ إلى الليلِ، ولم يبقَ مع المقدمي غيرُ أصحابه الذين من المشرق، وأما مَنْ في بيت معدن، فإنه استمرَّ الحربُ بينهم إلى الليلِ، وخرجوا منه، فلما بلغَ خروجُ من فيه، انتقل إلى بني السَيَّاح حتى بلغَ إلى المحطةِ، فجعلوا يتلطفون له بأنها ستهلك العزلة إذا بقي فيها، فتركهم وسارَ إلى بيتِ الحومري، فمنعه أهله من الدخولِ فسارَ إلى هجرةِ بني السَيَّاح ولم يَبْتَ إِلا بحصنِ العر، وقُتِلَ من العجمِ في هذا الحربِ ثمانون رجلاً، ومن العربِ أربعة.

وفي اليوم الثاني، يومَ الاثنين، دخلت العجمُ بيتَ معدن فأحرقوه، وتقدم الشريفُ الشوبع بأصحابه، قرية الزيلة برضى أهلها، ونزلت العجمُ خلفه الزيلة وبيت النش (1).

وفي الشهرِ المذكورِ أيضاً، تقدّم المقدمي السيد/ الجمالي عليُّ بنُ ٣٥ب صلاح، وصحبته نحو من ثلاثِ مئةٍ وخمسين رجلاً من أهلِ المشرق، وأمره أن يقبضَ حصنَ ظفار المتوسط في النقييل، وهو حصنٌ مانعٌ خرابٌ، فيه بقيةٌ من العمارةِ التي عمرها الإمامُ مع المتوكّل على الله، المحسن بن أحمد،

(1) هو المفضل النش، انظر حوليات يمانية، ٥١٤.

ورتب مع ذلك بيتَ يريس^(١) وبيتَ السنحاني وغيرهما.

ووصلت إلى العجم زيادةً من الذي في بلادِ لاعةٍ وحبّة، نحو أربعِ مئةٍ، ولم تقع حربٌ بعدَ وصولِهِم، ولما كانَ يومُ الجمعةِ، افتشل مَنْ في ظفار، وعزموا على الفرارِ، لا لسببٍ واضطرارٍ، فرتبهُ المقدمي بسبعين رامياً، وأبقى هنالك الحاجُّ أحمدُ العبدلي، والحاجُّ سعيدُ الدرلي^(١).

وفي ليلةِ الأحدِ، ثاني عشر الشهرِ المذكورِ، فرّت الرتبةُ من حصنِ ظفار، وارتكبوا العارَ، ولم يبقَ غيرُ عشرةٍ، فأمرَ المقدمي بترتيبه مرةً ثانيةً في الليلِ. فبلغت القومُ إليه فجراً، وقدرهم أربعُ مئةٍ، رئيسهم السيدُ الجمالي علي بن أحمد صلاح.

وفي اليومِ المذكورِ، توجه القومُ على مَنْ في ظفار، وكان الذين فيه قد رتبوا كلَّ قبيلةٍ بجهةٍ، فالشيخ فرحان الغولي ثم السريحي بأصحابه عيال^(٢) سريح في الجهةِ العدنيةِ، وراجح الهجام، ومن معه في الجهةِ الشرقيةِ، والنقيبُ يحيى وعيل بمن معه في عطف الجبل، والنقيبُ محمد بن حسين العذري بمن معه جهة الغرب، والسيدُ علي بن صلاح في رأس الحصنِ.

(١) عزلة يريس: حصن متهدم الآن، وعزلة يريس، سافلة جبل حُبَيْش، وبيت يريس، قرية في أسفل حضور ابن عدي، وهي من عداد عزلة الأحبوب بناحية الحيمة الداخلية، انظر، الاكليل، ٢٠/٢، صفة جزيرة العرب، ٢١٠، المفيد، ٨٠ (ط ثانية).

(١) في م، الدرلي.

(٢) في أ، بني.

فأثارت العجمُ الحربَ ورَمَتْ بِالْمَدَافِعِ ، وهجَمَتِ العساكِرُ، وجرى بينهم حربٌ شديدٌ متكاثِرٌ، فرمت العجمُ نحوَ العدينِ، ففرَّ من فيه، فما شعرَ الذي في الجهاتِ الأخرى إلا وَقَدْ اقتحمت العجمُ، فثبت النقيبُ محمد بن حسين العذري، وقتلوا كثيراً من العجم، وأغار المجاهدون من كلِّ جانبٍ، وصار الحربُ سجالاً: تارةً يَنْهَزمُ العجمُ، وتارةً يَنْهَزمُ العربُ، حتى تَرَامَوْا بالحجارةِ، واستمرَّ ذلك إلى الليل، وحينئذٍ فرَّت العربُ، وقد استشهدَ منهم ستةٌ أنفَارٍ، منهم: النقيبُ محمد بن حسين العذري، وقُتِلَ من العجم ثلاثون، وسبعةٌ وعشرون مجاريح.

وفي يومِ الاثنين، أرادت العربُ دخولَ العِرِّ، وقد داخَلَهُم الفَشْلُ والوَهْنُ، فنهاهم المُقَدِّمِيُّ عن ذلك، فلما رأى أهلُ الخربةِ ذلك، استدعوا العجمَ فرتبوا، وربّوا حصنَ سودان المشرف على العر، وقرية نفيد والصببار والجبل الذي تحتَ القُدوم، وانضمَّ المجاهدون إلى المقدِّمي، فدخلوا حصنَ العِرِّ، وكانوا نحوَ الخمسِ مئة. وقد تتابع أهلُ البلادِ على طاعةِ العجمِ، ورتبوا جبلَ المنصورةِ الحاكم على العِرِّ، وكان طلوعُهُم من شرطةِ القُدوم ولم تكن مرتبةً، فلما أحسَّ بهم من في العِرِّ، أجمعوا أن يخرجوا من الحصنِ خوفاً من أن يحاصروا فيه، فلم يَسَعِ المقدِّميُّ بعدَ هذا إلا العزمُ والعودُ إلى شريفِ المقام والسلام.

ذَكَرُ انْتِقَالَ الْإِمَامِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ جَبَلِ

الْأَهْنُومِ إِلَى قَفْلَةِ عُدْرٍ، وَمَا

يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْخَبَرِ

وَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخَاذَلَ النَّاسَ وَفَشَلَهُمْ، وَمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ
الْوَهْنِ وَالكَدْرِ، رَأَى الْانْتِقَالَ إِلَى قَفْلَةِ عُدْرٍ لِمَارَبٍ لَهُ لَا تُحْصَرُ. وَجَعَلَ عَلَى
الْجَبَلِ السَّيِّدَ الْعَلَامَةَ الصَّفِيَّ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ قَاسِمٍ (1) لِإِقَامَةِ الشَّرِيعَةِ،
وَإِنصَافِ الْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ. وَكَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ نَقَلَ أَهْلَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ
الْمَدَّانِ إِلَى هَجْرَةِ عَيَّانٍ (2) مِنْ بِلَادِ سَفْيَانَ، لَمَّا رَأَى مَا النَّاسُ عَلَيْهِ / مِنْ
الْخِذْلَانِ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقَفْلَةِ، جَمَعَ عَقَالَ عُدْرٍ وَالْعُصَيِّمَاتِ،
وَافْتَقَدَ مَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْإِخْنِ، فَأَصْلَحَ مَا بَيْنَهُمْ، فَجَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُمْ بِبِرْكَةِ هَذَا
الْإِمَامِ الْمُؤْتَمَنِ.

١٣٦

وَمِنْ كِرَامَاتِ الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ - أَعْنِي قَرْيَةَ عُدْرٍ -
كَانَتْ مِنْ أَوْيَا أَرْضِ اللَّهِ، كَمَا وَصَفَ لَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ، حَتَّى وَصَفُوا لَنَا أَنَّ
الْغَرِيبَ إِذَا بَاتَ فِيهَا لَيْلَةً لَا بَدَأَ أَنْ يَمْرَضَ، وَلَمَّا اسْتَوطنَهَا الْإِمَامُ - عَلَيْهِ
السَّلَامُ -، رَفَعَ اللَّهُ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَبَاءَ بِبِرْكَةِ الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَأَصْلَحَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، أَوْعِيَّةَ مَائِهَا الْمَسْمُومِ بِبِثْرِ الْغَارِبِ، وَإِنهَا مِنْ أَعْدَبِ الْمِيَاهِ بِإِجْمَاعِ
أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ.

(1) أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ قَاسِمِ بْنِ عَامِرٍ: وُلِدَ بِالْأَهْنُومِ سَنَةَ ١٢٨٢ هـ، لَازِمٌ لِعُلَمَاءِ الْأَهْنُومِ
وَأَخَذَ عَنْهُمْ، كَانَ عَامِلَ مُسْتَبَا الْوَاقِعَةِ ضَمِنَ جِبَالِ وَشَمَةَ مِنَ الْجَهَةِ الْغَرْبِيَّةِ تِ سَنَةَ
١٣٥٦ هـ، انظُرْ، نَزْهَةَ النَّظَرِ، ١٦١.

(2) هَجْرَةُ عَيَّانٍ: قَرْيَةٌ فِي سُفْيَانَ بْنِ أَرْحَبِ بْنِ بَكِيلٍ بِالْقُرْبِ مِنْ خِيَوَانَ إِلَيْهَا يَنْسَبُ طَائِفَةٌ
مِنْ بَنِي الْعَيَّانِيِّ انظُرْ، نَشْرُ الْعَرَفِ، ٢٨٥/١، قَرَةَ الْعَيُونِ، ٢٢٩ الْيَمَنِ الْكَبْرَى، ٨٦،
١٠٥، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٤٧٥، السَّيْرَةُ الْمَنْصُورِيَّةُ ٥١٦.

وقعة حصن الظفير^(١):

وصفتها: أن العجم تقدّموا في يوم الأحد، حادي وعشرين شعبان إلى الكهوف التي تحت حصن الظفير، ووقفوا هناك ساكنين إلى وقت الفجر، وكان عددهم خمسة وعشرين مئة، وقد صنعوا من السلايم الطوال، في السُّلم الواحد أربعون درجةً، أعدّوا ذلك من البلاد الرومية، فلما كان وقت الفجر، صاحوا بالظفير من جميع المراتب، ورموا بثمانية مدافع، وبنادق لا تُحصى كثرةً، وتقدّم الذين في الكهوف وصبوا المراقي والسلايم وصعدوا، ولم يعلم القوم بطلوعهم في تلك الحال. فلما كادوا أن يصلوا انتبه الناس، فخرج جميع من في المدينة، وجعلوا يرمونهم بالأحجار حتى كسروا تلك المراقي، وامتنع الطلوع، وجعل الضباط يسوقونهم نحو الباب، واجتمع من العرب إلى جهة الباب شيء كثير، وجعلوا يرمون العجم بالبنادق والحجارة حتى هزموهم عن الباب، وقُتِل من العجم مئة قتيل، الذين ظهروا كما قيل، ولم يقع في العرب غير مكان^(١)، الشيخ محمد بن مبخوت الأحمر، فلما انهزمت العجم أخذت العرب بنادق المقاتيل، وسلبوهم سيوفاً وذهباً كان في ثيابهم لأنها انجلت المعركة، ولم يقدر العجم على دفن قتلاهم.

(١) أئمة اليمن، ٧٧، والمقصود ظفير حجة، وحصن الظفير: هو ظفير حجة في عزلة بني حجاج، وهو من المعامل الشهيرة، كان هجرة لطلب العلم، والظفير في اليمن كثير، فالظفير، حصن وقرية من بني مطر مقابل لكوكبان، والظفير، حصن وقرية جنوب ماوية من أعمال تعز، والظفير، قرية في آنس مقابل ضوران من جهة الشرق، انظر، البلدان اليمانية، ١٨١.

(١) أي جريح.

وفي تلك الليلة غزت العجم على موضع خرابٍ قرب بيت ماطر⁽¹⁾، وكان فيه جماعةٌ قليلون، فخرجوا ودخلت العجم، ثم إنها - أعني العجم - غزت إلى بيت ماطر، وكان فيه نحو خمسين، فناموا خلا ثلاثة حُرَّاسٍ، فلم يفتنوا الا وقد أحاط بهم العجم، فوقع الحرب، وقُتِلَ من العجم جماعةٌ، ومن المجاهدين رجالان لا غير، وانهزمت العربُ وقبضت العجمُ بيتَ ماطر، فقبضوا طريقه، وكان ذلك أعظمَ شاغلٍ على من في الظفير، وكان ثمة طريقٌ شغار إلى السوق، فاتَّفَقَ أنَّ جماعةً خرجوا إلى السوق، ففطنَ لهم العجمُ، فخرجوا على أثرهم، فطرحوا في الطريقِ والأكام. فلما كان الليلُ طلع الذين كانوا في السوق ولم يعلموا بالكمين فوقعوا بالقرب من العجم، فأرسلوا عيوناً، ففطنَ لهم العجمُ، فتبعوهم، ففرَّ بعضهم إلى الظفير، وبعضهم رجع إلى القوم، فأندروهم، فرجعوا، وخرجَ القومُ الذين في الظفير للقائهم.

وفيه أيضاً: قبضت العجمُ بيتاً يُقال له بيت الحسيني قريباً من الظفير، فكلمَ الشيخُ ناصر مبخوت أهل ذلك البيت أن يحرقوه بالبارود، وتواعدوا إلى وقتٍ في الليل، وكان آل الحسيني ثلاثة نفرٍ، فأدخلوا البارودَ وصعد اثنان منهم عند الأتراك، ونزل واحدٌ لإصلاح البارود، والذريةُ فجرت الفتيلة، وصعق دخانُ الفتيلة / والبارودِ، فانتبه بعضُ العجم، فنزلَ ولحقه الأخوان، فقال: ما هذا الذي فاح ريحُه، فقتلوه، وأشعلوا البارودَ وهربوا فقرحَ البارودُ قارحاً عظيماً قبل الوقتِ الذي واعدوا فيه الشيخ ناصر، فنزل أهل الظفير،

ب ٣٦

(1) بيت ماطر: من بلدان جبل الظفير في محافظة حجة، انظر، معجم المقحفي،

وبقي من البيت موضع سلم فيه بعضُ الترك، فرموا بينادِقِهِمْ حتى غارت عليهم العرب من المراتب الأخرى. وهلك من العجم هنالك خمسةٌ وثلاثون، فوهنت العجمُ لذلك. ولَمَّا اتصلَ الخبرُ بأحمد فيضي حزن حزناً شديداً وقال: إنا مسلمون، وأنتم مسلمون، كيف تصنعون يا معشر العرب!

ف قيل له: إن مدافعكم هذه لا يجوزُ أن يُقاتلَ بها المسلمون، وإن العربَ لما رأوا مدافعكم قابلوها بهذه المكيدة جزاءً وفاقاً.

ثم إن العجمَ شددوا الحصارَ على مَنْ في الظفيرِ، حتى إنَّه لم يقدرَ أن يدخلَ عليهم أحدٌ.

وقعة كُحْلان من بلاد خُبَّان (1):

وصفتها: وفي يوم الثلوث، الخامسَ عشرَ من شهرِ رمضانَ في السنة المذكورة، كان وصولُ سيدي محمدِ بنِ الحسينِ بنِ عباسِ حصنَ كُحْلانَ (2) من بلادِ خُبَّان، قريب من مدينة يَريم، وهو حصنٌ منيع، فيه من المآثر الحميرية، من العمارات والبرك الوسيعة، وكان السببُ في هذه الوقعة، أن

(1) خُبَّان: ناحية واسعة بذي رُعين، شرقي ظفار وجنوبه، وهي ما تعرف اليوم باسم «السُدَّة انظر، نيل الوطر، ٤٢١/١، صفة جزيرة العرب، ٢٨١، تاريخ اليمن الثقافي، ١٠٤/١.

(2) هي كُحْلان حَضور: قرية من عزلة الثلث، التابعة لناحية الرَضَمَة بالشرق من يريم بمسافة ٢٣ كم، وتسمى كُحْلان الحداد انظر، الاكليل، ٢٤٥/٢، صفة جزيرة العرب، ٢٠١، معالم الآثار، ٧٥، نشر العرف، ٧٩٧/١، معجم المقحفي، ٥٣٤، أئمة اليمن، ٧٧.

بعض الشيعة كتب إلى حضرة الإمام - عليه السلام - يستمد منه النصر لما حصل من النكاية له وتشيده، فأرسل الإمام - عليه السلام - السيد الهمام والليث الضرغام، محمد بن الحسين بن عباس، من أكابر الناس، فلما وصل إلى بلاد الحدا، انضاف إليه منهم قوم كثير، وكتب إليه رجل من الشيعة^(١) غير الأول، أن العجم قاصدون إليه لأخذه وتنكيله، فالغارة الغارة! وكان الرجل في كحلان. فلما وصل المكتوب إلى سيدي عز الإسلام، حث السير إليه ليدخل حصن كحلان قبل دخول العجم فيه، وكانت العجم إذ ذاك في مدينة يريم، فتسابقوا إلى الحصن المذكور، فدخل المجاهدون قبل وصول العجم، وكان مطرُ المجاهدين في الحصن، وفي القرى التي تحته. ولما وصلوا هنالك أطلعوا ما قدروا عليه من الجيوب، وشحنوا الحصن مما يحتاج إليه، وكان قدرُ القوم ثمان مئة وأكثرهم من الحدا، وحين وصلت العجم، ووجدوهم قد قبضوا أسقط في أيديهم، فتقدمت العجم على من في القرى، فوقع الحرب بينهم، وأخرجهم العجم من القرى وفر من هنالك أكثر القوم الذين لا يُعبأ بهم من الحدا، وغوغاء الناس، ولم يبق في الحصن إلا من يُلام، وقبضت العجم جميع القرى الذي تحت الحصن، وشرعوا في محاصرة من في الحصن من جميع الجهات محاصرة شديدة، ولم يزلوا في كل يوم يترامون بالبنادق والمدافع، ويقع في العجم من رمي المجاهدين القتل الذريع. ومن أراد الدخول إلى الحصن فلا يمكنه الدخول إلا ليلاً، وكذلك الخروج. وكتب إلي سيدي عز

(١) في م، آخر غير.

الإسلام بتحقيق ما وقع، وأرسل فرسه إلينا صحبة القاضي محسن العكام لعدم العلف في الحصن. ثم عظم الحصار من العجم الفجار، وأعاونهم الأشرار، ووقع بينهم حروب كبار، وأدركهم عيد الإفطار في تلك الدار.

ثم إن عز الإسلام كتب إلى أهل البلاد أعني بلاد يريم وخبان والعود وعمّار / وقعطبة يحثهم على الجهاد بالمال والرجال، فلم يجبه إلا قليلاً ١٣٧ ممن يعرف الآل، وآخرون متربصون لما يقع في المال.

ثم إن مصطفى نافذ رئيس العجم المحاصرين، لما كاد أن يعجز عن المحاصرة، كتب إلى أحمد فيضي باشا أنه لا يمكن إخراج من في الحصن إلا بدراهم، فأرسل أحمد فيضي أركان حرب مأموراً لكشف الحقيقة، فلما وصل إلى هنالك أظهر الكبرياء والاستحقاق، وأرسل إلى من في الحصن أن اخرجوا، والا فاذنوا بحرب، والمقصود مخادعة المجاهدين، فلما وصل إلى المجاهدين أزهب فاطنّب وخذل، فلما وجدهم في غاية ما يكون من الشدة، وأبوا أن يخرجوا، أسر إلى بعضهم على جهة الكتمان كالنقيب عسكري عقلان الشعبي، ورجع إلى العجم، فخبرهم بما وقع ووجد من الشدة والإباء، فاغتاظ حينئذ أركان حرب، وعلاه الحزن والكرب، وقال لابن ثوابة (١): نادهم إن الحرب يوم السبت. ومن صنع الله العلام، الذي أكرم به هذا الإمام - عليه السلام - أن المجاهدين كانوا قد عطلوا عن المؤونة، فلم يشعروا ليلة السبت نصف الليل إلا بنحو عشرين رجلاً يحملون مونة عربي وشاشخان من بعض أهل الإيمان في العود، ففرح يومئذ المجاهدون وتفاءلوا

(١) المقصود النقيب علي بن عبدالله ثوابة.

بأنهم المنصورون. وكانت العجم قد أعدت لهذا الحرب ما لا يُوصف كثرةً من المدافع والبنادق والعسكر الجرار، وكانوا أكثر من ألفي رجل، ثم تقدّموا فجر يوم السبت، وحركوا المدافع تحريكاً يُذهل السامع ويصكّ المسامع، وهجمت العجم أشدّ الهجوم حتى صار دخان الرمي كالغيوم، ومرأهم بذلك إرهابُ المجاهدين. فلما وصلوا إلى قرب الحصن أطلق المجاهدون البنادق عليهم كالصواعق، وكان المجاهدون قد حفروا بالأمس لهم في الأرض وقاير. ومن حسن تدبير المقدمي عزّ الإسلام، أنه لم يُعطيهم من المونة إلا كل واحد حبة واحدة لا غير، فسئل عن ذلك، فقال: إن العسكر إذا رأوا المونة قبلهم كثيراً عاجلوا بالرمي قبل اقتراب العدو، وحيث لم يُعط إلا واحدة فيكون حريصاً عليها، فلا يضعها إلا في موضعها.

ثم إن عسكر العجم، بعد أن كثر عليهم القتل انهزموا، فردّتهم الضباط بالسيوف القواطع والطوبجية بالمدافع، فهجموا مرة أخرى، ثم انهزموا مرة ثانية، وهكذا وفي كل جملة يُقتل منهم الجم الغفير، حتى أظلم الليل، فانهزمت العجم، راجعةً إلى مطارجها، وقد أسقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد ضلّوا، ورأى عدو الله أركان حرب ما أذهل عقله، فعزّم على الرحلة، وفوض الأمر إلى مصطفى نافذ، فأرسل مصطفى نافذ إلى النقيب علي بن عبدالله ثوابه بأن يعاود الصلح، ويعرضه على المجاهدين، ويكون من المرجفين ويخوفهم ويرغبهم، فاتفق بهم وبذل ما يقدر عليه من الترغيب والترهيب، ووسوس وسؤل بأن يُعطي كل واحد من الدراهم ما أمل، فتم له ذلك المؤمل، فرجع إلى العجم بصلح متمم بأن يسلموا للمجاهدين دراهم معدودة بشروط مشهودة، وبعد، وقّع الاتفاق فيما بين مصطفى نافذ وسيدي

عز الإسلام لتمام الصلح . وكنْتُ أرسلتُ رسولاَ إلى حضرة سيدي عزُ الإسلام بمحتاج، فوصفَ لنا الرسولُ أنه دخلَ الحصنَ من ظهره لَمَّا كانت المدافعُ قد هَدَمَتِ الدوائرَ / ووصفَ أيضاً أنه رأى النورَ [تحت الحصن] (١) ٣٧ب

تأكلُ القتولَ، وذلك ثاني يومِ الحرب، وعرفني سيدي عزُ الإسلام - رحمه الله - أننا لم نرضَ بالصلحِ إلا بسببِ عدمِ أشياء محتاجاتٍ للعسكرِ وقلةِ المؤونة، وصرتُ حائرَ الفكرِ، هكذا لفظُ مكتوبه - رحمه الله - . ثم ذكرَ في حاوي بأنه بعدَ رقمِ هذا، وصلتُ مكاتيبُ من حضرة سيدي المولى، حفظه الله، بإرسالِ مددِ صحبةِ القاضي أحمد بن محمد الشرعي، وقد وصلتِ المكاتيبُ بوصولِ المذكورِ ومن صحبته بلاد أرحب، ولا بدُّ تستخيرُ الله تعالى بالبقاءِ وعدمه، هكذا مضمونُ كتابه، وأرسلَ حينئذٍ للفرسِ المودعةَ لدينا، وقُتِلَ في هذا الحربِ النقيبُ عسكر بن عقلان، ووقعتُ فيه رصاصةً عربٍ، دخلتِ إليه من محلٍّ لا يمكنُ الدخولُ فيه . وكان المجاهدون يتهمون فيه بأنه يريدُ المخادعةَ . فلما قُتِلَ وجدوا في جيبه مكتوباً يقضي بذلك، وكان أوَّلَ هالك .

واستشهدَ أيضاً في هذه الحروبِ الشيخُ الحاجُ عليُّ بنُ أحمد القوسي، من مشائخِ الحدا وصالحيتها، وصحَّ لدينا أن المقاتيلَ من الحدا في هذه الحروبِ أكثرُ من أربعِ مئة، وأما المكاوين فلا يُحصونُ كثرةً .

وحين تمَّ الصلحُ، وقبضوا الدراهمَ المعلومةَ، عزموا على الارتحالِ بعدَ أن توثقوا بأخذِ الرهائنِ خوفاً من الغدرِ، الذي هو طبعُ العجمِ الاندال . فهذا

(١) الإضافة من م .

ما كان من خبرهم المأخوذ على وجه الصّحة، العرّي عن الكذب في المقال.

وبعد أن عَزَمَ من كُحْلان توجّهَ بمن بقيَ معه من العسكرِ نحوَ ثلاثين لا غيرَ إلى العَوْدِ، واجتمعتُ معه رجالُ العَوْدِ، وتوجّهَ بهم إلى الشِعْرِ، وبعدَ وصولهم الشِعْرَ هجمتُ عليهم العجمُ، الذين كانوا في المنارِ، وقد وقَعَ الحربُ بينهم، وكانت الغلبةُ في أوّلِ يومٍ للمجاهدين، وانهزمت العجمُ، فَحَقَّهم المجاهدونَ، وغزَوْهم إلى المطرحِ، وأحاطوا بهم في كلِّ جهةٍ، وكادوا أن يستسلموا وكانوا نحوَ طابورين، وبعدَ أن مدَّهم مصطفى نافذ بمن معه، فافتشلوا - أعني المجاهدين - ومن اجتمعَ إليهم من أهلِ الشِعْرِ والعَوْدِ، وانحاز السيدُ عزُّ الإسلامِ بمن معه من أهلِ المشرقِ، وتوجّهوا بلادَ قَيْفَةَ (1) وبلادَ رداغِ حتى بلغوا إلى بني ضبيان (2)، وكان من أمرهم ما كان مما سيأتي ذكرُهُ - إن شاء الله - قريباً.

وفي شهرِ شوّالِ أطلقَ الإمامُ، عليه السلامُ، من الأسرى محمد بك، ومحمد أمين قائمي مقام بغداد.

وفي هذا الشهرِ، كان خروجُ جماعةٍ من العجمِ إلى حصن اللّومي (3)

(1) قَيْفَةَ: من قبائل رداغ، وهي بطن من مراد انظر، صفة جزيرة العرب، ١٥٢، معجم المقحفى، ٥٢٨.

(2) بنو ضبيان: ضبان قبيلة كبيرة من قبائل خولان في مشارق صنعاء، انظر، صفحات مجهولة، ٦٠.

(3) حصن اللّومي: قرية من عزلة عيال يحيى، ناحية جبال عيال يزيد، على مسافة ١٥ كم غربي ريدة، انظر، التوزيع السكاني في محافظة صنعاء، ٣٠٧/٢، السيرة

قدرهم اثنتا عشرة مئة، فطرحوا هنالك خارج القرية، فغزتهم طائفة من القبائل ليلاً، فبسبب ذلك دخلوا البيوت.

ومن الغرائب، أن بعض القبائل أقسم ألا يرجع حتى يغنم، وذلك لما فاته الغزو الذي تقدم، فقعد في موضع قريب من العجم، فاتفق أن ثلاثة نفر من العجم، خرجوا لقضاء الحاجة قريباً منه فطعته، وأخذ البندق، ولم يعلم به العجم إلا بعد أن أخذها وعزّم، وأبر الله القسم.

وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ١٣٠٩، خرج أحمد فيضي متوجهاً نحو القبلة، وقد استكثر خيله ورجله، وقبل خروجه عقد مجلساً في صنعاء، لتدبير المسير والرجع، كما هي عادة العجم في مشاورة أولي الأمر، فلما اجتمعوا سأل ما الأولى؟ الابتداء بالشرف / أو قصد الإمام؟ فكل واحد حضر ما عنده من الرأي، فقال أحمد فيضي: من أين ابتداء الفتنة واشتعال نار المحنة؟ فقل له: من الإمام، فقال: هو المادة، والطيب إنما يداوى أولاً بقطع المادة، فأجمعوا على الابتداء بجهة الإمام. ولما وصل إلى جدر عثر به فرسه فشجّه حتى تقياً دماً. وكاد الفرس يهلك فنقل سرجه إلى آخر، فأخذ من ذلك فالاً، أنه لا بد أن ينكسر، ويصد عن مطلبه ويتغير، ولا يبلغ بحول الله سبحانه شيئاً من الوطر.

فصل

وأما الإمام - عليه السلام - فإنه كتب إلى عقّال حاشد، وحثهم على الجهاد، وعرفهم ما أعد الله للمجاهدين، فأجابوه بالسّمع والطاعة، وكتب

= المنصورية ، ٤٨٠/٢ ، هامش ٤ .

- عليه السلام - قاعدة فيما بين حاشد ويكيل، وكلّ قبيل، بأنهم يدّ واحدة على العدو الأكبر، وأنّ الصوت يجمعهم، إلا أنهم ما وفوا بل خادعوا، واختلفوا.

وفي الخامس والعشرين من الشهر المذكور، وصلّ عدو الله بمن معه ريّدة⁽¹⁾، وأخرج أهلها من البيوت، ودخل هو وعسكره.

وقعة في حصن الظفير:

وفي هذه المدة، وقع حرب في حصن الظفير، غزا العجم جمع كثير من جبل نيسا، وقتلوا منهم جماعة، واثنى عشر مكاناً.

وفي اليوم الثاني من شهر القعدة دخل الستين⁽²⁾ في طاعة العجم، بعد أن اجتمع العسكر الذين كانوا في اللومي بالعسكر، الذين وصل بهم أحمد فيضي، ودخلوا الستين وأخذوا منهم الرهائن، ثم بدا لأهل الستين، فهربوا وهربت رهائئهم، وأرسل إلى خمير فوجد أهلها قد فروا وغيروا الماء بأمر الإمام - عليه السلام - ولما بلغ أحمد فيضي أنّ أكثر حاشد قد تركوا بيوتهم وفروا، آيس من طاعتهم، وتقدّم على بني عبد.

(1) ريّدة: شمال غرب صنعاء بمسافة ٤٩ كم، وهناك ريّدة الصيّع، وريّدة الدين، وجبل ريّدة، انظر، الاكليل، ٢٧٠/١، اليمن الكبرى، ٨١، ١٧٠، صفحات مجهولة، ١٩٠، قرة العيون، ٢٢٢، معالم الآثار، ٦٤، معجم المقحفي، ٢٨٠.

(2) الستين: من قرى خمير وهي الستين العليا والستين السفلى، انظر، معجم المقحفي، ٣٢٧.

وقعة بني عبد (1):

وصفتها: أن أحمد فيضي بمن معه من العساكر، تقدموا على بني عبد، وكان قدر الذين في القرية ثلاث مئة وخمسين، بعضهم مبندقة، وبعضهم عوادة، وممتين من السودة (2) وبيت رطاس، وبيت ابن علا والأتهون. فلما تقدمت العجم، رمّت بالمدافع حتى أخرجوا من البيوت الجدارات المواجهة لهم، ولم يزل العجم يزحفون ولا يباليون بمن قتل، وكان ابن علا في نوبة، فوقعت رصاصاً في جدار النوبة (3)، فانهدم فوقه، فاستشهد، رحمه الله، وكان من الرؤساء فأخرجوه من تحت الهدم، واستمر الحرب إلى غروب الشمس، وبعد الغروب انسلت العرب قليلاً قليلاً، والعجم يزحفون. وكان قدر العجم خمس عشرة مئة ومدفعين كبار، ومدفعين صغار، واستمر الحرب إلى طلوع الفجر، إلا أنه لم يبق غير عشرين رجلاً، فعند ذلك تيقنوا أنه لا طاقة لهم، فخرجوا، وقد حصلت النكاية العظيمة في العجم، وانجلت المعركة عن ستين قتيلاً من العجم. ومن المجاهدين اثنان.

(1) بنو عبد: من قبائل بكيل، بجوار جبل عيال يزيد وأعمال عمران، انظر نشر العرف،

٣١٩/١، البدر الطالع، ١٣٣/١، معجم المقحفي، ٤٢٣.

(2) السودة: في ذروة جبل حجاج من متوسط جبال السراة في بلاد حاشد، وبالشمال

الغربي من عمران بمسافة ٤٤ كم، سميت بذلك لأنها كانت مكاناً للسود أي الفحم،

والسودة من خاراف من بلاد خمير، انظر، نشر العرف، ١٧٤/٢ فرجة الهموم، ٣٦،

اليمن الكبرى، ٨١، البدر الطالع، ١٠٣/٢.

(3) النوبة: البرج.

فلما طلعت الشمس، وتيقنت العجم أنه لم يبقَ أحدٌ في القرية، دخلوها، وأحرقوا فيها بعضاً من البيوت.

وفي اليوم الثالث من شهر القعدة، دخلت العجمُ يشيع⁽¹⁾، وبيت هراش، والمطرَد⁽²⁾ والعقيلي.

وفي رابع الشهر، توجه سيف الإسلام، محمد بن الإمام المتوكل في قريب من ست مئة مقاتل، فلما وصلوا بيت عُثَيْمَةَ⁽³⁾، امتنع أهلها/ أن يفتحوا لهم. وكانوا قد رهنوا العجم، فدخلها سيف الإسلام بمن معه كرهاً وطرحوا فيها.

وفي هذه المدة وصلت الأخبار إلى الحضرة الشريفة أن حاشداً قد نافقوا وأطاعوا العجم، ونقضوا العهد التي حكيناها فيما تقدّم، وقبضوا منهم رشوة. وفي ذلك قال القاضي العلامة الرباني، شيخ الإسلام علي بن علي اليماني، هذه الآيات⁽⁴⁾:

(1) يشيع: شمال غرب ريدة، وهي من بني عبد، انظر، الاكليل، ١٦٤/٨، معجم المقحفي، ٧١٢.

(2) المطرد: من قرى عيال سريح في ناحية ريدة البون، انظر، معجم المقحفي، ٦٠٤.

(3) بنو عُثَيْمَةَ: من بني صريم من حاشد ومنهم: العفيرة ومجدان، والدرج، وبنو وهاس، انظر، المقحفي، ١٤٣، بيت عُثَيْمَةَ، عزلة بناحية حمر، تشكل تُسيع من بني صريم، معجم الحجري، ٢١٧/٢، التعداد السكاني لمحافظة صنعاء، ٣٩٦/٢.

(4) علي بن علي اليماني الصنعاني، ولد ١٢٧٢هـ، هاجر طرف الامام محمد المنصور سنة ١٣٠٩هـ، لقب بشيخ الاسلام، ت ١٣٥٠هـ، انظر، نزهة النظر، ٤٤١. انظر القصيدة في أئمة اليمن، ٧٩/٢ - ٨٠.

[البسيط]

وبالوصي أمير المؤمنين علي
مدبر الصيد كشاف الكروب عن المختار إن صال أهل الغي والخطل
صرعى من القتل لا صرعى من الثمل
شم العرانيين ضربا بين للقلل
آثار سنة خير الرسل (١) عن كمل
له الأعاجم في سهل وفي جبل
دين المهيمن بالعسالة الذبل
وسال فيه نجيع العارض الهطل
لهم من المجد ما يرئو على زحل
أبية قرنت في دارة الحمل
رجاس حتى مشوا في أوضح السبل
بالله لا طالباً للمال والخول
ليل البغاة بلا عي ولا كسل
وشيشخان ومرتا محكم العمل
للوحش والطير والنباح والثعل
ما دام أسلحة الأنصار في كفل
عن الكفاح أتوا بالمكر والحيل
كي يأخذوه نظاماً لا على عجل
من حاشد وبكيل غير ذي ملل
تجارب بضراب البيض والأسل

تأس يا ابن رسول الله بالرسل
كم وقعة ترك الأبطال خاوية
وبالأئمة من أبناء حيدرة
بدور أفتي سماء المجد متبعي
وفيهم القاسم المنصور من خضعت
فأغمد السيف في أعناقهم وحمى
سل عنه أثلة لما سد غار بها
إذ جالت الأسد من أبناء حاشد من
يقودهم سادة غر لهم همم
فطهروا اليمن الميمون من دنس الأ
وقمت يا ابن أمير النحل معتصماً
ترجو النجاة بمرضاة الإله بتكل
أقرت لهم لهذميات مهتدة
تركتهم جزراً في كل معركة
لكنهم أيقنوا أن لا بقاء لهم
فأعملوا الفكر لما ضاق مسلكهم
جاءوا بالكذب تأمين مخادعة
فاجمع كتائب أسد الغاب قاطبة
هم هم آل همدان ابن زيد لهم

(١) في أئمة اليمن، ٧٩، «الخلق».

هُمْ^(١) جَرَعُوا التُّرْكَ كَاسَاتِ الْمُنُونِ وَسَلَّ
 وَفِيهِمُ الضُّيْغَمُ الْفَتَاكُ نَاصِرُهُمْ
 وَبَارِقٌ لَاحَ فَانصَبْتُ سَحَائِبُهُ
 فَنَثَقَ بِمَوْلَاكَ مُعْطِي النَّصْرَ مَنْ نَصَرَ الدُّ
 وَانْبُتَ وَدُمَ فِي سُرُورٍ مَا حَيَّتَ عَلَيَّ
 صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا طَلَعَتْ
 وَالْأَلِ مَا سَارَتْ الرُّكْبَانُ قَائِلَةٌ

حِصْنَ الظَّفِيرِ وَمَا لَا قُوَّةَ مِنْ جَلَلِ
 أَعْنِي ابْنَ مَبْخُوتِ نَجَلِ الدَّارِ الْبَطْلِ
 بِنَاقِعِ السُّمِّ فِي رَعْدٍ وَفِي زَحَلِ
 بَيْنِ الْحَنِيفِ وَهَذَا النَّصْرُ فِيهِ جَلِي
 رَغْمِ الْأَعَادِي مِنْ حَافٍ وَمُتَّعِلِ
 شَمْسِ الضُّحَى بَعْدَ طَهِّهِ وَالْإِمَامِ عَلِيٍّ
 تَأْسُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ بِالرُّسُلِ

١٣٩ / وفي هذه المدة كان دخول أحمد فيضي خيمر، وكان قد سبقه مقبل بن يحيى فارغ، وكان أعظم متابع، فتنزع الماء الذي قد تغير، وأظهر أنه قد سعى بين الإمام وبين الأعاجم بصلح، مخادعة منه لأجل تخذيل الصادق.

وفي ليلة دخولهم سرى مسعود البارق، ومعه جماعة، فعشروا، إلى مطرح العجم، فقتلوا ثلاثة رجال ويغلة.

وفيها غزا جماعة من لدى سيف الإسلام إلى مطرح العجم، ودام الحرب إلى الصباح. هذا، وأما بنو صريم فتسلطن^(١) أكثرهم، فهم لا يفلحون، ورهنوا عند العجم، وكان لهم رهائن لدى الإمام فأطلقها. ثم إن فيضي لما تمكن من بني صريم، ثم بقبض الرهائن، فرق عليهم

(١) تسلطن: أي اتبع وأطاع السلطان، أي مال إلى العثمانيين.

(١) في أئمة اليمن، ٨٠/٢ «كم جرعوا».

مئتي بقرة، ومئتي رأس غنم، ومئتي قدح طعام، وهكذا من أذعن للعجم اللثام.

وفي هذه المدة، وصلت الكتب من سيف الإسلام إلى حضرة الإمام، عليه السلام، ومن حاشد أيضاً: أن أحمد فيضي أرسل من يسعى بالصُّلح، فأجاب الإمام، عليه السلام، أن ذلك من الحيل والخداعات التي يقصدون بها تفريق الجماعات، وأراد الشريف محمد الشويح، ومقبل بن يحيى (1) وغيرهما من أعوان الظلمة الوصول إلى حضرة الإمام عليه السلام، لطلب الصُّلح، فكتب الإمام عليه السلام، أن الدِّمَّة بريئة ممن وصل فلقيتهم (1) المكاتب قرب وادعة، وقد كانوا وأصلين، فرجعوا خائبين، وأعلن الإمام عليه السلام أنه بريء من الصُّلح وأهله.

وفي هذه المدة وصلت الحرف جماعة من ذو غيلان. هذا، ولم يزل أحمد فيضي في خمر، والحرب كل ليلة مستمر.

وفي هذه المدة أرسل الإمام - عليه السلام - من المقام عسكرياً لغزو العجم إلى خمر، وكانوا نحو الثلاث مئة، فوقع الحرب بينهم وبين العجم هنالك إلى الصُّبح، وبعد أن غزا المجاهدون إلى خمر، رجعت رجال خارف بلادها، كذلك آل أبي الحسين وبني قيس، وبقية المجاهدين عزموا وادعة وخيار وسفيان وعصيمات العلو والوطي، تحيزوا إلى سوق الغيل، وطرحوا

(1) هو مقبل بن يحيى، أبو فارح الحاشدي، انظر، أئمة اليمن، ٨٢.

(١) في أ، ع، فالقتهم.

هنالك حتى غزوا على العجم إلى الجراف، وبين ما هم في الطريق إذ وجدوا السيّد حسين بن عبد الله، وعليّ بن عزالدين، وهما من أعوان العجم، فامسكوهما، وأنزلوهما، مدينة حوث، ثم غزوا إلى بني عُثَيْمَة، فخرجت قبائل من بني عُثَيْمَة فرموهم فاحتربوا، فقتلوا من بني عُثَيْمَة رجلين، وقُتِلَ من العُصَيْمَات رجل يُقال له أبو شوصى. ورجعت العُصَيْمَات ومن صحبتهم، وذلك القوم الذين تحيَّزوا إلى سوق الغيل، وكانوا طائفتين: طائفةً توجهت حوث وطائفةً وادعة. وبعد ذلك توجهت العجم إلى العُقَيْرَة (1)، وكتب فيضي إلى وادعة يرغّبهم حتى أطاعوا، فنزلت العجم وادعة، وما زال المجاهدون المذكورون يناوشونهم الحرب ليلاً ونهاراً، فتقدّمت العجم إلى النجيد، وبعد ذلك رجعوا إلى وادعة، وتوجّهوا حوث، والمجاهدون طرحوا في الباعرة، فلما رجعت العجم من حوث تلقاهم المجاهدون بالحرب في الباعرة، ونهضت العجم إلى خيار فلم يجدوا فيها أحداً. وكان جماعة من المجاهدين بجبل عَجْمَر، فتقاتلوا هم وإياهم، وتقدّموا إلى مدينة حوث، وفيها سيف الإسلام وجماعة ففروا منها، وجعلوا يرمون العجم من جهتهم، والذي في جبل عَجْمَر من جهتهم، فدخلت العجم حوث وباتوا فيها/ وأحرقوا ثلاثة بيوت وأخذوا فراش المسجد، وارتحلوا صباح تلك الليلة، فتلقاهم المجاهدون، ووقع حرب عظيم في وادعة حتى أدخلوهم القاسم (2)، وكان المجاهدون حينئذ على ثلاثة مقادمة: سيف الإسلام، محمد بن الإمام المتوكل، ومن معه في حوث، وسيدي أحمد بن عبد الله المطاع ومن معه في جبل عَجْمَر، والقاضي عبد الرحمن الجماعي ومن معه في بركة القحّاز في جبل بني عبد. وبعد ذلك

ب ٣٩

(1) العُقَيْرَة: غزلة في جبل حَبَشِي بالحُجْرِيَة، انظر، معجم المقحفي، ٤٥١.

(2) القاسم: من قبائل عَدْر حاشد انظر، معجم المقحفي، ٥٠٢.

انتقل إلى الباعرة وفي بيت الحبشي، وما يليه، رجالاً من العَصِيَمَات، ودار الحرب بين المجاهدين والعجم من العصر إلى بعد العشاء، وكان ممتداً من بيت القحيم (1) إلى غيلة، ويات كل واحد مكانه.

وفي اليوم الثاني، فرّت العرب جميعاً، ولم يبق الا القاضي عبد الرحمن الجماعي ومسعود البارقي، ونفر يسير، فاحتربوا هم والعجم حتى وصلوا وادي صلاح.

وفي هذه المحارب وقع في العجم قتول نحو الثلاثين.

وفي هذه المدة وصلت إلى الإمام - عليه السلام - كتب أخذت من بعض ضبطية (2) العجم، اتفق به المجاهدون فقتلوه، وأخذوا ما معه، فإذا في ذلك مكاتيب إلى الإمام من بعض الشيعة من الشعر والعود. وقد أخذها بعض أعوان العجم من الرسول، وأراد التقرب بها إلى أحمد فيضي ليؤدب المكاتبين، فكفى الله المؤمنين.

وفي هذه المدة خرج المجاهدون من حصن الظفير، وياله من خذلان كبير، وشر مستطير.

(1) القحيم: بلدة في شرعب من عزلة الشرقي من الرونة انظر، ترجيح الأطيبار، ٣٩٩، معجم المحقفي، ٥٠٩.

(2) ضبطية: جنود الجندرمة اليمينيون أو ما كانوا يسمون الضبطية، انظر، التاريخ العسكري لليمن ٧٣/٢٥٢ (وهي قوات محلية تستخدم في قمع الحركات الوطنية بدلاً من القوات العثمانية الأصلية، يحملون الأوامر الادارية إلى الأهالي، وتذليل مشاكل جمع الضرائب، وجمع المعلومات للمباحث العامة، ويحفظون أمن الأسواق، وينقلون الرسائل، ويرافقون ويحرسون المسافرين الرسميين والحملات الحكومية.

وصفةٌ خروجهم : أنه كان بعضُ رجالِ حاشدٍ يسيرون بالخديعةِ والمكرِ، فتوسَّطوا بينَ العجمِ وبينَ الشيخِ ناصر بنِ مبخوتِ الأحمر، وكان زعيمَ القومِ، بأنَّ يُسلِّمَ العجمَ أحدَ عشرَ ألفَ ريالٍ ويخرجوا منه، فسُلِّمَتِ العجمُ ذلكَ، وتمَّ لهم ما يقصدون ، وخرَجَ المجاهدون - فإنا لله وإنا إليه راجعون - . وأما من زعم أنَّ السببَ في الخروجِ ، أنَّ العجمَ كانوا يتهدَّدون الشيخَ ناصر بنِ مبخوتِ، بإخرابِ البيوتِ التي في الخمري في بلادِ حاشدِ، فذلكَ عذرٌ كاذبٌ فاسدٌ .

وإنما السببُ في ذلكِ حبُّ الفلوسِ، ورغبةٌ في حُطامِ الدنيا المنحوسِ . وكان ذلكَ أعظمَ شاغلٍ على العجمِ ، فلما تمَّ لهم ذلكَ وانبرمَ، فرِحَ طاغيتُهُمُ أحمدُ فيضي فرحاً شديداً .

ثم إنَّ أحمدَ فيضي طغى به كِبْرُهُ، واستولتْ عليه الغفلةُ، وأبى إلا الوصولَ إلى القفلةِ، ولما أراد ذلكَ، وخافَ من بني صُريمِ وخارفِ وخيارِ أن يأتوا من ورائهِ أمرَ جبرانَ الغشمي، ومقبل بنِ يحيى هادي - وكانا من ذوي الظُّلمِ والتمادي - بأنَّ يكتُبا إلى المذكورينَ، أنكم إن لم تصلوا بالرهائنِ أولاً، فلا بدَّ من وصولِ العسكرِ إليكم، فافتشلوا، وهربَ كلُّ واحدٍ من بيته خوفاً من الغيلةِ، وتمَّت للشياطينِ الحيلةُ، وحينئذٍ عَزَمَ عدوُّ الله متوجهاً نحوَ القفلةِ . فلما وصلوا النجيدَ، تلقَّاهم القاضي عبد الرحمنِ بمن معه من أهلِ الإيمانِ، وهم نحوُ خمسين إنسانٍ، فقاتلوا قتالاً شديداً وقتلوا جماعةً، وأتوا إلى حضرةِ الإمامِ برأسٍ من رؤوسِ العجمِ ، واستشهدَ من العربِ اثنانِ، وياتت العجمُ في الباعرةِ، والعربُ في الشُّطِّ (1)، فلما أصبحوا رأوا العجمَ قد

(1) الشط: عزلة من ناحية صعدة قضاء سحار، انظر، معجم المقحفي، ٣٥٥ .

نزّلوا بالليلِ ، وأخذوا الجبالَ يميناً وشمالاً والخيَلَ الوسطَ ففترقت/العربُ ١٤٠ كعادتهم ، وكان الإمامُ - عليه السلام - قد ارتحلَ من القفلةِ ببعضِ أثقالِهِ وبيئته الرجوعُ إلى القفلةِ ، وبعدَ عزمِهِ ، لحقَهُ الخبرُ ، أنّ العربَ قد تفرقوا ، فساتَ - عليه السلامُ - في قريةٍ قريبةٍ من القفلةِ يُقال لها قطبين (١) . وأما العجمُ فإنهم وصلوا إلى الشطِّ ، فوقع بينهم وبين القاضي عبدالرحمن ، ومن بقيَ معه حربٌ يسير ، ثم فرّوا وأحرقته العجم ، وارتحلوا حتى وصلوا إلى قرب القفلةِ ، فرماهم جماعةٌ كانوا في جبل عيشان (٢) .

ثم إن العجمَ رموا إلى القفلةِ ؛ ليعلموا أهلُ بقي فيها أحدٌ أم لا؟

فلما تيقنوا أنه لم يبقَ أحدٌ دخلوها غيرَ آمنين ، بل وجِلين خوقاً من غديرِ العربِ ؛ لأنَّ الرميَّ كلُّ حينٍ من الجبالِ المحيطةِ . وأما الإمامُ ومن معه فإنه ارتحل إلى الفيش (٣) ، فبقيَ هنالك في أرغدِ عيشِ ، والبدوُ يصلون إليه بالضيافات . وأما العجمُ فإنهم لم يمكثوا في القفلةِ غيرَ ليلةِ الدخولِ وليلةِ الخروجِ . وبعدَ إدبارِهِم رجعت العلوجُ ، وكانوا أحرقوا بعضَ بيوتِ القفلةِ ، ولم يبقَ في القفلةِ غيرُ إخوانِ القرودِ ، الملاعينِ اليهودِ ، وذلك لما انغرز في جبلتِهِم من حُبِّهِم ، والأرواحُ جنود ، ثم رجعوا من طريقِ الخرطوم (٤) لا يلوون

(١) قُطبين: قرية على مسافة تسعة أميال من شُهارة، انظر، أئمة اليمن، ١٠٨ .

(٢) عَيْشَان: جبل وبلدة بالشمال الشرقي من شُهارة وعلى بعد ٣١ كم من مدينة حُوث غرباً، انظر، معجم المقحفي، ٤٨٣ .

(٣) الفيش: قرية غربي صعدة ببلاد الأزقول، انظر، اليمن الكبرى، ١١٩ .

(٤) الخرطوم: قرية من عزلة البطنة في ناحية القفلة وقضاء حِمْر، انظر، معجم المقحفي، ٢١٣ .

على شيءٍ، متوجهين خَمِر، وكانوا مشفقين من بني قيس، فأرسلوا نحو أربع
مئة. فلما وصلوا بيت حومي، نهبوا منه شيئاً من الحبوب.

وقعة نَمارة⁽¹⁾ في بلاد آنس:

وفي أوائل شهر الحجة الحرام سنة ١٣٠٩، كانت وقعة نَمارة من بلاد
آنس.

وصفتها: أنه لما كان رابعَ عشرَ شهرِ شوال من هذه السنة، سنة
١٣٠٩هـ، أرسلَ الإمام، عليه السلام، السيدَ أحمدَ بنَ يحيى بن المتوكل،
وحمّادي بنَ سعد الرُّوضي، وأصحبَهما بالسيدِ الصفي أحمد بن قاسم حجر إلى
حضرة سيفِ الإسلام، العماد يحيى بن الإمام، حفظه الله، إلى العِنان⁽²⁾،
وكان سيفُ الإسلام، هنالك صحبة الأهل، كما سبقت الإشارةُ إلى ذلك،
وكتب إليه الإمامُ أن يجمعَ العُقّال، أي عُقالَ ذي غيلان ويحثهم على
الجهاد، فجمعهم سيفُ الإسلام العماد، وعرفهم بما عرفه به والده.

ثم أرسلَ سيدي الصفي أحمد بن قاسم حجر إلى الجوف، فاجتمع من
أطاعَ من الجوف ومن ذو غيلان، وعزموا صحبة سيفِ الإسلام إلى الحرف⁽³⁾.

(1) نَمارة: قرية من عُزلة الظهر في مخلاف بني قُشيب، التابع لناحية جبل الشرق في
آنس، انظر، معجم المقحفي، ٦٦٥.

(2) العِنان: بلد في بَرط فيه مركز الناحية، وآل عنان من حاشد انظر، معجم المقحفي،
٤٦٧.

(3) الحرف أي حرف سُفيان: مدينة تابعة إدارياً لقضاء خَمِر، وبها مركز ناحية بلاد سفيان
من بكيل انظر التعداد (مجلد صنعاء)، ٦٧/١، ٢٦٥، معجم المقحفي، ١٦٨.

وكان قدرُهم من ذو حسينٍ قدرَ أربعِ مئةٍ وعشرينِ فارساً، ومن ذو غيلانٍ نحو ثلاثِ مئةٍ. وقد كان سيفُ الإسلامِ أرسلَ رهاثَهم إلى الحضرةِ الشريفةِ، فأقامَ القومُ المجتمعونَ ثلاثةَ أيامٍ في الحرفِ، منتظرينِ جوابَ الإمامِ - عليه السلامُ - وأمرهُ الرشيدُ السُّدي، فوصلَ إليهمِ الجوابُ، بأنهم يعزمونَ للجهادِ صُحبةَ السيدِ الهمامِ، عزَّ الإسلامِ، محمد بن الحسين بن عباس، فعزموا بعدَ ورودِ الجوابِ بلا توانٍ، وباتوا تلكَ الليلةَ في خَيَّوان (1)، وعزمَ صحبتهم الفقيه حمادي الرُّوضي، لتقسيمِ الصرْفَةِ والمحتاجِ. وبعدَ عزمِهِم كتبوا من أثناءِ الطريقِ إلى سيدي عزِّ الإسلامِ، وكان قد كَتَبَ إليه ذلكَ الإمامُ، عليه السلامِ، فوصلت إليه المكاتيبُ، وكان قد عقدَ بابنةَ الحاج صالح الحميدي، ولم يكنْ قد دخلَ بها، ولعلَّ أنها كالمعيدي.

فلما وصلت إليه الكتبُ تركَ الأعراسَ، وتلقى المجاهدين ذوي الباسِ، وصحبته جماعة من بني ضبيان، وكانوا من أهلِ الصدقِ في السرِّ والإعلانِ. فلما وصل / المقدمي، والقومُ إلى بعضِ الطريقِ، سألوا الصيرفيَّ الفقيهَ ^{ب٤٠} حمادي الرُّوضي، أين سيكونُ مقصدُهم؟ لأنَّ الإمامَ - عليه السلامُ -، لم يُعَرِّفَهُمْ أين سيكونُ توجُّهُهُم، ومرادُهُم يعزمونَ اليمينَ؛ لأنَّه محلُّ اختبارِهِم، فأجابَ عليهم الفقيهُ حمادي بأنَّ طريقَ اليمينِ مسدودةٌ، وأنَّ فيها تُركاً، ما

(1) خَيَّوان: بلدة مشهورة في حوث إلى الجنوب من حرف سُفيان، وفي الشمال من صنعاء بمسافة ١٢٢ كم، انظر، الاكليل، ٩١/١، معجم البلدان ٤١٥/٢، نشر العرف، ٦٨٩/١، معالم الآثار، ٦٨، صفة جزيرة العرب، ١١٥، معجم الحجري، ٢٢٣، ٢١٥/٢.

يمكنُ نزولها، ولكن الأولى، نعزُّم من الحدا إلى جَهْراناً⁽¹⁾ ثم إلى بلاد آنس،
ونقاربُ الشيعةَ في الحيمة وعانز، فإن وجدنا عملاً ينفَعُ المسلمين فذاك، وإلا
فقدَرُ الطريق إلى اليمن أقرب، فوقعَ في قلوبهم ذلك الرأي.

ذَكَرُ ما دهم من الامتحانِ والابتلاءِ الذي عمَّ أهلَ الإيمانِ :

وهو ابتداءُ المرضِ في المقدمي مولانا عزُّ الإسلام، فإنه ابتداءً به المرضُ
في أطرافِ بلادِ خَوْلان، فأمرهم يحملونه على النعشِ، فحملوه حتى وصلوا
طرفِ نقيل المنشية⁽²⁾، وأرسلوا عيوناً تأتي لهم بأخبارِ العجمِ من مدينةِ
ضُوران، فوصلت العيونُ، وأخبروا أن ليسَ في مدينةِ ضُوران غيرُ مَئين فقط،
فهمَّ المجاهدون بالقدوم ليهجموا عليهم إلى ذلك المكان، فمنعهم عزُّ
الإسلام عن ذلك المرام، وخوفاً من كسرِ بيضَتهم في أولِ الكلام.

ثم عزَمَ القومُ أجمع إلى سوقِ أسلع، وكتبوا إلى الشيخِ علي المقداد
يلقاهم، فلما وصلوا إلى مقابلِ ضُوران، وجدَ المقدميَّ في نفسه خُفةً، فأنزلوه
عن النعشِ، وركبَ على الفرسِ، ونَشَرَ الرايات، وحرَّضَ القومَ على الثباتِ
عند الملاقاةِ وظنُّوا أن من في ضُوران سيرمونهم لقربِ المكان. فلم يحصلْ
منهم عدوانٌ. وتلقى المقدميُّ أهلَ القرى المحيطة. وبعدَ وصولِ الشيخِ

(1) جَهْران: أرض واسعة في الجنوب من مدينة صنعاء بمسافة ٦٦ كم، جنوبي نُقيل
يسلع وشمال ذمار تسمى حقل جَهْران، وجهران ناحية من أعمال آنس وتعرف بقاع
جهران وهو المقصود هنا، انظر، معجم المقحفي، ١٨٤.

(2) المنشية: من قرى جَهْران جنوبي صنعاء، انظر، المقحفي، ٦٣٣.

علي المقداد أجمعوا على عزمهم [١] الجمعة، وحينئذٍ وصلهم الشيخ علي البليلي، قد وصل ضوران بجماعة من عقال خولان وضبطية وعجم [٢]. وخبر آخر أنها وصلت نحو ثماني مئة عجمٍ من ذمار وزيادة إلى ضوران. فلما وصل المجاهدون إلى الجمعة [٣] أقبلت العجم على جهة السرعة، فرتبوا جبل بني قشيب [٤] ويسمى شوحاط [٥] وقرية الشمة، فبات العجم في البيوت، ولما رتب المجاهدون الجبل غفلوا عن شرطةٍ واحدةٍ فأهملوها، وعزم منهم خمسون نفرًا في الليل يغزون مطرح العجم، فوجدوهم قد تحصنوا في البيوت، فلما طلع الفجر تقدمت العجم وحمي الوطيس وهجمت العجم حتى اختلطوا هم والعرب ثلاث مرات. ووقع من العجم قتولٌ كثيرة، واشتدَّ الحربُ إلى الظهر.

ثم إن بعض أهل البلاد والشيخ علي بن عبدالله العامري دلَّ العجم على تلك الشرطة التي أغفلت، ومن حسن صنيع الله سبحانه، أن المجاهدين كانوا قد تنبهوا لها بعد الغفلة، فأرسلوا إليها جماعةً، فلم يشعروا بعد صلاة الفجر الا بالشيخ علي البليلي طالعاً، وصحبته جماعة عجم.

-
- (١) القشيب: هم بنو القشيب من حاشد، والقشيب، حي من حمير، وبنو القشيب من قبائل مأرب، انظر، الاكليل، ١٦٧/٢، ٢٨٣، وقشيب، قبيلة في خولان ابن عامر بصعدة أسافل رازح، وبنو قشيب، عزلة من ناحية السلفية وأعمال ريمة، وبنو قشيب، عزلة في آنس انظر أيضاً، اليمن الكبرى، ١٨٨، معجم المقحفي، ٥١٦.
- (٢) شوحاط: (نقل شوحاط)، انظر أئمة اليمن، ٨٤.

(١) الإضافة من م.

(٢) جمعة آنس.

وعرب ، ولم يدرِ المنحوسُ أنَّ ذلكَ لحينه ، فلما نظرهم مَنْ في الشَّرْطَةِ، أرسلوا عليهم البنادقَ، فكان على البليلى أَوَّلَ قَتيلٍ ، وحق به مكره الويل . وقَتِلَ أيضاً جماعةٌ من أصحابه، واستولى المجاهدون على رأسه وسَلْبِهِ، وأراحَ اللهُ المسلمين والإسلامَ منه . ومن غِيَّةٍ وذريه، وكان الشقيُّ المنحوسُ قد جمعَ الجبالَ في اليومِ الأوَّلِ ، وأعدَّها لربطِ الرجالِ والإبانةِ لابدُّ يربطُ بتلك الجبالِ جميعَ مَنْ في الجبلِ ، وصار يتفوهُ بكلامٍ قبيحٍ في الجانبِ المصون، أعزَّه اللهُ، فإنَّه ما زال ناصباً بعداوةٍ هذا الإمام .

فالله يكافيه بقبيحِ عَمَلِهِ في يومِ العَرَضِ والزَّحَامِ . ثم إنه التحمَ الحربَ بين العربِ والعجمِ كما تقدم، فدخلت العجمُ الجُمعة / وانتقل المجاهدون إلى قريةٍ يُقال لها قُرْفُ، وفرَّ مَنْ كان في الجانبِ العدني، وأما من جهةِ المقدمي في نَمارة، ووجهةِ الشرقِ في قريةِ الشُّمَّةِ فدام الحربُ إلى الليلِ ، ثم إن المقدمي نظرَ إلى من بقيَ من المجاهدين، فإذا لم يبقَ الا النُّصْفُ فعزَمَ بهم إلى عدني جبلِ الشرقِ⁽¹⁾، وهم قدرُ مئتين وخمسين، وأما الذين فرَّوا فباتوا ليلتَهُمْ .

وفي اليومِ الثاني عزَمَ منهم قدرُ مئةٍ نفرٍ، أَكثَرُهُمْ من ذو حسين، فيهم الشيخُ صالحُ بن عبدان، والباقون نزلوا قريةَ أدمام⁽²⁾، ودخلوا مدينةَ العبيد⁽³⁾

(1) جبل الشَّرْقِ: جبل مشهور بالغرب من صُوران ومن أعمالِ آنس تعرف بجبل الشَّرِقِ انظر معجم المقحفى، ٣٥٣ .

(2) قرية أدمام، انظر، السيرة المنصورية، ١٤١ .

(3) مدينة العبيد: قرية في آنس فيما بين حَمَامِ علي ومدينة عُبَالِ في الطريق إلى الحديدية وهي المعروفة اليوم باسم مدينة الشَّرْقِ، انظر، معجم المقحفى، ٤٢٦ .

والتقوا هم والمقدمي في بيتِ الجِمرَةِ، وذلك في يومِ عرفة سنة ١٣٠٩،
ونزلوا جبلَ بني أسعد⁽¹⁾ وفيه كثيرٌ من الشيعة، فتلقَّوهُم بالعقايرِ وقابلوهم
بالطاعةِ، وساقوا الكفَاياتِ.

ويومَ ثالثَ عشرَ الحجَّةِ نزلوا قريةَ الأشنومِ، ومكثوا هنالك ثلاثة أيامٍ .
ووصلتْ إلى المقدمي عزُّ الإسلامِ، كتبَ من أهلِ جبلِ عانز يريدون
الوصولَ إليهم، فلم يُسعدْهم المقدميُّ بالوصولِ لقلَّةِ مَنْ بقيَ معه من
الناسِ .

وفي هذه المدَّةِ طلَّعَ من الحَجَّيَّةِ⁽²⁾ قدرُ ستِّ مئةٍ من العجمِ غارةً، ونزلَ
آخرونَ من ضُورَانَ إلى سوقِ الجُمعةِ، فوقعَ الحربُ بينهم وبين المجاهدين
ومكثوا هنالك قدرَ ثمانٍ، وكان قدرُ القتلى من العجمِ مئةً وأربعينَ، ومثلهم
من المكاوينَ، وسلبوهم من البنادقِ أربعينَ، ثمَّ رجَعَ العجمُ ضُورَانَ، فلما
وصلوا إلى هجرةِ أحلال⁽³⁾ أحاطوا بها، ووقعَ بينهم وبين أهلِ القريةِ حربٌ
يومٍ، وبعد ذلك أخذوها ونهبوها. فلما بلغَ المقدميُّ رجوعَهم، استقرَّ في
سوقِ الخميسِ في بني أسعدِ وطلبَ منهم الحقوقَ فسَلَّموها مختارينَ، ثمَّ

(1) جبل بني أسعد: أسعد، جبل شامخ بالشرق من بلدة أريان انظر، معجم المقحفي،
٢٩.

(2) حَجَّيَّة: شمال صنعاء، من أرحب، أسفل حصن القاهرة من الغرب انظر، اليمن
الكبرى، ٥٩، معالم الآثار، ٥٩.

(3) أحلال: من قرى آنس ضوران، انظر، معجم الحجري، ٢٧٩/١.

طلع عزلة أدمام . فلما وصلَ تحتَ قريةِ مصطح^(١)، وكان فيها القاضي أحمدُ بنُ حسن الغشم من أعوانِ العجمِ ، وكان قد أرسلَ إليه المقدمي عزُ الإسلام طَلَبَ الوصولَ إليه فلم يَسْعَدْ . فعزمَ المقدمي على دخولِ القريةِ فدخلَ بِمَنْ مَعَهُ بعدَ العصرِ، وكان ذلك في وقتِ نزولِ مطرٍ عظيمٍ ، فما شعر أهلُ البيوتِ إلا بالعسكرِ قد دخلوا بيتَ القاضي ، فإنه مرتبٌ ، فلما انجلى المطرُ أمرَ المقدمي بالهجومِ على بيتِ القاضي أحمدَ ، فبعضهم طَلَعَ من الدائر^(١)، وبعضُ العسكرِ صارَ يُخَرَّبُ في الدائرِ، فحضرتِ الواسطةُ على خروجِ القاضي ودخولِ المقدمي بيته هو وعشرةُ أنفاري، وبعدَ ذلك بذَلْ مَالاً على أن يبقى في بيته، فلم يسْعَدْ، وقال: لا بدُّ من إيصاله إلى الإمام، وبقي المقدمي في بيتِ القاضي أحمدَ يومين، وعزمَ بعدَ صلاةِ الظهرِ قريةَ قُرفٍ والقاضي صحبته، وبقي في قُرفٍ يومين ، ووصلتْ إليه العيونُ - أي إلى المقدمي - أنَّ العجمَ الذين في ضوَرَانٍ لا بدُّ أن يقدموا عليه، وكان المقدمي في قريةِ قُرفٍ، وهي غيرُ حصينةٍ، فتحيرَ بِمَنْ مَعَهُ إلى قريةٍ يُقال لها: بني جابر، فباتَ في تلك القريةِ بمن معه، وهم ستون رجلاً لا غيرَ، ومصطفى نافذٍ ومعه قدرُ اثنتي عشرة مئة وصلَ إلى قريةِ قُرفٍ وبين المقدمي وبينَ العجمِ قدرُ أربعةِ أميالٍ .

فلما لم يجدَ المقدمي نصابَ الحربِ، وافتسَحَ من لديه الشيخ علي

(١) مصطح، (مسطح)، هجرة القضاة بني أحمد بن يحيى الأنسي من ناحية جبل الشرق ببلاد أنس، انظر، أئمة اليمن، ٢٣٧.

(١) في ع، الدوائر.

المقداد، والشيخ أحمد جهوان، عَزَمَ على السفر، وكان حينئذٍ قد اشتدَّ بالمقدمي المرض، فسافروا به على النعش، وبقوا قدرَ ثمانية أيامٍ في بُراح أسفل جبل بني أسعد، وبعدَ ذلك حملوه على أعناق الرجالِ إلى أن أوصلوه إلى قريةِ الشنبلي⁽¹⁾ في خَوْلان، والقاضي أحمد بن حسن الغشم صحبته أسير، وسيأتي خبرُ وفاته رحمه الله. فهذا ما كان في وقعةِ نَمارة.

فصل

وأما أحمد فيضي، فإنه بعدَ رجوعه من القفلة في شهر الحجة، بقي في الجراف، ولم يزل يُكاتبُ المشايخ بالترغيب، ومرامُه إطلاقُ الأسارى. فكتبوا بذلك إلى الإمام - عليه السلام - فأجابَ عليهم: أن لا بأس، لكن بشرط، فلم يرضَ بها أحمد فيضي، وعزمَ من طريقِ الجراف، وطرحَ في خيوان، وقصدَه دخولُ بَرط لإخراجِ الأسارى، واستصحب جماعةً من مشايخِ حاشد،^{ب٤١} وغيرهم، وكان أحمد فيضي قد كتبَ إلى النقيب محسن بن قائد أبو راس، وغيره من عُقالِ ذو محمد بأن يُسلموا الأسارى إليه، ومَنَاهُم بالأموالِ الجليلة، فأجابوا عليه بأن يصلَ إليهم، ويكون أخذهم بصورةِ الغلبة، لأجلِ يكون لهم عُذر عند الإمام - عليه السلام - ولما بلغ الإمام عليه السلام، عزمُ العجم نحو بَرط، كتبَ إلى سيفِ الإسلام بأن يُعزمَ الأسارى، ولا يبقِيهم في بَرط، فلم يَتَّفِقْ له ذلك المرام، لأن الشقيَّ أبا راس وغيره من العُقَالِ الأرجاس، قد أرسلوا رُتبةً لحفظهم، إذا أراد سيفُ الإسلام الارتحالَ منعه.

فلما وصلَ أحمد فيضي شِعْبَ النيل، تلقاه سيفُ الإسلام، ومعه عسكرٌ

(1) الشنبلي: قرية من اليمانية العليا في خَوْلان العالية، انظر، أئمة اليمن، ١٠٥.

تَحَمَّلَتِ الْعَبِيرَ وَطَيْبَ آسِي تَحْيِي بِالسَّلَامِ عَلَى أَنْاسِي
تَوَاصَّوْا بِالْجِهَادِ بِحُسْنِ نِيَّةٍ .

سَلَامُ اللَّهِ مَا هَمَلَ الْغَمَامُ وَمَا ابْتَسَمَ اللَّيْنُوفَرُ وَالْخَزَامُ
عَلَى مِنَ لِلْجِهَادِ نَوَّوْا وَقَامُوا وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَرَامُ
بَلِ اتَّبَعُوا نُصُوصَاتِ جَلِيَّةٍ

فَمِنْهُمْ فِي الْجَنَانِ وَفِي ظِلَالٍ وَمِنْهُمْ كَمَّ أَبَادَ مِنَ الضَّلَالِ
وَمَا بَخَلُوا مِنَ الدُّنْيَا بِحَالٍ فَأَفْنَوْا فِي الْجِهَادِ نَفْسَ مَالٍ
وَبَاعُوا أَنْفُسًا مِنْهُمْ رَضِيَّةً

٤٢ / وَهُمْ عَنِ نَهْبَةِ الْأَمْوَالِ صَوْمٌ بَلِ اشْهَبُوا وَلَا عَتَبَ وَلَا نَوْمٌ
وَسَامَهُمُ الْمَشَارِقُ وَالْخِصُومُ وَهُمْ فِي أَعْيُنِ الْجُهَّالِ قَوْمٌ
ضِعَافٌ يُنْسَبُونَ إِلَى الرَّعِيَّةِ

تَرَاهُمْ فِي الْحُرُوبِ وَفِي الصَّحَارَى يَسُوقُونَ الْحِمَامَ لَهُمْ جَهَارَا
فَكَمْ أَخَذُوا مِنَ الْأَعْدَاءِ ثَارَا فَحَازُوا الْفَخْرَ وَاعْتَقَلُوا الْأَسَارَى
وَسَاقُوهُمْ إِلَى الْمَدِينِ الْقَصِيَّةِ

أَتَوْا بِالْعُجْمِ مِنْ فَجٍّ ذَرِيْعٍ وَلَمْ يَرْدَعُهُمْ قَوْلُ الشُّفِيْعِ
لَحْتَى إِمْتَلَأَ رَحْبُ الْوَسِيْعِ فَسَقْنَاهُمْ إِلَى جَبَلٍ مَنِيْعِ
إِلَى بَرَطٍ إِلَى قَوْمٍ رَدِيَّةِ

إِلَى قَوْمِ بَنَوِ اللَّعِيْبِ حَدْرًا وَقَدْ سَدَّلُوا عَلَى أَعْلَاهِ سِتْرًا
فَلَمَّا نَافَقُوهُ بَدَّوهُ جَهْرًا فَبَاعُوهُمْ مِنَ الْأَتْرَاكِ عَدْرًا
وَعِيًّا حَسْبُهُمْ رَبُّ الْبَرِيَّةِ

لماذا يا قبائلنا فسلتُم أمِنَ فيضي والتركي فزعتُم
فأين العُسوبُ اللاتي لبستُم ألا يا ذو محمد إن غدرتم
بخالفكم صبرتُم للبلية .

أيهملُ حقنا والخيلُ تجري وتتركُ والهوازم بيض تفرى
وربُّ العرشِ بالمرصادِ يذري^(١) وإن خنتُم أمانتكم بمكرِ
فمكرُ الله يأتي بالجلية

أرذنا أن نُعيدَ النجسَ طُهرًا وأن نجعلَ ظلامَ الليلِ فجرًا
ورفعَ الهدمِ ذاك يريدُ فخرا أمناكم على الأهلين طرا
وكنتم عندنا عيناً مضية .

ركنًا في قرابتنا عليكم وأنصار لنا وصلت إليكم
وهيأنا لهم وطناً لديكم وسقنا كل مأسور إليكم
لنحيي ذكركم بعد الدنيا

وما سرتُم لخالقكم مسيراً ولا كافحتُم الأعدا سيراً
ولا عملت جماعتكم نقيراً وما أسرت أكنفكم أسيراً
ولكن ذاك من فضل الرعية

فهل حير لكم حتى نرجي فزعتُم من جبالٍ وخرج
رعبتُم حين قال الناسُ انجوا وخفتُم منهم سطواتِ علج
وسيف الحق أخوف في البلية

ضربتُم عن مقالِ الناسِ صفحاً وعن تقريرهم واللومِ كشحا

(١) في أ، يبري .

وقلتم تأخذ الامر قبحا^(٢) إذا سألتم الأتراك^(١) صبحا

فَدَوَّلْتُهُمْ تَوْلِي بِالْعَشِيَةِ

فِعْزَرَائِيلُ كَمْ قَدْ حَسَّ مَوْتَا وَجُنْدُ الْحَقِّ كَمْ قَدْ حَتَّ حَتًّا

وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ الْأَرْضَ بِنَاءً وَمَا يَبْقَى سِوَى الثَّقَلَيْنِ حَتَّى

وَرُودِ الْحَوْضِ دَوْلَتُهُمْ مُضِيَةً

تَحْمَلْتُمْ لِكُلِّ النَّاسِ ذِمًّا لَبِستُمْ مِنْ ثِيَابِ الدُّلِّ هَدْمًا

فَتَبًّا نَمَّ سَحْقًا نَمَّ هَضْمًا فَيَبْقَى الْعَارُ فِي أَوْلَادِكُمْ مَا

بَقِيَ الثَّقَلَانِ إِنْ جَهَلَ الْغِيَّةَ

أَزَلْتُمْ مَا لَكُمْ فِيهِ نُجَارًا غَسَلْتُمْ نَيْلَ أَوْجِهِكُمْ تَبَارًا

يَكُونُوا أَوْلَى الثَّالِثِينَ نَارًا تَخُونُوا فِي خَبَيْتِكُمْ جَهَارًا

وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ تَخْفَى الْخَبِيَّةَ

/فَمَا قَامَتْ عَزَائِمُكُمْ بِصَدَقٍ وَقَدْ كُنْتُمْ لَدَيْهِمْ مِثْلَ رَقٍّ ٤٢ب

وَأَنْتُمْ بَيْنَ مَحْبُوسٍ وَمُلْقَى فَلَوْ رَاقَبْتُمْ سَطَوَاتِ حَقٍّ

لَمَا خُنْتُمْ وَغَدَرْتُمْ سَجِيَّةَ

فَكَمْ مِنْ حَافِرٍ بئِرٍ تَرْدَا بِهَا وَالْغَدْرُ شَوْمٌ إِنْ تَرْدَا

وَمَنْ زَرَعَ الْقَبِيحَ يَسُوءُ حَصْدَا فَكَمْ مِنْ خَائِنٍ مِنْكُمْ تَرْدَا

ثِيَابَ الْمَوْتِ وَأَدْرَعَ الْمَنِيَّةَ

لَنَا الْخَيْلُ الَّتِي مَا بَيْنَ أَدْهَمَ وَأَشْقَرْتُمْ مَسْرُوجٍ وَمُلْجَمَ

(١) البيت فيه خلل عروضي .

(٢) في م ، تغنى ، ع ، تنسى .

(١) في م ، الأعداء

عَلَيْهَا الصُّيُودُ مِنْهُمْ مُسَوِّمٌ عَدِمْنَا الْخَيْلَ وَالْأَنْصَارَ إِنْ لَمْ
 نُوَاخِذْكُمْ بِشَأْنِ الْأَغْدَرِيَّةِ
 فَأَنْتُمْ بِالْجِهَادِ بِذَلِكَ أَبْدَا^(١) لِأَنَّ الْحَدَّ مِنْكُمْ قَدْ تَعَدَّأَ
 سَنَاخِذْكُمْ مَعَا زَوْجاً وَفَرْدَا لِيَعْلَمَ مَنْ يَخُونُ اللَّهَ بَعْدَا
 بِقَبْحِ الْغَدْرِ وَالشِّيمِ الرَّدِّيَّةِ^(٢)
 نُزِيْكُمْ كَيْفَ صَادِقَةُ النَّزَالِ وَضَرَبُ الْبِيضِ فِي صَدْرِ الْقِتَالِ
 بِأَنْصَارٍ تُحَسُّ وَلَا تُبَالِي وَنَأْخِذْكُمْ بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي
 وَأَشْطَابِ السِّيُوفِ الْمَشْرِقِيَّةِ
 «فَلَوْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ الْعَيْبَ عَاراً وَخَلَفْتُ الْوَعْدَ عِنْدَكُمْ خَسَاراً
 لِمَا كُنْتُمْ لِذَلِكَ مُوقِرَاراً ظَنَنْتُمْ أَنْ فِي بَرَطٍ فَخَاراً
 وَبَعْدَ الْغَدْرِ أَيْنَ الْأَفْخِرِيَّةِ^(٣)
 فَهَلْ كُنْتُمْ كَمَا الْقَوْمِ الطَّيَالِ فَلَمَّا تَنَكَّشُوا عَهْداً بِحَالِ
 وَلَا لَبَسُوا الْمَدَّةَ فِي الرِّجَالِ فَأَمَّا ذُو حَسِينٍ فَبِالْمَعَالِي^(٤)
 سَمَتْ بِهِمْ إِلَى الرَّتَبِ الْعَلِيَّةِ
 فَسَلُّ حَادِي الرَّحِيلِ يُرِيكَ عَنْهُمْ مَفَاخِرَ لَا تُعِيدُ أَوْلَاءَ هُمْ هُمْ
 سَلَامُ اللَّهِ مُنْهَلٌّ عَلَيْهِمْ فَمَا خَانُوا أَمَانَتَهُمْ وَمَنْهُمْ
 رِجَالٌ فِي الْحَبُوسِ وَفِي الدُّنْيَةِ

(١) فِي ع، م، إِذَا لِأَبْدَا

(٢) فِي ع، السَّنِيَّةِ، وَفِي م، الدُّنْيَةِ

(٣) (٣) سَقَطَتْ مِنْ ع

(٤) فِي ع، م فِي الْمَعَالِي

فما من عاملٍ إلا سيُحزى [.....] [.....] (١)
 [٢] [٢] جزاهم رُبهم خيراً وعزاً
 وَجَنَّبَهُمْ شُرُورَ الْأَزْرَقِيَّةِ
 وبعد، فإن هذه القضية لم تُحَصَّل بها ذو غيلان إلا كلُّ رزيةً، وابتلاهم الله
 بعدها بكلِّ بلية.

ودخلت سنة عشرٍ وثلاثٍ مئةٍ وألف

وفي يومِ الرَّبِوعِ، عاشرِ محرَّمِ الحرامِ، توفي السيّدُ الهمامُ، والليثُ
 الضُّرغامُ، محمدُ بنُ الحسينِ بنِ عباس (١)، رحمه الله، ورفعَ درجتهُ في عليين،
 وكتبَ له أجزالمرايطين. وقد رثاه القاضي، العلامة، حسينُ بنُ أحمد العرشي.
 وهذه صورةُ المرثية (٢):
 [الطويل]

أفيضي بدمعٍ وامزجيه بَعْنَدَمِ	عيوني فماذا الحالُ حالُ التكتّمِ
فقدَ آنَ للأحشاءِ أن تُوقَدَ الغُضَا	بأنفاسها مِن دون نارٍ ومُضْرَمِ
ومن اين للعينيين ماءٌ وإنها	لقد نضبت غيرُ العلوِّ المضممِ
وفي الجسمِ داءٌ لا طيبَ لدائه	فكلُّ حكيمٍ محكمٍ غيرُ محكمِ
وللدهرِ والأيامِ أصوالها التي	عَرَفْنَا وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الحَزْمِ يُحْزَمِ
وكَمْ كَمْ لدى الدنيا محا الله رَسْمَهَا	لدى كلِّ حالٍ مَنْ خِلافٍ مُحْرَمِ

(١) محمد بن حسين بن علي بن عباس الكوكباني، أحد قادة الإمام الذين نازلوا الاثراك
 بشجاعة، قُبر في قرية الشنبلي بعد مرض، انظر، أئمة اليمن، ١٠٥/٢.

(٢) انظر أئمة اليمن، ١٠٦-١٠٧

(٢) بياض في كل النسخ.

(١) بياض في أ، ع. م

تسوقُ الرزايا نحوَ أبنائها كما
 وحينِ يَسُرُّ المرءُ ما قدّمت له
 / كذا عادةً إذ ما ابتلانا بأمرها إل
 ومَنْ ينظر الدنيا بعقلٍ وفكرةٍ
 تناولَهُمْ قومٌ فلما تناولوا
 لئن كنتَ ذمّاماً لها لا ذمّها
 وعنَ عَبْراتي فاسألِ الأرضَ إنها
 ولو وجدتَ عيني سوى الدمعِ ثانياً
 وقد أزعجني كلُّ هولٍ ومزعجٍ
 فواجعٌ لو ولّاني الدهرُ حُكْمَهَا
 ولا أنسَ بل لا إنسَ لي في مراكبِ
 غداةَ رزئنا خيرَ من توجِ العُلى
 لدى كربةٍ ما لا يرى الخلقُ مثلها
 لدى فجعةٍ كانت بسيفٍ مُشَطَّبِ
 بسيفِ العُلى والمجدِ والفخرِ كلّه
 بسيفٍ كأنَّ الموتَ في عَظفِ كَفِّهِ
 أبي أحمدَ الراقي إلى مرتقى العُلى
 ونَجَلُ حسينٍ وابنِ عباسٍ خيرٌ مَنْ
 مضى في سبيلٍ قد مضى في سبيلِهِ
 وشمّر ساقاً يتركُ العزمَ كلّه
 وطأطأ أعناقاً ومزّق أكبداً

يسوقُ المطايا حاديّ العيسِ بالفمِ
 ولم يدرِ أنّ الشّر نفسُ المُقَدِّمِ
 سميعُ بلاءٍ مِنْ مليكٍ مُعَظَمِ
 رآها جلياً في سنانٍ مُقومِ
 رماهم لدى مرميٍ رمى فيه من رمي
 حَيٍّ سوى من خشيةٍ أو تكرمِ
 لتعرفها في بَرْدِها والتلهُّجِ
 لما بَخَلتَ في علمِها والتعلُّمِ
 قديماً فأنساني الذي لم أكتمِ
 لَقَلتُ له ذا الحكمُ نفسُ التحكُّمِ
 تزايلنا عن ظهرها والتعصُّمِ
 وكَلَلُهُ في تاجه والمُنظَمِ
 وقد أذهشتُ مِنْ هولها كلَّ مُسلمِ
 من الله لا من فِعْلِ عُرْبٍ وأعجمِ
 ومعدوده إنَّ عُدَّ في الذكر أو سمي
 مقيمٌ له يومَ الهياجِ المُتَمِّمِ
 فجاوزهُ فوق العلاءِ المخيمِ
 رأَتْ كُلَّ عينٍ من غنيٍّ ومُعَدِمِ
 خيارُ بني آلِ النبيِّ المَكْرَمِ
 دنياً ويومي بالرفيعِ المترجمِ
 وقد فَتَحَتْ أسيافهُ كلَّ مُبْهَمِ

وزار الأعادي في عجاجٍ كأنه
 وقد صرعَ العُجمَ البُغاةَ فأصبحتُ
 وأوردَهُمْ في مَسَلِكِ جَلِّ شُرْبُهُ
 وساقَهُمْ سوقَ النِّعامِ ببلدَةٍ
 وروَعَهُمْ في كُلِّ يومٍ مُروَعٌ
 وقد رَكَضَتْ أجنادُهُ في نحورِهِمْ
 يُقاسُ به شخصٌ ولا غيرُ إنَّه
 وقد مَزَقَ المُؤذِيَّ بالسيفِ تارَةً
 ودمَّرَ قومًا قد غَدَّتْ في فعالِها
 وشتَّتَهُمْ ما بينَ شرقٍ ومَغْرِبٍ
 أَقَرَّتْ لَهُ الأيامُ بالفضلِ وحدَه
 وأينَ الوري لو جُمِعوا في مجامِعٍ
^(١) وفاقَهُمْ فَضلاً وَعِزًّا ومَحْتِداً
 فقلْ لأميرِ المؤمنينِ مُحَمَّدٍ
 وإنْ قُلْتَ لا صبراً تراني فإنما
 دعاه الذي أحياه فانجاب مسرعاً ^(٢)
 فيا جَبْداً روحاً إلى الله قد غَدَّتْ
 ولو أننا في ما قَطِ قد تحدَّرتُ

سماءً وأنوارَ الحديدِ كأنجمٍ
 رؤوسَهُمْ نهباً لأهلِ التَّقَسُّمِ
 حميمٍ يُضاهي حرَّهُ من جهنمِ
 تُساقُ به بَيْنَ الكَثيبِ المَلَمِّمِ
 وقد وطئوا وطءَ القرادِ بميسمِ
 فذلَّلَ مِنْهُمْ أبِي ومَحْتَمِ
 كريمٌ لدى ضَرْبِ الخيامِ المَكَلَمِ
 وأخرى بأطرافِ السَّنانِ المُحَطِّمِ
 ودانوا بأحياءِ العظيمِ المحرَّمِ
 فبينَ جَرِيحٍ أو سليخٍ مُدْمَمِ ^(١)
 وَمَنْ مثله في فِعْلِهِ والتكَلِّمِ
 لوازَنَهُمْ في خُلُقِهِ والتَّحَكُّمِ
 كريمًا وفي أخلاقِهِ والتَّبَسُّمِ
 تعزُّ، فَهَوُلُ الأمرِ رُزْءُ المَعْظَمِ ^(٢)
 يُشارِكُنِي في الحزنِ حزني ولومي
 إليه مطيعاً عاشراً من محرمِ
 مسافرةً في هودَجِ العِزِّ ^(٣) تختمِ
 جوانبُهُ بالطَّعْنِ من كُلِّ مَعْلَمِ

(١) في أئمة اليمن، ١٠٧، مدمدم

(٢) سقطت من ع، م

(٣) في م، سامعاً

(٤) في ع، العرس

حَمِينَاهُ بِالضَّرْبِ المَيْدِ فَاصْبَحَتْ
 وَجَلْنَا عَلَيْهِمُ بِالْجِيَادِ وَلَمْ نَدْعُ
 وَلَكِنَّهَا الْأَجَالَ تَسْعَى وَمَشِيهَا
 وَأَمْرُ الَّذِي لَا أَمْرَ مِنْ فَوْقِ أَمْرِهِ
 لَذَا لَيْسَ يُغْنِينَا عَنِ المَوْتِ رَادِعُ
 وَإِنِّي وَإِنْ صَبَّرْتُ نَفْسِي تَعْمُدًا
 ٤٣ب / أَصْبَرُهَا حَتَّى تَفِيضَ تَأْسِيًا
 وَإِنْ قَلْتُ يَا لَهْفًا فَهَلْ كَانَ مُغْنِيًا
 فَيَا طَوَّلَ حَزْنِي ثُمَّ يَا طَوَّلَ كُرْبَتِي
 وَحَمْدًا لِمَوْلَانَا عَلَى الْحَمْدِ كُلِّهِ
 وَلَا زَالَ رَيْحَانٌ وَرَوْحٌ وَرَحْمَةٌ
 وَمَمْدُودٌ ظِلٌّ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
 وَفِي أَهْلِهِ المَاضِينَ لِلْمَرْءِ أَسْوَةٌ
 عَلَيْهِمُ صَلَاةُ اللَّهِ طَهَ وَآلِهِ
 وَيَعْضُدُّهُمْ أَسْنَى السَّلَامِ فَإِنَّهُمْ

فصل

وَأَمَّا الإِمَامُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَإِنَّهُ صَارَ يَنْتَقِلُ فِي الجِبَالِ والشُّعَابِ مَتَوَكِّلًا
 عَلَى رَبِّ الأَرْبَابِ، وَهَنَالِكَ عَيْدَ عَيْدِ الأَضْحَى فِي أرْغَدِ عَيْشٍ .

وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِمَّنْ رَافِقُهُ هُنَالِكَ، أَنَّهُ كَانَ يُنَزِّلُ اللَّهُ تَعَالَى المَطَرَ
 فِي وَقْتِ الحَاجَةِ، فَتَمْتَلَى الكِرْفُ (١) الَّتِي تَحْفَظُ المَاءَ، حَتَّى إِذَا نَفَذَتْ

(١) كِرْفٌ: الدلو من الجلد، انظر، لسان العرب - مادة كِرْف - .

أنزل الله غيثاً آخر.

ثم ما زال متنقلاً في تلك البراري، وقد استطاب العزلة ومناجاة الباري. وكان مدة البقاء في تلك الشعاب والجبال قريباً من ثلاثة أشهر. ثم إنَّ عُقَالَ حاشدٍ وصلت إلى حضرته الشريفة بعقير، وعولوا عليه بأن يرجع إلى أي القرى أراد: إمّا حوث⁽¹⁾ أو وادعة أو الخمري، فانتقل إلى جبل القحار⁽²⁾، ثم منه إلى المدينة حوث.

فصل:

وأما أحمد فيضي فإنه رجع من برط إلى الجراف، وقد أكثر على الناس الإرجاف، ثم ارتحل من هنالك، قاصداً بلاد السودة، فحبس مشائخها وطلب منهم دراهم معدودة، ثم أراد النهوض إلى بلاد الشرف، فكتب إلى أهلها وأرعد وأرجف. وأراد أن يدخلوا تحت الطاعة، فأبوا إلا المحاربة، ولزوم سفينة النجاة أمام الجماعة، فنهض اليهم بعسكر جرارٍ قدر ثلاثين مئة، كما رواه لنا الثقات في الأخبار، فلما قابوا الشاهل تفرقت أهل المراتب من القبائل، ولم يبق هنالك إلا قدر مئة وخمسين رجلاً، فقاتلوا قتالاً شديداً إلى الليل، ونفذت المؤنة، فخرجوا ليلاً، وقد وقع في العجم قتل كثير، واستشهد السيد الهمام عبد الله بن علي الجرب، وتكون الشيخ منصر بن ثابت السنيدار⁽³⁾. فلما أصبحت العجم رموا بالمدافع حتى

(1) حوث: بلدة مشهورة في الظاهر الأعلى من بلاد حاشد، بها مركز الناحية، بقضاء

خمر انظر، معجم الحجري، ٤٧٤/٢، اليمن الكبرى، ٨٣.

(2) القحار: موضع جبل المصباح من وصاب السافل انظر، معجم المقحفي، ٥٠٧.

(3) السنيدار: القائم بأعمال المسجد من تنظيف وغيره، انظر، حوليات يمانية، ٥٠٥.

إذا تيقنوا أنه لم يبقَ فيه أحدٌ دخلوه - اعني الشاهل - وأحرقوا فيه بعضَ البيوتِ.

ثم إن أحمد فيضي جمع من أطاعه من المشائخ، وفرق عليهم دارهم فاستمهلوا بتحصيلها.

وأخبرني من رافقه في ذلك السفر ممن يوثق بصحة ما يقوله من الخبر: أنه لما دخل الشاهل أرسل الله على عسكره الطاعون حتى أنه هلك منهم في ثلاث ليالٍ سبع عشرة مئة.

حتى صار العسكري يرمي بالبندق من يده إلى الأرض ويموت من حينه حتى كادوا يفنون/ . فلما رأى ذلك طاغيتهم أحمد فيضي صار يتأوه ١٤٤ ويقول: إيش هذا، ثم لما رأى عدو الله، أن الله سبحانه قد تولى حزبه نهض مستعجلاً، ولم يتوقف إلى أن يحصلوا الدراهم التي فرقها، بل ذهب مرعوباً متوجهاً نحو الحديثة، وبعد مدة عاد إلى صنعاء. فهذا ما كان من خبر أحمد فيضي، وصفة مخرجه إلى الجهات القبلية، بعد أن ابتلي المؤمنون، وزلزلوا زلزلاً شديداً.

فصل

وأما سيف الإسلام عماد الدين ابن الإمام، فإنه لما وقعت الخيانة من ذو غيلان واستفزهم الطغيان، واستحوذ عليهم الشيطان انتقل بمن صحبه من الأهل إلى الجوف، إلى قرية يُقال لها: المنهرة^(١)، ثم بعد مدة أرسل

(١) المنهرة: موقع في ناحية خب بالجوف، انظر، صفة اجزيرة العرب، ١٦٠، ١٦١،

الإمام - عليه السلام - بعسكرٍ إلى سيفِ الإسلام، وأمره بالوصول إلى الحضرة، ولما استقرَّ الإمام عليه السلام في المدينة حُوِّثَ استأذنه سيفُ الإسلام بالطلوعِ إلى جبل الأهنوم للقراءةِ وتحصيلِ العلوم، وتدقيقِ النظرِ في المنطوقِ منها والمفهوم، مع أنه قد كان حَصَلَ طرفاً نافعاً قبلَ خروجِ الإمام في مدينةِ صنعاء، ولم يزل، حفظه الله وأمتع المسلمين ببقائه، إلى هذه الغايةِ دأباً في تحصيلِ الروايةِ والدرايةِ، حتى بلغ الله في كلِّ فنٍّ إلى النهايةِ.

هذا، وفي مدةِ بقاءِ الإمام - عليه السلام - في مدينةِ حُوِّثَ تزوجَ بإبنةِ الإمام المتوكل على الله، عليه السلام.

ثم إنها ما زالت تُتابعُ إلى حضرتهِ عليه السلامُ الوفودُ.

وفي هذه المدةِ، أعني بعدَ عودِ أحمد فيضي إلى صنعاء، قبضَ على جماعةٍ من أهلِ صنعاء وغيرهم، بعضهم من الشيعةِ، وبعضهم ممن ركبَ القبائحَ الشنيعةِ، وداهنَ العجمَ في كلِّ فظيعة. فلما اجتمعوا في القصرِ قريباً من مئةٍ وخمسين، أرسل بهم إلى الحديدِ، ثم منها إلى استنبول. ومن الأعيانِ الذين أدخلوا بلا ذنبٍ تحمّلوا، صهرُ الإمام الحاج الفاضل سعدُ الدين بن إسماعيل الزبيري، وهو من الأفاضلِ، والفقيرُ الخطيبُ المُصنِّعُ محمدُ بنُ حسن دلال.

وكان الإمامُ، حفظه الله، نهاهما عن مقارنةِ العجمِ اللثام، وأمرهم بالبعدِ عنهم والانفصالِ في كلِّ مقام، فتساهلوا ليقضيَ الله أمراً كان مفعولاً،

ثم ما زال الشقيُّ أحمد فيضي وخدمه محمد بن هاشم⁽¹⁾ يصادر الناس،
ومن توسّم فيه التشيع، ويأخذون الجزاء والمقصود، والمرامُ جمعُ الحطام.

وفي هذه المدة شرع أحمد فيضي في تحصين مدينة صنعاء بالقلاع
التي لا تُغني شيئاً عند انبرام أمر من إليه الدفاع، فعمر قلعة في ظهر
الحمار⁽²⁾، وقلعة في عصر، وقلعاً أخرى في المواضع التي كانوا يذكرون
منها الضرر عند المحاصرة، وعمر باب اليمن على غير الأسلوب الأول،
وعمر في ذلك أموالاً واسعة، وأمر الناس بتسوية الطرق في كل بلاد. كل
ذلك لأجل أن يُنسيهم الفساد، ويُشغلهم بذلك المراد، وكان المهندسون
من العجم يأمرّون الناس في كل بلاد أن يجعلوا الطريق حيث هندسوا،
ولو في ملكٍ مُتسلّم، وتم لهم ذلك من باب صنعاء إلى تعز، وكان في
بعض ذلك مصلحة للمقوين مثل تسوية نقيط يسّلع⁽³⁾.

فصل

ثم إن الإمام - عليه السلام - مكث في حوث مدة، ثم رأى النقلة إلى
الفقلة.

-
- (1) المقصود محمد بن هاشم السوري، ياور أحمد فيضي، انظر فرجة الهموم ١٧٥.
(2) ظهر الحمار: هو ظهر حمير، والعامّة يسمونه ظهر الحمار، يقع في الجهة الشرقية
من صنعاء، انظر حوليات يمانية، ٣٩٩.
(3) نقيط يسّلع: نقيط مشهور يطل على جهران من الشمال وهو الممر المفضي إلى
خدار فوعلان فصنعاء، ويبعد عن صنعاء جنوباً بنحو ٤٥ كم، انظر، صفة جزيرة
العرب، ٣٠٦، طبّق الحلوى، ١٠٢.

وفي هذه المدة كتب الإمام - عليه السلام - سلطان لحج فضل بن علي العبدلي (1)؛ / لإقامة الحجّة عليه وعلى من وليّ، فكان جوابه بالاعتذار ٤٤ ب والمغالطة، لأنّهم ممن يعملون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة (١) غافلون. ولولا مخافة التطويل فيما لا طائل تحته، لذكرت الأصل والجواب.

وفي هذه السنة أيضاً، وصلت الكتب إلى الإمام - عليه السلام - من الأمير محمد بن رشيد (2)، وهو كتاب حسن، وبعد، وصل بنفسه إلى حضرة الإمام، وفي نفسه تحصيل مرام.

وفي أواخر شهر رمضان من هذه السنة، طلع الإمام إلى جبل المدان لإصلاح بعض شأن، وكان نيته العود إلى القفلة قبل العيد، فلم يتم ذلك، فحضر العيد وهو باقٍ في المدان، فتم لأهله عيدان.

وفي شهر شوال أمر الإمام ببناء منازل للمهاجرين، إلى جانب جامع المدان، فكان في ذلك غاية الإحسان، ولم يزل - عليه السلام - يرغب

(1) فضل بن علي بن محسن بن علي العبدلي، سلطان لحج، تسلطن بعد وفاة أبيه سنة ١٢٧٩هـ، وكان صغيراً، فنزل لعمه فضل بن محسن على يد والي عدن البريطاني، ثم تسلطن سنة ١٢٩١هـ نافسه عمه محمد بن محسن، وقد تنازل عن قرية الشيخ عثمان للانجليز، ت ٢٥ ذي الحجة ١٣١٥هـ، انظر أئمة اليمن، ٢/٢٤٣، هدية الزمن، ١٥٥، ١٥٨، ١٩٥.

(2) محمد بن رشيد بن شمعون النجاشي الجبرتي والمرام هو معاوية الإمام، انظر أئمة اليمن، ١٠٠.

(١) في م، هم غافلون

الناس في طلب العلوم، ويكفي الطلبة والمهاجرين جميع ما يحتاجون إليه، حتى كثرت طلبه العلم في جبل الأهنوم، وبلغوا فوق المثتين، فجزاه الله خير الدارين، ثم لما استقر أحمد فيضي في صنعاء، كتب إلى الإمام - عليه السلام - ما لفظه:

بعد (1) الحمد لله وحده،

الجناب العالي الرفيع، ذا المجد الأصيل المنيع، سليل الجحاجة الكرام، ونسل الجهادة الأعلام، السيد العلامة محمد بن يحيى بن محمد بن القاسم بن محمد،

أسامياً لم تزده معرفةً وإنما لذة ذكرناها

سلمكم الله وتولاكم، وسلامه الجزيل يغشاكم. ورحمة الله وبركاته، وصلى الله وسلم على من ختمت به الرسالة، سيدنا محمد وآله وعلى أصحابه النجوم الطوالع، والسيوف القواطع.

وبعد،

فصدور الصدور إلى جنابك مُجددة عهداً ومؤكدَةً وُدّاً، وأوجبها أنه وصل أمر رسمي، وخطابٌ أمري، من جناب الذات الشاهانية والحضرة السلطانية، حضرة مولانا خادم الحرمين الشريفين، سلطان الإسلام، حامي حمى شريعة سيد الأنام، وحفظه الله على مرّ الليالي والأيام، وأقام به قناة شريعة سيد الأنام، أن أكتب إليك تحضراً إلى دار الخلافة العلية،

(1) في ائمة اليمن كان ذلك ١٣١٢، ص ١٥٨-١٦٠

وتكونُ آمناً ومطمئناً، وتحصلُ لك النعمةُ العظمى، من طرفِ السلطانِ المعظم، وحيثُ وأنت من أهلِ العقولِ الرصينةِ، والفكرةِ الرزينةِ، أن المقصودَ من كلِّ مكلفٍ رضى الربِّ المعبود، وإن التظاهرَ بين المسلمين أمرٌ واجبٌ، وأن التناصرَ والتعاونَ على أمورِ الدنيا أمرٌ لازبٌ، ومثلك لا يُستغنى عنه في بدوٍ ولا حضرٍ، وأن بك الزيادةَ فيما جُلَّ من الأمورِ أو خطر. وحيثُ وأنت كما أنت، فالحمدُ لله على ذلك، وله الشكرُ على ما هنالك، وبقاؤك حيثُ أنت لا يليقُ بمثلك، فالقصدُ: إن كنتَ تريدُ الرئاسةَ، فاقترحْ ما تريدُ، وعلينا تنجيزُ ما تريدُ، وإن كنتَ مريداً للأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، فمثلنا مَنْ يقولُ أهلٌ مِنْ مزيداً. وإن كان قصدُك المالَ، فنحنُ نعطيكَ فوقَ ما تُؤمِّلُ وتريدُ، وليس المقصودُ الأجمعَ الكلمةِ، وأن نكونَ يداً واحدةً، وعضداً وساعده، هذا وقد أرشدنا الله تعالى في كتابه الكريم، فقال عز من قائل: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحكم» أي بركتكم⁽¹⁾، وقال تعالى: «محمدٌ رسولُ الله، والذين معه أشداءُ على الكفار، رُحماءُ بينهم»⁽²⁾.

وقال تعالى في حقِّ المسلمين «كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ»⁽³⁾. إلى غير ذلك مما لا يسعُه المقامُ، ومن السنةِ ما ملأ الخافقين، وحمَلَه الجَمُّ الغفيرُ من الثَّقَلَيْنِ، مثلُ قوله ﷺ: «المؤمنون كالبنانِ أو كالبنيانِ يشدُّ بعضهم بعضاً»، وقوله ﷺ: «المسلمُ أخو المسلمِ لا يَشْتُمُهُ ولا يلوُمُهُ» إلى غير

(1) الأنفال: ٤٦

(2) الفتح: ٢٩

(3) الصف: ٤

ذلك، أنك إن تُرد الاتصال بالذات الشاهانية واستقرارك هنالك، فلك ذلك، على أن تكون أنت المقدم الرأي، وجيهاً مكرماً وأميناً معظماً مجللاً محترماً، رئيس الأشراف الذين هنالك.

فكم من شريف حواه المقام السلطاني، وكم من كريم الأصل، نال الحظ الأوفر من السرير الشاهاني. وإن تُرد البقاء في مدينة صنعاء، منشئك ومولدك، ومحل آبائك وأجدادك، فلك ذلك، واقترحت مقاصدك، ومرادك، على أن تكون أنت الأمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، القوَالُ الفعال، منفذ الأحكام الشرعية، ومُبرم الأمور المرعية، مقبولاً في الأقدام والإحجام، لا يُغلقُ عنك باب، ولا يُرخي دونك سترٌ ولا حجاب. وعلينا تحصيل ما يطمئن به قلبك من أي أمرٍ طلبت من المواثيق الخاقانية، والعهود السلطانية، على أنه لا يمكن - والعياد بالله - أن يحصل على مثلك من الجنب العالي أمرٌ مغاير لما أنت عليه من العلم والدين، والصديق واليقين، هذا ولا شك، أنه وقع مني ما وقع من وصولي بالأجناد وغيرها إلى تلك الجهات الحاشدية، وما إليها وبرط والشرفين وما يليها، ثم رجعت إلى صنعاء وتركتك حيث أنت، قاصداً بذلك موادعتك، والإعراض عنك، فلم توادعنا، ولا ضربت عنا صفحاً، ولا طويت دوننا كشحاً، بل صار من التحريكات ما صار، وكان الواجب عليك أن تنزل السلطان منزلة أحد الخلفاء الثلاثة المرضيين، وتكون أنت في منزلة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقد علمت من كتب السير والتواريخ، أن علي بن أبي طالب، قام بقيام الخلفاء الثلاثة، حتى خرج للجهاد بين أيديهم المرة بعد المرة، وصال وجال معهم، وحضر الجمعة والجماعة مؤتماً بهم، ونفذ

أحكامهم، وقعد بين ظهرا نيهم، فلو سَلَكْتَ ذلك المَسَلَكَ كُنَّا مُتَّحِدِينَ، وعلى الطريقةِ تلكِ غيرَ مختلفين، على أنك تعلمُ أنتَ وكلُّ عاقلٍ، أنه لا يقدرُ أن يقومَ بأمرِ اليمينِ غيرُ سلطانِ الإسلامِ، هَبْه، وافرضُ - محالاً - أنا لو تتركُ اليمينَ وشأنه، أنتَ تقدرُ على رفعِ ذو محمد من اليمينِ الاسفل؟!

أو أنتَ تكفُّ أكفَّ آلِ جزيلان من الشغادرة إلى اللُحْيَةِ؟^(١)، أو أنْ تزيلَ بني علي من قطعةِ رَدْمَان، أو ابنِ ناشر مع جورهِ الذي كان، أو المكرمي من حصونه الشامخة الأركان. هذا في قبائلِ أعراب، وأفرادٍ في تلكِ البلادِ أعراب، كيف وقد صاروا - والعياذُ بالله - القراناتِ الافرنجية والانجليزية^(١) على اليمين، والحالُ أنْ قد صاروا الآنَ في طرفه، أو كيفَ وقد تحركتُ قرانِ الطليانية، فهو قيصرُ رومٍ على هذه القطعةِ اليسيرة، وقد بنوا الآنَ في عملٍ منها على جهةِ الغصب، كما لا يخفى على ذي بصيرة. فاعملْ بفطنتك في هذه القضيةِ القطعيةِ العقليةِ الكُلِّيَّةِ، وارُدُّ الأمورَ بدرائتكِ الباهرةِ فيها.

/وأجبْ عليَّ جواباً، يحصلُ به إن شاء الله الاتحادُ، وبينَ ما تريدُ ٤٥ب
لأجلِ تحصيلِ المرادِ، وأنتَ حيثُ أنتَ حتى تحصلَ مقصدك، هذا ما

(١) اللُحْيَةُ: ميناءِ يماني يقع على شاطئِ البحرِ الأحمرِ إلى الشمالِ من ميناءِ الحديدة، انظر، المفيد، ٤٢، مرصد الاطلاع، ١٠٠/٣، طبق المن، ٩٠، اليمن الكبرى، ٩٨، اليمن الخضراء، ٩٠/١ معجم المقحفي، ٥٤٨.

(١) في ائمة اليمن، ١٦٠، والنصرانية

لَزِمَ عَرَفْنَاكَ بِهِ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

والسلامُ ختام.

«ا وحرر، محرم الحرام سنة ١٣١١. ١» وفي آخر ختم أحمد فيضي.

وهذه صورةُ جوابِ الإمام - عليه السلام -:

نحمدُ اللهَ على السَّراءِ والضَّراءِ والشَّدةِ والرِّخاءِ، ونصليَّ ونسلمُ على محمدٍ الذي طَلَعَتْ فَجْرُهُ فَأَضَاءَ، وَظَهَرَ حَسَامُهُ حِينَ اسْتَلَّهُ وَانْتَضَى، وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحُ الْهَدَايَةِ، وَمِفَاتِيحُ الْعُلُومِ وَالذَّرَايَةِ، الْمَنْزَلِ فِيهِمْ مِنَ الْكِتَابِ غَيْرُ آيَةٍ،

وبعد،

فإنَّ من السَّعَادَاتِ الْأَبَدِيَّةِ وَالْإِرْشَادَاتِ الصَّمَدِيَّةِ، رِيَاضَةُ الْعُقُولِ فِي مَضْمَارِ الْفِكْرِ، وَزُمُهَا بِأَزْمَةِ الْإِنْقِيَادِ، لَمَّا أَوْجَبَهُ الرَّبُّ وَأَمَرَ، وَقَمَعُهَا بِسُوطِ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَالْإِنْدِمَاجُ فِي زَمْرَةٍ مِّنْ عَقَلِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِ. هُنَالِكَ تُفْقَأُ بِسَهَامِ الْمُحِبَّةِ عَيْنُ كُلِّ بَدْعَةٍ مُنَكِّثَةٍ، وَتَنجَابُ النُّفُوسُ الْأَبِيَّةُ عَنْ مَرْتَعِ وَخِيمِ الْفِتَنِ الْوَيْبِيَّةِ، وَتَحْمَدُ كُلُّ طَائِفَةٍ آثَارَهَا، وَتَطغى بِنِيَّةِ الْإِتْحَادِ التَّهَابُ نَارِ الْخِلَافِ وَشِرَارِهَا، حِينَ تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، كَمَا وَرَدَ الْيُنَا مِنْ حَضْرَةِ الْوَزِيرِ الْمُكْرَمِ وَالْبَاشَا الْمَفْعُخَمِ أَحْمَدِ فِيضِي بِأَشَا، بَلغَهُ اللهُ فِي رِضَاهُ مَا شَاءَ، كِتَابٌ كَرِيمٌ وَخِطَابٌ فَخِيمٌ، جَمَعَ بَيْنَ الْإِيْجَازِ وَالْإِطْنَابِ، وَاحْتَمَلَ مِنَ الْمَعَانِي مَا يَمُرُّ ذَوْقُهُ وَمَا يُسْتَطَابُ:

(١) في ائمة اليمن «حرر في خامس محرم الحرام سنة ١٣١٢، اثني عشر»

ففي كل لفظٍ منه رمزٌ تديرُهُ كُؤوسٌ من التلميحِ أدهى من المنِّ

يقولُ فيه: إنَّه وردَ إليه الأمرُ السلطاني، والرَّسْمُ الشريفُ الشاهاني، بأنَّ يكتبَ إلينا أن نختارَ أحدَ تلك الأطرافِ، الموصوفةِ بمليحِ الأوصافِ. وقد فكرتُ في مبادئها ومنهاها، وقلتُ: قد أنصفَ القارةَ من رامها، ولا تسكنُ الجارياتُ إلا بعدَ حركاتِها، كما لا تُعرفُ الأعلامُ إلا بملكاتها، والمقدّماتُ للنتائجِ أمهات، فنقولُ: قد عَرَفَ الأخصُّ والأعمُّ من العربِ والعجمِ، أني لا أريدُ غيرَ إمضاءِ الشريعةِ المحمديَّةِ، وإجراءِ الأحكامِ الإسلاميَّةِ على طَبَقِ ما نطقَتْ بهِ الآياتُ القرآنيَّةُ، والسُّنَّةُ البيضاءُ النبويَّةُ؛ امتثالاً لأوامرِ الرَّبِّ العظيمِ، المتكرِّرةُ في القرآنِ العظيمِ، وسنةِ النبيِّ الكريمِ من نحوِ قوله تعالى: «ولتكنَّ منكمُ أُمَّةٌ يدعون إلى الخيرِ ويأمرون بالمعروفِ، ويَنْهَوْنَ عن المنكرِ(1)، وقوله: «وأمرٌ بالمعروفِ وإنَّه عن المنكرِ، واصْبِرْ على ما أصابَكَ، إنَّ ذلكَ من عزمِ الأمورِ(2)، وقوله تعالى: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريمَ، ذلكَ بما عَصَوْا، وكانوا يَعْتَدُونَ، كانوا لا يتناهَوْنَ عن مُنْكَرٍ فعلوه لِبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلُونَ(3)، وقوله: «فلما نسوا ما ذُكِّروا به أنجيئنا الذين ينهَوْنَ عن السوءِ، وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ، يبيِّسُ بما كانوا يَفْسُقُونَ(4) وغير ذلك، ومن السُّنَّةِ ما لا يُحصى، ولا يتَّسعُ له المقامُ.

ورأينا المنكراتِ وقد كُثرتُ وتعثَّرتُ في أذْيالِها، وشاهدنا المُحرَّماتِ وقد

(1) آل عمران: ١٠٤.

(2) لقمان: ١٧.

(3) المائدة: ٧٨.

(4) الأعراف: ١٦٥.

استبيحت وأطلقت من أغلالها، ورأينا القرآن وقد تهافتت حيطان حدائقه،
 وشرع الله، وقد تقاصرت أيدي سوابقه، والأشرافَ والموحدين، وقد تأمرت
 عليهم النصارى، والأعيان، وذوي الاعتبار وقد ارتفعت / عليهم الأندال ١٤٦
 والسكاري، وتولى القضاء من لا يُمَيِّزُ بين المعقول والمنقول، ولا يعرف رفع
 الفاعل ولا نصب المفعول، وصدَّ الحاج عن بيت الله باسم الكرتينية، وتولى
 ذلك النصارى ليشككوا على المسلم يقينه، ويُفسدوا مناسكهُ ودينه.

وانتهبت أقوال الضعفاء بكل حيلة، واختلطت الأنساب بكل دخيلة، فهذه
 الأحوال وما ضاهاها من المنكرات، هي التي حرّكت السواكن للجهاد،
 ومنعت الأفاق لذيذ الرقاد، ودعت إلى مؤاخاة وحوش الفلاة، واتخاذ الأبطال
 والرماة، وكيف يلقي الراحة والسكون من أجرى من الأوامر ما لا يكون. وأمّا
 ما أشرتم إليه من المال والأوطان، وعلو الكلمة والسلطان، ومسكنة الأحيّة
 والخلان، فإنما يجعلها براقه ومعراجة، من أثار الجهل عليه عجاجة، وفارق
 طريق الحق ومنهاجه، وما ذكرتم من سيرة الوصي أمير المؤمنين، علي بن
 أبي طالب - كرم الله وجهه - مع المشائخ، فليس السيف كالعصا، ولا الدر
 كالحصى، مع أنّ أبا بكر كان في الزهد والتقشف الغاية، وأن عمراً كان في
 التشدد على أمور الدين النهاية، حتى أنه جلد ولده حداً حتى مات بين يديه،
 وكذلك عثمان أظهر في ابتداء أمره من الزهد والتدين، ما يزيد على وصف
 الواصف، حتى انكشف حاله مع الأموية، فخطفته الخواطف، فكيف قياس
 هؤلاء المأمورين بالمشائخ! اللهم غفرًا.

وأما جناب السلطان الأعظم، فهو محمول على أنه بالحوادث لا يعلم،
 ولو يعلم بما في اليمن لرفع المأمورين والعساكر، ولا يرضى أن يتحمل

ذنوبهم في الظلم والمناكر، حتى لقد قال بعض اليهود، حين سأله سائل عن حُكْم هؤلاء الأتراك، لا كانوا منكم، وعملوا بالقرآن والتنزيل، ولا من غيركم وعملوا بالتوراة والانجيل، يأكلون كل ذبيحة، ويرتكبون كل قبيحة. نعم، واشتمل مكتوبكم على الأمر بالتخيير للحقير وما اخترته. فعليكم تحصيله، فإن أقسنا الليلة بالبارحة، قطعنا بأن هذه دائرة نازحة، وإن نظرنا إلى امثال أمر الله، فلم يسعني غير الإسعاف لظاهر المكتوب عملاً بقول الله: «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها». فأقول: الذي اختاره جانباً يسيراً من مملكة أبائنا وأجدادنا، نقيم فيه أوامر الله ونواهيه، ونعين على حرب الأجانب والسفيه، ويبقى جُل اليمن بأيدي المأمورين، إن أقاموا فيه الفرائض والسنن، وعملوا بشريعة الله فيما ظهر وبطن، حتى لا يُسبب إلى الذات الشاهانية، والعترة⁽¹⁾ الخاقانية، إلا ما يرضيه من السيرة، ثم نختار الإعانة منكم بيسير من الآلات الحربية، يقوم بها حفظ ذلك الجانب اليسير، وبعد ذلك يحصل الاتحاد، والجامع بيننا نصره دين رب العباد، والتعاقد على من رام أسباب البغي والفساد لا الأموال والذخائر والمواد.

وحرر تاريخه ٢٦ شهر محرم الحرام سنة ١٣١٢.

وفي خلال ذلك، دخلت سنة ١٣١٢، وما زال الإمام - عليه السلام - يحرض الناس على الجهاد والكثرة على العجم، ويدكرهم بالمكاتب والرسائل إلى جميع القبائل بإيضاح الحجج والدلائل، ولكن الناس حين زفرت نار الباطل، ثقل عليهم التناضل، فاطمأنوا، مع أنه قد وقر في

(1) في ع، العتوة، في ائمة اليمن، ١٦٢، العترة

٤٦ب صدورهم وعرفوا مما وقع، أن الله / مُقْتَدِرٌ على إزالة دولة العجم، وأنه الذي يخفض ويرفع ويُعطي ويمنع، لا سيما الرعية، فإنها لما ثقلت عليهم وطأة العجم، وأيس أكثرهم من الفرج، عرفوا أن من الله يرجى حسن المخرج، فمن بعد ما مضى من الوقعات صارت الرعية تعمل الحيل، ويسعون في نفاذ أمر الإمام في كل محل، والمشائخ ينهونهم ويأسونهم من الفرج لما انغرز في أدمغتهم من الظلم والعوج.

وفي شوال هذه السنة، وصل إلى حضرة الإمام - عليه السلام - الشيخ عبد العزيز الشجرة، صاحب حصن حَب (١) راغباً في نصرة الإمام، وبادلاً لفتح حصن حَب لإدخال رتبة من طرف الإمام، والحصن المذكور معقل من أحصن معاقل اليمن، قل أن يوجد له مثل، حتى أنه وصف لي من أثق به، أنه سمع المتصرف محمد بيك لما رأى الحصن المذكور، قال: والله، لو خرج السلطان لما قدِر على إخراج من فيه، من حيث أنه لم يكن له إلا طريق واحدة، والطريق المذكورة أيضاً في غاية ما يكون من الإحكام والانحدار، حتى أنه لو دَخِرَج من في أعلاه حجراً كبيراً لأخذت من تحتها، بحيث لا يبقى منهم أحد، وفيه بركتان، يُقال لإحداهما: الطويلة لا تنقذهما الأيام الطويلة، وليس عليه حاسد من الجبال حوله، بل هو العلم الفرد، وأعلاه متسع، وفيه مزارع، هذا ما وصف لي من أثق به من المشاهدين

(١) حصن حَب: حصن منيع، يبلغ ارتفاعه ٣٥٠٠م، أقيم في سرة جبل بعدان من أعمال إب انظر، معالم الآثار، ١٠٤، اليمن الخضراء، ٤٤، تاريخ بهرام، ٥، صفة جزيرة العرب، ١٠١، مراصد الاطلاع، ٣٨٥/١.

لذلك، بعدَ خروجِ أهله، وفي أعلاه ضريحُ السيدِ عليِّ بنِ الإمامِ المتوكل، ويُقالُ إنه محدودٌ، بحيثُ إنه لأُثبتُ من أخذه، والظاهرُ - والله أعلم - أنه من أجلِ وقوعِ الركونِ إليه، وتعلُّقِ الاصلِ به والّا فلا إله إلا الله، الحصنُ الحصينُ، والجنةُ الواقيةُ للمؤمنين، هذا الحصنُ من بلادِ بَعْدَانَ من اليمنِ الأسفلِ، مُطلٌّ على أكثرِ مخاليفِ اليمنِ الأسفلِ، انتهى.

ثم إن الشيخ عبد العزيز لما أراد ما ذُكِرَ وكَلَّمَ الامام، اشترط عليه الإمامُ - عليه السلام - رضَى أهله بقیة^(١) رتبةِ الحصنِ من بني الشجرة^(١)، فطلبَ من الإمامِ جُعلًا يكونُ لهم، فأنعمَ له بذلك، واشترطَ عليه الإمامُ - عليه السلام - رهينةَ الطاعةِ، فأبلَغَها إلى الإمامِ على جهةِ الكتمانِ.

ثم إنَّ الإمامَ - عليه السلام - كرهَ أن يبعثَ إلى الحصنِ أحدًا حتى شحَنه بما يحتاجُ إليه، من الزادِ والمؤونةِ، فأرسلَ الإمامُ الفقيهَ حمادي الروضي، ومعه دراهمٌ، والقاضي الجمالي عليُّ بن محمد الخباني، وأمرَهُما بأن يجمعا محتاجَ الحصنِ من الحبِّ والمؤونةِ، وغيرِ ذلك، فلما وصلا إلى هناك اشتَهَرَ الأمرُ وظَهَرَ، ونمى إلى العجمِ الخبرُ فاستيقظوا لذلك، وأغارَ قائمُقامِ قضاءِ مدينةِ إبِ بمن معه من العسكرِ عربٍ وعجم، وأرادوا مُعاجلةَ مَنْ في الحصنِ

(١) بنو الشجرة من بلاد الحدأ بلدة في عنس شرقي دمار، ينسب إليها بنو الشجري، وهم في الأصل من بني السحولي، انظر، نشر العرف، ١/١٩٩، معجم المقحفي، ٣٤٥ والعمري يذكر أن نسبة السحولي طارئة، نسبت الأسرة لزيادة قافلة من سحول ليلة مولد أحد أجداد الأسرة في القرن ٩هـ، انظر العمري، مصادر التراث، ٢٦٢.

(١) في ع، بقدر

قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِمْ غَارَةُ الْإِمَامِ ، فَقَصَدُوا الْحَصْنَ الْمَذْكُورَ ، وَلَمْ يَكُن فِيهِ غَيْرُ أَهْلِهِ وَأَكْثَرَهُمْ فِي الْقَرْيِ حَوْلَهُ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ فِيهِ بَعْضُ الْمُحْتَاجِ ، فَلَمَّا هَجَمَ عَلَيْهِمُ الْعَجْمُ وَأَعْوَانُهُمْ وَصَعَدُوا مِنْ طَرِيقِهِ الَّتِي وَصَفْنَا ، فَالْقَى عَلَيْهِمْ مَنْ فِيهِ حِجَارًا ، فَانْحَدَرْتُ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا مِنَ الْقَوْمِ ، فَانْهَزَمُوا وَوَلَّوْا رَاجِعِينَ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِذَلِكَ ، وَرَأَوْا أَنَّ التَّدْبِيرَ مُحَاصِرَةً مَنْ فِي الْحَصَنِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ، حَتَّى يَمْتَنِعَ الدَّاخِلُ وَالخَارِجُ ، وَكَانَ مَدَّةُ الْمُحَاصِرَةِ شَهْرًا .

ثم إن الشيخ الظالم عبد الواحد بن محمد بن قاسم ، صار يسعى في مُخَادَعَةِ مَنْ فِي الْحَصَنِ ، وَضَمِنَ لَهُمْ جُعْلًا مِنَ الْعَجْمِ ، وَرَجَفَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ : إِنْ لَمْ يَفْعَلُوا لَا بَدَّ يُصِيبُهُمْ جَمِيعُ النُّقَمِ ، فَصَارُوا مَتَرَدِّدِينَ مَتَحِيرِينَ .

وفي بعض الليالي خفقت قلوبهم - أعني أهل الحصن - وكان عندهم رجالان من العسكر المرسلين من طرف الإمام ، فلما عرفا ما قد نزل بأولئك من الدُّلِّ والرُّعْبِ خرجا ليلاً على حين غفلة من أهله ، فلما انتبه من في الحصن ووجدوا / النفرين قد عزموا ، أسقط في أيديهم . فخرجوا من الحصن ١٤٧ لا بموجب الا مجرد الجبن ، نسأل الله السلامة ، فدخلته العجم ، وبادروا في هدمه ، وهدم بركه بما يقدرون عليه ، وكانت إحدى البركتين منقورة في الصخر لم يقدروا على هدمها ، فطموها والأخرى هدمت ، وانفجر ماؤها حتى بلغ باب ميثم (١) .

(١) ميثم : عزلة من بعدان وأعمال إب ، ينسب إليها وادي ميثم الذي يصب إلى الحج ، أنظر ، صفة جزيرة العرب ، ١٤١ ، ١٧٩ ، ٢٠٢ ، اليمن الكبرى ، ٤٢ ، الإكليل ، ٣٥٥/٢ ، معجم المحقفي ، ٦٤٩ ، البلدان اليمانية ، ٢٦ .

وأما الإمام - عليه السلام - فإنه بعد وصول القاضي الجمالي علي بن محمد الخباني، والفقيه حمادي الرّوضي إلى الحضرة، وأخبراه الخبر أرسل السيد الجماليّ عليّ بن أحمد صلاح، وصحبته جماعة من ذو محمد وذو حسين وهمدان، لقبض الحصن المذكور والغارة على من فيه. فلما وصل السيد المذكور بمن معه إلى بني جبر الطيال وصلت إليه الأخبار بأن الحصن المذكور قد أخذ وهُدِمَ، فكتب بذلك الخبر إلى الإمام، وانتقل إلى بلاد الحدا، وبقي هنالك إلى آخر محرم من سنة ١٣١٢.

وفي هذه المدة جمع عُقال الحدا، وطلب منهم الرهائن، فرهن بعضهم، فلما بلغ العجم ذلك، خرجوا من مدينة ذمار قاصدين بلاد الحدا، فبقوا مدة في إسبيل^(١)، فأعلنت بنو زياد^(٢) بالطاعة للعجم، وأما بنو بُخَيْت^(٣)، فعقرُوا عندَ المقدمي بأنه يرفع المطرح من بلادهم، وعقير عند العجم بأنهم لا يصلون إليهم، فحصل لهم المقصود وتم.

وفي هذه المدة أرسل الإمام - عليه السلام - جماعة لقبض حصن الدُمْلُوة^(٤) في بلاد الحُجْرية، بموجب استدعاء بعض العسكر، وهو حصن

(١) إسبيل: جبل كبير في بلاد عنس من أعمال ذمار، وهو بالشرق من جبل اللسي بمسافة ١٠ كم فيه العديد من القرى، وإليه يُنسب بنو الأسبيلي، انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٦٧ / ٢، صفة جزيرة العرب، ٢٠٦، معجم المقحفي، ٣٨.

(٢) بنو زياد: عُرلة في الحدا، انظر، صفحات مجهولة، ٨٢، معجم المقحفي، ٢٩٤.

(٣) بنو بُخَيْت: عُرلة مشهورة من ناحية الحدا بالجنوب الشرقي من صنعاء، من ضمنها مدينة هجر فوق بني بدأ انظر، معالم الآثار، ٨٧، معجم المقحفي، ٦٤.

(٤) حصن الدُمْلُوة: حصن في جبل الصلوة، على بعد ٤٠ كم جنوب شرق تعز، انظر، =

منيح، فلما وصل إليه العسكر المأمورون بقبضه بلغ ذلك مسامع العجم، فسارعوا إلى حسم مادة هذا الامر، ودواء هذا الألم، ووقع فيما بينهم قتالاً ومصادمةً ونزالاً، وآل الامر إلى الخروج.

وفي هذه المدة اتفق أن بعض الشيعة الكرام احتال في إحراق دار حكومة صنعاء^(١) بالبارود، فتم له ذلك المقصود وكان ذلك نهراً، ولم يضر أحد، لكن صار له وقع في قلوب العجم، وعلموا أن عليهم رقيباً لم ينم.

وفي هذه السنة وصل مكتوب إلى حضرة الإمام - عليه السلام - من السيد الأديب الأديب جعفر الحلبي من سادات النجف المشهور في العراق، وفي صدر المكتوب هذه القصيدة الطنانة، ولفظها^(١): [البيسط]

مُرْ وَأَنَّهُ وَاحِكُمْ فَأَنْتَ الْيَوْمَ مَمْتَلٌ وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ لَا مَا تَأْمُرُ الدُّوُلُ
عَنْكَ الْمَلُوكُ انْتَنُوا عَجْزاً وَمَا عَلِمُوا أَنْتَ زِدْتَ عُلُوًّا أَمْ هُمْ سَفَلُوا
خِلَاصُ ذِي التَّاجِ أَنْ يَعْطِيكَ طَاعَتَهُ لِأُمَّةٍ إِنْ عَصَاكَ التُّكُلُ وَالرَّسُلُ
يَا سَيِّدًا لَمْ يَخْفَ عَزْلًا لِمَنْصِبِهِ وَالْعَزْلُ فِيهِ بِحَذْفِ اللَّامِ مُتَّصِلٌ
مَنْ كَانَ فِي دِينِهِ بِاللَّهِ مُتَّصِرًا فَلَا تَقَابَلُهُ الْأَنْصَارُ وَالْخَوَلُ

= صفة جزيرة العرب، ١٤٢، صفة بلاد اليمن لابن المجاور، ١٥٣، اليمن الكبرى، ٣٩، السلوك للجندي، ١/٣٧٩.

(١) وردت الأبيات من القصيدة في حوادث سنة ١٣١٣، وذلك في كتاب أئمة اليمن، ١٧٣-١٧٤ مع بعض الاختلاف، البيت السادس، هذا سبيل، أعطاكه، البيت الثالث، والهبل، البيت الرابع عشر، بها العطا والدعا.

(١) في م «دار الحكومة حق صنعاء»

هذا سبيل رسول الله أنت به
الدولة اليوم في أبناء فاطمة
محمد اليوم قد أحيانا بني حسن
سيوفكم لم تزل يا آل فاطمة
الله أعلاكم قدراً وشرّفكم
والكل منكم شريف القدر ذو كرم
/ فمن رآك رأي الهادي وعترته
«يُمنّاك قد خصّها الباري بأربعة»^(١)
أقلامك السمر في الأعداء قد فعلت
لولاك ذلت بنو الأشراف قاطبة
مولانا إمام الشرفا، وسيد الأئمة الأتقياء، ما زلنا نتفحص عن أخباركم
وحسن آثاركم، ولا زالت أخباركم تسر سادات العراق، وتتعطر بنشرها الأفاق،
لا سيما خادمتكم، فإنها تحركت إليكم الأشواق، ولكن عاقتني عن الوصول
عوائق، ولا غرو فإنك غضن الشجرة النبوية، وثمره الدوحة النبوية، زاد الله
في شريفك، وصدورها صحبة الحاج الأفضل صالح بن يحيى الذماري
اليمني، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

صورة جواب مولانا الإمام، حفظه الله تعالى (١) :

[البسيط]

(١) وردت الآيات في أئمة اليمن، ١٧٤-١٧٥ مع بعض الاختلاف البيت الثالث، من
بدل لي، البيت السادس، اهم بدل لأنهم، البيت العاشر، على بدل عن.

(١) من «يمنّاك قد خصّها حتى دخلت سنة ١٣١٣، سقطت من م

يُضِلِّحْنَ مَا أَفْسَدَ الْأَوْغَادُ وَالسُّفْلُ
 حَنَّتْ لَهَا صَافِنَاتُ الْخَيْلِ وَالْإِبِلُ
 شَوْقِي إِلَى نَصْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ
 وَيَحْتَذِي مَا احْتَذَاهُ الْمَسْكُ وَالْجَعْلُ
 كَمَا النَّعَامَةُ لَا طَيْرٌ وَلَا جَمَلُ
 قَوْمٌ لَهُمْ نُصْرَةُ الْإِسْلَامِ وَالِدُؤُلُ
 وَطَالَمَا رَقَدُوا فَاعْتَاقَهُمْ دَخَلُ
 دِرْعِ السَّلَامَةِ وَهُوَ الْحَتْفُ لَوْ عَقَلُوا
 كَأَسِّ الْهُوَانِ وَفِيهِ النَّارُ تَشْتَعَلُ
 دِ الْمَسْتَجِيرِ وَعَنْ حُكْمِ الْحِجَا غَفَلُوا
 كَلًّا وَلَا رَجُلٌ يَعْتَاضُهُ رَجُلُ
 وَشِدَّةُ ضَاقٍ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
 أَنَّ الْأَمَانِي يُوَافِي بَيْنَهَا الْأَجَلُ
 قَانُونُهُمْ نَاسِخًا لِلدِّينِ وَانْتَحَلُوا
 وَزَادَ بَغْيًا عَلَى الْأَشْرَافِ يَرْتَحِلُ
 بِاللَّهِ وَالْجَيْشِ بَعْدَ الْجَيْشِ مُتَّصِلُ
 لِحَلٍّ مَا يَعْقِدُ الْأَوْبَاشُ وَالسُّفْلُ
 قُلُوبٍ وَانْبَعَثَتْ أَيَّامُنَا الْأَوَّلُ
 شَرٌّ وَلَا عَاقَةَ فِي نَحْسِهِ رُحْلُ

بِيضُ الظُّبَا وَصَدُورُ الْخَيْلِ وَالْأَسْلُ
 هَبَّتْ لَنَا نَسَمَاتُ الشَّرْقِ مِنْ نَجْفِ
 يَا نَاطِمًا مِنْ بَنِي الزَّهْرَاءِ هَيَّجَ لِي مِنْ
 نَظْمًا يَطَاطَى سَحْبَانَ لِرِقَّتِهِ
 وَيَنْشِنِي عَنْهُ عَجْزًا أَنْ يَمَائِلُهُ
 أَذْكَرْتَنِي مِنْ بَنِي الزَّهْرَاءِ أَنَّهُمْ
 لَكِنَّهُمْ قَعَدُوا عَنْهَا وَمَا اجْتَهَدُوا
 وَضَيَّعُوا سُنَنَ الْأَبَاءِ وَأَدْرَعُوا
 وَاسْتَأْمَنُوا كُلُّ (١) ظَلَمَ فَجَرَعَهُمْ
 وَشَارَكُوهُمْ عَلَى ظَلَمِ الْحَقِيرِ وَطَرِ
 مَا كُلُّ ذِي مَخْلَبٍ صَقَرٌ وَلَا سَبْعُ
 إِنَّا نَهَضْنَا وَلِلْأَتْرَاكِ صَلْصَلَةٌ (٢)
 وَأَفْسَدُوا الدِّينَ وَالدُّنْيَا وَمَا عَلِمُوا
 رَدُّوا نَصُوصَ كِتَابِ اللَّهِ وَاتَّخَذُوا
 وَأَمَرُوا عَابِدَ الصُّلْبَانِ حِينَ طَغَى
 لِذَاكَ وَاخِيَتْ وَحَشَّ الْأَرْضِ مُنْتَصِرًا
 يَا غَارَةَ اللَّهِ جِثِّي السَّيْرَ مَسْرَعَةً
 وَعَنْ قَرِيبٍ وَقَدْ زَالَ الصَّدَاءُ عَنْ آلِ
 وَاسْلَمَ وَدُمٌ فِي نَعِيمٍ لَا يُعَارِضُهُ

(١) فِي الْأَصْلِ ظَلَامٌ.

(٢) فِي أ، مُتَّصِلَةٌ

وفي هذه المدة كانت:

وقعة الحُقَيْبَةِ (1) في بلاد عُتْمَةَ (2).

وصفتها: أَنَّ الشَّيْخَ صَالِحَ بنَ يحيى الأَسَدِي، اسْتَدْعَى مِنَ الإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَرْتِيبَ القَلْعَةِ المَذْكُورَةِ وإِرْسَالَ مَقْدَمِي لِأَقَامَةِ الحَقِّ فِي بِلَادِ عُتْمَةَ، وَالشَّيْخُ صَالِحٌ وَقَرَابَتُهُ وَأَسْلَافُهُ رَتَبَةُ القَلْعَةِ المَذْكُورَةِ فِي الدَّوْلَةِ القَاسِمِيَّةِ، وَنَسَبُهُم يَرْجِعُ إِلَى سُفْيَانَ، فَلَمَّا رَهَنَ الشَّيْخُ صَالِحٌ عِنْدَ الإِمَامِ - وَطَلَبَ إِتْمَامَ ذَلِكَ المَرَامِ، كَتَبَ الإِمَامُ إِلَى السَّيِّدِ عَلِيِّ بنِ صَالِحٍ، وَكَانَ فِي بِلَادِ الحَدَا، كَمَا سَبَقَتْ الإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ، يَتَنَقَّلُ فِي مَشَارِقِهَا، وَكَانَ قَدْ وَقَعَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ هِجْرَةَ إِسْبِيلِ الحَرْبِ، وَالسَّبَبُ أَنَّهُمْ لَمْ يُضَيِّفُوهُ، وَقُتِلَ مِنَ أَهْلِ إِسْبِيلِ فِي ذَلِكَ الحَرْبِ رَجُلٌ، وَرَجَعَ عَنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الحَدَا. فَلَمَّا وَصَلَ مَكْتُوبُ الإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِأَن يَعْزِمَ عُتْمَةَ لِقَبْضِ الحُقَيْبَةِ، سَارَعَ إِلَى فَعْلٍ مَا أَمَرَ بِهِ، وَكَانَتْ طَرِيقُهُ مِنَ الصَّمِيدِ، وَسَرَى لَيْلاً مِنْ قَاعِ جَهْرَانَ، وَانْحَدَرَ مِنْ نَقِيلِ المَصْنَعَةِ (3)، فَلَمْ يَصْبِحْ عَلَيْهِ

(1) الحُقَيْبَةُ: حَصْنٌ فِي عَزْلَةِ السُّمَلِ مِنْ أَعْمَالِ عُتْمَةَ، يَعْرِفُ اليَوْمَ بِحِصْنِ بَنِي أَسَدٍ،

انظر، معالم الآثار، ٨١، معجم المقحفى، ١٨٦، نيل الوطر، ٥٢/٢.

(2) عُتْمَةُ: بَلَدَةٌ مَشْهُورَةٌ بِالْغَرْبِ الجَنُوبِيِّ مِنْ ذِمَارٍ بِمَسَافَةِ ٦٢ كَم، انظر، معالم الآثار

٨١، معجم المقحفى، ٤٢٨، طبّق الحلوى، ٦٩، معجم الحجري، ٥٧٦/٢ من

نواحيها، ناحية حمير الوسط، وناحية السُّمَلِ، كَنَاحِيَةُ بَنِي بَحْلَاءَ وَنَاحِيَةُ سَمَاءَ.

(3) المصانع: هِيَ السُّدُودُ وَالْقَصُورُ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ فِي اليَمَنِ، وَفِيهَا حِصْنٌ فِي الشَّمَالِ

الغربي من ذِمَارٍ بِمَسَافَةِ ٣٢ كَم، تَمَرُّ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ إِلَى حِمَامِ عَلِيٍّ، تَعْرِفُ اليَوْمَ

بِمَصْنَعَةِ جَهْرَانَ، وَاسْمُهُ القَدِيمُ مَصْنَعَةُ أَفَيْقٍ، انظر، معجم المقحفى، ٥٩٩.

الصَبْحُ إلا في حمامِ علي (1) في أسفلِ وادي الخيرات (2)، وعزَمَ من ساعتهِ حتى حطَّ في الركنة (3) تحتَ ذي حودِ علي ماءٍ هنالك، وقُدِّرَ منْ معه من العسكرِ أربعَ مئة.

ثم كانت طريقه على جبلِ سَمَاة (4)، وانحدَرَ منه إلى القفر، وسرى ليلاً حتى بلغ الحُقَيْبَةَ صَبَحَ الخميسِ، الثاني والعشرين من شهرِ صفر في السنةِ المذكورة، فلما وصلوا هنالك عشروا عشيرةً عظيمةً حتى أرجفوا على القبائل، وحصلَ معهم الحاصل.

وفي اليومِ الثاني، وقعَ الحربُ بينهم وبينَ أهلِ السَّمَلِ (5)، وقُتِلَ من أهلِ السَّمَلِ تسعةً، واستولوا على محلّين من محلاتهم، وقُتِلَ من أصحابِ المقدمي رجلٌ من الحداء، وخمسةٌ من عيالِ الأَسدي، فلما كان ذلك أعلنت الرعيةُ بالطاعةِ، وسياق الكفَاياتِ للجماعةِ، ووصلت إلى حضرةِ المقدمي مشايخِ البلادِ، وأذعنَ بالطاعةِ كلُّ حاضرٍ وباد، وظنَّ المقدمي

(1) حمامِ علي: وادي حمامِ علي، من بلادِ عُتْمَةَ، جنوبِ ضُورَانِ بمسافةِ ١٠ كم، انظر، اليمن الكبرى، ٥٩، ١٤٤.

(2) وادي الخيرات: نسبة إلى بني خيرات، انظر، المقحفي، ٢٢٦.

(3) الركنة: من ذي حود، وهناك أشهر جبالِ وصابِ السافلِ من أعلاها، انظر، معجم المقحفي، ١٩٨، ٢٧٣.

(4) جبل سَمَاة: جبلِ مظلِ علي عُتْمَةَ من جهةِ الشرقِ من قضاءِ آنس، يتصل من جهةِ الشرقِ الجنوبِ بناحيةِ مغربِ عنس، انظر، ائمة اليمن (سيرة الهادي)، ١٠٩.

(5) السَّمَلِ: عُزْلَةٌ من ناحيةِ عُتْمَةَ وأعمالِ ذمار، انظر التعداد، المجلد ١/١٥٦، النور السافر، ٧٤.

انه قد بَلَغَ المراد، وما زالَ يَتَّقِلُ حَوْلَ القلعةِ . وكان الإمامُ - عليه السلامُ - قد أمرهم عند وصولهم القلعةَ أن يشحنوها بما يُحتاج إليه من الزاد لتكون لهم مأوى عند زفرياتِ العجمِ ، وأعطاهم من الدراهم ما يُحصِّلون به تلك المحتاجاتِ . فحين وصلوا هنالك تساهلوا عن تحصيل ذلك ، ونَحَلتِ القلعةُ عن المحتاجاتِ ، فكانَ ذلك من عدمِ الثباتِ . وأيضاً فإنَّ المقدمي لم يحزم البلادَ بأخذِ الرهائنِ ، ممن وصلَ إليه من المشائخِ . ولما استقرَّ المقدمي هنالك ، لم يزلْ يصلُ إليه الإمدادُ من حضرةِ الإمامِ - عليه السلامِ - وتَلَقَّى بعضَ تلك الامدادِ أهلُ العقبةِ التي تُرقى من الغولِ ، ووقعَ بينهم حربٌ ، واستولوا على بيوتهم ، وأخذوا جميعَ ما فيها ، وقتلوا منهم رجلاً ، وهي ثلاثة أميالٍ من قلعةِ الحُقَيْبةِ .

ثم إنَّ العجمَ لما بَلَغَهُم ما قد أَلَمَّ قاموا باستدعاءِ بعضِ المشائخِ الذين استولى [عليهم] (٢) النصبِ الراسخِ .

وكان محمد نظيف بمن معه في ذاهب (١) قرية من المنار، ووصل إليه نحو طابورين مدداً من ذمار، وقصدوا المقدمي المذكور، ومن معه، قوقع الحرب بينهم في محل تحت القلعة، وأما القلعة فمفرغة لما ذكرناه آنفاً من عدم المحتاج، قوقع الحرب فيما بين العرب والعجم إلى أن

(١) ذاهب: عُرلة الذاهبي من منار بلاد آنس في جبل ضوران انظر، اليمن الكبرى، ٢٨ هذه هي اليمن، ٢٧/٥، صفة جزيرة العرب، ١٥٦، معجم المقحفى، ٢٤٨ .

(١) في أ، أسبيل
(٢) الإضافة لضرورة المعنى

أرعى الليلُ سدوله وأظلم، ووقع في العجمِ قتولٌ كثير، واختلطت العربُ
بـ٤٨ بالعجمِ في ذلك اليومِ القمطير، وبعد ذلك انهزمت العربُ / وكروا
راجعين، واستولت العجمُ على القلعةِ وما حولها ظاهرين، وهذه القلعةُ
قلعةٌ عظيمةٌ من معازلِ اليمنِ المشهورةِ التي كانت الاثمةُ بيت القاسمِ
يُرْتَبُونَهَا. وفيها بركٌ كثيرةٌ، وفيها أيضاً بركة لا ينفذُ ماؤها.

وحكى بعضهم أنه مما يُتَعَجَّبُ منه، أن البركةَ المذكورةَ، إذا نزلَ
السيْلُ في مور، وقع في البركةِ لَوْنُ ماءِ السيلِ، فهذا ما كان من وقعةِ
الحُقَيْيَةِ، وتلك الآراء التي هي غير مصيبة.

ثم دخلت سنة ١٣١٣

وفي المحرم منها، كانت وقعة راعد^(١)، وإنها من أعظمِ العِبَرِ
والشواهدِ، وراعد محلٌّ معروف في بني ضبيان، سكن فيه الحاج المجاهد
صالح الحميدي.

واقعة راعد

وصفتها: أن الإمام عليه السلام، أمر السيد العلامة، صفيّ الإسلام،
أحمد بن قاسم حميد الدين، حماه الله بالعزمِ إلى راعد لحثّ الناسِ على
الجهادِ، فوقع استقراره في راعد في بيتِ الحاج المجاهد صالح الحميدي،
وما زال يكتبُ قبائلِ خولان الذين أجمعَ الإنسُ والجانُ أنهم أقلُّ همماً من

(١) جبل راعد، في بلاد ضبيان البدو بمشارك خولان، انظر، أئمة اليمن، ١٦٥/٢،

النسوان، وهم يجيئون عليه بما لا طائل تحته، ما يدلُّ على الخذلان، وحاملُ رايةِ الخسرانِ، شيخُهم عبدُ الله بن حسين الصوفي⁽¹⁾، وكان مديراً في جهةِ خَوْلانٍ من طرفِ العجمِ، وما زالَ تحملهُ المبالغةُ في حفظِ منصبِهِ وماله حتى وقعَ في الندمِ.

وحكى أن بعضَ أعدائه في هذه الوقعةِ زوَّرَ على لسانِهِ مكتوباً إلى سيدي العلامةِ الصفي، وحكى فيه بذلَ الطاعةِ، فأجاب عليه سيدي الصفي بما يفي، فأخذهُ ذلك المَزوُّرُ، وأدخله عند أحمد فيضي، فطلبه، فأنكرَ ذلك، فقبِلَ منه ذلك الإنكار، لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قد خالَطَ قلبَهُ حُبُّ الظلمةِ الأشرارِ.

ثم إن الشقيِّ المذكورَ لما برَّأ ساحتَهُ عن ذلك الزورِ، أرادَ التحبُّبَ إلى أحمد فيضي، وقال: لا يحسُمُ مادةُ هذه الفتنةِ إلاَّ خروجُ عسكرٍ إلى بلادِ خَوْلانٍ. فساعدهُ أحمد فيضي، وجَهَّزَ راشد بيك وصحبته أربعةَ عشرَ مئةً من العساكرِ، وتوجَّهوا نحو خَوْلانٍ، وطلبوا الرهائنَ، فأجابتهم اليمانيةُ العليا، وسلَّموا ما طلبوا من المطالبِ.

ثم توجَّها وادي مسور⁽²⁾ وأخذوا الرهائنَ أيضاً. وقبضوا منهم المطالبَ التي طلبوها، ثم ما زالوا يتنقلون في بني سحام وبني شداد وبني جبر، وقد

(1) عبد الله بن حسين بن ناجي الصوفي، مدير الأتراك في جهة خَوْلانٍ، انظر أئمة اليمن، ١٧٢.

(2) المقصود مسور خَوْلانٍ: بلدة في خَوْلانٍ العالية بالجنوب الشرقي من صنعاء، وهو وادٍ خصيب كثير الكروم والخيرات، انظر اليمن الكبرى، ٦٩، ١٠٤، صفة جزيرة العرب، ١٦٢، معالم الآثار، ٧٦، نشر العرف، ١/١٨٣، تاريخ مدينة صنعاء، ٥٥٨.

أذعنوا لهم بالطاعة، وتحملوا العارَ إلى قيامِ الساعةِ، فلما تمَّ للعجمِ المرامُ عَزَمُوا على قصدِ المقدمي إلى راعد، وحسبوا أن كلَّ بيضاءِ شحمةٍ . وكانت طريقُهم على السُّهْمَانِ ثم من غليل⁽¹⁾، وأهلُ المحلِّ المذكورِ، أهلُ ثروةٍ، ففرَّ بعضهم، وبعضُ أخذته العجمُ، ونهبوا أموالهم وقراشهم، وكان ذلك جزاءً ما كسبت أيديهم من الأعمالِ القبيحةِ؛ فإنهم كانوا يتعاملون بالرِّبَا، فكان التسليطُ جزاءً وفاقاً، ثم إنَّ العجمَ توجَّهوا من هنالك نحو راعد قاصدين صفيِّ الإسلامِ، ومن صحبه من المجاهدين الكرامِ، فكتب صفيُّ الإسلامِ إلى مَنْ كَانَ عَاهِدَهُ وَعَاقِدَهُ على الجهادِ، فاختلفوا عن الوفاءِ بالميعادِ.

وكانت طريقُ العجمِ على الضيقِ⁽²⁾ المعروف بضيقِ بُوٍّ، وهو ضيقٌ صعبٌ المخرجِ والمدخلِ، ممتدُّ من غليل إلى جبلِ راعد، وحوْلُهُ جبالٌ مانعةٌ، وكان دخولُهم على حينِ غفلةٍ من المجاهدين قبل أن يرتبوا موضعَ الحُخْلِ، فوقع بينهم حربٌ يسيرٌ في الضيقِ المذكورِ فوالوهم حتى بلغوا في ذلك اليومِ إلى أسفلِ الضيقِ فباتوا فيه ليلتهم، ثم لم يقدوا⁽¹⁾ فيه ناراً بسببِ أنَّ المجاهدين، كانوا كلُّ ما رأوا ناراً رموا إليها، ثم / لم يزل الحربُ بينهم إلى الصباحِ.

٤٩

(1) غليل: هو وادي غليل على مقربة من جبل راعد، وغليل بلد في الشرق الشمالي من مدينة رداع بني العباس، وجوف رداع، والغليل، موضع في جبل عويمر من صحار بصعدة انظر، صفة جزيرة العرب، ١٦٠، ٣٥٥، أئمة اليمن ١٧٢/٢.

(2) ضيق بُوٍّ: وهو ضيق صعب القيادة ممتد من وادي غليل إلى جبل راعد قد حفته الجبال المانعة، انظر، أئمة اليمن، ١٧٢/٢.

(١) يوقدوا الأصح

في الصباح تقدمت العجمُ إلى العقبة في الجبل المذكور، فواجههم من فيه، وهم قليلون من بني ضبيان آل سعيد الحميدي، والشيخ علي بن مهدي شديق، وأصحاب صفى الإسلام نحو العشرة لا غير، وكان عدة الجميع ثلاثين لا غير، فقاتلوا قتالاً شديداً في العقبة المذكورة، وانحازوا إلى جانب من الجبل، وبلغت العجمُ إلى دار لآل سعيد الحميدي، فأقاموا فيه بقية اليوم والليل، وأحرقوا البيت في الصباح، وعزموا على الرجوع لما رأوا أن الدار ليس بدار مقام، وكانوا قد تركوا رتبةً قليلاً في محل غليل.

وأما المجاهدون، فإنهم رتبوا الطريق في الليل، وأخذوا على العجم مواضع الضيق، فلما وصلوا إلى أسفل العقبة، كرَّ عليهم الشيخ المجاهد صاحب المنقبة، ناصر بن سعيد الحميدي، وقبض أكمةً بأسفل الضيق، وصار يرمي منها إلى أسفل العقبة، وأصحابه الآخرون يرمون من جوانب العقبة، وطائفة من المجاهدين صاروا من وراء العجم، وأكثر تحفظ العجم من ورائهم، فتركوا رتبةً من ورائهم نحو ثمانين رجلاً ليحفظوا ورائهم، فحين وصلوا إلى أسفل العقبة رماهم الشيخ سعيد فبهتوا وتضعضت صفوفهم ورماهم أصحابه الذين في وسط العقبة، فانهزم بعضهم هاربين نحو الأسفلين، وبعضهم رجع هارباً من حيث أتى، وكثر القتل في العجم، وكرَّ بعض المجاهدين على الرتبة التي في الجبل من العجم، فساقوهم بين أيديهم هاربين، فغلبوا هنالك، وانقلبوا صاغرين، وأنزل الله نصره على طائفة المجاهدين، وأرادت العجمُ رمي المجاهدين بالمدفع، فهجم عليهم المجاهدون حتى لم يقدرُوا على الرمي به، وأرادوا حملةً على عواتقهم، فرماهم المجاهدون فطرحوه، وضاق عليهم الأرض، وأيقنوا بالهلكة، ثم إن

رجالاً منهم صعّدوا على أكمةٍ مُقابلَةٍ لِأكمةٍ التي فيها الشيخُ ناصر بن سعيد، فرمّوهُم بالبنادقِ، فاستشهدَ ببعضِ تلكِ البنادقِ الشيخُ ناصر بن سعيد، رحمه الله تعالى، فلقد أبلى في هذا اليومِ البلاءَ الشديداً. ولما قُتِلَ فرّ من حوله، وحينئذٍ انفرجَ عن العجمِ بعضُ الهَمِّ، وأيضاً فإنَّ علي طاهر السحامي سلبَ بندقيتين من بنادقِ العجمِ، فأراد بعضُ رجالِ بني ضبيان أن يأخذَ إحداهما واشتدَّ بينهما الخصامُ، وكادَ الناسُ أن يقتلوا فيما بينهم، فلما وقعَ ما وقعَ، وجدَ العجمُ فرصةً للهربِ، فأخذوا المِدفَع، وعزموا إلى رأسِ العقبةِ، وباتوا فيها ليلةً نابغةً.

وفي الصباحِ باكرَهُم المجاهدون بالحربِ، وارتحلَ العجمُ في بُكرةٍ ذلكِ اليومِ، وارتقى جماعةٌ منهمُ الجبلَ ليسدّوا الخللَ، ولم يزلَ الحربُ بين المجاهدين والعجمِ في ذلكِ الضيقِ، وفي الجبالِ إلى آخرِ ذلكِ اليومِ، وما رانَ العجمُ غليلاً إلا وقد رأوا من الموتِ يوماً مهياً.

ولقد أبلى المجاهدون مع قتلهم هذه في الثلاثةِ الأيامِ بلاءً حسناً، واستأهلوا من الله سبحانه، ومن صالحِ عبادهِ جميلَ الثناءِ، حتى أنه نفذَ عليهم الزادُ والموتةُ، ولولا أنه نفذَ عليهم ذلكَ لَلَحِقوا العجمَ وسأموهُم سوءَ العذابِ.

وكانت العجمُ تُلقِي ما على البغالِ من الأثقالِ للتخفيفِ والهربِ بها، ب٤٩ فتأخذُ ما ألقى المجاهدون وربّما/ كان زاداً أو أرزاً فيكونُ ذلكَ من اللُطفِ الخفيِ.

واستشهدَ من المجاهدين في هذه الوقعةِ ستّةُ أنفارٍ، منهم: الشيخُ ناصر

ابن سعيد الحميدي، والشيخُ علي بن علي طاهر السَّحامي، والشيخُ راجح ابن داخش الهجام من عُقالٍ أرحب (1) أصابهُ داءُ الجوف، فماتَ في حال القتالِ، وسببُ ذلك أنه كثر عليه الرصاصِ مع شدّةِ الحربِ، وقلةُ الزادِ، فثار عليه داءُ الجوفِ، فكان ذلك شهادةً.

وأما العجمُ فقتلَ منهم خَلقٌ كثيرٌ، بعضهم حُزَّتْ رؤوسُهم، وبعضُهم دُفِنَ، وبعضُهم صارَ في بطونِ الطيورِ والسَّباعِ، والمجاريحِ أيضاً كثيرٌ. وحكى لي بعضهم أنَّ قَدَرَ القتلى ثمانونَ، والمجاريحُ أربعونَ، وأخذَ المجاهدونَ سبعَ بنادقٍ.

ومن أغربِ ما يُذكرُ أنَّ ابنةً لعلِيِّ بنِ سعيدِ الحميدي أخذتْ بندقينِ، وأنَّ في هذه الواقعةِ عِبْرَةً للمتوسِّمينَ، فإنَّ هؤلاءَ النفرَ القليلَ لما أخلصوا النيةَ وصَدَّقوا ما عاهدوا الله عليه، ولم يكنْ مقصدُهم أخذَ شيءٍ من الحطامِ، أيَّدَهُمُ اللهُ بهذا النصيرِ المبينِ، الذي صارَ فيه مقابلةُ الواحدِ الواحدِ، لا لِمَا

(1) أرحب: قبيلة كبيرة من همدان تنسب إلى أرحب بن الدعام بن مالك، وهي ناحية تابعة لمحافظة صنعاء في الشمال الشرقي منها بمسافة ٥٥ كم، من بلدانها المشهورة شِوابة، هِران وأتوه وقُدَر وصرواح وهي غير صرواح مأرب والحيفة وأرحب قسمان، زهيري وهي خمسة بطون، بنو علي، عيال عبدالله، الخميس، زندان، شاکر وهي غير شاکر الكبرى التي تجمع قبائل وإيلة ودُهمة، وبيت مران وذبياني وهي عشرة بطون، بنو حكيم، الزبيرات، حَيَّار، بنو سلمان، المنصور، عيال أبي الخير، عيال سحيم، الثلث (ويقال لهم حَسَّان)، هزَم، شعب، انظر، معجم المقحفي، ٢٤، اليمن الكبرى، ٧٣، معالم الأثار، ٥٧.

يُحصى من المائين .

ولقد أخبرني مَنْ حضرَ الوقعةَ من المجاهدين، أنه رأى من النصرِ والتثبيت ما يعجزُ عنه الواصفُ، وجبل راعد هذا ليس بمنيعٍ، وإنما هو قفرٌ كثيرُ الأشجارِ ليس فيه عمارةٌ إلا بيوتَ آلِ الحميدي، وقد كان أقطعَ ذلك الشيخُ سعيد الحميدي الإمامُ، المنصورُ بالله أحمدُ بن هاشم (1) - عليه السلام - وكانت تدّعيه قبائلُ من الحدا، فلم تطب نفسُ الشيخِ سعيد حتى احتاطَ بِشَري ذلك مَمَّنْ يدّعيه .

ثم إن العجمَ بعدَ هذا الخطبِ الجليل أقاموا بغليل بعضَ أيامٍ قليلةٍ تجلّداً وتَصَبُّراً غيرَ جميل، ثم ارتحلوا عنها بعدَ ذلك إلى بلادِ الأعروش (2)، وأظهروا إنما مرادهم بنو جبر، وأبطنوا الشرَّ للأعروش؛ لأنهم فرّوا منهم عندَ الدخول، فلما استمكنوا منهم قلبوا لهم ظهرَ المِجَنِّ، وسأموهم سوءَ العذاب، حتى سلّموا لهم جميعَ ما يطلبون، ثم قصدوا بعد ذلك بني جبر، فاجتمعت

(1) الإمام المنصور بالله أحمد بن هاشم بن محسن، ببيع سنة ١٢٦٤هـ / ٤٨٤٧م بمدينة صعدة، وخرج منها إلى ناحية الطلح من صعدة ثم حوث وخرم وعمران، سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م انتقل إلى بيت ردم ونواحيها وحاصر صنعاء فدخلها واستقر فيها، ثم خرج اثر عصيان الجنود إلى قرية دار من بلاد أرحب وبها توفي ١٢٦٩هـ / ١٨٥٠م انظر، نيل الوطر، ٢٣٥/١، المقتطف من تاريخ اليمن، ٢٠١، فرجة الهموم والحزن، ٢٣٥ .

(2) الأعروش: قبيلة من خولان الطيال، المقحفي، ٣٨، اليمن الكبرى، ١٨٢ .

(١) بشراء

الرجال، وتأهبوا للقتال، مع أن محلهم حصينٌ محفوظٌ بالجمال، وكتبوا إلى سيف الإسلام يستدعون وصوله للنصرة، وجمع الكلمة من الخاص والعام، وأن ما فعلوا ذلك خوفاً أن تدهمهم العجم اللثام، وإلا فليس لهم في الجهاد مرام، فلما بلغ العجم ذلك، ارتحلوا عنهم إلى السهمان⁽¹⁾، فحينئذ كتبت بنو جبر إلى صفي الإسلام، يطلبون ترك الوصول، فإنه قد حصل لهم المرام.

وفي هذه المدّة، توجّهت جماعة من العجم من ذمار إلى جهة الحدا ليكون شاغلاً للحداد عن معاونة من في راعد، ظناً منهم المعاونة في تلك المشاهد، وإلا فلا تحقيق لذلك الظن الفاسد، فإن من صفاتهم في جميع المواطن التقاعد، وأظهر العجم أن مرامهم التحصيل، وهو المطب الأهم الذي قام عليه واضح الدليل، فسلبهم عليه رب العباد، فما زالوا ينتقلون في البلاد حتى رجعوا إلى زراجة⁽²⁾، وقد قضوا تلك الحاجة.

وفي هذه المدّة جهّز الإمام عليه السلام، سيدي الفخري عبد الله بن

(1) السهمان: من قبائل خولان العالية، ثم من بني سحام، يقال إن سبب تسميتهم إنما يعود لاجتماع خولان العالية، يوم سكن المكان قطاع الطرق، فاستهموا، فخرج السهم على بني سهام، فاختروا منهم جماعة فسموهم السهمان، وسهمان عزلة من ناحية حُفّاش وأعمال المحويث وقاع سهمان، حقل واسع في ناحية بني مطر، بالغرب من صنعاء، انظر التعداد (المحويث)، ٤٩ معجم المقحفي، ٣٣٠.

(2) زراجة: مركز ناحية الحداد، تابعة ادارياً ذمار، شرق ذمار، انظر، رياض الرياحين، ١٠٨، معجم المقحفي، ٢٨٩، انظر، صفحات مجهولة، ٨٧، مذكرات المؤيد، ٢١٨.

قاسم بن الإمام إلى بلادِ رازح^(١) لِضَبْطِهَا وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ، وَجَلْبِ الْمَصَالِحِ،
حِينَ اضْطَرَبَتْ أُمُورُهُمْ فِي مَدَةِ الْعَامِلِ السَّابِقِ السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَاسِمِ
الشَّرْفِيِّ، حَمَاهُ اللَّهُ، فَلَمَّا وَصَلَ سَيِّدِي الْفَخْرِيُّ هُنَاكَ / وَصَحْبَتَهُ مِثَّةٌ وَسَبْعُونَ
رَجُلًا، تَلَقَّاهُ الْمَخَالِفُونَ بِالطَّاعَةِ، وَسَلَّمُوا الرَّهَائِنَ وَصَلَّحَ الْحَالَ، وَكَفَى اللَّهُ
المؤمنينَ شرَّ القتالِ .

وفي هذه المدة وقعت فتنة في الأهجر تابع بلاد كوكبان، وسببها أن
العجم وصلوا إليهم، وهم نحو المئتين، وطلبوا من الرعية ما يوجب المخالفة
والبين، فثارت الفتنة، وقتلوا من العجم رجلين، فانحازت العجم إلى بعض
البيوت، وخرج الشريف محمد الشويح من صنعاء بأمر المشير، لحسم مادة
التنفير، فأصلح الأمر بحسن التدبير.

وفي هذه المدة ارتفعت الأسعار، وعظمت الشدة، وكان ابتداء سني
الغلاء من سنة ١٣١١، وما زال في كل سنة يزداد الأمر شدة.

وفي هذه المدة قطع بعض المجاهدين من رجال أرحب سلك العجم،
وكان لذلك وقع عندهم. وفي هذه المدة، ارتحلت العجم من الأعروش إلى
سهمان، وكان بينهم وبين القضاة هنالك ما كان: وذلك أن بعض عسكر
العجم لقي امرأة منهم، وعلى رأسها متاع، فأخذوه منها نهبا، فكمن لهم
القضاة، وقبضوا أحد الخيالة، وبعد، وقع الصلح بين العجم والقضاة، بأن
العجم يرجعون متاع المرأة والقضاة يطلقون الخيال.

(١) رازح: من بطون خولان الشام، قبائل صغيرة، انظر، المقحفى، ٢٥٨، مذكرات
المؤيد، ٨٩.

وفي هذه المدة بدا للعجم من الرأي يقصدون بني جبر من جهة حُبور⁽¹⁾، ثم من بني شَدَّاد⁽²⁾، فاتوا البلادَ من أعلاها، وذلك بمشورة القاضي يحيى بن صالح الجبري، وكان هو المتولّي من طرفِ العجمِ على تلك البلاد، فكان طريقُ العجمِ على البياض⁽³⁾، ثم منه إلى مصعب⁽⁴⁾، ثم قصدوا بيتَ عبدِالله بنِ أحمد فرحان، فَنَبهوا ما فيه، ثم رحلوا عنه حتى بلغوا جبلَ الطرف، رأس صدر العيد، ورموا من هنالك إلى بيتِ أحمد بن راشد سراح المسمى المشعف من بديده⁽¹⁾، وكان بنو جبر قد طلبوا المقدّمي، ورَهَنَ الشيخ أحمد راشد، وأبلغَ الرهينةَ إلى حضرة الإمام عليه السلام.

وفي اليوم الثاني، عَزَمَت طائفةٌ من العجم تريدُ المشعف، وطائفةٌ تَوَقَّفت على رؤسِ الجبال، ووقعت بينهم وبينَ الجبريين المقاتلةَ إلى قريبِ الظهر، وبعد ذلك فرَّ الجبريون.

ودخلت العجمُ المشعفَ، فأقاموا به، وقُتِل من العربِ أربعة، ومن العجمِ مثلهم، وأما صفيُّ الإسلام، فإنه كان حينئذٍ في بيتِ النقيب راجح صبر.

(1) حُبور: من قرى شهارة في بلاد حجة انظر، معجم المقحفي، ١٥٠، ٣١٨، وحُبور، بلدة مشهورة من ناحية ظليمة، وحُبور أيضاً محلة في جبل صبر المطل على تعز، انظر، نشر العرف، ٢-٢٩، ٢٢٨.

(2) بنو شَدَّاد. من قبائل خولان العالية، انظر، معجم المقحفي، ٣٤٨

(3) البياض: هناك شرف البياض، عُزلة الشرف من ناحية ساقين وأعمال صعدة انظر، معجم المقحفي، ٣٥٢.

(4) بنو المصعب: من بلاد الشاحذية وأعمال الطويلة، انظر، معجم المقحفي، ٦٠١.

(١) ددان، انظر، معجم المقحفي، ٦٥٣، هكذا في الأصل بديدة.

ثم إن العجمَ بعدَ أخذِ المشعَف، أرسلوا النقيبَ عبدَ الله بنِ حسينِ الصوفي، والسيدَ حسين بن يحيى الشامي، فلما وصلا إلى بني جبر رماهم أهلُ البلادِ، وأصحابُ المقدَّمي، ففرَّ النقيبُ على فرسِهِ، وبقي السيدُ، فاعتذرَ إليه بنو جبرٍ، أن الرُّمِّي من أصحابِ المقدَّمي، لم يكنْ منهم، ووقعَ الخوضُ بينهم وبين السيدِ المذكورِ على أن يقطعَ لهم دراهمَ من العجمِ، وأوعدهم إلى اليومِ الثاني.

وفي اليومِ الثاني، عزَمَ السيدُ على الاتفاقِ بهم، فاتاهُ النذيرُ أن مرامَهُم قبضُهُ، فرجعَ من بعضِ الطريقِ، وابتدرَ الناسُ الحربَ، وهجمتِ العجمُ على العربِ، فقتلَ حينئذٍ من أصحابِ المقدَّمي صفيُّ الإسلامِ، ومن بني جبر ستة، ومن العجمِ مثلهم، وفرتِ العربُ وصالحَ بنو جبرِ العجمِ، وانتقلَ صفيُّ الإسلامِ إلى بلادِ عيال سعيد(1).

وفي هذه المدةِ، رجعتِ العجمُ الذين كانوا في زِراجَةَ وأعماس الحداء(2). وفيها أيضاً، قطعَ جماعةٌ من أرحبِ سلكِ العجمِ، وكانتِ العجمُ لما قطعتِ العربُ/السلكَ سابقاً، وهو من الخشبِ جعلوه من الحديدِ، فقطعوا الحديدَ أيضاً، وأوصلوه مع الخشبِ الحديدِ إلى حضرةِ الإمام - عليه السلام - فاستبشرَ بذلك وأجازهم بجائزةٍ عظيمة.

وفي هذه المدةِ أيضاً، أمرتِ العجمُ جميعَ المأمورين من العربِ بأن

(1) عيال سعيد: من قبائل بني جبر انظر، معجم المقحفي، ٣١٦

(2) الأعماس: عزلتان في الحداء، أعماس الجبل وأعماس الضلع، معجم المقحفي،

يَلْبَسُوا مِثْلَ لِبَاسِهِمْ (١) وَهُوَ السَّرَاوِيلُ وَالْقَلَنْسُوَّةُ (٢) وَالزَّنَّةُ (٣)، فَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ الْمَأْمُورِينَ، وَمَنْ هُوَ عَلَى جَمْعِ الْحُطَامِ ظَنِينَ، وَاسْتَنْكَفَ مِنْ ذَلِكَ مَنْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ بَعْضِ شَيْمَةٍ مِنَ الْعَرَبِ فَعَزَلُوهُمْ عَنِ الْعَمَلِ.

وَكَتَبَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى حَاشِدٍ وَبَكِيلٍ فِي التَّحْذِيرِ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ الْوَيْبِلِ، وَالتَّزْيِي بَزْيٍ الْأَعْجَمِ الَّذِينَ هُمْ شَرُّ جَيْلٍ، وَصُورَةٌ مَا كَتَبَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[الطويل]

أَلَا يَا لَقَوْمِي مِنْ بَكِيلٍ وَحَاشِدٍ
قَعْدْتُمْ عَنِ الْعُلْيَا وَأَنْتُمْ سَنَامُهَا
فَمَنْ يَعْتَمِدُ فِيهَا عَلَى صِيْتِ جَدِّهِ
وَمَنْ كَانَ بِالْأَسْوَاقِ شَاكٍ سَلَاخَهُ
فِي آلِ هَمْدَانَ بْنِ زَيْدٍ تَيَقَّظُوا
وَقَدْ لَبَسْتُ لِبَسَ النَّصَارَى كِبَارِكُمْ
وَقَدْ بَاعَتِ الْأَثْرَاكُ قِبْلَةَ دِينِنَا
فَمَاذَا نَرَاعِي بَعْدَ هَذَا تَفَكَّرُوا
فَهَا نَحْنُ نَدْعُوكُمْ وَنَرَعِي حَقُوقَكُمْ
نُعَلِّمُكُمْ أَنَهَا قَدْ طَالَتْ رَقْدَةُ الْعَرَبِ، وَقَدْ صَاحَتْ فِي آذَانِهِمْ مَوْقِظَاتُ
النُّوبِ، وَتَكَاثَرَتْ فِيهِمْ الْغَفْلَةُ وَلَعِبَتْ فِيهِمْ الْعَجْمُ وَأَعْوَانُهُمْ بِالظُّلْمِ وَالْأَهَانَةِ،

(١) طربوش أحمر على الرؤوس، وسراويل الجوخ، انظر، ائمة اليمن، ١٧٨

(١) في ع، القلانس

(٢) في ع، الذنين

وارتكاب الآثام ، فَمِنَ الموقِظَاتِ تملِكُهُم النصارى مصرَ وبلادَها، وغيرَها من بلادِ الإسلامِ، ثم تُقربُهُم إلى مكةَ المشرفةِ جوارِ بيتِ الله الحرامِ، ثم شروغُهُم بإدخالِ العربِ في زمرةِ النظامِ، وإلباسُهُم لباسَ النصارى اللثامِ، فكيفَ يلتدُّ العاقلُ بالشرابِ والطعامِ، أم كيفَ يهنا بالرقادِ والمنامِ، طالَ ما أمرناهم أن يغسلوا دَرَنَ الخطايا بماءِ الإنابةِ، ويجمعوا كَلَمَتَهُم على الجهادِ، الذي هو عنوانُ الإصابةِ، ويغتنموا^(١) أعداءَهُم في مضمارِ الإِدبارِ، فقد صاحَ بهم غرابُ البينِ: ما لَكُمْ من قرارٍ، إِنَّ اللهَ أَوْجَبَ علينا أن نحميَ دينَهُ القائمَ، وندعوَ الصادقينَ إلى العزِّ الدائمِ. ولا تظنوا أن الأتراكَ يتركونكم عن أنواعِ الانتقاماتِ أو يدعونكم عن الظلمِ والإعاناتِ إلا بصوارمَ هبارةِ، ونفوسٍ في الجهادِ صبارةِ، وضربٍ بصفائحِ الهنداوينِ، وتوبةٍ صادقةٍ من الآثامِ والأدِرانِ، هنالكِ واللهُ يزولُ صدأُ القلوبِ، وينكشفُ كَرْبُ كُلِّ مكروبٍ، «قاتلوهم يُعَذِّبَهُمُ اللهُ بأيديكم وَيُخزِيهِم، وَيَنْصُرْكُمْ عليهم، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُدْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ»^(١). «يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللهَ ينصركمُ وَيَثِّبْ أقدامكم»^(٢) والسلام.

١٥١ / وفي هذه المدة، رَتَّبَ الإمامُ - عليه السلامُ - المَقْدَمَةَ المعروفةَ في حصنِ شُهارةِ بعدَ الاستخارةِ، وهي قصبةٌ فوقَ بابِ النصرِ، وخروجُ أهلِ مدينةِ شُهارةِ ودخولُهُم غالباً من هنالكِ، والسببُ لهذا، أَنَّهُ كَثُرَ الظُّلْمُ من

(١) التوبة: ١٤، ١٥

(٢) سورة محمد: ٧

(١) في أ، ع، يغشوا، ويغشوا وهو الأصح

سادة شهارة حتى سفكوا دماء بعضهم بعضاً. فلما رتب الإمام هذه المقدمة ذهبت تلك المناكر المعظمة.

وفي هذه المدة أيضاً، رجعت العجم التي خرجت إلى خولان، إلى صنعاء، وقد ضبّطوا بلاد خولان بالرهائن، وأخذوا منهم الأموال الجزيلة، فقبّحهم الله من قبيلة، وقد هجأهم صفي الإسلام بقصيدة لم تحضرني الآن، فإذا وجدت أَلحقت، ولا شك ولا ريب أن رجال خولان من أرذل نوع في الإنسان، لا لزم^(١) فيهم ولا شجاعة ولا حمية ولا قناعة، كما قيل: زئ البغال وأحلام العصافير، وهم في الصبر على الضيم أذل من الودد والحمير.

وفي هذه السنة أراد شيخ أفلح الدخول في الطاعة، والانخراط في سلك الجماعة وكتب إلى عامل الإمام في بلاد الشرف السيد العلامة الأبر أحمد بن مثنى عتري^(١)، فوصل إلى حصنه وصحبته عشرة رجال، فأغار عليهم رجال أفلح، وحصروهم في الحصن، ومكثوا يوماً وليلة، فوصل السيد يحيى بن علي النعمي غائراً على السيد الصفي، وسعى بالصُّلح، فبعد ذلك انحسرت مادة الفساد، وأدعت البلاد، وبقي السيد الصفي في الحصن المذكور حصن

(١) أحمد بن مثنى عتري الحجوري: نشأ بوطنه بمخلاف العود وناحية النادرة من بلاد قعطبة جنوباً من صنعاء، وطلب العلم في دمار وصنعاء والأهنوم، وكان عالماً فاضلاً شجاعاً، أرسله الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين في حملة الشرف، وعمل عاملاً عليها وعلى بلاد حجور، ت ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، انظر، نزهة النظر، ١٢٥، أئمة اليمن، ٣٧٧/٢.

(١) في ل، كدم

ابن غوث⁽¹⁾، وقبض الرهائن من البلاد.

وفي هذه السنة أيضاً خرج جماعة من العجم للتحصيل في بني الحارث⁽²⁾، فاتفق أن واحداً من كبار العجم بات عند رعوي، فراود زوجته، فصاحت المرأة، فقام إليه رجل فطعنه حتى قتله، ورمى به من طاقة في البيت، وفر ذلك الرجل إلى حضرة الإمام - عليه السلام -.

وفيها أيضاً ارتحل الإمام - عليه السلام - إلى جبل الأهنوم لتدبير عمارة حصن هنالك وسماه السعدان⁽³⁾، واستتاب ابنه سيف الإسلام العلامة العماد

(1) الغوثيون: قبيلة من حمير تنسب إلى الغوث بن سعد بن مالك، منهم، الأخرج (الحيمة حالياً)، وحراز وهوزن والرحبه ومجيج وسيان وواضع والمحلل وسهمان وحبالا وسنحان وكل هذه الاماكن لا تزال معروفة بجوار صنعاء، ومنهم: ذو مآذن وذعوان وسنوان وأصبح وضروان، وذو رضوان من حمير وغيمان وذمار المخدر بعنس ويقلان بحضور، ومن الغوثيين أهل؛ سهام وكحلان بحضور وخدان بالحيمة انظر، تاريخ اليمن الثقافي، ٩١/١، معجم المقحفي، ٤٨٥.

(2) بنو الحارث، من قبائل بلاد رداع ثم من مخلاف الحبيشية، انظر معجم المقحفي، ١٤١، وبنو الحارث ناحية إدارية واسم قبيلة مشهورة شمال صنعاء بخمس كم وهي خمسة أقسام، منها القابل، علّمان، ثقبان، ذاهبان، السنيّة، مذبج، أحداق، جدر، العليفة، بيت الحدنة، الحدود، العروق، الحتارش، بنو زياد، الملكة، السباعي، بني عاصم، بيت خيران، بيت عثرب، الغراس، بيت زاهر، بيت الأكوع، المحجل الحجا، بيت الخاوي، بيت سنهوب، بيت القشم وغيرها انظر تاريخ اليمن الثقافي، ٥٧/١، اليمن الكبرى، ١٦٦ معالم الآثار، ٢٥، اللباب، ٣٢٨/١.

(3) سعدان الأهنوم: حصن في جبل الأهنوم، أمر الإمام المنصور بالله بالشروع في عمارته سنة ١٣١٣هـ، واستمر في عمارته سنتين حتى كمل، وكانت أسواره منيعة وفيه محبس وبركة ماء، انظر، ائمة اليمن، ١٧٩.

في المقامِ بِقَفْلَةِ عُدْرٍ، فلما وصلَ عليه السلامُ جَبَلَ الأَهْنومِ، حصلَ بذلكِ سرورُ الخصوصِ والعمومِ، وأفاضَ جميعَ الخيراتِ، لا سيّما على طلبةِ العلمِ الشريفِ، فإنه بهمَ رحيمٌ رؤوفٌ، حتى كَثُرَتِ الطلّبةُ في جميعِ الهجرِ، فجزّاهُ اللهُ الجزاءَ الأوفَرَ.

وفي شهرِ الجحّةِ من هذه السنّةِ وردتِ أبياتٌ من السيدِ جعفرِ الحلبي من

در نجف وهي (1):

[الكامل]

<p>حيّا الإلهَ لواءك المَنشُوراً الله جارك لا تخف محذوراً طابت حجورك أولاً وأخيراً فمتى تصيرهم هباً منشوراً مات النبي بدائه مقهوراً قرآن جدك خلقهم مهجوراً فانهض وطهر أرضه تطهيرا لا يستقي إلا الدم المهذورا إلا كلاً ومناصراً وصدورا قد بات ذكرك^(١) عندنا منشورا فرحاً وأصبح من بها مسروراً كانت ظلاماً فاستحالت نورا</p>	<p>انشر لواك مؤيداً منصوراً واقصد بخيلك يمنةً أو يسرةً يا ابن النبي محمدٍ وسميه ماذا انتظارك بالألى جحدوا الولي التابعين لذلك الرجس الذي عدلوا عن النهج القديم وغادروا / أعطاك ربك بسطةً في دينه أوليس سيفك ذا الفقار به ظما وصدور سمرك جوع لا تبغي يا وارث العلياء من آبائه وصل العراق كتابكم فتهللت فكانها قبل الكتاب ونشره</p>
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

(1) ائمة اليمن، ١٧٥-١٧٦

(١) في أ، ذك

كم سيد لك بالعراق بوّده
ويراك في طيف الخيال محبة
لو لم تقم بطريق مكة حارساً
لَسْنَا نخافُ على الشريعةِ عادياً
وَعَمَرْتَ دينَ الله بالسيفِ الذي
ما قاتلتك قبيلةٌ إلا اشتَهتْ
شاءَ الإلهُ بأن تعيشَ مُعَمِّراً
ملكاً كبيراً عالماً نحريراً
ماذا أقولُ لكم وصادقُ مدحكُم
اللهُ أذهبَ عنكمُ الرجسَ الذي
ما زلتَ تعطي الوافدين ولم تكن
ويطالبونك بالثراءِ كأنهم
لو أنت تعطي الأرض مع ما فوفها
اعدزُ فذتك النفسَ شاعركَ الذي
لو أدركتني من جنابك (٣) نخوة
ثم الصلاةُ على النبيِّ وآله
وقد أجيبَ على هذه الأبياتِ بجواباتٍ، أجلها ما قاله سيف (١) الإسلام،

يلقائك لو كان اللقاء ميسورا
والطيفُ ليس بصادقٍ تعبيرا (١)
ما حجَّ شخصٌ بيته المعمورا
وظباك قد ضربت عليها سورا
إن سُلَّ خرب (٢) للأعادي سورا
عرجُ الضباع لها تكون قبورا
لما أرادَ لخلقِهِ تعميرا
أسداً هضوراً سيّداً منصورا
قد جاء في قرآننا مسطورا
يُخشى وطهر بيتكم تطهيرا
تبغي جزاءً منهم وشكورا
قد أودعوا كنزاً لهم مذخورا
من عظم قدرك لم يكن تبذيرا
لم يُبق قطُّ له الزمانُ شعورا
ما بت في قيد الهُموم أسيرا
أهل الفضائلِ أولاً وأخيراً
وقد أجيبَ على هذه الأبياتِ بجواباتٍ، أجلها ما قاله سيف (١) الإسلام،

(١) كلمة سيف تعني ولي العهد، سيف الإسلام أو سيف الخلافة.

(١) الإضافة من أئمة اليمن، ١٧٥/٢

(٢) في م، فرت

(٣) في م، حياتك

يحيى بن أمير المؤمنين - عافاه الله - وهي (1):

[الكامل]

لَا حَتُّ لَنَا بَرَقَ فَأَهْدَتْ نُورَا
أُرْبَى عَلَى الْفُصْحَاءِ حَتَّى أَنَّهُ
وَأَخِذَةً وَنَوَاطِرًا وَمِبَاسِمًا
يَا نَخْبَةَ السَّادَاتِ بَاكُورَةَ ال
يَا مَنْ قَرَنْتَ (١) بِشَعْرِكَ الدِّيَجُورَا
/صَيْرْتَهُ كَالْجَيْشِ إِلَّا أَنْ ذَا
وَأَتَى نِظَامُكَ طَيِّبًا مِنْ طَيِّبِ
مِنْ سَادَةٍ غُرٌّ لَهُمْ فِي اللَّهِ صَو
بَاعُوا مِنَ الرَّحْمَنِ أَنْفُسَهُمْ بِأَنْ
فَتَوَابَتُوا لِقِتَالِ أَهْلِ الظُّلْمِ كَمْ
صَرَغُوهُ صَرَعَةً أُسْدِ غَابَاتِ الشَّرَا
وَتَغَرَّبُوا وَتَشَرَّدُوا وَتَفَرَّقُوا
قَتَلْتَهُمُ الْأَعْدَاءُ قِتْلًا فَاحْشَا
هَذَا بَكْرِبِ قَطْرُوهُ وَآخِرُ
وَيَأْرَضِ بِأَخْمَرِي وَفَخِ وَالْمَدْنِيَّةِ
وَالرَّتْبِ شِبْلٍ فِيهِ أَضْحَى سَائِلًا
وَلَكُمْ لَهُمْ مِنْ مَضْرَعٍ مِتْنَكِرٍ

من ثَغْرِ مَنْ جَعَلَ الْمَقَالَ بُحُورَا
جَعَلَ الْكَلَامَ سَوَالِفًا وَنُحُورَا
وَمِعَاصِمًا وَتَرَابِيًا وَصُدُورَا
سُبُطَيْنِ، يَا سِبَاقُ، يَا نَحْرِيْرَا
وَفَعَلْتَ شِعْرًا طَيِّبًا مَسْتُورَا
طَلَعْتَ طَلَائِعُهُ فَصَارَتْ سُورَا ١٥٢
مِنْ عُنْصُرٍ جَمَعَ الْهُدَى وَالنُّورَا
لَا تُتْ زَيْدُ الظَّالِمِينَ قُصُورَا
يَرْضَى لَهُمْ خَلَدَ الْجِنَانِ قُصُورَا
مِنْ ظَالِمٍ لَا يَعْرِفُ التَّكْبِيرَا
وَسَقَوْهُ كَأْسَ مَنِيَّةٍ مَشْهُورَا
وَتَخَوَّفُوا ظُلْمَ الْعِدَا الْمَحْذُورَا
مَتَشَبِّهًا حَقْدًا لَهُمْ مَسْتُورَا
بِالْجُوزْجَانِ مُعَقَّرًا مَهْجُورَا
سَادَةٌ كَانُوا هُنَاكَ بِدُورَا
دُمُهُ وَأَضْحَى شَأْنُهُ مَشْعُورَا
ظَلَمًا أَعَادَ سَنَا ذُكَاةَ بَحُورَا

(1) وردت بعض الأبيات في أئمة اليمن، ١٧٦-١٧٧

(١) في م، فريت

وتراهمُ لا يتركون قيامهم
 لم يُثنيهم حبُّ الديارِ وإنهم
 قلنا بهم أسوات صدقِ أسها
 كيف القعودُ ومعشر الأتراكِ قد
 شرعوا من الإسلام ما لا يرتضي
 وتجنبوا سُبُل الهدى بتعمدٍ
 ركوب الذكورِ كقومٍ لوطٍ لا يتقوا
 ظلموا عبادَ الله ظلماً بيناً
 هدموا ربوعَ العلمِ حتى لن ترى
 ولقد أقمنا هجرةً عدليةً
 وبها شيوخُ العلمِ كم من عالمٍ
 يا حبذا بشرى دفاترِ سادةٍ
 وبأملٍ والحل بعضُ منهم
 وبصعدةٍ يحيى الذي أحيا به
 والله نسالُ أن يُعجّلَ نصره
 ويكون دينُ الله حتماً لازماً
 ويعود ما هجرتهُ أيدي التركِ في
 لا أرقدَ الرحمنُ عيني إن رضتُ
 أيلدُ نومُ المرءِ والرحمن يُعد

لُمهمينِ لا يطلبون فقيراً
 في أهلهم مُتهلِّلين سرورا
 بقلوبنا أصحابها معمورا
 عموا البلادَ مناكراً وفجورا
 ربُّ السماءِ به وقالوا زورا
 وآتوا إلى داعي الضلالِ كفورا
 والخمرُ أضحى عندهم مشهورا
 والعدلُ أمسى بينهم مهجورا
 للذُّرسِ يوماً دفتراً منشورا
 في ظلِّ هجرتنا فكانت نورا
 كالطُودِ أضحى رأيه مشهورا
 أضحى بلحياً^(١) بعضهم مقبورا
 لا زال تُربُّ رمايسهم ممطورا
 الرحمنُ ديناً قيماً منصورا
 حتى يكونَ عدوه مقهورا
 عندَ الإمامِ مُحَدِّداً موفورا
 سُلطانها متعارفاً مشهورا
 ٢) بما ارتضوه^(٢) وانتضته صبورا
 صى أم يطيبُ له الطعامُ سُحورا

(١) في م، بلنجا

(٢) في ع، م، ما

فلئن بقيت لأهدمَن ديارهم
ولأسقينهم نقيعاً أحمرأ
ولأيتمَن بنيهم ولأثكلن
فتوسلوا أهل الغري بحيدر
ولأضربن جماً وظهورا
ولأطعمنهم قناً وذكورا
نساءهم ولأرضين شبيرا
عند الإله وشمروا تشميرا

٥٥٢

وقعة ساك (١):

ودخلت سنة ١٣١٤

وفيها كانت وقعة ساك في صفر.

وصفتها أن العجم تجّهزت من الولاية، مدينة صنعاء، وأظهروا أنهم يقصدون بلاد أرحب، وأسروا في أنفسهم أنهم لا بد يقصدون بلاد همدان، وبلاد حاشد إذا ساعدتهم الزمان، وكان قدرهم ستة طوابير، ورئيسهم راشد بيك، وبعد خروجهم من مدينة صنعاء طرخوا في بلاد بني الحارث، وعزم طابور عومرة من بلاد أرحب.

(١) ساك قرية من قرى خارف، وخارف بطن من حاشد، موطنهم شرقي قاع البون وشماله، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام، الصيّد والكليون وبنو جبر، والصيّد وهي خميس هراش وخميس حرمل وخميس ابو ذبية وخميس القديمي وخميس القايفي، وبلاد الواسط، متصلة بالبون، من قراها كانط ناعط، والكليون وهم ثلث ضحيان وثلث الواسط وثلث بيت زود، وبلاد الصيّد والكليون من اعمال زيدة ثم بنو جبر من اعمال ذي بين، وهم خميس الغزي، وخميس النقيش، وخميس الغولة، وخميس الشطبة وخميس ذي بين انظر، الإكليل، ٨٥/٢، اليمن الكبرى، ١٦٧، معالم الآثار، ٦٤ معجم المقحفي، ٢٠٨.

وفي بعض الليالي طلبوا عُقَالَ هَمْدَانَ وحبسوهم، وأظهروا أَنَّ حَبْسَهُمْ بسببِ عدمِ التحصيل، والمقصود أمرٌ آخر، كما سنقفُ عليه، وبعدَ حَبْسِهِمْ عَزَمَتِ العَجْمُ، وَعُقَالَ هَمْدَانَ صحبتهم ليلاً، ومرأهم الأعظمُ الغدرُ بالشيخ يحيى بن يحيى دوده، ولما وصلوا إلى بعضِ الطريقِ أظهروا الكامنَ للعُقَالَ، وَأَنَّ مرادَهُمْ يَدُلُّونَهُمْ على الطريقِ، وظهرَ لهم أَنَّ ذلكَ هو السببُ لحبسِهِم لثلاثين يوماً، فنذروا الشيخَ يحيى بنَ يحيى دوده، «فلما ظهرَ لهم أبوا أن يَدُلُّوهم، فأخذوا رجلين من حراسِ الزرعِ فدلُّوهم على الطريقِ إلى بيتِ الشيخِ يحيى بن يحيى دوده»^(١)،

فوصلوا هنالك عند انتشارِ الضوء، وكان أولَ من وصلَ الخيَّالَةَ، وهم نحو سبعين، وكان الشيخُ يحيى بن يحيى كما وصفَ لنا من لسانه، قد صلَّى الفجرَ ونام، فصاحَ إنسانٌ من حولِ بيتهِ: يا فلان، التركُ فيكم، ولم يُصرِّحْ باسمِهِ خوفاً عليه، ودخلتُ يهوديةً، وصاحتُ من بابِ مكانِهِ: التركُ فيك، يا شيخَ يحيى! وكثُرَ الصِّياحُ، ورجعتُ اليهوديةً وهي تقولُ: اخرج يا محرامَ التركِ، التركِ، فقام ولبسَ بندقه، وطلَعَ السُّطحَ، فوجدَ الخيَّالَةَ حَوْلَ البيتِ، فأرادَ أن يرميَ اثنين منهم متعارضين، فوقَّعَ في قلبِهِ ما صدَّهُ عن ذلك، ورأى حَوْلَ البيتِ مقبوضاً إلا الجهةَ الشرقية، وهي جهةُ البابِ، فوجدَها خاليةً، فعزمَ على الخروجِ من الجهةِ المذكورةِ متوكِّلاً على الله، فخرجَ منها ورأى النظامَ وهم مقبلونَ إليه، فمشى بالسكينةِ ليوهمَ العَجْمَ، أَنَّهُ من ضبطينهم حتى نزلَ من عقبَةِ صغيرةٍ، فأوضعَ في السَّيرِ ولقيَ خالَهُ ورجلاً آخرَ فترافقوا، فكانوا كلُّ ما

(١) سقطت من ع

قَرَّبَ مِنْهُمْ النِّظَامَ، مَشَوْا بِالسَّكِينَةِ، وَكُلُّ مَا غَابُوا عَنْ أَبْصَارِهِمْ جَدُّوا فِي السَّيْرِ حَتَّى نَجَّاهُمْ اللَّهُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَخَيَّبَ اللَّهُ أَمَلَهُمْ، هَذَا مَا سَمِعْتُهُ مِنْ لِسَانِ الشَّيْخِ يَحْيَى، وَصَارَ يَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ الْإِمَامِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَلِأَنَّهُ هَتَفَ بِهِ حِينَئِذٍ.

ثُمَّ إِنَّ الْعَجَمَ مَكَثُوا فِي بِلَادِ هَمْدَانَ مُدَّةً، وَبَعْدَ، عَزَمُوا عِيَالَ سُرِيحَ، وَغَزَوْا مِنْ هُنَالِكَ إِلَى قَرْيَةِ نَاعِطٍ (١) مِنْ بِلَادِ حَاشِدٍ، وَكَانَتْ فِيهِ ذَخَائِرُ مُودَعَةٍ لِأَرْحَبٍ فَأَخَذُوهَا أَجْمَعٍ أَكْتَعِ.

وَرَجَعُوا بِلَادَ أَرْحَبٍ فَسَامَوْهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَهَرَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْبِلَادِ، وَصَارُوا يَغْزُونَ الْعَجَمَ لَيْلًا، وَيَحْرِقُونَ بَعْضَ الْبُيُوتِ الَّتِي فِيهَا الْعَجَمُ بِالْبَارُودِ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ بَدَأَ الْعَجَمُ الرَّجُوعَ إِلَى دُبْيَانَ، وَمَكَثُوا هُنَالِكَ بَرَهَةً مِنَ الزَّمَانِ، وَبَعْدَ، عَزَمُوا عَلَى الدَّخُولِ نَحْوَ بِلَادِ حَاشِدٍ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الدَّهْرَ بِذَلِكَ مَسَاعِدٌ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى سَاكٍ، قَرْيَةٍ مِنْ قَرْيِ خَارِفٍ، كَتَبَ الْإِمَامُ إِلَى جَمِيعِ بِلَادِ حَاشِدٍ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِالْمَقْدَمِيِّ، سَيْفِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنَ الْهَادِي شَرَفِ الدِّينِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَاحْتَمَعَتْ رُؤُسَاءُ حَاشِدٍ جَمِيعًا/ وَتَلَاحَقَتْ الْغَارَاتُ مِنْ

١٥٣

(١) نَاعِطُ، قَرْيَةٌ فِي جَبَلِ نَاعِطٍ فِي بَلَدِ خَارِفٍ مِنْ حَاشِدٍ، بِالشَّرْقِ مِنْ مَدِينَةِ عَمْرَانَ بِمَسَافَةِ ١٢٠ كَمِ، فِيهِ أَطْلَالُ قُصُورِ حَمِيرِيَّةٍ مِنْهَا قَصْرُ يَعْزُقِ وَقَصْرُ ذِي لَعْوَةٍ، كَانَتْ مِنَ الْعَوَاصِمِ الْيَمِينِيَّةِ الْقَدِيمَةِ انظُرْ، مَعَالِمَ الْأَثَارِ، ٢٥، الْاَكْلِيلِ، ٢٨٨، الْيَمَنِ الْكَبِيرِ، ٨٣، ١٩٤، تَارِيخَ الْيَمَنِ الثَّقَافِيِّ، ٢/٨٠، مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ، ٦٥٢.

(٢) دُبْيَانَ: قَبِيلَةٌ مِنْ بَكِيلٍ، تَقَعُ مَسَاكِنُهَا بَيْنَ مَرْهَبَةَ وَأَرْحَبٍ، انظُرْ، تَارِيخَ الْيَمَنِ الثَّقَافِيِّ، ١/٦٦، الْبَدْرِ الطَّالِعِ، ٢/٢١٦.

جميع القرى حتى بلغوا نحو أربعة آلاف، ووقع الحرب فيما بينهم ثلاثة أيام: السبت والأحد والاثنين، وكان وقوعه يوم السبت في ساك، ويوم الأحد في ابن حاجب، ويوم الاثنين في نقيل شيبه، وبلغت القتول من العجم نحو الأربع مئة وخمسين مكاناً، واستشهد من العرب ستة أنفارٍ لا غير.

ثم إن الله سبحانه بعد وقوع هذه الملحمة، أنزل الرعب في قلوب العجم والعرب، فأما العرب فإنهم تفرقوا بعد الثلاثة الأيام شدراً مذبذباً، وكل إنسان عزم بيته حتى لم يبق عند المقدمي إلا نفر يسير.

وأما العجم، فإنهم لما رأوا ما ذهب من القتل مع ما انضم إلى ذلك من الرعب الرباني، ظنوا أن العرب لا بد أن يتبعوهم، فشدوا في الليل من حيلهم لا يلبثون على شيء، وولوا على أديبارهم متوجهين إلى مركز ولايتهم: مدينة صنعاء، وقد ضاقت بهم الأرض ذرعاً.

ثم إنهم بعد ذلك أرسل الله عليهم الطاعون، وكان هذا النصر المبين يُعد من آثار بركات مولانا أمير المؤمنين.

وفي هذه السنة أو التي قبلها، توفي النقيب الأجل ناجي بن عبد الوهاب الشايف⁽¹⁾، وكان مرابطاً في الحضرة الشريفة، ملازماً لمقام الإمام - عليه السلام - فلما تحركت رجال أرحب للجهاد، استأذن من الإمام للخروج معهم هو ومن انضاف إليه من أصحابه، فلما وصل إلى الحلح، من

(1) ناجي بن عبد الوهاب الشايف البكيلي البرطي الهمداني، كانت له معرفة بالتاريخ وعلم الفلك، انضم للإمام بعد تركه للأتراك، انظر، أئمة اليمن، -/ ٢٠٤.

أعمال بني علي (1)، مرض هنالك، وانتقل إلى رحمة الله ورثاه الإمام - عليه السلام - بأبيات (2)، وهي:

من حلحل عَسَسَ الدِّيَجُورُ بِالظُّلَمِ
بِمَوْتِ مَنْ رَفَضَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا
مَنْ كَانَ فِي عِلْمِي الْأَنْسَابِ وَالْفَلَكَ
مَنْ كَانَ قُطْبًا لِأَهْلِ الْبَيْتِ دَائِرَةً
سَيْفُ الْمَلَا حِمِّ سَبَاقِ الْمَكَارِمِ فِي
فَلْتَبْكِهِ الْخَيْلُ فِي الْفِيحَاءِ سَابِحَةً
وَلْتَبْكِهِ (١) مِنْ آلِ قَحْطَانَ مَتَسَبِّ
وانهد ركنُ العُلا والمجدِ والكرمِ
ولم يخف سَطَوَاتِ الْفَوْتِ وَالْعَدَمِ
الدَّوَارِ فَرْدًا وَعِلْمِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ
رحى التشيع عنه ثابت القدم
مضمارها ليس في العُليا بمنهزمِ
ولتَبْكِهِ عَزَمَاتُ السُّمْرِ وَالْخُدَمِ
وَمَنْ تَنَاسَلَ مِنْ عَادٍ وَمَنْ هَرِمَ (٢)

وقعة جبل اللوز

وفي شهر رجب من هذه السنة كانت وقعة جبل اللوز:

وصفتها: أن المشائخ بني الحسيني (3)، والشيخ أحمد مساعد عزموا للهجرة إلى حضرة الإمام عليه السلام، فلما وصلوا الحضرة بعد مشاق وقعت لهم في الطريق، طلبوا من حضرة الإمام تجهيزهم للجهاد، فجهزهم. وهم

(1) المقصود بنو علي، قبيلة من بني زهير بن أرحب انظر، معجم المقحفي، ٤٦١.

(2) أئمة اليمن، ٢٠٥/٢

(3) المقصود آل الحسيني، أهل وادي رجام، انظر، أئمة اليمن، ٢٠٢.

(١) في الأصل ولبتكه

(٢) البيت فيه خلل عروضي ويقرأ «وليبكهِ آل قحطان ومن نسبٍ

نحو اثني عشر رجلاً، ومن السادة آل الوزير وآل عثمان نحو العشرة، ومقدمهم السيد الصفي أحمد بن محمد الوزير، فعزموا من حضرة الإمام قاصدين بلاد خولان حسب أمر الإمام^(١) لمضايقته العدو من هنالك.

فلما وصلوا إلى وادي القراميش من بني جبر، عرف إليهم مشائخ بني جبر، وبني سحام وجبل اللوز والنيني أن يبادروا للجهاد، وهم فاتحون البلاد وراهنون، وإن العجم قد هم في شاحك^(١)، فساعدتهم المقدمي، وعزم إلى العرقة^(٢)، وإلى درب عسكر، وما يليه من القرى، واجتمع الواصلون من حضرة الإمام، ومن انضاف إليهم من أهل البلاد، وأمرهم المقدمي بأن يغزوا على العجم بليلتهم التي وصلوا فيها، وكان التدبير على أن الغزاة مئة نفر، والآخرين مدد إلى أين ما وقع الحرب، وكانوا قدر الست مئة، فلما وصل الغزاة، وهم مشايخ بنو الحسيني، ومن انضاف إليهم إلى ذرب عسكر، تخلف عن المشائخ بني الحسيني جميع المعينين معهم، ولم يعزم للمغزا غير بني الحسيني، نحو اثني عشر، وقصدوا العجم إلى حيد شعران، وأحربوا

ب ٥٣

(١) شاحك: سد حميري مشهور في بني سحام من بلاد خولان الطيال فوق قرية تنعم يحيط به جبل اللوز من جميع جهاته إلا من جهة تنعم حيث كان السد بين جبلين متقاربين والقرية منسوبة إليه، انظر، معالم الآثار، ٢٥، معجم المقحفي، ٣٣٩-٣٤٠.

(٥) قرية العرقة من جبل اللوز بخولان الطيال النظر، معجم المقحفي، ٤٤٠، أئمة اليمن، ٢/٢٠٣، الإكليل، ٢/٣٦٩، صفة جزيرة العرب، ١٧٢، ٣٠٢.

(١) في أ، الله

العجم من هنالك إلى شاحك، فخرجت عليهم العجم هجوماً، فوقع الحرب العظيم من الأسفار إلى نصف النهار، وأحاطت العجم بالمجاهدين من كل جهة، وكان العجم نحو ألف مقاتل بمدافعهم، فثبت الله المجاهدين، وفعلوا في العجم مقتلة عظيمة نحو الأربع مئة، وقدر ستين مكان، واستشهد من المجاهدين الشيخ محمد بن عائض الحسيني رئيسهم، وبعد أن استشهد، أحاطت العجم بالمجاهدين، ولم يبق لهم مفر غير أن الطريق من كل جهة قد أحاط بها العجم، فلما رأى المجاهدون ذلك لم يسعهم إلا أن جردوا نصالهم، وخرجوا من بينهم واختلطوا. ووقعت مقتلة من اليد، واستشهد محمد خليل الحسيني ورجلان من بني عزيز من الذرب، وتكون حسين بن علي الراحمي، وتكون محمد السنحي، وتكون ابن النبي^(١)، ثم تكون الشيخ عبد الله الحسيني ضربتين بسيف في رأسه، وطعنة في رقبته بزغرة^(١)، وثلاث رصاصات حتى انطرح بينهم، وأخذوا سلاحه، وأيست منه خبرته، وعزموا من لديه، وظنوا أنه قتيل وأغمي عليه.

وبعد ذلك قام من بين العجم، وقد أرادوا أن يقطعوا رأسه، وفر من بينهم، ووصف لنا أنه لم يشعر إلا وهو بين خبرته، ولم يدر كيف خرج، وهذه عبرة عظيمة. وبعد ذلك عزم من بقي من المجاهدين إلى حضرة المقدمي في الذرب، ولوموا عليهم من عدم الغارة الموعود بها، وبقي العجم مكانهم في شاحك.

(١) الزغرة: نوع من السكاكين.

(١) في م، التيني

وبعد مدة ثمانية أيامٍ إلى يومِ الجمعة، قدمت العجمُ إلى العرقة، وكان المجاهدون في قُرَىٍ أُخرى. وكانَ في العرقةِ المقدّمي والسادة: آلُ الوزير وبنو الحسيني، ومن انضمَّ اليهم فصبحهم العجمُ من فجر، وكانت العجمُ قد أرسلوا إلى كلِّ قريةٍ من القرى التي فيها القومُ، جماعةً شغلهم عن الغارة، وقصدَ العجمُ المقدّمي ومن معه في العرقة، ووقع حربٌ عظيمٌ، وهجموا على المجاهدين من كلِّ جانبٍ، وكان قدرهم نحوَ الخمسين.

واستشهدَ السيّدُ عليُّ بنُ أحمدَ مفضّل، رحمه الله، وجماعةً من بني سِحام وما زال المجاهدون متردّدين في بلادِ خولان، ولم يفتح لهم خولانُ البلادَ، وبعد ذلك رجعت العجمُ صنعاءَ.

وقعةُ بني جل (1):

يومَ الربوع، خامسَ شهرِ رمضان سنة ١٣١٥هـ، وهي الوقعةُ العظمى والفتحُ الأسمى.

وصفتها: أنّ الشيخَ يحيى بنَ ناصر الريحي من بني جل، وفدَّ إلى حضرةِ الإمام قبل وقوعِ الوقعةِ بأيامٍ، نحو العام، فحرّضه الإمامُ على الجهاد، وأنه الشرفُ في الدنيا والعملُ الصالحُ النافعُ في المعاد، فأذعنَ لذلك، وعاهدَ الله على إحداثِ عملٍ من أعمالِ الجهادِ عندَ وصولِ العجمِ للتحصيل.

فلما كان شهرُ رمضان، خرجَ العجمُ معَ طاغيتهم بهاءِ الدين للتحصيل.

(1) بنو جل من بلاد الشرق.

ومعه خمس مئة، فلما وصل أنعموا له بالتحصيل، ففرق عليهم خمسة وثلاثين مئة ريال، فما زال يتخلص ما ذكر هو والشيخ حتى قبض منهم المفروق، والشيخ يحيى بن ناصر، يدير فكره ويدبر الحيلة لتحصيل ما قدمه من العهد واستمال رجالاً سراً، وعاقده رجال أفلح، فكان سبب ثوران الحرب أن رجلاً من بني جل، وهو محمد بن محسن الصبيحي، أخذت العجم ما يملكه من الحب، فأتى إلى الشيخ / يحيى بن ناصر الريحي، واستغاث به، واستجار ١٥٤ وآلى على نفسه، أن العجم إذا لم يرجعوا حبه، فلا بد يقتل منهم، فحينئذ لاحت الفرصة للشيخ يحيى، وأشار إليه، أن إفعال ما بدا لك، ومقصوده: أنه مفتح الحرب، ففتح الحرب محمد بن محسن، وثار العامة، فقتلوا من العجم أربعاً، فانهزمت العجم، وانحازوا إلى بيت عباس وبيت القروي والوسط، ورُمي بهاء الدين، فخرج وأحاطت بهم بنو جل من كل جانب، وأمدتهم رجال أفلح بموجب التدبير الثاقب، فلما رأت العجم ما قد دهم طلبوا الأمان على أن يخرجوا من تلك المحلات، ويصحبهم الشيخ المذكور، فلم يسعدتهم المجاهدون، فخرجوا والشيخ يحيى صحبتهم، وقد أبطن لهم الشر، فلما توسطوا في البلاد تخطفهم أهل الجهاد بالسيوف الحداد، فصاروا صرعى في كل واد، وأسير من أسير منهم، وألقوا ما بأيديهم من السلاح، وأخذ المجاهدون آلات المدفع، فألقوه على بغلة، وقدموه قبلهم، وكانوا نحو أربعين، ولحقوه على الأثر، فلحقهم المجاهدون، وكادوا يأخذونه، فصاح بهم الشقي الهيج! فمضوا به سريعاً فنجوا. وكانت البنادق المسلوقة خمس مئة بندق، وجملة القتل ثلاث مئة من العجم، ومئة من العرب.

ثم إن بهاء الدين طلب أماناً له، ولمن صحبه، وهم نحو خمسة وعشرين

فأمّنوهم، فأدخلهم بعضُ المجاهدين في ديرٍ خوفاً ممّن حضر. فجاءت امرأةٌ وفي يديها حجرٌ حتى إذا قاربت المجاهدين، قالت: تريدون أن تؤمنوا الذي أخذ بقرتي؟ ورمت بالحجر فوقعت على رأس بهاء الدين فسقط، وبعد ذلك أخرجوهم إلى مأمّنهم، ثم لما استولت العربُ على البنادقِ والبغالِ وجميعِ الأثقالِ، وقعت الفتنةُ فيما بينهم في تقسيمه، فوقع بينهم الحربُ والمخاصمةُ، وقتل العجمُ الشيخَ يحيى بن ناصر الريحي في بيته، وأوصل إلى حضرة الإمام - عليه السلام - آلة المدفع، وهي المجرى والعجلات، وصارَ خبرُ هذه الواقعةِ في جميعِ الجهاتِ، ودخلَ على العجم من ذلك أشدُّ الغمِّ.

ولما نمي الخبرُ إلى عدوّ الله أحمد فيضي، عَلِمَ أن العداوةَ كامنةٌ فيما بين العربِ والعجمِ تخفيها وتبديها القوةُ، فإذا قوي أحدهما على الآخر وثب. ثم إن عدوّ الله، رأى من الرأي الديار، أن الأولى المسارعةُ في الأخذِ بالثأر، قبل أن يقوى العربُ، وكتبَ إلى بني جل ما تضمّن أن الفتنةَ الواقعةَ نزعةً شيطانيةً، وأنه قد عفا الدولةَ عن القتلِ، وأما السلاحُ فلا بدّ من إرجاعه فليحتفظوا^(١) به وإلا نالهم العقابُ الشديدُ، والأمرُ المهول.

وكان الإمام - عليه السلام - بعد هذه الواقعةِ، قد أرسلَ سيفَ الإسلامِ محمد ابن الإمام الهادي مقدّمياً على بني جل، فلما وصلَ إلى حجورِ الشامِ كان بلغهُ كلامٌ، فعاد إلى المدانِ بموجبِ رفعِ الإمام.

(١) السياق، وألا يحتفظوا به.

ثم إنَّ أحمدَ فيضي وجَّهَ حمدي بيك من حجةَ يُريدُ قُفْلَ شمر، ومعه
عساكرُ من العجمِ ، فلمَّا وصلَ قُفْلَ شمر ما زال يتردَّدُ إلى بني مَدِيخَةَ
والشاهلِ ، وصارَ يلومُ بهاءَ الدينِ على ما وقعَ في بني جل، وأنَّه لا بدُّ أنْ
يأخذَ بالثارِ، فأجابهُ بهاءُ الدينِ بما تضمَّنَه: إنَّكَ لا تقدِرُ على أولئك
الصابرين .

وفي شهرِ شوالٍ من السنةِ المذكورةِ، أرسلَ الإمامَ-عليه السلامُ-السيدَ
الحسامَ محمدَ بنَ حسنِ العوامي وصحبته جماعةً من حاشدٍ إلى حُبُور،
وأمرَهُمُ بالمرابطةِ هنالك لأنَّها ثغرٌ من الثغور.

وفي هذه المدةِ، جهَّزَ أحمدُ فيضي، راشد بيك بمن مَعَهُ، وأمرَهُ أنْ
يلويَ إلى تهامةَ، ويجمعَ من هنالك مَنْ وجدَ/ من العساكرِ مضافاً لمن معه،
ثم يقصدُ بني جل والشرفين، فتوجهَ حسبَ أمره، وكتبَ إلى مَنْ بعسيرٍ من
العساكرِ، فلما تمَّ له الأمرُ توجَّهَ بمن معه نحوَ قُفْلَ شمر، فلما بَلَغَ بني جل
وأهلَ الشرفين ما رامَهُ الأعاجِمُ، كتبوا إلى حضرةِ الإمامِ - عليه السلامُ - بأنْ
يُنْفِذَ إليهم المُقَدَّمي، فأرسلَ إليهم سيفَ الإسلامِ، محمدَ بنَ الإمامِ الهادي
وصحبتهَ نفرٌ يسيرٌ، ومقصودُهُ - عليه السلامُ - بذلك جمعُ كلمةِ أهلِ الشرفِ،
فلما وصلَ إليهم سيفُ الإسلامِ، ورَّحِبَ به المقامُ، صارَ يتردَّدُ في تلك
البقاعِ ، ويأمرُ الناسَ بالصَّبْرِ والاجتماعِ .

وأما عساكرُ العجمِ ، فإنَّها تكاثرتْ حتى ملأتِ المراكزَ.

وفي هذه المدةِ، ارتفعتِ الأسعارُ، وعظُمَ الاضطرابُ حتى وصلَ في

جهاتِ القِبْلَةِ ستَّةَ أنفاسٍ بريال، والجهاتِ اليمانية اثني عشر نفراً بريال،
وارتحلَّ الناسُ من بلادٍ إلى بلادٍ لطلبِ الزادِ، سوطُ الله ضربَ به العباد، حين
كثرت المعاصي والفساد، ﴿وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كَسَبَتْ أيديكم، وعدُّ
الله، إنَّ الله لا يُخلفُ الميعاد﴾^(١).

ولقد شاهدنا في هذه السنة عَجَبَ العجائب، مما يخرجُ عن الحصرِ،
ويقلُّ فيه الإطناب، ولو تعرَّضنا لخَرجنا عن المقصود.

وفي هذه المدة كثر الهَرَجُ في اليمنِ الأسفلِ بينَ مشايخها العتاة الطغاة،
فكانت فتنةً فيما بين الشيخ علي بن عبدالله بن سعيد بن أحمد بن علي بن
سعيد، أكبرِ شيخٍ في اليمن، وبين الشيخ عبدالوارث بن ياسين شيخِ
الضُربيات (2) وشرَّع (3).

قُتِلَ في هذه المدة خلقٌ كثيرٌ، وسفكٌ فيها دمٌ غزيرٌ، كلُّ ذلك في طلبِ
التكاثرِ من المشايخِ، وفتنةٌ أيضاً فيما بين الشيخ علي بن عبدالله، والشيخ
عبدالواحد بن قاسم، وفتنةٌ أيضاً فيما بين مشايخ حُبَيْش، بني الشيببي (4)
والحراسيس (5)، وفتنةٌ أيضاً فيما بين الشيخ منصور بن نصر، شيخ العنسيين،

(1) سورة الشورى: ٣٠.

(2) الضُربيات: الضُربية في أعلى نخلة الشامية، انظر، صفة جزيرة العرب، ٦٤.

(3) شرَّع: ناحية معروفة بالشمال الغربي من تعز بمسافة ٤٠ كم، انظر، الإكليل،

٣٨٢/٢، هذه هي اليمن، ١٣٥/٥، نشر العرف، ٦٥٢/٢، اليمن الكبرى، ١٧٣.

(4) بنو شبيب: عُزلة من ناحية حُبَيْش وأعمال إب يُنسب إليها بنو الشيببي، مشايخ

حُبَيْش، انظر، معجم المقحفي، ٣٤٤، نشر العرف، ٢٩٠/١.

(5) الحراسيس: فرع من الهناوية انظر، لقمان، القبائل اليمنية، ٣٧٨.

بلاد ذي السفال وبين آل أبي راس. كلُّ هذه الفتنِ سُفِكَتَ فيها الدماءُ،
ونُهَبَتِ الأموالُ بلا مُوجِبٍ إلا طلبَ التكاثرِ في الدنيا التي هي كطيفِ
الخيالِ، فما ظفروا من ذلك المرامِ بطائلٍ، بل صاروا كما قال القائل:
[الطويل]

وما من يدٍ إلا يدُ اللهِ فوقها (١) وما من ظالمٍ (٢) إلا سيُلبى بأظلمٍ (٣)
ولا بدُّ أن يكافئهم بما فعلوا، الملكُ الديانُ، «وكيفَ ما تدينُ تدانُ».
ثم آل أمرهم بعدَ اللتيا والتي، أن طُلبوا من طرفِ أحمد فيضي، فوصلوا
إليه أجمع أكتع.

ولم يكنْ له مرامٌ منهم غيرَ أخذِ الرِّشا، فتلقاهم إلى قريبِ حزيز (١) بأهبةٍ
عظيمةٍ، كان بها قد أحرزَ، وبعدَ أن قضى وطَّره منهم أصلحَ بينهم على
دُخنٍ، ورجعوا آسفين إلى اليمنِ.

وقعة بني جل

وهذه الوقعة، هي أعظمُ الوقائعِ، والفتحُ الأزهرُ الصَّادعُ، والعرفُ الذكيُّ
الذي هو ضائعٌ غيرُ ضايِعٍ، وصفتها:

أنه في شهرِ القعدة من السنةِ المذكورةِ توجَّهَ راشد بيبك بمن معه من
العساكِرِ، والجموعِ قاصدين لبني جل، وقد آلى على الله عزَّ وجل، وتردى

(١) حَزيز، بلدة جنوبي صنعاء بمسافة ٥ كم، وهي من ناحية سنحان، انظر، صفة جزيرة
العرب، ١٥٥، معجم المقحفي، ١٧١.

(١) في م، ولا ظالمٌ الا سيُلبى بِظلمٍ وهو الصحيح

(٢) البيت لزهير بن ابي سلمى

برداء الكبرياء وبش ما فعل، فتقدم بمن معه من بني مديحة، الثالث عشر من الشهر المذكور، وبدأ في بني خولي⁽¹⁾، فوقع بينهم الحرب، وأخذت العجم مواشي بني خولي، ودخلوا بعض البيوت، فأصدقهم المجاهدون، وهجموا عليهم حتى أخرجوهم منها، وأخذوا بعضاً من سلاحهم، فجاءت فرقة أخرى من العجم، فاستولت على البيوت المذكورة، وأتت فرقة أخرى من المجاهدين، فقصدوا البيوت / فاشتشهدوا عن آخريهم، فتركوا البيوت جميعاً، لم يبق فيها أحد من الفريقين.

وقد أخذ المجاهدون من أسلحة العجم، واستولى العجم على أسلحة الشهداء، وكان عدد القتلى من العجم عشرين، ومن العرب تسعة أو يزيدون.

ولما كان ما كان في هذه الواقعة، جمع راشد بيك العساكر، وتقدم بمن معه من الجعم المتكاثري، وكان خروجهم من قفل شمر، ثامن عشر من ذي الحجة، وكان قدر العساكر نحو ألفين. وكان المجاهدون قد تجمعوا للحرب، فلما توجهوا انهزمت العرب هزيمة فاضحة من محل إلى محل، وصارت العجم تطوي قرى بني جل وطى السجل، فما ظهر الأحد، تاسع عشر الشهر إلا وقد أخذت العجم ديار بني خولي، وقلفاح⁽²⁾ والقفرة والمساغة

(1) بنو خولي: بطن من حجور من بلاد شرف حجة، انظر، الإكليل، ٨٦/٢، معجم الحجري، ٣٢٢/١، معجم المقحفي، ٢٢٥.

(2) الأصح قلفاح: من قرى حاشد في البطنة، وجبل قلفاح في بلاد الشرفين من أعمال حجة انظر، معجم المقحفي، ٥٢٢، تعداد صنعاء، ٤٢٧١/٢.

وشمسان وبيت الرُمادي، وبلغت هزيمة أوائل أهل الشرفِ الأعلى إلى بيوتهم، وبقي سيفُ الإسلام ومن معه في المسيب، بيت الصَّبِيحِي، وطرحت العجمُ في بيتِ القرو، وفيه خمسةُ رجالٍ من السادةِ آل العريج، والشيخ صالح بن أحمد قاربه، وثلاثةُ نفرٍ من الشرفِ الأعلى، فنصبت عليهم العجمُ مدفعين، وما زالوا يرمونهم من قرب، فمن أَلطافِ الرَّبِّ سبحانه، أنه لم يُصِبِ البيتَ شيءٌ من الرصاصِ، ولم يكن مقصدُ مَنْ في البيتِ المذكورِ، ومَنْ في بيتِ الصَّبِيحِي إلَّا الحربَ إلى الليلِ ويفرّون، عادةُ العربِ التي يعتادون! ولكنَّ الله سبحانه تفضَّلَ بنصرِ المجاهدين الذين في بيت القرو، فترجعَ بعضُ المنهزمين، وكان رجالُ أفلح وخيران (1) وحجر وأسلم (2) وغيرهم في بطونِ الأودية، ينتظرون لمن تكونُ الدائرةُ، فلما نزل النصرُ ممَّن بيده الخلفُ والأمرُ، كان كلُّ ما رمت العجمُ لم تُصِبِ الدارَ. وكلُّ ما رمى مَنْ في بيت القروي وقعَ الرصاصُ في رأسِ مَنْ رؤساءِ العجمِ إلى ضابطٍ من ضباطِهِمْ. فلما كان آخرُ النهارِ قبيلَ المغربِ، وثبت العجمُ إلى المدفعِ ليأخذه قبلَ الليلِ، فرأتهم العربُ، وهم على هيئةِ الفرارِ، فطمعوا فيهم ووثبوا عليهم، ونزلَ النصرُ من الواحدِ القهارِ، وكانت الأعرابُ التي ذكرناهم مكتمنين في

(1) خيران: ناحية من بلاد الشرفين، حجور، انظر، معجم المقحفي، ٢٢٧، الإكليل،

١٥٧/٨ هذه هي اليمن، ٥٨/٥.

(2) أسلم: ناحية من قضاء الشرفين بالشمال الشرقي من مدينة عبس بمسافة ٢٠ كم،

انظر، معجم المقحفي، ٣٠.

(١) في أئمة اليمن ص ٢١٧ قلحاح

(٢) في الأصل صحر والتصويب من أئمة اليمن، ٢١٨/٢

بطون الأودية، ينظرون لمن تكون الدائرة.

فلما سمعوا بالهزيمة، وثبوا لأخذ الغنيمة، فلما توسّطت العجم في بطون الأودية أخذتهم السيوف القواطع من كل مكان، وقذف الله في قلوبهم الرعب والهوان، فطفقوا يرمون أسلحتهم إلى المجاهدين رجاء أن يسلموهم من القتل، وظنوا أنه لا رغبة لهم إلا في الغنيمة، وما علموا [البسيط] أن الأسود أسود العيل همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب فأخذ المجاهدون أسلحتهم، ثم عطفوا عليهم عطفة واحدة، فما زالوا يقتلونهم بها، وانتهبوا مدفعين من المدافع أخذته اللجوج، وأرجعوه إلى العجم بدراهم استلموها، والآخر أخذته بنو الصبيحي (1)، وأوصلوه إلى حضرة الإمام، - عليه السلام - وكان ذلك بحمد الله أول غنيمة من مدافع العجم اللثام.

وقد كانت العجم حملته على بغلة، فرماها المجاهدون، فسقط فأخذ رجل من العجم سداة المدفع، وهرب بها لثلا يستنفع به، فاعترضه رجل من المجاهدين فقتله وأخذ السداة، فكملت آلات المدفع أجمع، والنصر بيد الله، يخفض من يشاء ويرفع.

وفي اليوم الثاني، قصد الناس من في بيت الرمادي، وفيه نحو مئتين من العجم، فلم يشعر العجم إلا وقد تسور المجاهدون البيوت من ظهورها.

(1) الصبيحات: من قبائل وادعة حاشد، والصبيحات - أيضاً - لُحمة من عيال عبدالله في أرحب، انظر، صفة جزيرة العرب، ١٩٥.

/فتراموا من السقفِ الأسفلِ إلى الأعلى، وما زالت العربُ بهم حتى ٥٥٥
استأصلوها وسلبوا سلاحهم، واستشهد من المجاهدين نحو الأربعين.

ومن أعجب ما وقع أن في بعض تلك الليالي أصاب الناس الجوع،
فجعلوا يطلبون الزاد، فقالت لهم امرأة: إن أردتُم الزادَ تبعتموني. وتقدمتهم
حتى أوصلتهم إلى بيت الرمادي، وكان ما كان بينهم وبين العجم مما وصفناه
آنفاً.

ثم لما انجلت تلك المعارك العظيمة حصرُوا القتلى من العجم، فإذا
هم ألف رجلٍ والأسارى مئتان، ولم ينجح من العجم الحاضرين هذه
الوقعة، إلا نحو خمسة وعشرين، وكان عددُ البنادقِ المسلوبةِ اثنتي عشر مئة،
وغنموا غير ذلك من المؤونة والذهب والأشياء النفيسة، وانحاز من بقي من
العجم إلى جبل بني مديحة وإلى قفل شمر والشاهل، وقد ذهلت عقولهم
مما دهم، واستشهد في هذه الوقعة من العرب نحو أربع مئة وثلاثة عشر لا
غير، إلا أن أكثرهم لم يُعرف لكثرة من حضر الوقعة من أخلاط الناس.

وكان المجاهدون حينئذ بمن أنضاف إليهم نحو سبعة آلاف فيهم نحو
نصفهم رماة، والآخرين بالجردي، وبعد أن سكن الحرب طفق الناس يتواثبون
على السلب، حتى أن رجلاً أخذ بندقين، فجاءه رجل، فسأله أن يعطيه،
فأبى فقتله، وأخذ البندقين فجاءه رجل آخر فقتله وأخذ البندقين. وحلت أكثر
الغنائم بيد أهل الأوهاد^(١) ولم يحصل بيد أهل الجبال إلا قليل، حتى أنهم
صاروا يستخفون بما أخذوه من أهل الأوهاد^(١)، خشية أن يفطنوا لذلك فيقاتلوا

(١١) سقطت من ع، م

عليه، لأنها قد تغيرت عقولهم عند رؤية الطمع.

ثم بعد انقضاء الحرب، أوصل المجاهدون بعض الرؤس والأسارى والمدفع إلى حضرة الإمام، فكان ذلك من أعظم الفتوح في الإسلام، الذي لم يُعهد مثله في سالف الأيام، وحينئذ خضعت العجم، ورجفت قلوبهم ودُهلت عقولهم مما قد ألم، وأيقنوا أن سلطان ملكهم قد انهدم، وبلغ خبر هذا الفتح المبين، وطار إلى جميع النواحي والأقطار، وسر بذلك المؤمنون، وأصبح المسودون في ليل همومهم يعمهون.

فتارة يكذبون بعدما كان، وأخرى يتوعدون أهل الإيمان.

وقال في ذلك الفقيه العلامة حسين بن أحمد العرشي حماه الله^(١):

[الطويل]

طَرِبْتُ ولي قلب عن اللّهُ عازِبُ
تُجاذِبُهُ الأَلحانُ كَيّ تستجيدُها
وصاحبتي^(١) في طول يومي وليتي
تَطَلَّبْتُهُ لَمَّا تَطَلَّبْتُ أَنْ أرى
وَجَرْتُ فوافاني على الصُّبْحِ مَطْلَعُ
وبرق سرى فاستاق سحباً ثَقِيلَةً
سقى عسكر العُجم الخبيثة صَوْبُهُ

سِوَاهُ لغيري حين تبنى المذاهبُ
سَجِيئُهُ والمنكرُ الشيءَ عائبُ
تُراجِعُ^(١) مجدداً حركته الدَّوالبُ
سُروراً أراه وخليلاً يُناسِبُ
أنازَ منارَ السدين فيه المغاربُ
لها رَجُلٌ قد صاحِبْتُهُ الحَواطبُ
منوناً وأولاها الطَّلا والمناكبُ

(١) انظر، أئمة اليمن، ٢١٩-٢٢٠

(١) في أئمة اليمن، ٢١٩، وصاحبي.

(٢) في أئمة اليمن، ٢١٩، تراجع مجد

(٣) في البيت خلل عروضي.

تُرَدُّهُ مِنْ شَمَالِ الْأَرْضِ شِمَالاً
تَصَبَّبَ حَتَّى مَا سَقَى بَطْنَ أَوْهَدٍ
/وَحَطَّ عَلَى الْأَتْرَاكِ مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ
غَدَاةً اشْتَرَتْ فِيهَا مِنْ اللَّهِ رَبِّهَا
لِيَوْمِ تَرَاءَى الْعِزُّ شَاباً وَخَاطِباً
وَطَالَ فَكَانَ الْيَوْمُ يَوْمًا عَصَبُصَبًا
فَلَمْ تَنْظُرِ الْأَتْرَاكِ إِلَّا رُؤُوسَهَا
هَنَّاكَ اسْتَبَاحَ السَّيْفُ كُلَّ مُجَمَّعٍ
وَمَا كَذَبَ الرَّاوُونَ إِنْ قَالَ كُلُّهُمْ
هَدَّتْ^(٣) نَحْوَهَا السَّاعُونَ كُلَّ غَضَنْفِرٍ
وَمَالَتْ عَلَى الْأَسْلَابِ وَالْأَسْرِ فَاحْتَوَتْ
وَعَدَّوْا إِلَى مَا فَوْقَ أَلْفِ بِنَادِقًا
وَمَا دَافَعَتْ عَنْ مَدْفَعٍ بِمَدْفَعٍ^(٤)
وَكَانَ نَهَارٌ فِيهِ لِلْقُرْبِ مَغْنَمٌ
يَتِيهِ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَمَكَّنَتْ
وَقَدْ كَانَ أُمُّ الْمَجْدِ قَبْلَ عَقِيمَةٍ
وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ فَأَصْبَحَتْ

هَنَّاكَ وَمِنْهُ لِلجَنُوبِ جَوَانِبُ
مَنْ الدَّارِ إِلَّا وَالجِبَالِ الصَّبَائِبُ^(١)
مَنَايَا لَعَمْرِي وَافْتَقَتْهَا الْمَآرِبُ ١٥٦
فَخَارًا بَنُو جَلِّ هَنَّاكَ وَحَارِبُوا
عَلَى مَنَبَرٍ مِنْ تَحْتِهِ الذُّلُّ شَائِبُ
عَلَى قَيْدِ رَمَحٍ فِي مَنَاةَ^(٢) الْعَجَائِبُ
تُجَرُّ وَقَدْ دَارَتْ عَلَيْهَا النَّوَابِ
ضُرِيٍّ وَجَاشَتْ بِالْمَنُونِ السَّحَائِبُ
لَقَدْ أَلْفَتْ قَتْلَاهُمْ أَوْ تُقَارِبُ
هَزْبِرٍ حَمَاهُ ظَفْرُهُ وَالْمَخَالِبُ
عَلَى ذَاكَ حَتَّى فِي النُّضَارِ الْكَوَاعِبُ
حَكَّتْهَا الْمَعَالِي وَاقْتَضَتْهَا الْمَحَاسِبُ
وَمَنْ أَيْنَ يَذْرِي الدَّفْعُ مَنْ هُوَ هَارِبُ
حَوْتُهُ وَعِنْدَ الْأَعْجَمِينَ مَصَائِبُ
عَوَالِيهِ وَاسْتَرَّتْ هَنَّاكَ الْمَضَارِبُ
زَمَانًا وَلَكِنْ أَوْلَدَتْهَا الْقَوَاضِبُ
رُؤُوسُ الْأَعَادِي قَدْ طَوَّتْهَا الْمَعَاظِبُ

(١) فِي أئِمَّةِ الْيَمَنِ، ٢١٩، الصَّبَائِبُ

(٢) فِي أئِمَّةِ، ٢١٩، مَدَاهُ

(٣) فِي أئِمَّةِ الْيَمَنِ، ٢٢٠، غَدَتْ

(٤) فِي أئِمَّةِ الْيَمَنِ، مَدْفَعٌ بَعْدَ مَدْفَعٍ

إليه كما تمشي الجياد الشواذب
 مساعير حرب حين تخفي الحوارب
 توالى لعز لا يطأه المغالب
 وخيران في هذا الحديث مراتب
 بحزم وعزم في ربا العز راسب
 عرتها وقد دارت عليها العصاب
 قول له مجد وهم مناسب
 أخو كل فخر حين تدعى الأقارب
 ليوث وغى قد حنكتها التجارب
 يقول وأولى الناس هذا المواب
 مواردهم هذا وهذا المشارب
 فعند هداه للمضلين جاذب
 وفي جيدها نجم من العز ثاقب
 فتاهت ونادت أي فجر أصحاب
 لطلح وقت أو لما هو غارب
 إذا شاهد أعمى عليه وكتاب
 أضل ومن أبعاض تلك المواهب
 تتابعه ما عاهد الله تائب

فليله هاتيك الرجال التي مشت
 بنو يعرب من حي همدان فتية
 ومن حكم أعني ابن سعد عصابة
 وإن شئت فصننا فقلنا لأفلح
 وقد صاحبت حجر هناك وأسلم
 وما لبني خولي إلا سماحة
 يقودهم من سادة العزم سيد
 سليل أمير المؤمنين محمد
 ومن حي (1) عدنان لديه وهاشم
 أولئك إذا ما عدأ المجد أهله
 وعن رأي مولانا الإمام محمد
 إمام إذا ما الظلم أرخى سدوله
 تحلت به الأيام حتى لقد غدت
 رأته الليالي وهو إكليل تاجها
 وجل لدى الإنصاف تعداد وصفه
 وصاحبته والعين لا تنكر الضحي
 ووعدني مذحي له كل غاية
 وآليت لا تنفك رايأ لرائه (1)

(1) حي: هو تعبير شائع في المخطوطات والوثائق اليمنية، وتعني حياة، انظر، وثائق

وصبَّرتُ نفسي كلَّ ما مرَّ عاذلُ
ولما رأني قلتُ للصبِّرِ مرحباً
وقالَ لسانُ الحالِ والحالُ بيُّنُ
ووقتاً أقامَ الليلَ في رتبةِ الضُّحى
وحيناً به قد عرَّفَ المرءُ نفسَهُ
وفي الناسِ أصحابٌ وفي الناسِ مُصحبٌ
ولستُ أبالي بعدَ أن صاحبتُ يدي
وأحسبُهُ منجاةً يومي وعدَّتِي
أقولُ وهذا القولُ يبقى مؤرخاً
وأنتَ الذي استودعتَ كلَّ كريمةٍ
وختَمُ كلامي أن أقولَ متمماً

وذو شنينٍ مرَّ أو مرَّ عاتبُ
قراه فنادتُني اليه المراحِبُ
لحا الله أقواماً عن العُرفِ جانبوا
عياناً وأمتتَهُ الظَّنونُ الكواذبُ
إلى أهله واستنكرتَهُ الأجانِبُ
وفيهم ذيابٌ مرَّةً وعقاربُ
- على رأي حَظي فيه - ما لا يجانبُ
ليومٍ قيامي حينَ تبلى المكاسبُ
إلى كلِّ مجدٍ دونك اليومَ جانبُ
علتُ وبك الذُّكْرُ الجميلُ المراقِبُ
عليك سلامٌ ما تدورُ الكواكبُ

/ثم إن أحمد فيضي بعد هذه الواقعة صار يكاتبُ السلطانَ، ويعرفُهُ بما ت، ب
وقَعَ من العربِ، وما نزلَ بالعسكرِ من القتلِ والنهبِ والهوانِ.

وبعد هذه الواقعة، عاد سيفُ الإسلامِ إلى القاهرةِ من الشرفِ الأعلى،
وكانَ قد استنفرَ الناسَ للغارةِ قبلَ الواقعةِ، فأبطأتُ حجور الشامِ، فلم يوافوه
إلا في القاهرةِ، وقد تمَّ الكلامُ وحصلَ بحمدِ الله المرامِ.

ومن بعدها تشاورَ المجاهدونَ، وسيفَ الإسلامِ بأن يغزوا الشاهلَ
لاستئصالِ مَنْ بقي فيه من حزبِ الباطلِ، وكان فيه للعجمِ قشلتان(1)،

(1) قشلة: ثكنة عسكرية (قشلاق).

إحداهما شرقيه، فتقدّم سيفُ الإسلامِ بِمَنْ معه، وكانوا نحوَ ثلاثِ مئةٍ، فما بلغَ إلى الشاهلِ، الأوهم نحوَ الألفِ أو يزيدون.

فلما وصلَ سيفُ الإسلامِ إلى الشاهلِ رَحِبَ به مَنْ فيه من السادةِ الأفاضلِ، وفتحوا بيوتهم لكلِّ نازلٍ إلا رجلاً منهم يسمى عبيد الله بنَ حسينِ شيخٍ، فإنه من أعوانِ العجمِ، قد عَضَّ على وُدِّهم بالنواجذِ والضمِّ. فإنه لما دخلَ سيفُ الإسلامِ، بادرَ حسينِ شيخَ المذكورِ إلى رميِ المجاهدينِ، فقتلَ منهم رجلينِ، وقُتِلَ هو وأُخِذَ بيتهُ، وهربَ والدُّه ودخلَ مع العجمِ، وبعدَ ذلك خرجَ مؤمناً إلى سيفِ الإسلامِ، وبعدَ ذلك ظهرتْ منه خياناتٌ وجنایاتٌ أوجبتْ حُبْسَهُ، فحُبِسَ وأرْسِلَ إلى مقامِ الإمامِ عليه السلامِ.

ثم إنها تبادرتِ الرجالُ وتوالتِ الأبطالُ إلى حطامِ مَنْ بقيَ في القشلةِ الشرقية من العجمِ الأندالِ. وكانَ إلى جانبها بركة ماء، فغيرها المجاهدون بالبارودِ والذخيرة وحالوا فيما بينَ القشلةِ وبينها. وفي القشلةِ خمسةٌ وعشرون رجلاً فضايقوهم مضايقةً شديدةً. وكانت العجمُ قد حفرتْ نقباً من القشلةِ إلى البركةِ، فهدمه المجاهدون، فتعذَّرَ إليه الوصولُ:

ثم لم يزلِ الحربُ في كلِّ يومٍ حتى تسوَّروا عليهم الحائطُ الذي إلى بابِ القشلةِ، وفيه آنيةٌ نحاسٍ قد ملؤها ماءً، الواحدُ منها يسعُ ألفَ رطلٍ، فرمى المجاهدون تلك الآنيةَ حتى ثقبها الرصاصُ، وانفجرتْ إلى الأرضِ، ولم يبقَ فيها شيءٌ. وهذا كلُّه، وقد كثرَ القتلُ والجروحاتُ في المجاهدينِ؛ لأنهم كانوا يريدون أن يَنْقُبوا القلعةَ، ويدخلوا عنوةً، وكانت العجمُ الذين في القشلةِ، كلِّما أحسَّوا بذلك، رموا المجاهدينِ بالقنابرِ حتى كثرَ الجرحى، وعادَ

الناس إلى الحصار، حتى نال العجم الاضطرار. وبعد ذلك نادوا بالخروج فوثب عليهم العرب فقتلوا أكثرهم وأمنوا الباقين، وأوصلوهم حضرة الإمام، عليه السلام - وقبضوا القشلة، وأخذوا ما فيها.

وهذا ما وصل إلى راقم هذه السيرة من الوقائع الخطيرة على جهة التحقيق واليقين من دون كذب ولا تخمين. وبقي وقائع في الجهة الأنسية لا بد أن نلحقها في كراسٍ مستقل كما أخذ ذلك مفصلاً من عده ممن شاهد ذلك، منهم: الشيخ عبدالله بن علي راجح وابنه الشيخ عزيز بن عبدالله وغيرهم، وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

نعم، بقي مما ينبغي أن يُذكر، وتجري بذكره أعنة الأقلام ويُسطر، وهو ما وقع من الوقائع الخاصة في بعض أعوان العجم الذين هم أعق منهم وأظلم، وما يلحق بذلك من إحراق بعض بيوتهم بالبارود، فلقد حصلت بذلك النكاية العظيمة، وتكررت من أجل ذلك الأحوال المستقيمة، ونزل بهم من الخوف ما لا يُقَادُ قدره حتى ادعى التشيع من هو خلي عنه بالمرّة.

فمن ما جرى ولم أعرف في أي شهر كان، قتل الفاسق المرتد^(١) ابن قنُبع، وذلك أنه وصل إلى حضرة الإمام، عليه السلام - مظهراً التوبة والرجوع عن الآثام، وكان من أعوان العجم اللثام فبقي / في المقام الشريف مرابطاً مدّة.

ثم لما وقع الجهاد في جبل اللوز، أخذ بندقاً من بنادق بيت المال

(١) سقط من ع

وهرب راجعاً إلى خدمة العجم متمدحاً بما صنعه من الفعل الألوم، ولم يعلم أن الطالب حثيث، وأن نقض العهد من أخبث الخبيث.

فلم يزل الإمام عليه السلام يُرسل إليه من يذيقه طعم الحمام حتى أظفره الله عليه في بعض الليالي العظام من ليالي شهر رمضان، فبرز إليه بعض السادة الكرام محمد بن عبدالله بن الإمام، وهو في السوق خائفاً يترقب، لأنه قد علم بشدة الطلب، فلما تمكن منه السيد المذكور طعنه طعنة ألحقت بأصحاب القبور، ومر كأن لم يكن له بذلك شعور، فوقع ذلك أشد موقع عند العجم وأعوانهم، ومن ذلك أن السيد المذكور، وكان من الفتاك الذين لا يهابون الدخول في عظام الأمور، أخذ باروتا وأدخله إلى بيت الحكومة في صنعاء، البيت المعروف، وكان إدخاله نهراً ثم أعلقه بذريعة، ففرح الباروت المذكور حتى هض الدار المذكورة لكن لم يضر أحداً، إلا أنه حصل مع العجم حاصل عظيم، ونزل بهم المقعد المقيم، ومن ذلك أن الإمام، حفظه الله، أرسل جماعة إلى مدينة يريم لإحراق بيت الحكومة، فوضعوا البارود وأعلقوه، وذهب نحو ثلثه من الجهة العدنية، إلا أنه لم يكن فيه أحد، ومن ذلك أن الشقي ابن الشقي، الشيطان محمد بن محمد جغمان، لما صدر منه التفوه في جانب الإمام السوي، والنصب العظيم في جناب^(١) أهل البيت النبوي، وإظهار المحبة للعجم، والمعاونة لهم باللسان والقلم، حتى ران على قلبه، واستولى الشيطان والهوى على عقله ولبيبه. كل ذلك في محبة الدنيا الدنية، والتعب لحطامها الذي يابأه أهل الحرية. فلما

(١) في م، جانب

تمادى في طغيانه، وأطاع أمر شيطانه، أرسل إليه الإمام - عليه السلام - من ينزل به الانتقام ويذيقه غب ما صنع من الإجرام، فدخل عليه بعض السادة الكرام وهو يتوضأ في المطهر، وطعنه ثلاث طعنات كادت أن تعرض روحه على النار. إلا أن في سابق الأقدار حكمة تقضي ببقائه، فاعتبروا يا أولي الأبصار!، فبعد أن طعن، صاح وتيقن الهلاك، فحمل إلى بيته، وبقي مدة مريضاً من تلك الجراح، وخولط عقله من الجبن، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفاة السيد العلامة عماد الدين، ونجمه الزاهر، يحيى بن قاسم عامر (1).

وفي هذه السنة، كانت وفاة السيد العلامة الجهادي، عماد الإسلام، وركن الفضل، الشامخ الذي لا يرام، من فاق الأوائل والأواخر، السيد يحيى ابن قاسم عامر. وكان ابتداء مرضه في المقام الشريف بقفلة عذر، ثم نُقل مريضاً إلى وطنه جبل الأهنوم، وكان السيد المذكور من رجال الدنيا والآخرة، من أركان الأئمة باذلاً في نصيحهم الهمة، ناصحاً أولاً مع الإمام المتوكل على الله، المحسن بن أحمد - عليه السلام - وبعد وفاته لازم الإمام

(1) يحيى بن قاسم بن إبراهيم من نسل السيد الشهيد عامر بن علي بن محمد الحسيني الأهنومي، ولد بالأهنوم حوالي سنة ١٢٥٠هـ، ورحل في طلب العلم، بايع الإمام المتوكل المحسن بن أحمد، وكان من أعيان أعوانه، ولي له بلاد حجور، وكان من أعوان الهادي شرف الدين بن محمد الحسيني، ومن تبع الإمام المنصور بالله، كان كاتباً قديراً توفي في قرية الراس من جبل الأهنوم، انظر: أئمة اليمن، ٢/٢٣٣.

الهادي، عليه السلام، وبذل النصيحة، ثم الإمام المنصور - عليه السلام -
وكان عارفاً بالعلوم، خبيراً بأُمورِ الناس.

ولقد سمعتُ الإمامَ - عليه السلام - كثيراً ما يثني عليه، وأنه ما رأى مثله
في مراجعةِ الإمامِ، وبذلِ النصيحةِ للخاصِّ والعام، رحمه الله.

وقد كانَ شرعاً في سيرةِ مولانا الإمامِ المنصورِ بالله، عليه السلام، ولقد
أولَدَ فَأَنْجَبَ السَّيِّدَ العَلامَةَ مُحَمَّدَ بْنَ يحيى، وهو الآنَ عاملُ الإمامِ في
خَولان، وأوَّلَ ولايَتِهِ في أيامِ والدِهِ، ثم استدامَ ذلك، وابنهُ السَّيِّدَ العَلامَةَ ذا
الفهمِ الثاقبِ، والفكرِ الصائبِ، صفيِّ الإسلامِ، أحمدَ بْنَ يحيى، أبقاهما
الله، فَمَنْ خَلَفَ مثلَهُما ما ماتَ، وما ماتَ مَنْ كانت بقاياهُ مثلَهُما.

٥٧ب /ومن الأشعارِ التي لها تعلقٌ بما مضى من الوقائع، ما قاله بعضهم في
وقعةِ الظفير، وهي:

[الطويل]

بِصَدَمَاتِ أَهْلِ الفَتكِ بالقتلِ والأسْرِ
بِاثْنينِ وَعَشرينِ شَعبانَ فاستقرَّ (١)
سِوَى الدارِئِ المَشهورِ في فَتْكِ ذِي الكَفْرِ
مناكِرُ لا تُحصى بِعَدِّ ولا حَصرِ
بحصنِ الظفيرِ الشامخِ العالِيِ الوَعْرِ
يريدوا. دخولاً لذوي البطشِ والقهرِ (٢)

أهلٌ قَدْ سَمِعْتُمْ يا ذوي البأسِ والصَّبْرِ
بحصنِ ظفيرِ يومِ الاثنينِ وقعةً
بملحمةٍ ما قد أتتْ في زمانِنا
وذاكُ بِأبناءِ العُلوجِ الَّذي لَهُم
وذاكُ بأنَّ العِلجِ حاطوا جَميعُهُم
أحاطوا على حصنِ الظفيرِ وَمَنْ بِهِ

(٢) في البيت خلل عروضي.

(١) في البيت خلل عروضي.

وفيه من الأنصارِ كلُّ سَمِيدِعٍ
وعاملِ مولانا وبهجةٍ عصرينا
وذاك الشريفُ الماجدُ القرنُ في الملا
وسيفُ إمامٍ ، ناصرِ العدلِ ذي التقى
ومَنْ هو في تلكِ الملاجمِ سَيِّدُ
سليلُ رسولِ اللهِ وابنُ رسوله
ضياءُ الهدى لُطفُ الإلهِ الذي سرى
أحاطوا به شرقاً وشاماً ومغرباً
وأحموا لظيَّ حربٍ تهْدُ ذوي القوي
وشارتِ جليلاً المدافعِ مثل ما
خلى من شيشخان فلم يُحصِ حصرها
يهولُ بها أهلُ الشجاعةِ والنهي
وقد فرّقوا تلكَ الطوائفِ تقدّموا
وصالتُ أسودُ الغابِ أنصارُ مالكي
أتاهمُ عذابُ اللهِ بأيدي فواتك
فإخْتَطَقَتْ^(٤) أرواحهم من صدورهم
حوالي ظفيرِ العلمِ والدينِ والهدى

ليوثُ بني الهيجا بمصطلمِ الشرِ
إمامُ الوري المنصورُ بالرعبِ والنصرِ
سليلُ أولي التّقوى وذو العلمِ والصبرِ
وأعني بهذا لُطفَ ساري ضيا البُدري
نجيبُ^(١) بني الزهراءِ مِنْ أَحْمَدِ الطهرِ
المؤيدِ يحيى ابن حمزة ذي الفخر^(٢)
على الزُمرةِ الأخيارِ جتُّهم تجري
وَمِنْ يَمَنِ لَقَوْا به . . الخزي^(٣)
وكان ابتداها قبل ضحضةِ الفجرِ
سوابلُ غيثٍ مثل أنصارِ ذي صبرِ
ولا عُدّها من أهلِ بدوٍ ولا حَضرِ
بذي البُعدِ ما ظنك بمُصطلمِ وعِ
محيطون بالحربِ العوانِ الذي يغري
عليهم كعقبانٍ على ملا الطيرِ
ليوثُ بني الدنيا وأسدِ بني العصرِ
فصاروا كأجداعِ بذي مَهْمِه قفِرِ
وطيبةِ أبناءِ النبيِّ محكمِ الذكرِ

(١) في م ، مجيب

(٢) فيه خلل عروضي

(٣) بياض في الأصل

(٤) الهمزة للضرورة الشعرية.

إمام الهدى المهدي لدين محمد
فما أغنت مدافعهم ولا قوة لهم
فقد حصدوهم حصد زرع مروع
وقد نقلوا منهم غنائم جبدا
غنائم لا تحصى مؤاتين أجلبت
وكم عسجد نالوه منهم ذوي التقى
/ وكم من رؤوس قطعت ليناعها
وتلك كرامات الإمام وليهم
وبالرأي والتدبير والحزم دائماً
إمام الهدى المنصور أفضل من نشا
إمام الرضا واليمن والفوز والمنى
إمام الفخامة والزعامة والذي
إمام المعالي والعوالي والضيا
إمام البرايا، سيد الناس كلهم
إمام العطايا والسجايا التي بها
إمام السرايا والمغازي التي بها
إمام جهاد واجتهاد ومنعة
إمام ومن نسل الإمام أصله
إمام له كل الكرامات تعتزي

١٥٨

وسبب له المتوكل العدل ذي الأمر^(١)
لذي قوة القهار ذي البطش والقهر
بجند جراد مهلك الزرع والأرز
غنائم ذي فسق وظلم وذي كفر
لها الكافرون الظالمون ذوي الفجر^(٢)
وكم ورق حازوه وكم درر تبر^(٣)
بيض جرت في كل أعضائهم تفري
وموسعهم بالجند والمال والوفر
بحشدهم بالباس والفتك والصبر
مجرد سيف الحق والنهي والأمر
بقتل الأعداء سل بها كل ذي قطر
له الله بالتأييد كافل النضر
إمام المواضي والمثقة السمر
إمام السخا والجود والبذل والبر
صلاح جميع الناس في البر والبحر
هلاك جميع العالج في كل ذي شهر
وقوة جاش عند قاصمة الظهر
إمام ومن نسل النبوة والفخر
بذا شهدوا أهل الفضائل والذكر

(١) فيه خلل عروضي

(٢) فيه خلل نحوي

(٣) فيه خلل نحوي عروضي.

وَأَبَاؤُهُ الْغُرُّ الْأَثَمَّةُ كُلُّهُمْ
وَمَنْ جَاهَدَ الْأَتْرَاكَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
كَذَا ابْنُهُ أَعْنِي الْمُؤَيَّدَ وَالَّذِي
وَصِنَوَاهُ سَيْفَاهُ عَلَى كَافَةِ الْعِدَا
وَمَنْ شَمِرَا لَلَّهِ تَشْمِيرَ سَاهِمٍ
وَمَنْ أَرَعَمَا أَنْفَاً^(١) عُلَجَ نَوَاكِسٍ
وَمَنْ أَخْرَجَاهُمْ مِنْ بِلَادِ ذَوِي التَّقَى
لَحْتَى لَقَدْ قَالَا مَقَالَاتٍ مُفْصَّحٍ
هُمَا الْحَسَنَانِ الرَّكَبَانِ كِلَاهُمَا
أَوْلَاكَ أَبَاءُ الْإِمَامِ وَلَيْنَا
فِيهِنَاكُمْ جَنَدَ الظَّفِيرِ بِجَنَّةٍ
فِيهِنَاكُمْ الْفَخْرُ الْجَمِيلُ وَجَنَّةٌ
وَيَهْنَاكُمْ الْمَجْدُ الْأَثِيلُ فَذَكَرْكُمْ
تَعَطَّرَتِ الدُّنْيَا بِعَنْبَرِ ذِكْرِكُمْ
فَأَوْصِيكُمْ تَقْوَى الْإِلَهِ وَحُبَّهُ
وَحُبَّ ذَوِي الْقُرْبَى وَعْتَرَةَ أَحْمَدٍ
وِطَاعَتَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَسَاعَةٍ
وَشَدَّوْا وَإِشْتَدَّوْا^(٢) كَحَرْبِ الَّذِي مَضَى
وَجَدَّوْا وَصُولُوا وَاصْبِرُوا فِي مَلَاجِمٍ
يَزِدُّكُمْ إِلَهِي قُوَّةً بَعْدَ قُوَّةٍ

مِنَ الْقَاسِمِ الْمَنْصُورِ ذِي النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
وَأَحْصَدَهُمْ قِتْلًا وَأَسْرًا مَعَ الْأَسْرِ
نَفَاهُمْ وَأَجْلَاهُمْ مَنِ الْيَمَنِ الطُّهْرِ
وَمَنْ جَاهَدَاهُ فِي اللَّهِ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
لَقَتْلِ بَنِي الطَّغْيَانِ مَرْتَكِبِي الْوُزْرِ
وَمَنْ طَرَدَا تِلْكَ الطَّوَائِفُ ذَوِي الْكُفْرِ
مَنْ الْيَمَنِ الْمَيْمُونِ قَهْرًا عَلَى قَهْرِي
أَلَا اشْهَدُ لَنَا يَا بَحْرًا إِنَّا أَوْلُو النَّصْرِ^(١)
مُشِيدَا بِنْيَانِ الدِّيَانَةِ وَالذِّكْرِ^(٢)
وَأَوْلَى جَمِيعِ النَّاسِ لَيْثِ بَنِي الطُّهْرِ
فَوَاكُحُهَا تُمْرِي وَأَنْهَارُهَا تَجْرِي
بِهَا مَا تُرِيدُ النَّفْسُ مِنْ كُلِّ مَا تَطْوِي
لَقَدْ فَاحَ مِسْكَاً يَا ذَوِي النَّاسِ وَالصَّبْرِ
وَمِسْكَ مَعَالِيكُمْ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ
وَحَبَّ رَسُولِ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ
وَقَائِمُهُمْ مِنْ حُبِّهِ مُنْتَهَى الدُّخْرِ
وَخِدْمَتِهِ فِيمَا يَشَاءُ يَا ذَوِي الْفَخْرِ
مَعَ الْقَائِمِ الْمَنْصُورِ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
وَلَا تَهِنُوا مِنْ حَرْبِ أَهْلِ ذَوِي النُّكْرِ
بِهَا غَايَةٌ بِالْفَتْحِ وَالْفَخْرِ وَالنَّصْرِ

(٣) الهمزة للضرورة الشعرية.

(٢) في البيت خلل عروضي.

(١) في البيت خلل نحوي وعروضي.

وَيُعْطِكُم التَّائِيْدَ وَالنَّصْرَ وَالرُّضْيَ
 وَقَدْ اقْتَدَيْتُمْ يَا ذَوِي الْحِلْمِ وَالْحِجَا
 بِصَدْمَةِ أَنْصَارٍ بِرَأْيِ إِمَامِنَا
 عَلَوْهُمْ وَوَأْفَى رَأْسُ بَاشَا جَمْعَهُمْ
 وَفِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ الْعَبُوسِ عَلَيْهِمْ
 / وَبِرْقُ قِتَالٍ أَرْسَلَ الْمَوْتُ نَحْوَهُمْ
 وَشَدَّوْا لِيُوْثَ الْحَرْبِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
 وَجَدَّوْا إِلَيْهِمْ مُسْرِعِينَ بِبِأْسِهِمْ
 وَظَلُّوا مِنَ الْبَارُوتِ مَا أَظْلَمَ الْهَوَا
 لِحَتَّى التَّقَى الْجَمْعَانِ فِي مَهْمِهِ الْبِلَا
 وَمَاتَتْ طَيُورٌ مِنْ رِصَاصِ بِنَادِقِ
 وَأُحْرِقَتْ الْأَشْجَارُ مِنْ كَثْرِ رَمِيهِمْ
 وَتَسْمَعُهَا كَالرَّعْدِ فِي الْجَوِّ وَالْهَوَا
 فَأَفْنُوهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ وَرَبْوَةٍ
 وَإِقْتَطَعَتْ مِنْهُمْ رُؤُوسٌ وَأَرْجُلٌ
 وَقَدْ شَبَعَتْ مِنْهُمْ وَحُوشٌ وَقَدْ تَوَتْ
 عَكُوفٌ عَلَيْهِمْ ذَائِبَاتٌ رَوَاتِعُ
 عَلَى يَدِ مَوْلَى النَّاسِ أَعْنِي إِمَامِنَا
 إِمَامُ الْهُدَى، شَمْسُ الضُّحَى، جَاسِمُ الْعَدَا
 أَتَتْ عِنْدَهُ رُؤُوسُ الْأَعَاجِمِ عَنْ يَدِ
 وَذَلِكَ بِنَصْرِ ابْنِ الْإِمَامِ إِمَامِنَا

ب ٥٨

وَيَمْنَحُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ مُعْظَمَ الْأَجْرِ
 بِحَصْدِكُمْ أَهْلَ الْخِيَانَةِ وَالْوَزْرِ
 ذَوِي الشَّرْفِ السَّامِي فَأَفْعَالُهُمْ تَمْرِي
 (مُحَمَّدُ الْعَارِفُ) إِلَى مَوْضِعِ الْحَجْرِ
 كَسَفْحِ قَفِيلٍ صَالَ فِيهِمْ ذُوو الصَّبْرِ
 صَوَاعِقَ مَوْتٍ لَمْ تَنْزُرْ فَاسْقًا يَجْرِي
 تُنَاوِشُهُمْ بِالشَّيْخَانِ وَبِالْبَتْرِ
 وَقَدْ أَلْجَمُوهُمْ بِالْبِنَادِقِ فِي الْقَفْرِ
 عَلَيْهِمْ وَعَمَّ الشَّمْسُ جَرْمٌ مِنَ الْعَبْرِ
 فَأَزَوُوا جَنَائِنَهُمْ دَمًا بَعْدَمَا يَقْرِي
 وَأَفَاتِ حَيَاتٍ وَحَنْشَانِ ذِي الْبَرِّ
 وَأَظْلَمَتْ الْأَرْجَاءُ مِنْ عَتَرِ الْقَفْرِ
 رَعُودَ رِمَاةِ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ الْحَشْرِ
 وَسَهْلٍ وَحَزْنٍ فِي الْقَفِيلِ بِلَا فَخْرِ
 وَاعْتَنَمَتْ مِنْهُ دَقِيقٌ مَعَ الْبُرِّ
 عَلَيْهِمْ نَسُورُ الْأَرْضِ شَهْرًا مَعَ الشَّهْرِ
 نَوَاعِمٌ مِنْ أَكْلِ الْبُطُونِ مَعَ الظَّهِرِ
 مُحَمَّدًا الْمَوْسُومَ بِالْبَاسِ وَالصَّبْرِ
 أَمِيرُ الْوَرَى بِحَرِّ الْقِرَى وَلِذِ الطَّهِرِ
 بِأَيْدِي أَنْصَارٍ مَوَاقِفُهُمْ تُعْرِي
 مُحَمَّدِ الْمَنْصُورِ مَوْلَى بَنِي الْعَصْرِ

وهذا له سببٌ وسيفٌ وذابِلٌ
طريقةُ آباءٍ له بهم اقتدى^(١)
عليهم سلامُ الله ما سجّدتْ لهم
وصلّ على طه الشفيعِ وآله

ومنصورٌ حقّ في جهادِ ذوي البكرِ
ويا نعمَ آباءٍ ويا نعمَ ذو البدرِ
صوارمٌ حقّ في نُحورِ ذوي الكفرِ
مُحمّدٍ المختارِ والآلِ ذي الذكرِ

تمت القصيدة، وفيها ما لا يخفى، وإنما ذكرناها لشرف من قيلت فيه.

وللسيد العلامة إسماعيل المرتضى المخطوري، عافاه الله، مقدمة إلى

الحضرة الشريفة:

[الوافر]

وَفَوْقَ الْقُطْبِ طَالَ عَلَاكَ فَخْرًا
جَهَارًا عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ نَشْرًا
عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ وَزَادَ فَخْرًا
كَوَسْعِ الْأَرْضِ بَرًّا ثُمَّ بَحْرًا
شَرِيفًا ثُمَّ عَبْدًا ثُمَّ حُرًّا
ثُمَّ نَزْرًا وَلَنْ تَجِدَنَّ أَزْرًا
ضَ مَا حُمِّلْتَ لَا يَجِدُونَ صَبْرًا
وَقَدْ أَحْكَمْتَهَا رَأْسًا وَصَدْرًا
مُذَلَّلَةً تَطَأُ بَطْنًا وَظَهْرًا^(٢)
فَهَذَا يُعَلِّي الْمَشْهُورَ ذِكْرًا
وَذَا ابْنَ الرِّسَالَةِ تُهَتَّ فَخْرًا

عَلَى هَامِ السَّمَاءِ سَمَوْتَ قَدْرًا
وَقَدْ نَشَرَ الْإِلَهَ لَكَ الْمَعَالِي
وَضَاءَ بَكَ الْفَخْرَ ضِيَاءَ نَوْرِ
وَقَدْ شَرَحَ الْإِلَهَ لَكُمْ صُدُورًا
كَذَا وَسَعَتْ أُمُورَ النَّاسِ كُلًّا
وَصَيَّرْتَ الْجِهَادَ وَحَمَلَ أَعْبَا
وَلَوْ أَنَّ الْخَلَائِقَ حُمِّلُوا بَعْدَ
تَحَمُّلَتِ الْخِلَافَةَ يَا ابْنَ طَه
وَيَعْدُ دَنْتَ إِلَيْكَ بِحُسْنِ دَلٍّ
وَصَاحَتْ مِلءٌ شِدْقَيْهَا وَقَالَتْ
فَذَا ابْنَ النَّبُوءَةِ يَا أَنْسَاءَ

(١) في م، اقتدي

(٢) السكون في (تطأ) للضرورة الشعرية.

وذا ابنُ الإمامةِ وهو أولى
 أقامَ بفرضها وحمى حماها
 ومنذُ نشادَها للمعالي
 / هَلُمَّ بِفَتْكِ أَهْلِ الْجَوْرِ فَتَكَا
 ونوردُهُم حِيَاضَ الْمَوْتِ هَلَكَا
 نُجَرِّعُهُمْ بِكَاسَاتِ الْمَنَايَا
 أَجَابَتْهُ لَذَلِكَ وَهِيَ تَجْرِي
 وَتَحْلِفُ أَنْ مَا بِهِ فِي الْبِرَايَا
 فَبَتْ جِيوشُهُ فِي كُلِّ قَطْرِ
 وَمِنْ كُلِّ الْكِفَايَةِ قَدْ أَتَاهُمْ
 وَقَالَ عَلَيْكُمْ بِالضَّرْبِ فَيَمَنْ
 وَجَدُوا فِي نِكَالِهِمْ بَطْعِينَ
 وَكَانَ مَرَاكِزُ الْأَنْصَارِ مِنْ مَا
 فِي الشَّرْقِ الشَّرِيفِ وَفِي ظَفِيرِ
 وَكَمْ مِنْ غَارَةٍ يُرْسَلُ بِهَا فِي
 وَكَمْ غَزَوَاتٍ تَسْرَعُ فِي نِكَالِ
 فَأَوَّلُ صَدْمَةٍ فِي التَّرِكِ كَانَتْ
 بِمَوْضِعِ اسْمِهِ الدَّارِي ذَرُوهُمْ
 يَزِيدُ عَلَى الْمَائِيْنَ الْقَتْلُ فِيهِمْ
 وَيَوْمَ بِالْقَفِيلِ غَدَاوا جُزُورَا
 وَكَمْ وَقَعَاتٍ لَا تَحْصِي عَلَيْهِمْ

١٥٩

بِهَا فِي النَّاسِ عَضْرًا ثُمَّ عَضْرَا
 وَشَيْدَ رُكْنَهَا وَأَقَامَ نَضْرَا
 وَقَالَ لَهَا فَلَنْ تَجِدِينَ عُدْرَا
 فَهَلِكُهُمْ فَمَا أَهْنَى وَأَمْرَا
 وَنَسَبِي مُلْكُهُمْ لِلَّهِ قَسْرَا
 وَنُكْرِعُهُمْ بِهَا غَضْبًا وَقَهْرَا
 شَرِيعًا كَالْعُرُوسِ تَبِيَهُ فَخْرَا
 أَسَاقَ لَهَا مِنَ الْأَصْدَاقِ مَهْرَا
 وَأَوْسَعَهُمْ مِنَ الْآلَاتِ شَطْرَا
 بِمَا يُغْنِيهِمْ عَبْدًا وَحُرًّا
 عَصَى الْبَارِي وَقَدْ إِزْدَادَتْ كُفْرَا
 يَرَوْنَ بِهِ الْهَلَاكَ ضَحِيًّا وَظَهْرَا
 لَكِي لَا يُحْتَصِي عَدَاً وَحَصْرَا
 وَنَجْرَةَ وَالشَّغَادِرِ قَوْمِ حَمْرَا
 صِيْمَمِ الْعِزْمِ لِلطَّاعِينَ تَتْرَى
 لِعِلْجِ الرُّومِ لَا يَجِدُونَ أَرْزَا
 بِبِلْدَةِ شَاهِلِ قَتْلًا وَأَسْرَا
 حَصِيدًا مُنْثَرَا شَفْعًا وَوَتْرَا
 وَأَمَّا الْأَسْرُ لَا أَسْطِيعُ حَضْرَا
 لَوْحَشِ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْهُ شَهْرَا
 بِهَا لَهُمُ الْهَلَاكُ عِشَاءً وَفَجْرَا

وفي حصنِ الظفيرِ جَرَتْ عليهم
فكانَ بها الهلاكُ لقومِ سوءِ
وكم قتلٍ وكم أسيرٍ ونهبِ
وذا بسرائرِ المولى الذي قد
أميرُ المؤمنينِ وخيرُ داعِ
أميرُ المؤمنينِ وخيرُ هادِ
أميرُ المؤمنينِ إمامٌ حقٌّ
إمامٌ لا يُقاسُ بهِ إمامٌ
إمامٌ سلَّ سيفَ الحقِّ يفري
إمامٌ هدىً وآدابٍ وعِلْمِ
إمامٌ ملاحمٍ وإمامٌ فتكٍ
إمامٌ معاركٍ وإمامٌ بأسِ
إذا نُشِرتْ بيارِقُهُ خُفوقاً
إمامٌ مكارمٍ وإمامٌ جودِ
إمامٌ شمائلٍ ما الرُّوضُ يحكي
إمامٌ عزيمةٍ خُلقتْ لمجدِ
إمامٌ فضائلٍ وإمامٌ فضلِ
إمامٌ همُّهُ مَلَأَ البسيطةَ

ملاحِمُ من جنودِ الحقِّ تَترى
تَعَدُّوا في حدودِ اللهِ جَهرا
وكم أنفِالِ حازوها وفخرا
حباهُ اللهُ تأييداً ونَفرا
دعانا لِلجهادِ جَزاهُ أجرا
إلى أحيا كتابِ اللهِ طُرا
دعا اللهُ إعلاناً وجَهرا
وقَد رَفَعَ المُهَيِّمِْنُ مِنْهُ قَدرا
مِنِ الأعداِ بذلكِ كُلاً وظَهرا^(١)
وحلمٍ واسعٍ وقَري وأقرا
لأهلِ الظلمِ لا يجدون أذرا
وسطوةِ فاتكٍ إذ ما اكفَهَرا
ليومِ كَريهةٍ يرتاحُ بِشِرا
(٢) فاقصدَه تجدُه صاحِبِ بحرا^(٢)
شمائلُهُ ولالأزهارِ زهرا
يُسَيِّرُها يَمِيناً ثمَّ يُسِرا
إمامٌ فواضِلٍ تَتلى وتُقرا
وقَد وَسِعَتِ همومُ النَّاسِ طُرا

(١) فيه خلل عروضي

(٢) في الأصل: (١) الاقصدَه تجدُه صاحِبِ يا بحراً. الصحيح: الاقصدَه تجدُ يا صاحِبِ بحراً.

وهِمَّتُهُ سَمَتْ فَوْقَ الثَّرِيَا لِيُحَرِّزَ فِي الْعُلَى دُنْيَا وَأَخْرَا
 إِمَامٌ سِيَاسَةٍ لِلنَّاسِ كُلًّا وَتَدْبِيرِ مَصِيبٍ لَيْسَ أَمْرَا
 لَذَلِكَ أَعْنِي الْمَنْصُورَ بِاللَّهِ رَبِّ الْخَلْقِ مَنْ أَعْطَاهُ نَصْرَا
 إِمَامٌ نُسْكُهُ نَسْكُ النَّبِيِّنَ قَوْلًا ثُمَّ فِعْلًا ثُمَّ ذِكْرَا
 وَأَنْتُمْ آلَ يَاسِينَ وَطَه سَفِينَتُنَا بِكُمْ لَمْ تَخْشَ وَزْرَا
 عَلَيْكُمْ كُلَّ حِينٍ صَلَاةَ رَبِّي دَوَامًا مَا تَلَا التَّالُونَ إِقْرَا
 /ومما قاله السيد العلامة إسماعيل المرتضى، حماه الله:

ب ٥٩

[الطويل]

مَدِيحُكَ أَرْضِي فِي فُؤَادِي وَأَوْجِبُ وَأَحْسَنُ تَصْدِيرِ الْبِرَاعِ بِرُؤْمِهِ
 وَأَفْضَلُ مَا مَدَّتْ أَنْامِلُ نَاطِمِ (١) وَأَفْضَلُ آفَاقِ الْوَرَى أَنْ تَرَى سَنَا
 وَطَلَعَتْ عَلَيْنَا شَمْسَ فَضْلِ وَحِكْمَةٍ وَبِحَرَ نَدَى عِلْمٍ وَجُودٍ وَنَائِلِ
 وَقَلْبًا رَوْوفاً ذَا حَنُوٍّ وَرَأْفَةٍ وَأَعْتَى وَأَقْسَى مِنْ حَدِيدٍ عَلَى الْعِدَى
 وَمَا فَاهَ ذُو تَظْمٍ بِحَقِّكَ مَوْجِزُ وَمَا لَيْسَ أَنْ يُحْصِيَ صِفَاتِكَ مَصْقَعُ
 وَلَوْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا الشَّجَاعَةُ وَحَدَّهَا تَحَمَّلَتْ أَعْبَاءَ الْخِلَافَةِ فِي الْوَرَى

(١) سقطت من ع

وقطعت وجهاً للعدو مكافحاً
وقدت جيوش الموج في كل موطن
فما إن نجا منهم من الموت بأسل
فإما قتل شاخب بدمائه
خلقت لهذا يا ابن طه وهكذا
وانك سر السر فيهم بعصرنا
عليك صلاة الله ثم سلامه
ورحمته بعد النبي وآله
ودمت دوام الدهر ظلاً لأهله

وقال السيد الأديب محمد بن عبدالله الخراز:

أشد عليه من جحافل تنهب
على العليج فارتجت بهم تتوئب
وما إن بقي غير الذي صار يهرب
وإما أسير في الحديث مكتب
جدودك كانوا هم أشد وأصلب
وانك لب اللب فيهم وأنجب
بفجر وعصر كلما الغيث يسكب
عدا ما أضاء بدر وشمس وكوكب
ليحيى بكم دين وعلم ومذهب

[الطويل]

أرى بارق اليماني خاطرا
ويدر الرضى لا زال بالبشر طالعا
وشمس المعالي قد تجلى شعاعها
ولاح بدف طائر السعد مقبلا
فبيننا المكارم قد توالى جميعها
تذكرت من أهوى ولا زلت ذاكرا
أراني مطالا لا وصالا محاولا
/فصرت لنحس الصد صبا متيما
وهمت هوى^(١) فازداد قلبي من الجوى

سرى في سحب الجود بالخير ما طرا
فتم بإقبال وجلى الخواطرا
هجيراً وليل النحس ما انفك حاسرا
فظل بأنس للجناحين ناشرا
وفت في سرور قد أقر النواظرا
وفكرت في ألف يحيا مذاكرا
وقد كان لي خلا سميما مسامرا
وهمت بحسن القد ولهان حائرا
طعمت الهوى مرأ وأمسيت ساهرا

٢٠

(١) في م، أطلب

(٢) في ع، الهوا

فلما رأى ما بي من الوجد والضنا
 مشى في دلال مايس القد أهيفا
 وأقبل في حسن البرود لحلية
 فوافى عقيباً خائفاً مترقباً
 وأظهر وجهاً عين شمس مضيئة
 له رُجح يونان وفي حاجبيه ما
 سقام جفون اللخط صحت بكسرها
 وأشرق نور في الجبين بطرة
 وقد فاق أقرنى الأنف في حسن وجهه
 وألعس ثغر أشنب الدر باسماً
 وجيداً حواه جيد ظبي مشرداً
 بكل صفات الحسن جاء مكملاً
 وفاه ينطق لي رخيماً مراجعاً
 فقال أرى في جسمك الصب نافعاً
 فقال فهل كنت اصطبرت مرحباً
 فقال وهل عهداً بنينا بيننا
 أليس قديماً منك قد كان واقعاً
 ولو زدت مطلاً في الوصال تأنيلاً
 ولكن أرى أن الدناعات في الصبا
 عدمت الرضى والعز من شيمى إذا
 وما البرء لي إلا التلافي لصبوتى

علي فبلغت المنى عاد زائرا
 وجال كغصن البان في الهز سائرا
 تجلى وأثنى ثاني العطف خاطرا
 لواش قريباً خشية جاء حاذرا
 وظل له جنح الظلام غدايرا
 بعيني مهاة قد رنا الصب حادرا
 فصرن السقيمات الصحاح الفواترا
 يزين بها ليل الشمس مباشرة
 بهاء وأزهر ورد خديه شائرا
 أضواء كبرق قد ترفرف ثائرا
 وعقداً لواه عسجداً وجواهرها
 وفي حلل مع حليه متفاخرا
 ومستفهماً لي في الكلام مجاورا
 فقلت له لكنه بان جائرا
 فقلت ولكن ظلت في المكث هاجرا
 فقلت نعم عمداً وعدت مناكرا
 بأنك ترضيني خبيراً مخابرا
 لكنك كمن قد صار في الحب غابرا
 وأن الهوى يزري بمن كان كابرا
 رجعت لمولى اللهو الفأ سائرا
 وما مخلصي إلا لأحوي المفاخرا

بمدحِ إمامٍ قامَ اللهُ داعياً
هو القائمُ المنصورُ باللهِ ساعياً
إليَّ عبادَ اللهِ لَبُوا لدعوتي
وقوموا بحقِّ واجبٍ لي عليكمُ
وذاك هما شيثان لا عُذَرَ عَنْهُمَا
أليسَ بهذا اللهُ قد دَلَّ شارِعاً
فأوجِبَ معنى ما ذَكَرْنَاهُ مُحَكِّماً
كذلك أَخْبَارُ الرَّسُولِ تَوَاتَرَتْ
فمن سَمِعَ الداعي على الفورِ واجِباً
يقول له: لَبَّيْكَ أَنْتَ إِمَامُنَا
على المرءِ أَنْ يسعى بصبرٍ مجاهداً
ومن لا يلبي - خائباً - داعيَ الهدى
وإلا فأسراً أو طريداً مشرداً
فهو لعذابٍ واقعٍ لمن اعتدى
ومغني البواطلِ كلِّها ومبيدُها
فيا طالباً نَهَجاً إلى اللهِ واضحاً
والأفتلقى السوءَ عيشاً منغصاً
ألا كيفَ لا فيما توضحَ وأنجلي
فإن إمامَ العصرِ في الفضلِ راسخاً
فأحرزَهَا طفلاً جميعاً ويافعاً
على ذرِّةِ العلياءِ لا زال عالياً

إلى دينهِ حقاً مُغيثاً ناصراً
يُداعي جميعَ الناسِ بالصوتِ جاهراً
فإني لدينِ اللهِ قد قُمتُ ناصراً
يكونُ وفاءً كاملاً ليسَ قاصِراً
فأدوهُمَا أموالَكُمُ والمزاييرا
بلى إنه قد أَلْزَمَ الناسَ أمراً
بنصِّ كتابِ اللهِ للكُلِّ ذاكِراً
فيعلمُها ذو العلمِ مَنْ كان خابِراً
يُجيبُ إمامَ الحقِّ سَعياً مُبادِراً
وسَمِعاً لكم طَوْعاً فليستُ مغايراً
فما أسعدَ الساعي إذا كان صابِراً
فيأتيه قسراً راعِمَ الأنفِ داحِراً
أو السيفُ يمضي فيه للروحِ باتِراً
وغوثُ لمن أمَّ الهدى ليسَ فاتِراً
ومحيي لدينِ اللهِ بالسيفِ شاهِراً
عليك بهذا أنظُرْ إذا كنتَ ناظِراً
وتُصْبِحُ في العقبى حَسيراً خاسِراً
فكن حاضِراً لاتناً عَنْهُ مكاِبراً
حوى كلِّ شَرِّطٍ كاملاً متواتِراً
وكَهْلاً إلى أن صارَ لِلْكُلِّ حاصِراً
علاً صابِراً فوقَ السَّمَاكِينِ ظاهِراً

هو ابنُ رسولِ اللهِ وابنُ وصيِّهِ
 حوى أمهاتِ الخيرِ كلَّ بأسرها
 وجلّى على كلِّ السورى متقدِّماً
 ب٦٠ / بدعوتهِ الغرّاً رأينا دلائلا
 وزحزحَ أقطارَ البلادِ جميعها
 فانت - أميرَ المؤمنين - ولينا
 ومن رامَ عصيانا لكم وتهاوناً
 فوجّه أيا ابنَ المصطفى كلَّ ماجدٍ
 إلى كلِّ إقليمٍ إلى كلِّ بلدةٍ
 بخيلٍ وسُميرٍ وصبا وبنادقٍ
 ودمر أهالي الظلمِ والبغيِ والخنا
 فتبّاً لهمُ أفسدتَ مولاي مُلكهمُ
 فيا خيرَ أهلِ الأرضِ يا خيرَ قائمٍ
 أدامك ربُّ العرشِ للدينِ حافظا
 بدعوتكم ناداك تاريخاً بلفظه

لقد طابَ أصلاً شامخاً وعناصِراً
 فمن أجلها فاقَ الأولى والأخرا
 أفاضلهمُ طراً معاً والأكابرا
 تلوحُ بإقبالِ أثارِ البشائرا
 وعادَ ظلومٌ صاغِرَ الخدِّ صاغرا
 ومن كُنتَ مولاةُ لقيَ الرُشدِ ظافرا
 فمُرتطمٌ لا شكٌ في الخِزيِ عاثرا
 أميراً بتدبيرٍ يقودُ العساكرا
 إلى كلِّ خَوَانٍ عن الدينِ نافرا
 وأنزلَ بأربابِ المعاصيِ دوايرا (١)
 وغيرَ مناكِرهمُ وأمضِ الأوامرا
 وأعميتَ أبصاراً لهمُ وبصائرا
 ويا منَ على هامِ العُلى صيرتَ عابرا
 ولا زلتَ محفوظاً تُزِيلُ المناكرا
 دمت يا منصور للدينِ ناصر (٢)

ومما قاله بعضُ الشيعةِ مُقدِّمةً إلى حضرةِ الإمام - عليه السلام -

[الطويل]

وصَبِراً أذابَ الجِسمَ حتى تقيداً
 ونَطوي الفيافي فذَفاً بعدَ فذَفاً (٣)
 لتقبيلِ أقدامِ الهِزْبِ الممجِّداً (٤)

شوقاً أقامَ القلبُ مني وأقعدا
 نَحْتُ السرى في السَّعيِ شوقاً إليكمُ
 شكرنا أيادي العيشِ إذ بلغت بنا

(١) في البيت خلل عروضي.

(٣) في آخر الشطر خلل، يُفضّل أن يكون: ثم ندفوا.

(٢) في البيت خلل عروضي.

(٤) في آخر الشطر خلل نحوي.

فَقَرَّتْ عُيُونٌ ثُمَّ طَابَتْ خَوَاطِرُ
 إِمَامٍ أَقَامَ اللَّهُ عُنْوَانَ نَصْرِهِ
 وَوَفَّقَهُ الْمَوْلَى لَطْوَعِ مُرَادِهِ
 وَلَمَا رَأَيْنَا فِي الْوَقُوفِ غَنِيمَةً
 وَمَا كُلُّ نَجْمٍ فِي الْهُدَى يُقْتَدَى بِهِ
 فَيَا أَيُّهَا الْمُرُودُ^(١) فِي لُجَجِ الْهَوَى
 وَقِفْ بِحِمَاهُ خَاضِعاً مُتَوَاضِعاً
 وَمِنْ فَضْلِهِ تَحْظِي بِمَنْ أَنْتَ آمِلٌ
 وَدَعِ مَاسِيَةَ الْمَنْصُورِ مَنْ يُرْتَجَى بِهِ
 وَقَفْنَا بِبَابِ الْعِزِّ عِدَّةَ أَشْهُرٍ
 وَمَرَّتْ بِنَا الْأَيَّامُ كَأَضْغَاثِ حَالِمٍ
 فَنَعَمْ شَرِيفاً شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ
 وَحَاشَا بَانَ قَدْ مَرَّ فِي الدَّهْرِ مِثْلُهُ
 أَقْبَلْ غُصْبَةً لَادُوا بِعَفْوِكَ وَالتَّجَوَّأْ
 / وَأَلْقِ جَنَاحَ الدُّلِّ مِنْكَ تَفْضُلاً
 وَأَرْدُدْ غَدَاهُمْ^(٢) غَاضِضِينَ أَكْفَهُمْ
 وَأَكْفِلْ بِهِمْ مَنْ يَحْتَفِلُ بِرَجُوعِهِمْ
 لَتَسْتَكْمِلَ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ جَمِيعَةً

برؤيا إمامِ العصرِ أعني محمداً
 وأحيا به الإسلامَ أيضاً وشيئداً
 وكان له عوناً معيناً مؤيداً
 لديه أنخنا العيشَ تحظى وتسعدا
 ولا كلُّ نارٍ عندها تُوجِبُ الهدى
 إلى سوحةٍ يممُّ لتهدي وتُرشدنا
 وادعُ كريمَ الصَّفحِ توماً ومفردا
 وحاشا عريضُ الجاهِ يُضليلُ مَنْ اهتدى
 منارُ الهدى والناسُ من دونهِ صدى
 وطُفْنَا حَوَالِيهِ مِرَاراً معدداً
 ورؤياهُ أنسانِ الأهلةِ والمدا
 ويا نعمَ سيِّداً قامَ في الناسِ سيِّداً
 وكلاً بأن يأتِي به الدهرُ سرمداً
 يريدوا فكاًكَ الأسرِ كُنْ لَهُمْ يداً
 وأقبلْهُمُ رِقاً رَضُوا بِكَ سيِّداً
 من الغيظِ وارجعْ منهمُ الطَّرْفَ أرمداً
 وأوصلْهُمُ مآمنهُمُ أَنْتَ مُرشداً
 ويستوليَ الذكْرُ الجزيلُ أَنْتَ مُفرداً

(١) في م، الموروط

(٢) في م، غلامه

وتبقى لك الأشخاص ماداً أكفها
تملك صغار القوم ثم كبارهم
إليكم منها هي سيدي قد اتاكم^(١)
تقبلها مولاي فاني جاهل
وليس لنا غير الدعا وسيلة
وصل إلهي كل يومٍ وليلة

بليلٍ وأطرافِ النهارِ مدى المدَا
مدى الدهرِ ما أبقاك مولاك وأيدا
تجر ذبول التيه - في ثوبٍ - مؤلدا
عن الشعر والأدابِ أعمى مؤودا
إلى الله يجعلكم مدى الدهر أئمدا
على أحمدٍ والآلِ ما الطيرُ غردا

(١) هنا خلل عروضي.

تطلب جميع منشوراتنا من

الشركة المتحدة للتوزيع

بيروت - شارع سوريا - تناية صمدى وصناعة

هاتف ٢٢٤٢ - ١٠٢١٢ - ١٠٢١٢ - ٧٤٦ - بوليفيا - بوشتران